المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



الشيخ محمد أبو زهرة وأراؤه الاعتقادية عرضاً ونقداً

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب

فهد بن أحمد بن مسلم النمري

إشراف الأستاذ الدكتور

عيسى بن عبد الله السعدي

الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٢٩هـ/ ١٤٣٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد..

فقد اشتملت هذه الرسالة العلمية والتي هي بعنوان (الشيخ محمد أبو زهرة وآراؤه في الاعتقادية عرضاً ونقداً) على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

فأما المقدمة: فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

وأما التمهيد: فاشتمل على فصلين، الفصل الأول: عن عصر الشيخ وترجمته وتحدثت فيه عن الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية، وعرفت بالشيخ، وحياته العلمية والعملية. والفصل الثاني: بينت منهج الشيخ في تقرير العقيدة وموقفه من خبر الآحاد.

وأما الباب الأول: فكان في عقيدته في الإيمان بالله، وتضمن ثلاثة فصول، الأول: آراؤه في إثبات وجود الله وربوبيته، والثاني: آراؤه في توحيد الألوهية، والثالث آراؤه في توحيد الأسماء والصفات.

وأما الباب الثاني: فكان الحديث فيه عن عقيدته في بقية أركان الإيمان، واشتمل على خمسة فصول، الأول: آراؤه في الإيمان بالملائكة وما يتعلق بهم، والثاني: آراؤه في الإيمان بالكتب وما يتعلق بها، والثالث: آراؤه في الإيمان بالرسل وما يتعلق بهم، والرابع: آراؤه في الإيمان باليوم الآخر، والخامس: آراؤه في الإيمان بالقضاء والقدر.

أما الباب الثالث: فكان على ثلاثة فصول، الأول: آراؤه في الصحابة، والثاني: آراؤه في الإمامة، والثالث: آراؤه في مسائل الأسماء والأحكام.

وأما الخاتمة: فاشتملت على أهم النتائج ومن أبرزها أنه وافق أهل السنة والجماعة في مسائل وخالفهم في أخرى كما هو مبين في أثناء البحث.

وقد كانت الطريقة في العرض والنقد مبنية على جمع آراء أبي زهرة وأقواله ونقوله من خلال تفسيره وكتبه المطبوعة ومن ثم عرض آرائه على منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم، مع التدليل والمناقشة والترجيح وذلك على ضوء المنهج العلمي عزواً وتخريجاً وتوثيقاً وتعليقاً، وقد احتوى آخر الرسالة على فهارس علمية متنوعة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الطالب
فهد بن أحمد بن مسلم النمري

Abstract

Praise be to Allah, peace and prayer be upon our messenger ……..... after

This study, which entitled as Sheikh Mohammad Abou Zahara and his opinions in doctrine presented and criticism, contains introduction, pavement, three parts and a conclusion .

As for the introduction, I mentioned in it the reasons of selecting this issue, research plan and its curriculum.

As for the pavement, it contains two chapters. The first one, is about Sheikh's era and his translation. In it I mentioned the political, social and scientific state. Then I introduced the Sheikh and his practical and scientific life. In the second chapter I clarified Sheikh's attitude in doctrine.

As for the first part, it is about his doctrine in faith in Allah, and it has three chapters. The first one is about his opinions approving the existence of Allah. The second is about his opinion in god theology. The third is about nouns adjectives union.

The second part handles his doctrines related to the remains of Islamic principals. It has five chapters. The first one is about his opinion in his faith with angles and what concerns with them. The second is about his opinions with books and what concerns wit it.

The third is about his opinions in faith with messengers and what concerns with them. The fourth is about his faith with the last day. The fifth is about his faith in destiny.

As for the third part, it has three chapters. The first one handles his opinion in the companions. The third handles his opinion in honesty. The third handles his opinion in nouns and justice issues…..

As for the conclusion it handles the important results. One of these results that he agrees with the Sauna's people in some issues, and disagree in others, as it is clear through the research. The way of showing criticism was based on collected the opinions on Sauna's curriculum and doctrine, with the evidence and discussion. And this was on the basses of scientific and certified curriculum. The end of the study has a scientific and varied appendixes .

And praise be to Allah with his blessings good things happens, prayer and peace upon our messenger.

Student :

Fahid Ahmad Muslim Al - Nemri

المقـــــدمـــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومـــن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمـــــران: ١٠٢ – ١٠٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد :

فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليـــه وســـلم، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وبعد: فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأفضلها، وأرفعها مكانة وأجلها؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أشرف من توحيد الله تعالى ومعرفة ما يجـــب لـــه مـــن الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإدراك حقوقه تعالى على عباده، والالتزام بـــذلك علماً وعملاً، فإن العبد كلما كان بهذا أعرف وله أتبع كان إلى ربه أقـــرب، وبهـــذا تنال النجاة والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولما كان من فضل الله علي أن جعلني أحد طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة لمرحلة الدكتوراه فقد أحببت أن يكون مشروع رسالتي المقدمة لنيل الدرجـــة عـــن الشيخ أبي زهرة وقد عنونتها بـــ **(الشيخ محمد أبـــو زهـــرة وآراؤه الاعتقاديـــة عرضاً ونقداً)** والله أسأل التوفيق والسداد.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي:

١- وفرة المسائل العقدية التي تكلم عنها الشيخ وخصوصاً أنه قد فسر أغلب القرآن الكريم ولاشك أنه قد مر في تفسيره على مسائل عقدية كثيرة.

٢- أن الشيخ أبا زهرة كان من أبرز علماء الشريعة في القرن الهجري المنصرم وقد نال شهرة واسعة في مجال الفقه وأصوله وفي الخطابة والجدل وغيرها.

٣- عرف الشيخ بآرائه الجريئة ونقده لأغلب ما جد في عصره من قضايا، سياسية كانت أو علمية أو اجتماعية، فمن المهم معرفة آراء الشيخ الاعتقادية وبيان الموقف منها، لاسيما وللشيخ أتباع وتلاميذ يمثلون مدارس فكرية في واقعنا المعاصر.

٤- انتشار كتب الشيخ رحمه الله تعالى كتاريخ المذاهب الإسلامية ومقارنات الأديان ومحاضرات في النصرانية وغيرها، فكان لابد من بيان ما وافق فيه الشيخ مذهب السلف وما خالف فيه حتى تتم الاستفادة من كتب الشيخ.

٥- كون الموضوع شاملاً لجميع أبواب العقيدة، مما يعود على الباحث بالنفع الكبير إن شاء الله.

٦- أن هذا الموضوع لم يتناوله أحد بالبحث حسب علمي.

منهج البحث:

سأسير في بحثي إن شاء الله على المنهج التالي:

١- جمع كلامه رحمه الله على المسألة الواحدة من جميع كتبه وتحرير قوله فيها.

٢- دراسة قوله وفق منهج أهل السنة والجماعة وذلك ببيان ما إذا كان ما قاله موافقاً لقول أهل السنة والجماعة أو مخالفاً لهم، مع بيان الصواب في ذلك.

٣- عزو جميع الآيات الواردة في البحث، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فلا أذكر المصادر الأخرى التي أخرجته وإن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما، فأخرجه من كتب السنة الأخرى قدر المستطاع مع ذكر ما قيل عن الحديث، صحة أو ضعفاً.

٥- توثيق الأقوال الوارد ذكرها في البحث، بعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٦- أعرف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث ما عدا المشهورين منهم كالخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة.

٧- التعريف بالفرق والطوائف التي سيرد ذكرها في البحث.

٨- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة.

٩- وضع فهارس علمية تخدم البحث كفهرس الآيات والأحاديث والفرق والمصطلحات والألفاظ الغريبة والأعلام والمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

١٠- أخرت ذكر بيانات المصادر إلى فهرسها، خشية الإطالة بذكرها.

خطـــة البحث

المقدمة : وتشمل أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، والمنهج المتبـــع في البحث .

التمهيد : ويشمل عصر الشيخ وترجمته ، ومنهجه في تقرير العقيدة .

الفصل الأول : عصر الشيخ وترجمته .

الفصل الثاني : منهجه في تقرير العقيدة.

الباب الأول : آراؤه في الإيمان باللّه

الفصل الأول : آراؤه في إثبات وجود الله وربوبيته ، وفيه مباحث:

المبحث الأول: معنى توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: الاستدلال على وجود الله وربوبيته.

المبحث الثالث: عدم كفاية توحيد الربوبية.

الفصل الثاني : آراؤه في توحيد الألوهية، وفيه مباحث:

المبحث الأول: آراؤه في توحيد الألوهية و معنى لا إله إلا الله

المبحث الثاني: الاستدلال على الألوهية.

المبحث الثالث: ما يضاد توحيد الألوهية أو يقدح فيه

الفصل الثالث : آراؤه في توحيد الأسماء والصفات، وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: آراؤه في نصوص الصفات.

المبحث الثالث: آراؤه في الصفات الذاتية والفعلية.

الباب الثاني : آراؤه في بقية أركان الإيمان

الفصل الأول : آراؤه في الإيمان بالملائكة وما يتعلق بهم .

الفصل الثاني : آراؤه في الإيمان بالكتب وما يتعلق بها.

الفصل الثالث : آراؤه في الإيمان بالرسل وما يتعلق بهم.

الفصل الرابع : آراؤه في الإيمان باليوم الآخر، وفيه مباحث:

المبحث الأول: عذاب القبر ونعيمه.

المبحث الثاني: البعث والنشور.

المبحث الثالث: الجنة والنار.

الفصل الخامس : آراؤه في الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: أفعال العباد.

المبحث الثالث: الحكمة والتعليل.

الباب الثالث : آراؤه في الصحابة، والإمامة، ومسائل الأسماء والأحكام

الفصل الأول : آراؤه في الصحابة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: مكانة الصحابة.

المبحث الثاني: موقفه مما شجر بينهم.

الفصل الثاني : آراؤه في الإمامة، وفيه مباحث :

المبحث الأول: مكانة الإمامة وأدلة وجوبها.

المبحث الثاني: مقاصد الإمامة.

المبحث الثالث: واجبات الإمام وحقوقه.

وأخيراً.. فإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما منَّ وأنعم من انتسابي إلى العلم الشرعي- ونعمه سبحانه أكثر من أن تحصر- إذ شرفني بأن أكون محباً للعلم ومن طلابه، لاسيما في مجال العقيدة الذي يعد أشرف مجال.

كما أحمده سبحانه وتعالى وأشكره أولاً وأخراً، وظاهراً وباطناً أن أعانني على إتمام هذا البحث، فله الحمد وحده، وله الثناء والمجد، والعظمة والعزة والكبرياء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

ومع علمي بأنني لم أوف هذا الموضوع حقه فحسبي أني بذلت قصارى جهدي في سبيل إتمامه على الوجه الأكمل، وأتمثل بقول العلامة ابن القيم أن كل مؤلف: (قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وعرضنا لأسنة الطاعنين، فلقرائه غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، وهذه بضاعته تعرض عليك، ومو ليته تهدي إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان، وإن صادفت غيره، فالله المستعان وعليه التكلان)[١].

وأقول كما قال: (وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولاً واستحساناً ويردٍّ جميل إن كان حظها احتقاراً واستهجاناً، المنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاء وثواباً، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً، وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحي يوحى)[٢].

ثم إني أشكر بعد شكر الله تعالى من قرن شكرهم بشكره فقال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

فأشكر والدتي الكريمة على حسن تربيتها لي، وكريم عنايتها بي، وكثرة دعائها لي، فأسأل الله تعالى أن يجزيها خير ما جزى والدة عن أولادها وأن يحسن خاتمتها،

---

(١) روضة المحبين، ص ٤١- ٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢.

وأن يجمعني وإياها بوالدي رحمه الله في جنات النعيم، ثم أشكر لزوجتي المباركة التي كانت ولا تزال نعم المعين لي على الدراسة والبحث، فجزاها الله خيراً.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها ووكيله وفقهم الله تعالى لكل خير، كما أقدم شكري وامتناني لكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها ووكيله، وأخص بالشكر والتقدير فضيلة رئيس قسم العقيدة وأعضاء القسم المحترمين على ما يبذلون من جهود في خدمة العلم وطلابه.

كما أتقدم بالشكر والتقدير والاحترام والامتنان لشيخي وأستاذي فضيلة الشيخ الدكتور/ عيسى بن عبدالله السعدي المشرف على هذه الرسالة فله في نفسي أكبر أثر، فقد تعلمت منه الأدب قبل العلم، وأفدت منه كثيراً منهجياً وعلمياً، فقد عشت معه هذه المدة فكان نعم المعين بعد الله تعالى في تصويب الخطأ، وتعديل المعوج، فقد كان لعنايته ومتابعته ودقة عباراته أثر بارز في الرسالة، فأسأل المولى القدير السميع المجيب أن يبارك له في علمه وعمله، وأن ينسأ له في أثره، ويبارك له في ولده.

ولا يفوتني أن أشكر كل من قَدَمّ لي نصحاً أو توجيهاً أو مساعدة في بحثي هذا، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير، وأخص منهم فضيلة الشيخ الدكتور/ عبدالله بن محمد القرني الذي أرشدني لموضوع هذا البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول: عصر الشيخ وترجمته

المبحث الأول: عصر الشيخ

المطلب الأول: الحالة السياسية:

شهد العالم الإسلامي أحداثاً سياسية بالغة في الفترة التي سبقت مولد الشيخ وكذلك بعد ولادته، فقد شهد الشيخ الثمرة النكدة للتآمر على إسقاط الخلافة العثمانية، والذي كان أعظم حدث في حياة المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، فقد تآمرت الدول الأوروبية الكبرى على إسقاط الخلافة العثمانية، بعد أن استمرت في أيدي العثمانيين أكثر من أربعة قرون، وصلوا فيها إلى أبواب فينّا، وأرهبوا أعداء الله من اليهود والنصارى في الشرق والغرب، فتجمع الأعداء وتآمروا، وراحوا يبحثون كيف يوقفون المد الإسلامي من اجتياح أوروبا، ووجدوا الفرصة سانحة بعد أن ضعفت سيطرة الخلفاء المتأخرين على جميع الأراضي التابعة للدولة العثمانية، فوجدت الدول الأوروبية الفرصة لاقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية فأخذت روسيا والنمسا في أول الأمر سياسة التوسع على حساب ممتلكات الدولة العثمانية في وسط أوروبا وعلى سواحل البحر الأسود، وشبه جزيرة البلقان، وتغلغلت روسيا في أرمينيا وابتلعت معظم آسيا الوسطى والقوقاز، وأصبحت هاتان الدولتان في حالة حرب مع الدولة العثمانية حتى استنفذتا قوة الدولة وحيويتها، ثم انضمت فرنسا إلى ركبهما واحتلت الجزائر عام ١٨٣٠م ثم وضعت تونس تحت حمايتها عام ١٨٨١م ثم احتلت المغرب عام ١٩١٢م وبلاد الشام عام ١٩٢٠م، ونهجت بريطانيا هذا النهج واحتلت مصر بما فيها قناة السويس عام ١٨٨٢م ثم احتلت العراق عام ١٩١٤م وفلسطين عام ١٩١٨م[(١)].

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٤٩/٨-٢٠٩، والانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين- لعلي بخيت الزهراني، ص٧٤٨.

وفي ظل هذه الأحداث التي كانت قد أصابت مقتلاً في جسد الدولة العثمانيـــة، تولى الحكم السلطان عبدالحميد الثاني[١] عام ١٨٧٧م، فجاء في وقت ضـــعفت فيـــه الدولة العثمانية ضعفاً شديداً، وحاول أن يبقى على ذلك الكيـــان المتـــداعي ولكـــن محاولاته لم تجد شيئاً إذ بلغ الضعف السياسي منتهاه، وقد ساهم في تعجيل إســـقاط السلطان عبدالحميد الثاني، ظهور التنظيمات والجمعيات السرية، مثل جمعية الاتحاد والترقي والتي تمكنت بعد ذلك من الثورة على السلطان عبدالحميـــد وخلعـــه مـــن الخلافة عام ١٩٠٩م[٢].

ويعتبر سقوط السلطان عبدالحميد هو السقوط الحقيقي للدولة العثمانيـــة، حيـــث أصبح كل شيء في الخلافة بيد الاتحاديين، أما الخليفة فكان صورة، ليس لـــه مـــن الأمر شيء، ولم يطل الأمر كثيراً إذ تولى الخلافة بعده ثلاثة من الخلفاء لم تـــستمر مدة خلافتهم عن أربعة عشر عاماً تقريباً وبعدها أعلن عن سقوط الخلافة العثمانيـــة عام ١٣٤٢هـــ الموافق عام ١٩٢٣م، وبزوالها لم يعد للمسلمين خلافـــة، فانقـــسمت بلادهم، وظهرت النعرات القومية، وتصارع بعضها مع بعض حتـــى وهـــن أمـــر المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله [٣].

ولم تكن مصر في هذه الأثناء بأحسن حالاً من عاصمة الخلافة، فقـــد كانـــت ترزح تحت وطأة الاحتلال البريطاني، وقبل أن تسقط الخلافة العثمانية بسنوات قليلة

---

(١) هو عبدالحميد الثاني بن عبدالحميد الأول بن محمود الثاني بن عبدالحميد الأول، آخر سلاطين الدولة العثمانية الأقوياء، ويعتبر أشهرهم، وأطولهم حكماً، تولى الخلافة عام ١٢٩٣هـــ وعمره ٣٤عاماً واستمر في الخلافة حتى تم خلعه عام ١٣٢٧هـــ، ثم انتقل بعدها مع أسرته ومرافقيه إلى سلانيك وبقي فيها تحت حراسة الاتحاديين حتى حرب البلقان، ثم نقل بعدها إلى استانبول وبقي فيها إلى أن توفي عام ١٣٣٦هـــ.
انظر التاريخ الإسلامي ٨/ ١٨٣- ٢٠٩.

(٢) انظر التاريخ الإسلامي ٨/ ١٩٩- ٢٠٩.

(٣) انظر التاريخ الإسلامي ٨/ ٢١٢.

اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م بين ألمانيا والنمسا ومعهم الدولة العثمانية من جانب وبين الحلفاء- فرنسا وبريطانيا وروسيا من جانب آخر، مما جعل بريطانيا تعلن الأحكام العرفية على مصر عام ١٩١٤م، واستمر الوضع على ذلك إلى أن قامت ثورة عارمة تطالب بالاستقلال لمصر وذلك عام ١٩١٨م، وقد كان زعيم الثورة سعد زغلول[١]، واستمرت الثورة إلى عام ١٩٢٢م وفيها أعلنت بريطانيا إلغاء الحماية عن مصر، وإعطاءها الاستقلال وتهيئة البلاد للحكم الدستوري، لكنها علقت هذا الاستقلال بأربع نقاط:

١- تأمين مواصلات الإمبراطورية الإنجليزية في مصر.

٢- الدفاع عن مصر ضد أي هجوم أجنبي.

٣- حماية الأقليات والمصالح الأجنبية.

٤- قضية السودان.

بعد هذا الاتفاق أصبحت مصر دولة مستقلة ذات سيادة، لكنها مقيدة بشروط ويمكن أن نُسمي الفترة الزمنية بفترة الملكية أو الاستقلال المقيد، وتبدأ من عام ١٣٤٠هـ وتنتهي بانتهاء حكم الملك فاروق[٢] عام ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢م[٣] وقد وصف الشيخ أبو زهرة فترة حكم الملك فاروق بأنها: (كانت سنين غلاظاً

---

(١) سعد بن إبراهيم زغلول، معدود من زعماء نهضة مصر السياسية، وأكبر خطبائها في عصره دخل الأزهر سنة ١٢٩٠هـ واتصل بجمال الدين الأفغاني، فلازمه مدة، واشتغل بالتحرير في جريدة الوقائع المصرية مع محمد عبده سنة ١٢٩٨هـ، واشتغل بالمحاماة سنة ١٣٠١هـ. انظر الأعلام ٨٣/٣.

(٢) هو فاروق بن أحمد فؤاد بن إسماعيل الخديوي بن إبراهيم بن محمد علي آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي، وآخر من لقب بالملك فيها، ولد في القاهرة وتعلم بها وبفرنسا وإنجلترا، خلف أباه ملكاً على مصر سنة ١٩٣٦م وأرغمته ثورة مصر عام ١٩٥٢م على خلع نفسه فتنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد الثاني الذي ما لبث أن خلع بتحويل مصر إلى جمهورية، أقام فاروق في روما وتوفي بها عام ١٣٨٤هـ. وقد أوصى أن يدفن بالمدينة النبوية. انظر الأعلام ١٢٨/٥.

(٣) انظر التاريخ الإسلامي ١٣/ ٣٦- ٩٦.

شداداً، وكانت في الاقتصاد عجافاً ضعافاً، قد اجتمع فيها على الشعب المصري غلظ الحكم، وذل الاستبداد، وظلم الطغيان، مع الجوع والعرى، والضيق والعسر الشديد، وقد عَمّت المعاصي حتى صار عقاب الله عاماً... ولقد أصابنا الله بالعقاب، واشـــتد بنا العذاب، فانتهكت الحرمات، وأصابتنا الفاقة، ونزلت بنا البأساء والضراء، وصار بأسنا بيننا شديداً، وتدابرت النفوس، وأصبح القائم منكوســاً، وصـــار كــل شـــيء معكوساً، ورأى الناس الرذيله تشيل بذنبها، ويعلو رأسها واختفت الفضيلة، وأصـــبح الناطق بها كالقابض على الجمر، ومن ينطق بالحق يصدون عنه صدوداً، أو يلقى به في غيابات السجون، أو ينبذ، أو يضيق عليه في رزقه)[١].

وبعد أن خلع الملك فاروق بقيام انقلاب عليه تزعمه ضباط الجيش وأعلنوا عن قيام النظام الجمهوري في مصر عام ١٩٥٢م وكان اللواء محمد نجيب[٢] أول رئيس للجمهورية، وكانت العلاقة بينه وبين الشيخ أبو زهرة علاقة وطيدة جداً، حتـــى أن محمد نجيب كان يزور بيت الشيخ تحت حراسة مشددة، وقام بنفسه لاحقاً مع أســـرة الشيخ أبو زهرة حتى تلقى العزاء في الشيخ أبو زهرة[٣]. واستلم الحكم مكانه جمال عبدالناصر الذي اتسم حكمه بالظلم والطغيان والاستبداد، وكانت مصر في عـــصره تعيش على صفيح ساخن، واتخذ قرارات حمقاء أضرت كثيراً بمصر، من أبرزهـــا ما يلي:

١- تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م، مما كان سبباً في العدوان الثلاثي الـــذي شـــنته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر.

---

(١) لواء الإسلام، السنة السادسة، العدد الرابع، ذو الحجة ١٣٧١هـــ، ص ٢٢٥.

(٢) هو محمد بن يوسف نجيب، ولد في الخرطوم، وحصل على الشهادة الابتدائية المصرية، والتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة، تدرج في بعض الوظائف العسكرية في مصر والسودان، وهو أول رئيس لمصر بعد انقضاء الحكم الملكي، أجبر على تقديم استقالته من الرئاسة، اعتقله عبدالناصر وأفرج عنه السادات بعد توليه الرئاسة، توفي عام ١٤٠٤هـــ. انظر ذيل الأعلام.

(٣) أنظر أبو زهرة عالماً إسلامياً، لناصر وهدان، ص ١٤٠.

٢- دخول الجيش المصري في حرب مع اليمن عام ١٩٦٢م، وخسرت مصر في حربها مع اليمن الأموال الكثيرة، والأعداد الغفيرة من الجنود، ووقعت في ورطة لم تستطع التخلص منها، وقطعت علاقتها مع المملكة العربية السعودية، وكان الشيخ أبو زهرة رحمه الله يصف حرب عبدالناصر لليمن بأنها جريمة من جرائم عبدالناصر.

يقول أحد تلاميذ الشيخ: (كان من أكثر ما يؤلمه ويعلق عليه بحرارة ما يسميه (بجريمة حرب اليمن) وقتل المسلمين هناك، وما أدت إليه من مزيد الضحايا الأبرياء من خيرة شباب مصر وشباب اليمن الشقيق، وما أدت إليه من استنزاف اقتصاد مصر واقتصاد اليمن، وما أدت إليه من وضع سيء لمصر بين الدول العربية وخاصة السعودية، فكان موقف مصر العربي بعد النكسة، وفي سنة ١٩٦٩م بالذات موقفاً سيئاً للغاية يقلق الشيخ أبو زهرة أشد القلق، لأنه يعتبر أن مصر لم تكسب العرب إبان قوتها، ولم تكسب احترامهم إبان ضعفها)[١].

واستمر عبدالناصر في الحكم حتى توفي عام ١٩٧٠م، وكما حمد الشيخ أبو زهرة ربه من قبل على أن أزال طغيان الملك فاروق، عاد الشيخ مرة أخرى يحمد ربه على أن أزال طغيان عبدالناصر[٢]، والذي كان من آثاره منع الشيخ من الكتابة في الصحف والمجلات، وإلقاء المحاضرات، وتحريض الصحف الرخيصة لتنال من الشيخ أبو زهرة، يقول الشيخ أبو زهرة: (إن فرحتي ما كانت لتحد يوم عزل فاروق على يد زعيم الثورة اللواء محمد نجيب الوطني بحق، وظننت أن العدل قد تحقق، وأننا سوف نسترد أرضنا وأن شمس الحرية سوف تعود ترفرف على ديارنا إلى أن حدثت المفاجأة المذهلة وتغير الوضع تماماً، وانتصرت الأهواء والنزعات الشخصية، وانقلبت الثورة إلى انقلاب عسكري بقيادة طاغية جديد هو جمال عبدالناصر الذي أذاق البلاد أقسى ألوان الذل والهوان)[٣].

---

(١) أبو زهرة في رأي علماء العصر، لأبي بكر عبدالرزاق ١٠٦/٢.

(٢) انظر مقدمة زهرة التفاسير ٢٢/١ وانظر أبو زهرة في رأي علماء العصر ١١٣/٢.

(٣) من أعلام الحركة الإسلامية لعبدالله العقيل، ٧٧٤/٢.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

لقد كان للوضع السياسي المضطرب تأثيره على الحياة الاجتماعية في مــصر، وذلك أنه لا يمكن أن تستقر الحياة الاجتماعية في ظل الواقع السياسي المــضطرب، لأن الحكام حينها سينشغلون بالنواحي السياسية عن تأمين الحياة الاجتماعية المستقرة لرعاياهم، والقيام بمصالحهم وتدبير شؤونهم، ولهذا انتشرت في تلك الفترة مظــاهر سلبية كثيرة جداً منها:

١- انتشار الجهل والخرافة والبدع والتعلق بالقبور وعمارتها، ولقد كانــت عمــارة الأضرحة والقباب على القبور ظاهرة بارزة، ففي القاهرة وحدها ما يزيد علــى مائتي ضريح، من أشهرها ضريح الحسين(١)، وضريح السيدة زينب(٢)، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث بن سعد وغيرها ولكل هذه الأضرحة قــد بنــي عليها جوامع ومساجد، ولكل ضريح أوقافاً كثيرة تــدر عليهــا وعلــى ســدنتها الأموال الوفيرة، هذا غير العطايا الجزيلة والهدايا الثمينة والنذور التي تقدم إليها من قبل المولعين بها تقرباً إلى أصحابها.

وهكذا انصرف الناس إلى خدمة الأموات بإعمار أضرحتهم وبناء القباب عليها، وصرفوا جهودهم وأموالهم، وشغلوا عقولهم وقلوبهم بتلك الأعمال التي لا طائل من ورائها إلا وقوع الشرك ونشوء المنكرات، وإضاعة الأعمار والأوقات.

---

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا ومحبوبه، قتل رضي الله عنه شهيداً بكربلاء، عام ٦١هـــ وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله ليزيد بن معاوية بالشام. انظر سير أعلام النبلاء ٣/٢٨٠.

(٢) زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها، أمها فاطمة الزهراء، وكانت مع أخيها الحسين لما قتل، فحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها ليزيد يدل على عقل وقوة جنان. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٨/١٦٦- ١٦٧.

وكان كل ذلك على حساب الاهتمام بخدمة الأحياء بالتربية والتعليم وتوفير وسائل العيش الكريم لهم، وتقوية الأمة التي كان أعداؤها في الخارج يتربصون بها الدوائر[1].

٢- الانحراف الأخلاقي فظهرت الدعوات إلى الزنا والغناء والرقص وشرب الخمر، وافتتحت الخمارات في أغلب الأماكن حتى تغلغلت إلى الريف وإلى أحياء العمال، وافتتحت دور البغاء المرخصة من الحكومة، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات[2]، فاختفت الفضيلة أو تكاد وعلت الرذيلة ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويصف الشيخ رحمه الله ما يتعرض له أبناء جيله من: (فتن قد أحاطت بهم، صحف تتلو أخبار الهوى وانتهاك الأعراض، وأخبار الإجرام والمجرمين، وإذاعات تذيع روايات تمثيلية فيها إرشاد إلى طريق الإجرام، وقنوات تدعو إلى الفتنة، ويدخل الشيطان نفثاته فيها، ومجاهرة بالعصيان في كل مكان، حتى إن الفضيلة تختفي، والرذيلة تعلو برأسها مثبتة وجودها)[3].

وقد كان الشيخ رحمه الله يتألم من كل هذا الوضع المزري ويرى أثره في نفوس الشباب حتى أصبح بعض الشباب يرى إن إقامة معهد للرقص أولى من إنشاء مصنع للتعلم فيه يقول الشيخ رحمه الله: (ولكن مع ذلك نجد هوى متبعاً، ودعوات إلى الانحراف مستمرة !! اقرأ الصحف فإنك ترى فيها أخبار الراقصين والراقصات، من الشرق ومن الغرب، وأخبار العشق والهيام!! وكأن ذلك هو الدنيا! ووجدنا الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل إن الإذاعات بكل أنواعها تذيع في رواياتها وأقاصيصها أخبار المحبين، وأخبار المجرمين! وانظر إلى المذياع المصور فإنك بلا ريب واجد أن ما تأخذه أخبار الرقص ومناظره

(١) انظر الانحرافات العقدية والعلمية، ص ٣٠- ٣١٠.

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، لمحمد محمد حسين ١/٢٦٤.

(٣) لواء الإسلام- السنة التاسعة، العدد الثاني، شوال ١٣٧٤هـ، مقال عن الأخلاق الأخلاق، ص١١٧.

أضعاف ما تأخذه أخبار العلم والعلماء! ولقد كان لـذلك أثـره فـي النفـوس، وخصوصاً نفوس الشباب الغضة، التي تقبل كل الألوان والأشكال، ولقـد هالنـا وأمضَّ نفوسنا، أننا سألنا جمعاً من تلاميذنا: أي الأمرين أجدى علينـا: إنـشاء معهد للرقص، أم إنشاء مصنع للتعلم فيه؟ فكانت إجابة بعضهم التي لم يستنكرها الآخرون: أن معهد الرقص أولى بالإنشاء! ولما وجهت إليه اللوم الشديد، وبـدأ الغضب في وجهي وقولي، اعتذر بأن هذا ما يسمعه ويقرؤه كل يوم!! فلا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

٣- الدعوة إلى تحرير المرأة وإفسادها، وخروجها سافرة حاسرة عن شعرها ونحرها وباقي أجزاء جسمها، وأول من نادى بتحرير المرأة قاسم أمين[2] فأفـل كتـابين الأول "تحرير المرأة" والثاني: "المرأة الجديدة "، وقد أتت دعـوة قاسـم أمـين لتحرير المرأة ثمارها الخبيثة واستنفذت في وقت وجيز كل أغراضها، وانـدفع الناس إلى ما وراءها في سرعة غير منتظرة، فقد خلعت المـرأة النقـاب، ثـم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة، ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة، ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب في الذيول وفي الأكمام وفي الجيوب، ولم يزل يجور عليها فيضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثـم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئاً، ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن، ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود ومشيعي الفجور. وقطعت المرأة مرحلـة

---

(١) لواء الإسلام- السنة السادسة عشرة، العدد العاشر، جمادى الثانية لعام ١٣٨٢هـ، مقال عن الأخلاق الأخلاق، ص ٦١٥.

(٢) قاسم بن محمد أمين المصري، كردي الأصل، انتقل مع أبيه إلى الإسكندرية فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة، وأكمل دراسة الحقوق بفرنسا وعاد إلى مصر عام ١٨٨٥م فكان وكيلاً للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة فمستشاراً بمحكمة الاستئناف، توفي بالقاهرة عام ١٩٠٨م.
انظر الأعلام ١٨٤/٥.

التعليم الابتدائي والثانوي واقتحمت الجامعة، مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت في الوظائف العامة، ثم لم تقف مطالبها عند حد في الجري وراء ما سماه أنصارها "حقوق المرأة" أو"مساواتها بالرجل" وكأنما كان عبثاً أن خلق الله سبحانه الذكر والأنثى، وأقام كلاً منهما فيما أراد، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات، وحطّم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح وفي الترام وفي كل مكان..)[1].

٤- وبجانب ما سبق من مظاهر الانحلال والتفسخ، نجد التفاوت الشديد بين فئات المجتمع، فنجد الأثرياء وأصحاب الأرقام الفلكية من الأموال، كما نجد ألوفاً بل ملايين من الآدميين الذين أهدرت آدميتهم بسبب الحالة المدقعة التي تدنوا إليها، حيث وصل الحال في مصر إلى أن ما يقارب على أربعة ملايين مصري يعيشعون أقل من عيشة الحيوان، ففي خطاب ألقاه حسن البنا[2] رحمه الله عام ١٩٤١م تحدث فيه عن فساد النظام الاجتماعي في مصر فكان مما ذكره: أن أربعة ملايين من المصريين لا يحصل أحدهم على ثمانين قرشاً في الشهر إلا بشق النفس، وهو متوسط ما يكون عليه الحال في الريف المصري بل في الأسرة المصرية عامة فيكون ما يخص الفرد في العام ما يقارب الجنيهين، وهو أقل بكثير مما يعيش به الحمار، فإن الحمار يتكلف على صاحبه ٣٤٠ قرشاً تقريباً، فيكون أربعة ملايين مصري يعيشون أقل من عيشة الحيوان[3].

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/٢٤٩.

(٢) حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا، مؤسس جماعة "الإخوان المسلمون" بمصر وصاحب دعوتهم، كان خطيباً مفوهاً، اصطدام مع رجال السياسة في عصره فحاولوا إبعاده عن السياسة فلم يفلحوا، اغتيل رحمه الله رمياً بالرصاص عام ١٣٦٨هـ. انظر الأعلام ٢/١٨٣.

(٣) انظر الإخوان المسلمين، أحداث صنعت التاريخ، لمحمود عبدالحليم ٢/ ٣٩٤.

المطلب الثالث: الحـــالة العلمية:

كان العالم الإسلامي في تلك الفترة يعيش حالة من الضعف والركود العلمي، في جميع أقطاره، ففي تركيا والتي هي دار الخلافة كان العلماء لا يعتنون باكتساب العلوم الحديثة، بل كانوا يمنعون الأفكار الجديدة من أن تدخل منطقتهم، فقـد كـانوا متصرفين بزمام التعليم حينذاك، ولم تكن مصر بأحسن حالاً من تركيا، حيث كانـت تعيش حالة من الركود العلمي في شقيه الديني والدنيوي، ففي الجانب الـديني نجـد الأزهر والذي يعتبر أقدم وأكبر مؤسسة علمية في العالم الإسلامي لم تكن الأوضاع على ما يسر، فنجد أن مناهجه لم تسلم من الانحراف في مضمونها، فنجـد بالنـسبة لعلم التوحيد والعقيدة المناهج كلها كلامية، وبالنسبة لعلم التفسير نجـد أن المنـاهج أغلبها من قبيل التفسير بالرأي المذموم، ولا يوجد اعتناء بالتفسير المأثور.

وأما علم الحديث الشريف فكان الاعتناء به ضعيفا. ولهذا انجرف الأزهر في تيارات الواقع المتردي من صوفية[(١)]، وعلم كلام[(٢)]، وتعـصب مـذهبي وتـدريس المنطق[(٣)] الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، والذي ما زادت به العلـوم إلا تعقيـداً وتأخراً، وعن علم الكلام يقول أحد الدارسين في الأزهر مبيناً ثمرة هذا العلم المـرة على نفسه (... ومن العلوم التي لم أنتفع بدراستها في الأزهر على الإطـلاق علـم

---

(١) الصوفية: طائفة من أهل البدع، ينسبون إلى الصوف على الصحيح لكثرة لبسهم الصوف، وهم طوائف شتى، وقد مر التصوف بعدة مراحل كان في أوله زهداً في الدنيا مع عدم الانقطاع عنها، ثم صار حركات ومظاهر خالية من العبادة، ثم صار إلحاداً أو خروجاً عن دين الله تعالى وذلك بترك الواجبات والقول بعلم الباطن، والحلول والاتحاد، وغيرها من العقائد الباطلة. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص٩٧ ، ومجموع الفتاوي ٥/١١ وما بعدها.

(٢) قيل هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وقيل غير ذلك، ثم ذم السلف علم الكلام لأنه مزيج من القوانين المنطقية والأصول الفلسفية ألبست لباس الإسلام، وقدمت في صورة ظاهرها الدفاع عن الدين، وباطنها زرع الحيرة والشك والإلحاد في القلوب. أنظر مقدمة ابن خلدون ، ص٥٥٧، وجناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح، ص٣٩.

(٣) المنطق: هو علم يبحث في المدركات الحسية والعقلية، وقيل أنه علم قوانين الفكر.

الكلام، فقد درسته بالأزهر عدة سنوات، ولكني لم أعرف منه شيئاً ذا بـال، وإنما انغمستُ في اصطلاحات زادت تفكيري غموضاً واضطراباً، حتى تمنيت إيمان العوام) [1].

وكما حدث الانحراف في العلوم الشرعية وما يتبعها، حصل انحراف علمي آخر في دراسة العلوم الدنيوية من طب وهندسة، وفلك، وفيزياء، وكيمياء مع أن: (من مفاخر الحركة العلمية الإسلامية .. أنها تفتحت للعلم كله، وأبدعت في العلم كله، وكان العالم يكون عالماً في العلوم الشرعية وعالماً في ذات الوقت في الطب أو الفلك أو الفيزياء، أو الكيمياء، بغير تعارض ولا تناقض بين هذا وذاك، وكانت المعاهد العلمية في الأندلس وغيرها –تلك التي تعلمت فيها أوربا حين بدأت تخرج من قرونها المظلمة – تعلم طلابها كل فروع العلم وألوانه بغير تفريق، وكانت العلوم الدنيوية من المعالم البارزة في تلك المعاهد إلى جانب العلوم الشرعية، ومن هناك تعلمت أوروبا المنهج التجريبي في البحث العلمي، وترجمت ما كتبه المسلمون في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات والبصريات لتتلمذ عليه في بدء نهضتها الحديثة، ولكن المسلمين الغافلين طردوا تلك العلوم تدريجياً من معاهدهم ليقتصروا على العلوم الشرعية، مع ما في دراستهم للعلوم الشرعية ذاتها من تخلف عن الصورة التي ينبغي أن تكون الدراسة عليها...) [2].

وقد ساعد الاستعمار في تكريس التخلف العلمي لدى المسلمين، فقد حرص أشد الحرص منذ أن وطئت أقدامه مصر في أن يسيطر على التعليم ليضل عن وجهته الصحيحة وليسير في خدمة المستعمر، فقد حوّل التعليم من اللغة العربية إلى

---

(١) المجتمع الإسلامي لأحمد شلبي ، ص٢٥٨، نقلاً عن منهج الشيخ محمد أبو زهرة في التفسير، لفهد الناصر، ص٤٠.

(٢) واقعنا المعاصر لمحمد قطب، ص١٧٤-١٧٥.

اللغة الإنجليزية ولم يكن ينتهي عام ١٩٠٠م حتى كان التعليم في جميع المدارس العالية والثانوية باللغة الإنجليزية، ولم يسمح بإنشاء المدارس إلا في حدود العدد الذي يكفي لتخريج الموظفين.

كما حرص على إلغاء الدراسة المجانية في جميع المدارس بأنواعها الثلاث، وحُرِمَ أبناء الفقراء من دخولها، وأعلن أن وجود المجانية في المدارس في مصر أمر غير عادل [١]. وقد سجل المندوب البريطاني هذا الأمر في تقرير سنة ١٩٠٠م فذكر أنه في عام ١٨٧٩م كانت نسبة المجانية في الحكومة ٩٥% أما في السنة الماضية (١٨٩٩م) فإن نسبة الذين يدفعون مصروفات مدرسية كانت ٩٥,٥% وفي المدارس الثانوية ٨٦% وأنه واثق من أن هذه السياسة ستظل متبعة حتى تلغى طريقة التعليم المجاني كليةً أو تكون في حكم ذلك، وذكر أيضاً في تقريره عام ١٩٠٤م أن تلميذاً واحداً فقط يتعلم في المدارس بالمجان [٢]، ونتيجة حرب التجهيل التي عاشتها الأمة، مع فرض ثقافة المستعمر، وقصر التعليم على طبقة معينة نظراً لإلغاء الدراسة المجانية في التعليم، وللظروف الاقتصادية السيئة انتشرت الأمية في المجتمع المصري، ووصل التعليم إلى درجة الانحطاط ففي تصريح في مجلس العموم البريطاني بتاريخ ٨ مارس ١٩٠٧م عن البعثات والتعليم جاء فيه: (لقد مكثنا في مصر مدة ربع قرن، وصلنا بالمصريين إلى الانحطاط في التعليم) [٣].

وفي ظل هذه الهيمنة الاستعمارية على برامج التعليم، ازدهرت المدارس الأجنبية التي استهوت طبقة معينة، كان لها فيما بعد الأثر الكبير في خدمة الاستعمار وفي تغريب الأمة، ونفد من خلالها المستشرقون لتحقيق ما يريدونه، يقول

---

(١) القائل هو يعقوب أرتين وكيل المعارف، وعميل الاستعمار، ويد دنلوب في التنفيذ.

(٢) انظر تاريخ الغزو الفكري والتغريب، ص٢٧٣- ٢٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٦.

جب [1]: (التعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل للاستغراب، والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ما تدل عليه، ولا تستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسة الفكر الغربي والمبادئ والنظم الغربية، إن إدخال طرائق جديدة في الفكر في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية في عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية، قبل الانتقال إلى الدراسات العليا... فقد انتشر في منطقتنا في القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ولاسيما تركيا وسوريا ومصر، ويرجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة ... هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي، فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة، وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفدت هذه الخطة إلى أبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني، تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند....) [2].

---

(١) هو أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين، كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر، وعمل أستاذاً للدراسات الإسلامية والعربية بجامعة هارفارد الأمريكية، من كبار محرري وناشري دائرة المعارف الإسلامية، له عدة مؤلفات حول الإسلام توفي عام ١٩٦٥م، انظر الموسوعة الميسرة.

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، لعلي جريشه، ص١٠٥-١٠٦.

المبحث الثاني: التعريف بالشيخ

المطلب الأول: اسمه ومولده:

هو محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبدالله أبو زهرة الشـــشتاوي [١]. والششتاوي نسبة إلى بلد، ششتا، بمركز زفتى من محافظة الغربية وقد ولد الشيخ أبو زهرة في مدينة المحلة الكبرى بمصر في أواخر القرن التاسع عشر المـــيلادي وأول القرن الرابع عشر الهجري وذلك عام ١٣١٦هــ، الموافق للتاســـع والعــشرين مـــن مارس لعام ١٨٩٨م.

المطلب الثاني: نشأته وأسرته :

نشأ الشيخ أبو زهرة في أسرة متوسطة الحال بين الغنى والفقر، لكنهـــا كانـــت تمتاز بالعلم والذكاء يقول رحمه الله عن نشأته : " نشأت في أسرة بين الغنى والفقـــر، وإلى الفقر أقرب، ولكنها كانت مستورة الحال، يظنها الناس من الأثرياء، وهـــي مـــن متوسطي الحال، واشتهرت بالعلم والذكاء، وقد نبغ منها الأستاذ الـــدكتور: مـــصطفى أحمد أبو زهرة منشئ فن الطيران في مصر " [٢].

وقد عرف والداه بالتدين والتمسك بأحكام الإسلام، ومكارم الأخـــلاق، وحفـــظ القرآن، مما كان له كبير الأثر في شخصية الشيخ وتكوينه العلمي [٣]. وكـــان للـــشيخ عدد من الأخوة والأخوات [٤] وهم :

---

(١) انظر ترجمة الشيخ في تجربتي مع الحياة، للشيخ أبو زهرة، مجلة الهلال، السنة الثانية والثمانون، (١٣٩٤هــ- ١٩٧٤م)، ص٥٣-٥٧. من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، لعبدالله العقيل، ص٥٨٣-٥٨٩. الأعلام، للزركلي، ٢٥/٦. والمستدرك على معجم المؤلفين، لعمر كحالة، ص٥٨٥. أبو زهرة إمام عصره. أبو زهرة عالماً إسلامياً. أبو زهرة في رأي علماء العصر، لأبي بكر عبدالرزاق. جهود محمد أبو زهرة في الدعوة، لمنجد السيد شادي. وأبو زهرة عالم إسلامي، لناصر وهدان.

(٢) أبو زهرة عالماً إسلامياً – لناصر وهدان ، ص١١.

(٣) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة، وأبو زهرة إمام عصره، ص٢٤.

(٤) انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص ١٢.

١- الأستاذ الدكتور: مصطفى، وهو أستاذ علم هندسة الطيران المدني بهندسة القاهرة، ويُعد من الرعيل الأول الذين تولوا أعمالاً قيادية بمصر بعد بعثتهم التعليمية بالخارج، وقد توفي عام ١٩٤٦م.

٢- الأستاذ: عبدالعزيز، وهو أصغر من الشيخ سناً، وكان يعمل موظفاً بوزارة المالية، وقد فقد بصره في آخر عمره، وتوفي عام ١٩٧٠م.

٣- والسيدة سكينة، وكانت تعمل في حقل التعليم كمديرة لإحدى مدارس مصر الجديدة بالقاهرة، وقد توفيت عام ١٩٦٨م.

٤- والسيدة فاطمة، وهي ربة بيت، وقد توفيت بعد وفاة الشيخ بقليل.

٥- والسيدة روحية، وهي ربة بيت أيضاً، وهي أخت الشيخ من أبيه.

هذا بالنسبة لإخوته أما زوجته وأولاده فإن الشيخ رحمه الله قد تزوج عام ١٩٣١م، وكان وقتها يعمل مدرساً بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بسوهاج، وقد أنجب الشيخ أربع بنات وابنين على النحو التالي:

١- أميرة أبو زهرة، رئيسة قسم بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.

٢- سهير وقد حصلت على تعليم متوسط، وتعتبر أولى من تزوجت من بنات الشيخ.

٣- الدكتورة نادية، وهي حاصلة على الليسانس من قسم الاجتماع بكلية الآداب ، جامعة القاهرة، والدكتوراه من إحدى جامعات بريطانيا، وكانت أستاذة بإحدى جامعات كندا.

٤- الدكتور أحمد، وهو دكتور صيدلي، له صيدلية بالحي السادس بمدينة نصر بالقاهرة.

٥- الدكتورة حياة النفوس، الأستاذة بكلية طب القصر العيني، ولها عيادة بمحافظة الجيزة.

٦- الدكتور مصطفى، وهو طبيب أسنان، ورئيس جمعية أبي زهرة، وله عيادة أسنان بحي مصر الجديدة.

المطلب الثالث: حياته العلمية :

ابتدأ الشيخ حياته العلمية بحفظ كتاب الله تعالى في المكتب (الكتّاب) وقد حفظ كثيراً منه وهو لم يتجاوز التاسعة من العمر، وقد ساعده على ذلك والدته فقد كانت تحفظ القرآن، وكانت ترتله له ترتيلاً، وتسمع له ما كان مقرراً عليه في المكتب، يقول الشيخ عن بداية حياته العلمية : " لقد ابتدأت حياتي العلمية بدخولي المكتب لحفظ القرآن الكريم، إذا كان النبات قبل أن يستغلظ سوقه، يعيش على الحبّ المتراكب، وقد يُرى بالمجهر صورة النبات في ذلك الحبّ، فكذلك ينشأ الناشئ منا، وفي حبته الأولى في الصبا، تكمن كل خصائصه في الكبر " [(١)].

وبعد أن أتم الشيخ حفظ كتاب الله تعالى، اتجه للدراسة في المعهد الأحمدي الأزهري في الجامع الأحمدي[(٢)] بطنطا، وكان ذلك في سنة ١٩١٣م ومكث فيه ثلاثة أعوام، وفي هذا المعهد بدت عليه علامات النبوغ والتفوق حتى إن شيخ المعهد الأحمد قرر له مكافأة مالية لتفوقه وتميزه على أقرانه، كما اقترح أيضاً أن تختصر له الدراسة في الأزهر وكانت آنذاك خمسة عشر عاماً ليتمكن من اجتيازها في مدة أقل ولكن هذا الاقتراح لم ينفذ لصعوبته قانونياً [(٣)].

---

(١) من مقال (تجربتي مع الحياة) للشيخ أبو زهرة، مجلة الهلال، السنة (٨٢) العدد (٣) لعام ١٩٧٤م، ص٥٣.

(٢) وهو ثاني معهد أزهري أنشئ بعد الأزهر بالقاهرة، وكان يطلق عليه اسم الأزهر الثاني، حيث أن دوره كان امتداداً لدور الجامع الأزهر بالقاهرة من حيث اتفاق الدراسة، ونظام التدريس، وتخرج العلماء. انظر: أبو زهرة إمام عصره حياته وأثره العلمي ، لأبي بكر عبدالرزاق، ص٢٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢٦. وأبو زهرة عالماً إسلامياً د/ ناصر وهدان، ص٣٥. وجهود الشيخ محمد أبو زهرة في الدعوة الإسلامية، لمنجد السيد شادي، ص٢٤.

وبعد ذلك انتقل الشيخ رحمه الله إلى المدرسة بمدرسة القضاء الشرعي عام ١٩١٦م، ومكث فيها تسع سنين، وكانت هذه المدرسة قد أنشئت باقتراح من الشيخ محمد عبده [١]، ونُفذ هذا الاقتراح فيما بعد تلميذه سعد زغلول [٢]، وقيِّم شهادتها النهائية بالعالية من درجة أستاذ لتخرّج فطاحل العلماء من القضاة، والمفتين، وأعضاء ووكلاء دعاوى المحاكم الشرعية، وكان نظام الدراسة فيها على قسمين:

القسم الأول: ومدة الدراسة فيه أربع سنوات.

القسم الثاني: ومدة الدراسة فيه خمس سنوات وبعدها يمنح المتخرج درجة العالمية، ويُعدّ الأستاذ/ أحمد أمين أول من تخرج من القسم العالي عام ١٩١١م، والشيخ علي الخفيف أول من تخرج من القسم الأول نظام " أربع سنوات " عام ١٩١٥م.

وفي هذه المدرسة نضجت ملكات الشيخ العلمية، واتسعت آفاقه الفكرية وبقي فيها إلى أن تخرج منها عام ١٩٢٥م حاصلاً على درجة العالمية " أستاذ " .

وبعد أن انتهى الشيخ من مدرسة القضاء الشرعي التحق بمكتب محاماة للتدريب على مهنة المحاماة، ومكث فيه عاماً كاملاً، بعد ذلك قدم طلباً لدار العلوم المصرية لمعادلة شهادته من مدرسة القضاء الشرعي بشهادة دار العلوم، وطلب من

---

(١) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، وهو أحد رجال الإصلاح والتجديد في عصره، ولد بمصر وتعلم بها، سلك طريق التصوف والتفلسف، وعمل في التعليم، وتولى تحرير بعض الصحف، نفي إلى بلاد الشام عام ١٢٩٩هـ، لمناصرته الثورة العربية، ثم عاد إلى مصر عام ١٣٠٦هـ، فتولى منصب القضاء، ثم عين مفتياً للديار المصرية عام ١٣١٧هـ، واستمر مفتياً إلى أن توفي عام ١٣٢٣هـ. انظر: الأعلام، ٢٥٢/٦.

(٢) سعد بن إبراهيم زغلول، معدود من زعماء نهضة مصر السياسية، وأكبر خطبائها في عصره، دخل الأزهر عام ١٢٩٠هـ، لازم جمال الدين الأفغاني مدة، واشتغل مع الإمام محمد عبده بجريدة الوقائع المصرية عام ١٢٩٨هـ. انظر الأعلام ٨٣/٣.

الشيخ أن يستعد لاختبار المعادلة، وبعد ستة أشهر اجتاز الشيخ اختبـــار دار العلــوم وأخذ دبلوم دار العلوم عام ١٩٢٧م [1].

المطلب الرابع: حياته العملية :

بعد أن تخرج الشيخ من مدرسة القضاء الشرعي ابتدأ حياته العمليـــة بمكتـــب للمحاماة ومكث فيه عاماً كاملاً، ثم بعد ذلك لما حصل على دبلــوم دار العلــوم عــام ١٩٢٧م، عمل مدرساً للشريعة الإسلامية، واللغة العربية بمدرسة تجهيزية دار العلوم بعقد مؤقت ابتدأ في ١٠/١٠/١٩٢٧م، وانتهى هذا العقد في ١٤/١١/١٩٢٨م، ثم بعــد ذلك تم تعيينه رسمياً في نفس المدرسة واستمر الشيخ مدرساً بهذه المدرسة حتى عــام ١٩٣٠م، حيث انتقل بعدها للعمل بالمدارس الثانوية الحكومية، نظراً لإلغـــاء مدرســـة تجهيزية دار العلوم، وظل الشيخ مدرساً بالمدارس الثانويـــة الحكوميـــة حتـــى عـــام ١٩٣٢م، وفي اليوم الأول من يناير عام ١٩٣٣م، نقل إلى الأزهـــر ليكـــون مدرســـاً لتاريخ الخطابة في كلية أصول الدين، وفي الثاني من نوفمبر عام ١٩٣٤م، نقل الشيخ من كلية أصول الدين التابعة للمعاهد الأزهرية إلى كلية حقوق القاهرة، ، ثم تـــدرج الشيخ في مناصب التدريس بكلية حقوق القاهرة، مدرساً، فأســـتاذاً مـــساعداً فأســـتاذ كرسي، فرئيس قسم الشريعة، فوكيلاً للكلية لمدة خمس سنوات وانتهت ببلوغـــه ســـن التقاعد عام ١٩٥٨م.

وبعد تقاعده رحمه الله لم ينقطع الشيخ عن التدريس والتعليم فكان يحاضر فـــي كلية الحقوق لطلبة الدراسات العليا، بالإضافة إلى التدريس في كثيـــر مـــن المعاهـــد العلمية، مثل: معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الـــدول العربيـــة، ومعهـــد الدراسات الإسلامية وكان يتولى رئاسة قسم الشريعة فيه، كما أنه حاضر فـــي كليـــة

---

(١) انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص٣٨.

المعاملات والإدارة التابع لجامعة الأزهر، والمركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية، ومعهد الخدمة الاجتماعية للبنات، كما عمل أستاذاً زائراً بجامعات السودان، وسوريا، وليبيا، والجزائر، والعراق. وحضر العديد من المؤتمرات الفقهية والدعوية في العالم العربي والإسلامي، ومنها على سبيل المثال :

١- مؤتمر الخبراء الاجتماعيين الذي انعقد في الكويت عام ١٩٥٥م.

٢- الندوة الإسلامية العالمية الكبرى، المنعقدة في لاهور بباكستان عام ١٩٥٨م.

٣- أسبوع الفقه الإسلامي، الذي انعقد في دمشق عام ١٩٦١م.

٤- المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية، الذي يعقد في القاهرة عام ١٩٦٤م.

٥- المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، الذي يعقد في القاهرة عام ١٩٦٥م.

٦- المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية، الذي يعقد في القاهرة عام ١٩٦٥م.

٧- مؤتمر القرآن الذي انعقد في الرياض آخر عام ١٩٦٧م.

٨- مؤتمر القرآن الذي انعقد في الرباط عام ١٩٦٨م.

٩- ندوة التشريع الإسلامي، المنعقدة في ليبيا عام ١٩٧٢م.

١٠- الملتقى الإسلامي، الذي انعقد في الجزائر عام ١٩٧٣م.

المطلب الخامس: شيوخه :

تلقى الشيخ العلم على يد كثير من العلماء، وكان من أبرز العلماء الذين تأثر بهم ما يلي:

١- الشيخ محمد عاطف بركات باشا، كان ابن أخت سعد زغلول، تخرج بدار العلوم عام ١٨٩٤م، واختير وحده للسفر إلى إنجلترا عام ١٨٩٤م، وكان أول مبعوث إلى إنجلترا من دار العلوم، وعين بعد عودته من إنجلترا مفتشاً في المدارس الأميرية ووكل إليه أمر إصلاح التعليم الأولى، ولما أنشئت مدرسة القضاء الشرعي اختير ليكون ناظراً لها، واستمر فيها إلى أن توفي عام ١٩٢٤م .

يقول عنه أبو زهرة في مقدمته لكتاب المصلحة في الشريعة الإسلامية لمصطفى زيد: " تذكرت أستاذ الأساتذة عاطفاً العبقري، الذي لم يفر فريه في التربية أحد، تذكرت فيه ذلك العقل الحر المطلع، والروح المشرقة، والنفس الفياضة، والقلب الكبير، والهمة العالية، والإرادة الحازمة، والخلق القوية والمنزع العلمي "[1]، ويقول عنه أيضاً : " أستاذنا المرحوم محمد عاطف بركات طيب الله ثراه " [2].

٢- الشيخ أحمد إبراهيم، وهو من مواليد القاهرة عام ١٢٩١هـ، خريج دار العلوم عام ١٣١٥هـ، وكان مدرساً بمدرسة القضاء الشرعي، ثم انتقل إلى كلية الحقوق بالجامعة المصرية أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة الإسلامية فوكيلاً للكلية، وكان من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، امتاز بأبحاثه في المقارنة بين المذاهب الفقهية، وله مؤلفات كثيرة منها " طرق القضاء في الشريعة الإسلامية " و " أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية " و " أحكام الهبة والوصية وتصرفات المريض " و غيرها. قال عنه أبو زهرة ومثنياً عليه: " تذكرت فقهه الدقيق، وتفكيره العميق، وأفقه الواسع، ودراساته الفقهية المقارنة المقربة للبعيد، والمؤنسة للغريب) [3].

(١) المصلحة، لمصطفى زيد، تقديم محمد أبو زهرة، ص .

(٢) الإمام مالك، ص٢٩٥.

(٣) المصلحة، لمصطفى زيد، تقديم محمد أبو زهرة، ص .

٣- الشيخ علي بن محمد الخفيف، وهو من شيوخ أبي زهرة في مدرسة القضاء

٤- الشرعي، وهو فقيه مصري، كان أستاذ الشريعة الإسلامية والمجلس الأعلى للأزهر، واختير عضواً في موسوعة الفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، له عدة مؤلفات في مجال الفقه توفي عام ١٩٧٨م(١).

٥- الشيخ عبدالوهاب عبدالواحد خلاف، وهو من شيوخ أبي زهرة في مدرسة القضاء الشرعي، وكان أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، ومفتشاً في المحاكم الشرعية وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية، له مؤلفات كثيرة توفي عام ١٩٥٦م (٢).

وهناك العديد من شيوخه ولو رحت أترجم لكل واحد منهم لطال المقام، ولكني اكتفيت بهؤلاء طلباً للاختصار.

المطلب السادس: تلاميذه :

لقد تلقى العلم على يد الشيخ أبو زهرة كثير من الطلاب لا يمكن حصرهم ولذلك سوف أذكر بعض طلاب الشيخ مع ترجمة موجزة لكل واحد .

١- الشيخ محمد الغزالي بن أحمد السقا، من مواليد الجيزة عام ١٩١٧م، حفظ القرآن في سن مبكرة، ودرس في المعاهد الدينية الأزهرية، والتحق بالأزهر الشريف، وتخرج من كلية أصول الدين عام ١٩٤١م، عمل مديراً للدعوة بوزارة الأوقاف بمصر، له أكثر من ستين مؤلفاً منها " خلق المسلم " و " هموم داعية" و "حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة" و غيرها. توفي عام ١٩٩٦م، ودفن بالبقيع بالمدينة النبوية على صاحبها أتم الصلاة والسلام، يقول الغزالي عن شيخه: " عشت طول عمري تلميذاً للشيخ

---

(١) انظر: أبو زهرة امام عصره، ص٨٩.

(٢) أبوزهرة في رأي علماء العصر، ص١٠١.

محمد أبو زهرة، وبدأت هذه التلمذة في كلية أصول الدين، إذ كان الرجل يدرّس لنا علم الملل والنحل الذي عُرف فيما بعد بعلم مقارنة الأديان " [1].

٢- الشيخ الدكتور محمد الطيب النجار، وهو من مواليد محافظة الشرقية عام ١٩١٦م، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، والتحق بالمعهد الديني الأزهري بالزقازيق، ثم بكلية أصول الدين بالأزهر، تخرج منها سنة ١٩٣٩م، ثم حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلام عام ١٩٤٦م، تدرج في التدريس لقسم التاريخ والحضارة، ثم رئيس جامعة الأزهر عام ١٩٨٠م، إلى أن أحيل على التقاعد عام ١٩٨٣م، توفي رحمه الله عام ١٩٩١م، له العديد من الكتب والمؤلفات، يقول عن علاقته بالشيخ أبو زهرة: " لقد كان أول لقاء بأستاذي الجليل في عام ١٩٣٥م، وذلك حينما التحقت بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف، بعد نيل الشهادة الثانوية الأزهرية من معهد الزقازيق الديني، وكان فضيلة المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يدرِّس لنا علم الخطابة، وكانت هذه المادة مقررة على طلبة الكلية، وقد جلست إليه أنا وزملائي وامتلأت نفوسنا منذ أول لحظة بالغبطة والسرور، لما رأينا من علمه الغزير، وأدبه الرفيع، وأسلوبه المشرق، وقد امتزج حبه بنفوسنا، فكنا نحرص على حضور محاضراته، ونتخطى كل العقبات من أجل الاستماع إليه، بل كان البعض منا يترك بعض المحاضرات في العلوم الأخرى ليستمع إلى الشيخ الإمام من جديد، وفي نفس المادة التي استمع إليه فيها من قبل، فنرى المعاني المتكررة، ولكن الأسلوب متغير ومتجدد، فلا يلحق بنا سأم ولا ملل " [2].

---

(١) أبو زهرة في رأي علماء العصر، ص١١١.

(٢) أبو زهرة في رأي علماء العصر، ص١٢٥.

٣- الشيخ الدكتور عبدالعزيز موسى عامر، حصل على ليسانس الحقوق من كلية الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٤٣م، ثم حصل على دبلوم الدراسة العليا في القانون الخاص عام ١٩٤٤م، ثم حصل على دبلوم الدراسة العليا في الشريعة الإسلامية عام ١٩٤٥م، وكان ترتيبه الأول، ثم حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٥م، له الكثير من المؤلفات، بجانب بحوثه العديدة في المؤتمرات المحلية والدولية، عين معاوناً للنيابة عام ١٩٤٥م، ثم تدرج في وظائف النيابة والقضاء حتى وصل إلى وظيفة مستشار بمحكمة استئناف القاهرة، عمل بالتدريس بالجامعات العربية كجامعة بيروت العربية، والجامعة الإسلامية بليبيا، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وغيرها. يقول في حديثه عن شيخه أبي زهرة: " بدأت معرفتي بالإمام منذ التحاقي بكلية حقوق القاهرة سنة ١٩٣٩م، وقد كانت له طريقة في التدريس تجمع إلى التعمق في الفهم والإحاطة بالموضوع، المرح المحبب إلى النفس، ولكنه لا يخرج عن حدود الدرس، وكان هذا منه يحببنا في حضور درسه والالتفاف حوله. وكان يسمح لي بزيارته في منزله، وقد ساعد هذا في حب مواده مما جعلني في النهاية اتجه لدراسة الشريعة الإسلامية في دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية " (١).

٤- الشيخ أحمد السيد الكومي، من مواليد محافظة الجيزة عام ١٩١٢م، حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٣١م، ثم التحق بكلية أصول الدين بالأزهر، ثم التحق بالدراسات العليا فكان من أول الناجحين في الدراسات العليا بشعبة التفسير، بعد تخرجه عين مدرساً بالمعاهد الأزهرية ثم انتقل من التدريس بالمعاهد الأزهرية إلى التدريس بكلية أصول الدين وذلك عام ١٩٥٤م، حصل على درجة أستاذ مساعد عام

(١) أبو زهرة في رأي علماء العصر، ص٧٣.

١٩٦٦م، ثم حصل على أستاذ عام ١٩٧١م، يقول عن علاقته بشيخه أبـــي زهرة: " أما علاقتي بأبي زهرة، فقد كان مدرساً لنا في كلية أصول الـــدين فور إنشائها عام ١٩٣١م، يدرس لنا كتابيه تاريخ الجدل، والخطابة ... وكان رحمه الله رجلاً عالماً لا يضيق صدره عن معرفة الحق " [١].

وهناك العديد من الطلاب سوف أكتفي بذكر أسمائهم فقط دون أن أترجم لهم حتى لا يطول البحث وهم كالتالي:

١- أحمد خليفة [٢].
٢- الحمزة دعبس [٣].
٣- زكريا البري[٤] .
٤- صلاح عبدالقادر[٥].
٥- صلاح أبو إسماعيل [٦].
٦- عبدالحليم الجندي [٧].
٧- علي عبدالواحدي وافي [٨].
٨- عبدالحليم رمضان [٩].
٩- علي عبدالعظيم [١٠].
١٠- مأمون سلامة [١١].
١١- يوسف البدري [١٢].
١٢- كمال أبو المجد [١٣].

---

(١) أبو زهرة عالماً إسلامياً ،لناصر وهدان، ص ١٠٥- ١٠٦.
(٢) انظر: ترجمته في أبو زهرة في أري علماء العصر، لأبي عبدالرزاق، ص ٩.
(٣) المرجع السابق، ص ١٧.
(٤) المرجع السابق، ص ٢٣.
(٥) المرجع السابق، ص ٤٥.
(٦) المرجع السابق، ص ٥٣.
(٧) المرجع السابق، ص ٦٧.
(٨) المرجع السابق، ص ٧٩.
(٩) المرجع السابق، ص ٨٣.
(١٠) المرجع السابق، ص ٩٥.
(١١) المرجع السابق، ص ١٤٧.
(١٢) المرجع السابق، ص ١٧٣.
(١٣) المرجع السابق، ص ٢١٣.

المطلب السابع: صفاته :

اتصف الشيخ بصفات كثيرة، جعلت منه رجلاً فريداً في عصره، وكانت سبباً لرفعته في عيون تلاميذه وأقرانه ومجتمعه، وأبرز هذه الصفات التي اتصف بهــا الشيخ هي عزة النفس وقد تحدث الشيخ عن هذه الصفة فقال: (كنت اشعر وأنا في المكتب بأمرين ظهرا في حياتي من بعد، الأمر الأول: اعتزازي بفكري ونفــسي، حتى كان يقال عني أني طفل عنيد، والأمر الثاني: أني كنت أتضايق من السيطرة، ولعل الأمرين متلازمان، لأن الاعتزاز بالنفس يتولد عنه بغض السيطرة) [١] وهذه البذرة التي كانت في الشيخ من صغره نمت وترعرعت أكثر لما التحــق الــشيخ بمدرسة القضاء الشرعي وتعرف بشيخه محمد عاطف بركات يقول في ذلك: (ولما دخلت مدرسة القضاء الشرعي، وكان ناظرها العالم ذو الأخلاق محمــد عــاطف بركات، كان شديد الاستمساك برأيه مادام لم يعلم أنه باطل، وكان قوياً في نفسه لا يسيطر عليه إلا ضميره وعقله، فمن هذا النبع استقيت ما تغذت به نفسي، وأرضى نزعتي، وإذا كان من الناس من يرى في تمسكاً برأيي، ولا أسير وراء الناس فإن هذا من تلك التربية العالية) [٢] وهذه العزة والاستمساك بالرأي لم تمنع الشيخ من قبول الحق إذا تبين له، يقول أحد تلاميذ الشيخ [٣]: (أذكر أنه اعترض على الشيخ محمد حجازي في بعض مناقشاته على رسالته للدكتوراه حول: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، فمنعت الشيخ حجازي من الإجابة، وقلت: إن الشيخ أبا زهرة لم يفهم موضوع الرسالة، وقامت ضجة كبرى في القاعة لهذه الكلمة، ولكني ألقيــت بياناً بعدها مباشرة وضحت فيه للشيخ أبي زهرة أن موضوع رســالة الطالــب لا

---

(١) مقال تجريبي مع الحياة للشيخ رحمه الله ضمن مجلة الهلال – العدد الثالث، السنة الثانية والثمانون (١٣٩٤ – ١٩٧٤) ص ٥٣.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) الشيخ أحمد الكومي.

يتعلق بسؤاله حول التدرج في تحريم جريمتي الربا والزنا، وأن صاحب الرسالة لم يعرض لهما لأنهما خارجان عن موضوع رسالته، فسر الشيخ أبو زهرة من ذلك، وقام من فوره، وعانقني أمام الحاضرين، وفي هذه الأثناء همس أحد الأساتذة المشاركين في مناقشة الرسالة معنا ملمِّحاً بأن الشيخ أبا زهرة يعارض أي وزير، ولا يجرؤ أن يرد عليه أحد، وأنت تعترض على رأيه!! فرد عليه الشيخ أبو زهرة في الحال بقوله: اسكت لقد وجهني إلى ما كنت أجهله) (١).

ويقول أحد أصدقائه (٢) عنه: (وكان رحمه الله واسع الصدر، يرحب كل الترحيب بما يوجه إلى بحوثه من نقد سليم بناء، فقد عقبت على مناقشته لما ذهب إليه ابن خلدون بشأن انتشار مذهب الإمام مالك ... وأخذت عليه بعض مآخذ وأثبت هذه المآخذ في تحقيقاتي لمقدمة ابن خلدون ... فتلقى هذا التعقيب بصدر رحب، بل اغتبط بما جاء فيه، ووعد بتدارك ما فاته في الطبعات التالية لكتابه) (٣) .

ومن الصفات التي اتصف بها الشيخ الصراحة في قول الحق والشجاعة في إعلانه ولعل هذه الصفة ثمرة من ثمرات النفس العزيزة التي تأبي أن تداهن وتسكت عن قول الحق، ولهذا كان الشيخ رحمه الله شجاعاً في الحق، جريئا في الصدع به، لا يخشى في الله لومة لائم، والصراحة في القول كما يرى الشيخ رحمه الله صفة ذوي الأخلاق العالية والنفوس السامية، والقلوب المخلصة، ومن يريدون الحق خالياً من الشوائب ... وهي الطريق القويم والجادة المثلى لإعلاء الحق، وإقامة بنيانه، وتشييد أركانه، فهي علو للحق ولأصحابه وهي طريق إعلائه بين الناس، ولهذا نجد الذين يروي التاريخ فضلهم وعلوهم كانوا من الصرحاء الذين لا يداجون (٤).

---

(١) أبو زهرة عالماً إسلامياً – لناصر وهدان ص ٢٠.

(٢) هو الدكتور على عبد الواحد وافي.

(٣) أبو زهرة في رأي علماء العصر ص ٧٩.

(٤) انظر مقال الصراحة والمداراة والنفاق للشيخ في مجلة لواء الإسلام العدد (٢) الستة والعشرون لعام ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م ص ٩٣.

وأغلب من كتب عن الشيخ رحمه الله يذكر عنه هـذه الـصفة يقـول أحـد أصدقائه [١] : (كان الإمام أبو زهرة رحمة الله عليه صريحاً كل الصراحة في موقفه في شئون السياسة والحكم، وكان يجهر برأيه، وكان يصل رأيه هـذا إلـى أوليـاء الأمور) [٢] ويصفه أحد تلامذته بقوله: (كان عالماً شجاعاً لا يخشى فيما يعتقد الحق لومة لائم، وما عرف عنه في حياته الطويلة أنه تنازل أو تـساهل فـي أي حكـم شرعي تريد الدولة أن تقننه، بل إن له في هذا الميدان صولات وجولات سواء فـي الصحافة أو في وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعة ، أو في تدريسه، ومؤلفاته العديدة.

وقد سبب له ذلك كثيراً من المتاعب حتى وصل الأمر في عهد الرئيس عبد الناصر أن صدر أمر من وزير الإعلام في هذا الوقت ، بعدم نـشر أو إذاعـة أي شيء يخص الإمام أبو زهرة ، ومع ذلك فما كان ينقطع عن الحديث في هذه المسائل وإبداء آرائه المعارضة للحكام في مجالسه ودروسه ومحاضراته) [٣].

وهذه الصراحة في قول الحق لم تدع للشيخ صديقاً كما كتب ذلك في مقـال بعنوان: "إن قول الحق لم يدع لي صديقاً" قال فيه: (لقد اختبرنا الله اختباراً شديداً في ناس كانت لهم في نفوسنا منزلة ، ولنا بهم مودة كانت موصولة ، وكنا نحسب أنهـم يطلبون منا أن نعاونهم بكلمة الحق فيما عهد إليهم من أمور الكافة في بعض الولاية فأردنا أن نضع خبرة لنا في بعض عملهم، وخشينا أن يقعوا في خطأ فيسيروا فـي غير الطريق السوي، فوضعنا تحت أيديهم كلاماً كتبناه لغيرهم ولم نـرد أن نجعـل الخطاب موجهاً لهم حتى لا يحسبوا أن في كلامنا إرشاداً يـستنكفون منـه، ولكنـه بمجرد أن وصل إليهم ظنوا بنا الظنون، وتجهموا للقائنا بعـد أن كانـت وجـوههم

---

(١) هو الدكتور علي عبد الواحد وافي.

(٢) أبو زهرة في رأي علماء العصر ص ٨٠.

(٣) أبو زهره في رأي علماء مصر ص ١٣١ – ١٣٢.

تنطلق لنا في كل لقاء، وإن خاطبناهم سمعنا قولاً خشناً مع اللقاء المتجهم، ووجدنا أنهم يسيرون في نقيض ما نعتقد أنه الحق. ولم يكد ذلك من واحد بعينه، بل كان من كثير، ومن الناس من كانوا يصادقوننا حاسبين أن لنا عند ولاة الأمر مكاناً، فلما ظنوا الأمر غير ذلك بكلمة حق قلناها، قطعوا ما بيننا ونابذونا على سواء، وحق لي من بعد هؤلاء وأولئك أن أردد كلمة أكثم بين صيفي: "إن قول الحق لم يدع لي صديقاً) [١] وقد قرن الشيخ رحمه الله شجاعته وجرأته في قول الحق بتواضع جم وأخلاق عالية فلم يكن الشيخ مستكبراً، بل يرى أن الذين يستكبرون يحسون بضعف في نفوسهم ولا يجدون في أنفسهم القدرة الشخصية التي تفرض هيبتهم فيستعينون بالكبرياء، وغمط الناس والتسامي عليهم، ليعوضوا النقص، ويخفوا الضعف، ولهذا كان رحمه الله متواضعاً مع طلابه ومحبيه، منبسطاً لهم في أحاديثه فقد روي أحد تلاميذه [٢] أنه حينما نقل الشيخ من التدريس بالمرحلة الثانوية إلى دار العلوم أرسل إليه رسالة يعبر فيها عن أسفه لفراق الشيخ، وبعد يوم من وصول الرسالة للشيخ استدعى الطالب لغرفة الأساتذة فتفاجأ الطالب أن الشيخ كان في انتظاره وبيده الخطاب الذي أرسله، وتلقاه الشيخ بالتحية والبشر وقال له: (هأنذا أحضر لتحيتك بعد أن تلقيت خطابك يا بني) [٣].

كما أن للشيخ رحمه الله مع طلابه دعابات مشهورة، وقد ذكر الشيخ رحمه الله أن في الناس أفرادا يعتقدون أن رجل الدين يجب أن يكون كل مظهره متزمتا لا موضع فيه لنادرة، أو لفكاهة، أو لمداعبة، وأولئك يظنون أن الوقار والغلظة معنيان متلاقيان أو مترادفان، والحقيقة أن الدعابة ترويح للنفس، فهي تروح عن نفس

---

(١) لواء الإسلام – العدد الأول، السنة العشرون – رمضان ١٣٨٥ هـ ص ٢٧.

(٢) هو محمد علي عامر.

(٣) انظر أبو زهرة عالماً إسلامياً، ص١٤٣.

المتكلم، وتروح عن نفس السامع، وكلما كانت نادرة في القول، لا لغو فيها ولا إكثار، تكون أمراً مستحسناً [1].

ومما يؤثر عن الشيخ في ذلك أنه كان مستغرقاً في إحدى المحاضرات، والطلبة منصتون، ولا يسمع أي صوت سوى صوت الشيخ، وإذا بطالب يدخل المحاضرة ويسير وسط القاعة معجباً بنفسه، وزيادة في الإعجاب بنفسه لاحظ الشيخ أنه يضع على صدره وردة فناداه الشيخ مداعباً " أهلا أبو وردة" فضج المدرج بالضحك، فرد الطالب على الفور: " أهلا أبو زهرة " فأعجب الشيخ بفطنة الطالب وسرعة بديهته وقام من مكانه ونزل إلى الطالب وحياه مقبلاً [2] .

ومن دعاباته أيضاً أن الشيخ كان لا يسمح في محاضراته بمعهد الدراسات الإسلامية أن يجلس الطلبة والطالبات بجوار بعضهم وكان صارماً في ذلك، وفي ذات يوم دخل طالب مستجد، ولم يكن يعلم بنظام الشيخ، ورأى النصف الأول من المدرج خالياً اللهم إلا من بعض الطالبات فجلس الطالب من القرب منهن، وحاول الطلاب لفت نظر الطالب والإشارة إليه بالتأخر، ولم يدرك الطالب مرادهم فقطع الشيخ محاضرته وسأل الطالب: من أنت يا بنتي؟ وما اسمِك؟ ولماذا تأخرت؟ وضج المدرج بالضحك، فقال الطالب: أنا رجل يا مولانا... فعاجله الشيخ بقوله: يا أخي انتقل إلى صفوف الرجال، حتى لا يتشابه البقر علينا [3].

ولتواضعه وروحه المرحة كان الطلاب يرددون إذا مر بحوارهم أبو زهرة السكرة.

وقد جمع الشيخ رحمه الله إلى تواضعه وروحه المرحة العناية الفائقة بمظهره فقد كان الشيخ حسن المظهر أنيقاً في ملبسه حسن الهندام.

---

(١) أبو زهرة في رأي علماء العصر ص ١٧٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أبو زهرة في رأي علماء العصر ص ١٧٦.

وكان الشيخ رحمه الله يتصف بالوفاء، وتلمس حاجات إخوانه مع أن الشيخ لم يكن من الأغنياء خاصة في بداية حياته بقوله رحمه الله: (لقد ابتدأت فقيراً في أسرة بين الفقر والغني، أو بين قلة المال وكثرته ولكن لم ينل الفقر من إحساسي بنفسي واعتزازي بديني وخالقي، كأسرتي التي كانت عزيزة في مالها، عزيزة في نفسها، ولم تصل إلى درجة الثراء قط، ولكنها كانت دائماً موضع الاحترام والإجلال والتقدير، ولما دخلت موظفاً في الحكومة قنعت، وكنت مدرساً يقدر بين تلاميذه، وأولياء أمورهم، وعزفت عزوفاً كاملاً عن الدروس الخصوصية،وجاءتني رجاءات كثيرة من أولياء أمور الطلبة لأخذ دروس خصوصية فكنت أردها، وأقصى ما أرفق به لولي أمر طالب أو تلميذ وأنا أدرس في المدارس الثانوية أن أنقل التلميذ إلى فصولها التي أدرس فيها).

ومن المواقف التي تدل على وفائه لإخوانه ووقوفه معهم ما ذكره احد طلابه حيث قال: "لقد حدث مرة أن أرسلني إلى رجل طيب أصابه مكروه بأحد القرارات ... في عهد جمال عبد الناصر" وأفهمني أنه أي الشيخ " أبو زهرة " لديه كتاب بالمطبعة ومطلوب مني أن أكلف هذا الشخص الذي ذكره لي آنفاً بمراجعة هذا الكتاب بأمر من الشيخ وذلك لدقة هذا الشخص وأمانته" ... وأوصاني أن أؤكد له أنني سأمر عليه بعد أسبوع على الأكثر لأستلم منه الكتاب أو ما تم إنجازه، مع العلم بأن فضيلة الإمام كان معه نسخة أخرى تمت مراجعتها وعليها أمر الطبع وذاهب بها لتسليمها للمطبعة ... وبعد مضي أسبوع تماماً أرسل معي مبلغاً كبيراً من المال لدرجة أن الأخ الكريم الذي يقوم بهذا العمل تعجب وقال إن هذا المبلغ كبير!! كبير!! فأعلمته أو ذكرت له كما أفهمني الشيخ أنه سوف يرسل مبلغاً آخر عند الانتهاء من باقي الكتاب أكثر من هذا ".

ومن وفائه أيضاً رحمه الله أنه كان كلما فقدت مجلة لواء الإسلام علماً من أعلامها المبرزين، شمر عن ساعد الجد، وشرع يكتب عن الفقيه، معدداً مآثره من

ذلك على سبيل المثال ما ذكره عن الشيخ محمد البنا بعد وفاته حيث كتب مقالاً في مجلة لواء الإسلام قال فيه: (كان في فقيد المجلة العزيز الكريم مزايا جليلة، فهو عالم سلفي، وأديب لوذعي، يروي أحاديث رسول الله ﷺ ويحفظ الشعر، ويختار منه ما فيه حكمة، ومن النثر العربي ما فيه سحر، وإن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا) [(١)].

ومما عرف عن الشيخ واشتهر تلك الذاكرة القوية ، فقد وهبه الله تعالى ذاكرة حافظة، فلا ينسى ما شاهده أو قرأه ، فإذا قرأ كتابا استوعبه وناقشه غيبا مع ذكر رقم الصفحة، وكان يندر أن يخطيء في أرقام الصفحات والسطور، يقول أحد طلابه [(٢)] عن تلك الحافظة حينما ناقش الشيخ بحثا عن ابن القيم : (لقد هال الحاضرين تلك الموسوعة المتحدثة من الذاكرة ، لا تخطئ رقم الصفحة أو اسم الكتاب أو حتى رقم السطر وتاريخ الطبع ... تلك الموسوعة هي أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة رحمة الله عليه حيث كان جالسا لا ينظر في كتاب ولا مفكرة .. وإنما يقول للطالب : قلت في صفحة كذا ، سطر كذا، ما نصه كذا ، نقلا عن كتاب كذا، صفحة كذا، سطر كذا .. إلى آخره.

وعندما كان الطالب يعترض، مبرراً وجهة نظره .. كان يحيله الشيخ أبو زهرة إلى أكثر من مرجع، محدداً الصفحة، والباب، والفصل، بل والسطر وتاريخ الطبع.

لقد دهش الحاضرون، من هذه الذاكرة القوية ولم يلفت نظرهم من المناقشين أحد مثله ولم يسترع انتباههم أحد من لجنة الامتحان مثل شيخنا رحمة الله عليه.

---

(١) مجلة لواء الإسلام، العدد ٢، السنة ٢٤ ن ذو القعدة ١٣٨٩هـ ص ٢٨،٢٩.

(٢) هو الدكتور يوسف البدري.

كل ذلك، وهو باسم الفم، جاد اللهجة، قوي النبرات، واضح العبارة، منطقي الفكر، يتحدث ناقداً ممحصاً، وأستاذاً معلماً، وعالماً ضليعاً في علمه حتى لكأنه، دائرة معارف متخصصة في الفن الذي يريد الحديث عنه) [(١)] .

ويذكر أحد أبناء [(٢)] الشيخ رحمه الله: (أن والده رحمه الله عاش طوال حياته لم يسجل أرقام تليفونات لأحد من أصدقائه، وأن كل الأرقام مختزنة بذاكرته فعندما يريد أن يطلب أحد الأقارب أو الأصدقاء أو الزملاء، كان يدير قرص التليفون طالباً إياه حتى ولو كان مضى على آخر اتصال أو لقاء سنة أو سنتين أو أكثر ، باختصار لم يكتب رقم تليفون في حياته ولم يطلب من أحد من أبنائه تسجيل رقم، أو عنوان خاص) [(٣)] . هذه بعض الصفات التي اتصف بها الشيخ رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثامن: تراثه العلمي :

لقد ترك الشيخ رحمه الله ثروة واسعة من الكتب والمقالات والبحوث أثرت المكتبة الإسلامية في كافة علوم الشريعة فمن كتب في التفسير إلى العقيدة إلى الفقه وأصوله إلى تاريخ التشريع وتراجم العلماء، وسوف أتكلم عن ثرائه العلمي كما يلي:

أولاً: بحوثه وكتبه :

يعد الشيخ رحمه الله من المكثرين في التأليف مع أنه رحمه الله كان لا يكتب ويؤلف إلا إذا وجد جديداً يضيفه، ويثري به المكتبة الإسلامية فإذا لم يجد الجديد، أو إذا أحس أن قوله مجرد عرض لأقوال السابقين فإنه يحجم عن التأليف اكتفاء بما قاله من سبقه، يقول رحمه الله في كتابه أحكام المواريث والتركات : " وإذا كانت تلك منزلة الفرائض ... وكان من الأقدمين كما كان من المتأخرين من خصها بالتأليف ... وكان

---

(١) أبو زهرة في رأي علماء العصر ص ١٧٣.

(٢) هو الدكتور/ مصطفى أبو زهرة.

(٣) انظر أبو زهرة إمام عصره ص٤٧.

ذلك من دواعي إحجامنا عن الكتابة فيها، مع تمرسنا بتدريسها، لأنا لا نكتب فيما كررت الكتابة فيه، حتى لا يكون قولنا من مكرور القول، ولكيلا يكون تأليفنا صدى لأقلام غيرنا، ولكي يكون فيما نكتب فائدة تبتغى، ومعنى خاص لأجله يقصد " [1].

ومع ما سبق من قوله إلا أنه رحمه الله ترك ثروة كبيرة من الكتب وهي على النحو التالي:-

أولاً: ما ألفه من كتب حينما كان مدرساً في كلية أصول الدين.

١- الخطابة.

٢- تاريخ الجدل.

٣- تاريخ الديانات القديمة.

٤- محاضرات في النصرانية.

ثانياً: ما ألفه من كتب وبحوث حينما كان مدرساً بكلية حقوق القاهرة:

١- أصول الفقه.

٢- أحكام المواريث والتركات.

٣- الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية.

٤- الوقف.

٥- الأحوال الشخصية.

٦- الجريمة في الفقه الإسلامي.

٧- العقوبة في الفقه الإسلامية.

٨- أبو حنيفة: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

٩- مالك: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

---

(١) أحكام المواريث والتركات، ص ٤.

١٠- الشافعي: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

١١- ابن حنبل: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

١٢- ابن حزم: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

١٣- ابن تيمية: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

١٤- الإمام زيد: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

١٥- الإمام جعفر: حياته وعصره، آراؤه وفقهه.

ثالثاً: ما ألفه من كتب أثناء تدريسه بمعهد الدراسات العربية:

١- الميراث عند الجعفرية.

٢- أصول الفقه الجعفري.

٣- عقد الزواج وآثاره.

٤- فلسفة العقوبة.

٥- الولاية على النفس.

٦- كتاب الزجاج وآثاره.

٧- محاضرات في الوقف.

رابعاً: ما ألفه في معهد الدراسات الإسلامية:

١- تاريخ المذاهب الفقهية.

٢- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد.

٣- تنظيم الإسلام للمجتمع.

٤- مصادر الفقه الإسلامي من النصوص.

خامساً: ما ألفه في المجلس الأعلى في الفنون والآداب:

١- العلاقات الدولية في الإسلام.

٢- التكافل الاجتماعي في الإسلام.

٣- إساءة استعمال الحق في الشريعة.

٤- ديوان المظالم في الإسلام.

٥- القانون الدولي في الإسلام.

ومن مؤلفاته وكتبه أيضاً:

١- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام.

٢- مشكلة الأوقاف.

٣- محاضرات في الربا.

٤- الدعوة إلى الإسلام.

٥- الشريعة الإسلامية.

٦- نظرية الحرب في الإسلام.

٧- الفقه الإسلامي والقانون الروماني.

٨- الملكية بالخلافة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني.

٩- شرح الأربعين حديثاً في الأخلاق.

١٠- شريعة القرآن، دليل على أنه من عند الله.

١١- تاريخ الأدب العربي في صدر الإسلام، والعصر العباسي الأول، وهو لا يزال مخطوط.

ومن آخر ما ألف الشيخ قبل وفاته بسنين قليلة:

١- المعجزة الكبرى.

٢- خاتم النبيين.

٣- الوحدة الإسلامية.

٤- الرد على وزارة الشؤون الاجتماعية في الأسرة.

٥- زهرة التفاسير، وقد مات رحمه الله ولم يكمله حيث أن الشيخ ابتدأ تأليفه عام ١٩٥١م، من الآيتين (١٩٤- ١٩٥) من سورة البقرة وانتهى عند الآية (٧٣) من سورة النمل حيث وافته المنية عام ١٩٧٤م.

ثانياً: مقالاته ومشاركاته في مجلة لواء الإسلام:

يعتبر الشيخ أبو زهرة من المكثرين من كتابة المقالات، والمشاركة في ندوات مجلة لواء الإسلام، فقد كانت صلته قوية بهذه المجلة حتى أنه كان في بعض الأعداد ينشر له ثلاث مشاركات ما بين مقال، ومشاركة في ندوة المجلة، بل كان رحمه الله يشارك في تحرير المجلة، ويشرف على طباعتها بنفسه. يقول الدكتور محمد البنا: " عرفت الشيخ محمد أبو زهرة رحمة الله عليه منذ أن اشترك معنا في تحرير مجلة لواء الإسلام" [(١)]، ويقول أيضاً: " وظل الإمام أبو زهرة يواظب على الذهاب إلى المجلة، والاشتراك في تحريرها، ولقد كان يذهب إلى المطبعة في غالب الأحيان ليراجع معي بعض المقالات تخفيفاً عني " [(٢)]. وقد وقفت على ما يزيد عن ثلاثة آلاف صفحة من مشاركات الشيخ في المجلة [(٣)] وللفائدة سوف أثبت هذه المقالات والمشاركات في ندوة لواء الإسلام على النحو التالي:

العبادات:

١- الطهارة:

- الوضوء لغير الصلاة / لواء، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٣ ، ص ١٧٦.
- المسح على الخُفين/ لواء سنة ٧، عدد٩ جمادى الأولى ، ص ٥٦١.

---

(١) أبو زهرة في رأي علماء العصر، ص١١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢.

(٣) زودني بها الأخ الفاضل فهد بن عبدالله الفريح حيث استفاد منها في رسالته للماجستير (منهج الشيخ محمد أبو زهرة في التفسير) فله مني جزيل الشكر والتقدير.

٢- **الصلاة :**

- الكلام في قوله تعالى: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت/٤٥، لواء سنة٧، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٣ ، ص٦١٩.
- أوقات الصلاة/ لواء، سنة٨، عدد ١٢، شعبان ١٣٧٤ ، ص ٧٥٩.
- القراءة خلف الإمام/ لواء سنة ٨، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٣ ، ص ٢٤٣.
- قضاء الصلاة/ لواء، سنة ٧، عدد ٢ شوال ١٣٧٢ ، ص١١٢.
- صلاة التراويح/ لواء، سنة ٨، عدد١ رمضان ١٣٧٣ ، ص٥١.
- صلاة الجمعة في المنزل خلف المذياع/ لواء، سنة ١٠، عدد٢ شوال، ١٣٧٥ ص ١١٢.
- تعدد الجمع في القرية الواحدة أو المدينة الواحدة/ لواء، سنة ٦، عدد ١٠ جمادى الآخرة ١٣٧٢، ص ٦٤١.
- الجهر بالصلاة والمخافتة بها/ لواء، سنة ١١، عدد ٨، ربيع الآخر ١٣٧٧ ص٤٨٧.
- قراءة سورة الكهف قبل صلاة الجمعة/ لواء، سنة ١١، عدد ٧، ربيع الأول ١٣٧٧ ، ص٤٤٤.

٣- **الزكاة** : الزكاة لواء سنة ٨، عدد ٢، شوال ١٣٧٣ ، ص١١٥.

- وظيفة الزكاة في المجتمع/ لواء، سنة ١٥، عدد٨ ربيع الآخر ١٣٨١، ص٤٦٣.
- الزكاة كأساس للتكافل الاجتماعي/ لواء سنة ١٠، عدد٧ ربيع الأول ١٣٧٦ ص٤٣٩.
- الزكاة والنظام الاجتماعي: (تسع حلقات).

الحلقة (١) لواء، سنة ٤، عدد٢، شوال ١٣٦٩، ص١٢٣.

الحلقة (٢) لواء، سنة ٤، عدد٤، ذو الحجة ١٣٦٩.

الحلقة (٣) لواء، سنة ٤، عدد٥، محرم ١٣٧٠، ص٣٥٨.

الحلقة (٤) لواء، سنة ٤، عدد٦، صفر، ١٣٧٠.

الحلقة (٥) لواء، سنة ٤، عدد٦، صفر ١٣٧٠، ص٤٣٨.

الحلقة (٦) لواء، سنة ٤، عدد٨ ربيع الثاني عام ١٣٧٠، ص٦٠٠.

الحلقة (٧) لواء، سنة ٤، عدد٩، جمادى الأولى، ١٣٧٠، ص٦٧٣.

الحلقة (٨) لواء، سنة ٤، عدد١٠، جمادى الآخرة، ١٣٧٠هـ.

الحلقة (٩) لواء، سنة ٤، عدد١١، رجب ١٣٧٠، ص٨٣٢.

- زكاة الزروع في مصر/ لواء، سنة ١٧، عدد١ رمضان ١٣٨٢، ص ٥٥.

- الدين والنمو الاقتصادي/ لواء، سنة٢٠، عدد٨، ربيع الآخر سنة ١٣٨٦، ص٤٨٦.

- التكافل الاجتماعي في الإسلام (ثلاث حلقات).

- الحلقة (١) لواء، سنة ٦، عدد ٩، جمادى الأولى ١٣٧٢.

- الحلقة (٢) لواء، سنة ٦، عدد ٩، جمادى الآخرة ١٣٧٢، ص٦٢٧

- الحلقة (٣) لواء، سنة ٦، عدد ٩، رجب ١٣٧٢، ص٦٩٠.

٤- الصوم :

- شهر رمضان / لواء سنة ٤، عدد الأول، رمضان ١٣٦٩، ص٣٥.

- شهر رمضان/ لواء، سنة ١٨، عدد ١، رمضان ١٣٨٣، ص٤١.

- الصوم والمجتمع/ لواء، سنة ٩، عدد١، رمضان ١٣٧٤ ، ص ٤٤.

- في الصوم روحية وتذكرة/ لواء، سنة ٣، عدد١، رمضان ١٣٦٨، ص٣٩.

- صيام أهل الجنة التي لا يتميز فيها النهار من الليل واختلاف المطالع/ لواء، سنة ٨، عدد١، رمضان ١٣٧٣، ص٥١.
- الصوم في البلاد التي لا يتضح نهارها من ليلها/ لواء، سنة ٧، عدد١١، رجب ١٣٧٣، ص٦٨٥.
- الصلاة والصوم في البلاد التي تكون فيها نصف السنة نهاراً والنصف الآخر ليلاً/ لواء، سنة٧، عدد ٥، محرم ١٣٧٣.
- اختلاف المطالع/ لواء، سنة ٢٠، عدد٥، محرم ، ١٣٨٦ ، ص٣٠٨.
- صيام العمّال/ لواء، سنة ٦، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٢، ص٦٤١.
- ما يبيح الفطر في رمضان/ لواء، سنة ٩، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٤، ص٢٥٩.

٥- الحج :

- (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران/ ٩٧، لواء سنة٤ عدد٣، ذو القعدة ١٣٦٩، ص ١٨٨.
- (وأذن في الناس بالحج) الحج/ ٢٧، لواء، سنة ٣، عدد٤، ذو الحجة ١٣٦٨، ص٣٥.
- ضيوف الرحمن/ لواء، سنة ٥، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٠، ص١٧٧.
- الروحانية في الحج/ لواء، سنة ١١، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٦، ص ٢٣٨.
- المواقيت الإسلامية/ لواء، سنة ٣، عدد٥، محرم ١٣٦٩.
- تكفير الحج للذنوب/ لواء، سنة ٧، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٢، ص١٧٤.
- الحج كمؤتمر إسلامي كبير/ لواء، سنة ٨، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٣، ص٢٤٣.
- نقل مقام إبراهيم/ لواء، سنة ١٢، عدد١، رمضان ١٣٧٧، ص ٤٩.
- استبدال النقد بالهدي/ لواء، سنة٩، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٧٥، ٥١٦.

- حكم الإسلام فيمن يقول إن الإسلام الحجر وتثنيته/ لـواء، سـنة ١٣، عـدد١، رمضان ١٣٧٨، ص٥٠.

٦- **النكاح :**

- تنظيم النسل/ لواء، سنة ١٦، عدد١١، رجب ١٣٨٢، ص ٦٧٧.
- تحديد النسل والتلقيح الـصناعي/ لـواء، سـنة ، عـدد١١، شـعبان ١٣٨٤، ص٧٤٢.
- الزواج بغير المسلمة/ لواء، سنة ١٦، عدد١، شوال ١٣٨١، ص ١٢٥.
- رأي الإسلام في التبني/ لواء، سنة ١٥، عدد١٢، شعبان ١٣٨١، ٧١٩.
- تعدد الزوجات/ لواء، سنة ١٣، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٧٩، ص٤٧٢.
- ملكات الإغراء وتجربة التزوج من أربعة رجال/ لـواء، سـنة ١١، عـدد١٢، شعبان، ١٣٧٧، ص٧٧٤.
- الخُطبة وما يجوز للخاطب أن يراه من خطيبته/ لواء، سنة ١١، عدد١، رمضان ١٣٧٦، ص٥٨.
- تعدد الزوجات في الإسلام:
- تعدد الزوجات/ لواء، سنة ٢١، عدد٦، صفر ١٣٨٧، ص٣٦٥.
- تحديد النسل/ لواء، سنة ٢١، عدد ٦، صفر ١٣٨٧، ص ٣٦٥.
- تعدد الزوجات في الإسلام/ لواء، سنة ٦، عدد ١٢، شعبان ١٣٨٢، ص٧٦٠.
- زواج المتعة/ لواء، سنة ٢٣، عدد٣، ذو القعدة، ١٣٨٨، ص١٦٢.
- بيت الطاعة/ لواء، سنة ١٣، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٧٩، ص٤٧٢.
- بيت الطاعة في الإسلام/ لواء، سنة ٢١، عدد٤، ذو الحجـة ١٣٨٦، ص٢٤٥، وتتمته في عدد ٥، محرم ١٣٨٧هـ، ص٣٠٩.

- تقييد الطلاق/ لواء، سنة ٢١، عدد ٦، صفر ١٣٨٧، ص٣٦٥.
- الطلاق في الإسلام ١/ لواء، سنة ٣، عدد١١، رجب ١٣٦٩هـ، ص٣٠، ٢/ لواء، سنة ٣، عدد ١٢، شعبان ١٣٦٩، ص٣٤.
- الطلاق/ لواء، سنة ١٣، عدد ٨، ربيع الثاني ١٣٧٩، ص٤٧٢.
- تعدد الزوجات دوار، لا داء/ لواء، سنة ٣، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٦٩هـ.
- قانون الأسرة وتقييده بأحكام الإسلام/ لواء، سنة ١٣٣، عدد١١، رجب ١٣٧٩، ص٦٨٨.
- زواج المسلم من الكتابية/ لواء، سنة ١٣، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٧٥، ص٥١٦.
- مطابقة بعض الجماعات بتقييد الطلاق/ لواء، سنة ١١، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٧، ص٦٣٨.
- حقوق المرأة/ لواء، سنة ٢٢، عدد ٢، شوال ١٣٨٧، ص٨٤.
- مكانة المرأة في المجتمع الحديث/ لواء، سنة ١٥، عدد١٠، جمادى الثانية، ١٣٨١، ص٥٨٨.
- مساواة المرأة بالرجل في الميراث/ لواء، سنة ٢١، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٧، ص٦٥١.
- رأي الإسلام في تولي المرأة القضاء/ لواء، سنة ١٦، عدد ١٢ شعبان، ١٣٨٢، ص٧٦١.

٧- معاملات :

- الربا/ لواء، سنة ٨، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٤، ص٦٢٣.
- الوقف الخيري/ لواء، سنة ١٤، عدد٣، ذو القعدة، ١٣٧٩، ص١٦٣.
- الباكستان والربا/ لواء، سنة ٥، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧١، ص٦٢٦.

- التأمين الاجتماعي في الإسلام/ لواء، سنة ١٧، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٣، ص٦٢٧.
- التأمين الاجتماعي في الإسلام/ لواء، سنة ٣، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٦٩، ص٤٣.
- التأمين/ لواء، سنة ٨، عدد١١، رجب ١٣٧٤، ص٦٨٧.
- أجرة المحامي/ لواء، سنة ٣، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٦٩.
- أجرة الطبيب/ لواء، سنة ٣، عدد٦، صفر ١٣٦٩هـ.
- الشركات التعاونية/ لواء، سنة ١٩، عدد١١، رجب ١٣٨٥، ص٧١٣.
- الملكية الزراعية/ لواء، سنة ٦، عدد٥، محرم ١٣٧٢.
- مسؤولية السكران/ لواء، سنة ٨، عدد٥، محرم ١٣٧٤، ص٣٠٦.
- النظارة على الأوقاف الخيرية وتغير شروط الموقفين/ لواء، سنة ١٠، عدد١١، رجب ١٣٧٦، ص٦٨٤.

٨- **أصول الفقه :**

- الفتوى في دين الله : (أربع حلقات).
- الحلقة (١) / لواء، سنة ١١، عدد٢، شوال ١٣٧٦، ص١١٠.
- الحلقة (٢) / لواء، سنة ١١، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٦، ص١٧٢.
- الحلقة (٣) / لواء، سنة ١١، عدد٨، ربيع الآخر ١٣٧٧، ٤٨٧.
- الحلقة (٤) / لواء، سنة ١١، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٧٧، ص٥٥٣.
- الفتوى في دين الله/ لواء، سنة ١٥، عدد١، رمضان، ١٣٨٠، ص١٧.
- الاجتهاد في الفتوى/ لواء، سنة ١٥، عدد٢، شوال ١٣٨٠، ص١٠٣.

- الاجتهاد والتقليد، واختيار مذهب وسط بين أقوال المجتهدين/ لواء، سنة٨، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٣، ص٢٤٣.
- التقريب بين المذاهب الإسلامية/ لواء، سنة ٩، عدد ٦، صفر ١٣٧٥، ص٣٨٥.
- مقاصد الإسلام (في ست حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٥، عدد١٢، شعبان ١٣٨١، ص٦٩٢.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٦، عدد١، رمضان ١٣٨١، ص٢٠.
- الحلقة (٣) لواء، سنة ١٦، عدد١، شوال ١٣٨١، ص١٠٢.
- الحلقة (٤) لواء، سنة ١٦، عدد٦، صفر ١٣٨٢، ص٣٥٣.
- الحلقة (٥) لواء، سنة ١٦، عدد٦، صفر ١٣٨٢، ص٣٥٣.
- الحلقة (٦) لواء، سنة ١٦، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٨٢، ص٤٨٦.

٩- مصطلح الحديث :

- أحاديث الآحاد/ لواء، سنة ٢١، عدد١٠، جمادى الآخرة ، سنة ١٣٨٧، ص٦٢٣.
- حول صحيح البخاري (أحاديث الآحاد)/ لواء، سنة ٢٠، عدد٧ ربيع الأول ١٣٨٦، ص٤٠١.
- تعريف الحديث الصحيح من غير الصحيح/ لواء، سنة ٨، عدد٥، محرم ٣٧٤، ص٣٠٦.
- الأحاديث القدسية/ لواء، سنة ٦، عدد ١٢، شعبان ١٣٧٢، ص٧٦٠.
- السنة تبليغ النبي/ لواء، سنة ٢٠، عدد٥، محرم ١٣٨٦، ص٢٨٥.
- السنة تبليغ النبي: (ثلاث حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة١٢ ، عدد ٤، ذو الحجة ١٣٧٧، ص٢١٢

- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٢، عدد ٥، محرم ١٣٧٨، ٢٧٧
- الحلقة (٣) لواء، سنة١٢ ، عدد ٦، صفر ١٣٧٨، ص٣٤٠

١٠- عن الإســـلام :

- احترام الإنسانية دعامة الإسلام/ لواء، سنة١٤، عدد٩، جمادى الأولـــى ١٣٨٠، ص٥٤٩.
- الإسلام وملاءمته للزمان/ لواء، سنة١٥، عدد٢، شوال ١٣٨٠، ص٧٧
- ذلك الدين لا ريب فيه/ لواء، سنة١٣، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٨، ص٢٢٥.
- المساواة بين الإسلام والمدنية الحاضرة/ لواء، سنة ٩، عدد١٢ شـــعبان ١٣٧٥، ص٧٤٩.
- ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون/ لواء، ســـنة ٨، عـــدد١٢، شـــعبان ١٣٧٥، ص٧٥٩.
- إن هذا الدين متين/ لواء، سنة٨، عدد١١، رجب ١٣٧٤، ص٦٨٧.
- الإسلام دين السلام/ لواء، سنة ١٢، عدد١٢، شعبان ١٣٧٨، ص ٧٢٢.
- الإسلام دين العزة/ لواء، سنة ٥، عدد٦، صفر ١٣٧١، ص٣٦٢.
- البشرية في الرسالة المحمدية/ لـــواء، ســـنة ٣، عـــدد٧، ربيـــع الأول ١٣٨٤، ص١٥٥.
- الإسلام ... الإسلام / لواء، سنة ١٩، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٤، ص١٥٥.
- الإسلام ... الإسلام / لواء، سنة ١٩، عدد٢، شوال ١٣٨٤ت، ص٩٤.
- ندوة إسلامية أخرى : (ثلاث حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٣، عدد٥، محرم ١٣٧٩.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٣، عدد ٦، صفر ١٣٧٩، ص٣٥٤.

- الحلقة (٣) لواء، سنة ١٣، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٩، ص٤١٩.
- نظام الحكم في الإسلام/ لواء، سنة ٩، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٤، ص١٩٣.
- المستشرقون وإدراكهم للإسلام/ لواء، سنة ٧، عــدد٩ ربيــع الآخــر ١٣٧٣، ص٥٦١.
- شكل الوحدة الإسلامية وطرق تحديد هذه الوحدة/ لواء، سنة ٧، عــدد٨، ربيــع الآخر ١٣٧٣.
- التعريف بالإسلام في أوروبا/ لواء، سنة ٧، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٣.
- الجامعة الإسلامية/ لواء، سنة ٧، عدد٥، محرم ١٣٧٣.
- الإسلام والتفرقة بين البيض والسود/ لواء، ســنة ١٢، عــدد٨، ربيــع الآخــر ١٣٧٨، ص٤٩١.
- موقف الإسلام من الأديان السماوية الأخرى/ لواء، ســنة ١٢، عــدد٥، محــرم ١٣٧٨، ص٣٠١.
- ما هي الدولة الإسلامية/ لواء، سنة ١٠، عدد١، رمضان ١٣٧٥، ص٥٥.
- الشورى في الإسلام/ لواء، سنة ٢١، عدد١١، رجب ١٣٧٨، ص٦٧٨.
- تطوير الشريعة (هل الشريعة قابلة للتطوير) لواء، ســنة ١٨، عــدد٥، محــرم ١٣٨٤، ص٢٩٦.
- كيف كان عمر يعامل ولاته ورعيته/ لواء، سنة ٢٢، ص٤٤٧، والتتمة في العدد ص٥٠٩.
- موقف الإسلام من حقوق الإنسان الوضعية/ لواء، ســنة ١٦، عــدد٥، محــرم ١٣٨٢، ص٣١٦.
- مصالح الأنام في الإسلام/ لواء، سنة ١٥، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨١، ص٣٨٧.

١١- العالم الإسلامي :

- في حرم الله الآمن (مكة) لواء، سنة ١١، عدد٦، صفر ١٣٧٧، ص٣٦٢.
- في الأرض الطيبة (المدينة) لواء، سنة ١١، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٧.
- الجزائر الدامية/ لواء، سنة ١٤، عدد١٢، شعبان ١٣٨٠، ص٧٣٨.
- الجزائر الدامية (حلقتان)
- الحلقة (١) لواء، سنة ٢٣، عدد ٩- ١٠، رجب ١٣٨٩، ص٤٧٦.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ٢٣، عدد١١- ١٢، شعبان ١٣٨٩، ص٥٤٠.
- أحرقت إسرائيل المسجد الأقصى !!/ لواء، سنة ٢٣، عدد١١- ١٢ شعبان ١٣٨٩، ص٥٩٦.
- المسجد الأقصى (حلقتان)
- الحلقة (١) لواء، سنة ٧، عدد١١- ١٢، شعبان ١٣٨٩.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ٢٣، عدد ٩- ١٠، رجب ١٣٨٩، ص٤٧٦.
- صراع بين الحق والباطل في فلسطين/ لواء، سنة ٩، عدد٨، ربيع الأول ١٣٧٥، ص٤٩٢.
- صراع بين الحق والباطل في مراكش والجزائر وتونس: (حلقتان)
- حلقة (١) لواء، سنة ٩، عدد ٦، صفر ١٣٧٥، ص٣٦٥.
- حلقة (٢) لواء، سنة ٩، عدد ٧، ربيع الأول، ١٣٧٥، ص٤٣٢.
- من له الولاية في مراكش الآن ؟ / لواء، سنة ٧، عدد٥، محرم ١٣٧٣.
- الإسلام في باكستان/ لواء، سنة ١١، عدد١٢، شعبان ١٣٧٧، ص٧٥٠.
- الندوة الإسلامية بلاهور: ١ / لواء، سنة ١٢، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٨، ص٥٩٥، ٢/ لواء، سنة ١٢، عدد١١، رجب ١٣٧٨، ص٦٥٨.

- زنوج أمريكا والإسلام/ لواء، سنة ٢٠، عدد ٥، جمادى الآخرة ١٣٨٦، ص٣٠٨.
- المسلمون/ لواء، سنة ١٨، عدد ٢، شوال١٣٨٣، ص ٨٢.
- رحلة: ١/ لواء، سنة ٢٢، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٧، ص١٣٩، رحلة٢/ لواء، سنة ٢٢، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٧، ص٢٠٣.
- مالك الملك (عن مصر) لواء، سنة ٦، عدد ٤، ذو الحجة ١٣٧١، ص٢٢٥.
- مؤتمر علماء المسلمين/ لواء، سنة ٧، عدد١١، رجب ١٣٧٣، ص٦٨٥.
- المؤتمرات الإسلامية: (حلقتان)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٩، عدد٩، جمادى الأولى، ١٣٨٥.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٩، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٨٥، ص٤٩٤.
- الجهاد ... الجهاد/ لواء، سنة ١٠، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٧٦، ص٥٤٥.
- الجهاد/ لواء، سنة ٨، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٣، ص١٧٦.
- الجهاد في الإسلام/ لواء، سنة ٢٢، عدد١، رمضان ١٣٨٧، ص٥٧.
- الجهاد في الإسلام/ لواء، سنة ٢١، عدد ٨، ربيع الثاني ١٣٧٨، ص٥٠٣
- واجب المسلمين في الدفاع عن أوطانهم/ لواء، سنة ١٠، عدد٦، صفر ١٣٧٦، ص٣٧٨.
- الجهاد الآن فرض عين/ لواء، سنة ٢٣، عدد١، رمضان ١٣٨٨، ص٢١.
- عدة الجهاد: الصبر والإيمان/ لواء، سنة ٢١، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٨٧، ص٢٨٣.
- الجهاد في الإسلام: (ثلاث حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٤، عدد٢، شوال ١٣٧٩، ص٩٨.

- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٤، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٩، ص١٦٣.
- الحلقة (٣) لواء، سنة ١٤، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٩، بص٢٢٥.
- قانون الحرب في الإسلام: (ثلاث حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة ٢، عدد٨ ، ربيع الثاني ١٣٦٨.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ٢، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٦٨، ص٣٩.
- الحلقة (٣) لواء، سنة ٢، عدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٦٨.

١٢- في الأخلاق والتربية :

- الإخلاص في القول والعمل/ لواء، سنة ١٧، عدد٢، شوال ١٣٨٢، ص١٠١.
- الإخلاص .. الإخلاص/ لواء سنة ١٠، عدد١، رمضان ١٣٧٥، ص٣٠.
- الإخلاص/ لواء، سنة ٢٠، عدد٦، صفر ١٣٨٦، ص٣٥١.
- النفاق/ لواء سنة ٩، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٤، ص١٧٣.
- النفاق/ لواء، سنة ١٧، عدد٨، ربيع الثاني، ١٣٨٣، ص٥٠١.
- الداء الدوي/ لواء، سنة ٩، عدد١٠، جمادى الآخرة، ١٣٧٥، ص٦٢٢.
- المنافقون/ لواء، سنة ١٧، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٨٣، ص٥٦٣.
- الصراحة والمداراة والنفاق (١) لواء، سنة ٢٠، عدد٢، شوال ١٣٨٥، ص٩٢.
- الصراحة والمداراة والنفاق (٢) لواء سنة ٢٠، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٥، ص١٥٥.
- الأخلاق.. الأخلاق: ١/ لواء، سنة ١٦، عدد٩، جمادى الثانية ١٣٨٢، ص٥٥١، ٢/ لواء، سنة ١٦، عدد١٠، جمادى الثانية ١٣٨٢، ص٦١٢.
- الأخلاق .. الأخلاق/ لواء، سنة ١٦، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٢، ص٦١٢.

- الأخلاق .. الأخلاق/ لواء، سنة ١٦، عدد١٢، شعبان ١٣٨٢، ص٧٤٠.
- الأخلاق الأخلاق/ لواء، سنة ٢٢، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٧، ص٢٥٩.
- (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم:٤، لواء، سنة ١٩، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٥.
- العبادات والمجتمع الفاضل/ لواء، سنة ٢٠، عدد٢٤، ذو الحجة ١٣٨٥، ص٢٢٠.
- الفضيلة سبيل السلام: ١/ لواء، سنة ١٤، عدد٥، محرم ١٣٨٠، ٢/ لواء، سنة ١٤، عدد٦، صفر ١٣٨٠، ص٣٥٤، ٣/ لواء، سنة ٦، عدد٢، شوال ١٣٧١، ص٤١٨.
- علاقة الترف بانحلال الأخلاق في نظر الدين/ لواء، سنة ١٦، عدد٦، صفر ١٣٨٢، ص٣٧٦.
- تمتع الشباب وطرق علاجه/ لواء، سنة ١٣، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٧٩، ص٥٦١.
- علاج الانحراف/ لواء، سنة ٢٣، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٩، ص٣٦٥.
- دعوات الإلحاد والإباحية بين شباب الجامعات/ لواء، سنة ٩، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٥، ص٤٤٧.
- الإسلام والشباب/ لواء، سنة ٢٣، عدد٦، صفر ١٣٨٩، ص٣٠٨.
- الرذيلة السافرة/ لواء، سنة ٩، عدد٥، محرم ١٣٧٥، ص٣٠٥.
- الرذيلة، ميلادها ونماؤها/ لواء، سنة ١٠، عدد٦، صفر ١٣٧٦، ص٣٥٦.
- زحف الثقافة الأجنبية/ لواء، سنة ٨، عدد٩، جمادى الآخرة، ١٣٧٤، ص٥٧٧.
- البيت الإسلامي/ لواء، سنة ١٢، عدد١، رمضان ١٣٧٧.
- الهوى المتبع/ لواء، سنة ١١، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٧.

- الصلاح والفساد/ لواء، سنة ٢٢، عدد١٢، شعبان ١٣٨٨، ص٦٥١.
- الأمانة.. الأمانة/ لواء، سنة ٢٢، عدد٧، ربيع الأول، ١٣٨٨، ص٣٧٣.
- الكرامة .. الكرامة/ لواء، سنة ٢٢، عدد٦، صفر ١٣٨٨، ص٣١٧.
- الرفق.. الرفق/ لواء، سنة ١٠، عدد١٠، جمادى الآخرة، ١٣٧٦.
- القرآن والعمل به/ لواء، سنة ٢٣، عدد٢٢، شوال ١٣٨٨، ص٧٩.
- العدل والمودة والتسامح/ لواء، سنة ٢١، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٦، ص٢٢٥.
- فناء الأمم وبقاؤها/ ١/ لواء، سنة ٢١، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٦، ص١٦٠، ٢/لواء، سنة ٢١، عدد٢، شوال ١٣٨٦، ص٩٦.
- السعادة بين الروحية والمادية/ لواء، سنة ٢١، عدد١، رمضان ١٣٨٦، ص٢٥.
- التعاون في الإسلام/ لواء، سنة ١٤، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٨٠، ص٥٠٧.
- الدين والتنظيم الإداري/ لواء، سنة ٢٠، عدد١٠، جمادى الآخرة، ١٣٨٦، ص٦١٣.
- الدين وإصلاح الإدارة/ لواء، سنة ٢٠، عدد١٠، رجب ١٣٨٦، ص٦٧٩.
- الوظيفة والموظف في الإسلام: ١/ لواء، سنة ١٦، عدد٤، صفر ١٣٨١، ص٢٢٥، ٢/ لواء، سنة ١٦، عدد٥، محرم ١٣٨٢، ص٢٩٠.
- حياة لاهية لاعبة: ١/لواء، سنة ١٧، عدد٦، صفر ١٣٨٣، ص٣٥٥، ٢/ لواء، سنة ١٧، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٣، ص ٤٢٣.
- المجتمع القرآني: ١/ لواء، سنة ١٩، عدد١١، رجب ١٣٨٥، ص٦٨٥، ٢/لواء، سنة١٩، عدد١٢، شعبان ١٣٨٥، ص٧٥٠.
- السعادة وأثرها في المجتمع/ لواء، سنة ١٩، عدد٥، محرم ١٣٨٥، ص٣٠٤.
- الحسد/ لواء، سنة ٨، عدد٩، جمادى الآخرة، ١٣٧٤، ص٥٧٧.

- الحدود التي وضعها الإسلام للآداب العامة/ لواء، سنة ١٨، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٨٤، ص٤٩٤.
- فضائل الإسلام/ لواء، سنة ٢١، عدد١٢، شعبان ١٣٨٧، ص٧٣٨ والتتمة سنة٢٢ ، عدد (١).
- الميثاق/ لواء، سنة ١٦، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٢، ص٤١٨.
- التوبة النصوح/ لواء، سنة ٧، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٢، ص١٧٤.
- التوبة: ١/ لواء، سنة ١٥، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٠، ص١٤٢، ٢/ لواء، سنة١٥، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٠، ص ٢٠٩، ٣/ لواء، سنة ١٥، عدد٥، محرم ١٣٨١، ص٢٧٣، ٤/ لواء، سنة ١٥، عدد٦، صفر ١٣٨١، ص٣٣٦.
- الدعاء/ لواء سنة ١٤، عدد١٠، جمادى الآخرة، ١٣٨٠.
- العيد في الإسلام/ لواء، سنة ٣، عدد٢، شوال ١٣٦٨، ص٣٤.

١٣- في الدعوة وثقافة الداعية :

- الدعوة إلى الحق/ لواء، سنة ١٧، عدد ٤، ذو الحجة ١٣٨٢، ص٢٢٩.
- الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة/ لواء، سنة ١٧، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٢، ص١٦٢.
- إن هذا الدين متين/ لواء، سنة ١٥، عدد٨، ربيع الآخر ١٣٨١، ص٤٤٢.
- الدعوة إلى الإسلام/ لواء، سنة ١٥، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٠، ص٢٣٣.
- إهدنا الصراط المستقيم/ لواء سنة ١٣، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٧٩، ص٤٧٢.
- طرق الدعوة إلى الإسلام/ لواء، سنة ٨، عدد٣، ذو القعدة، ١٣٧٣، ١٧٦.
- بلوغ الدعوة والرسالة/ لواء، سنة ٨، عدد٣، ذو القعدة، ١٣٧٣، ١٧٦

- الدعوة إلى الإسلام وطرقها في الماضي والحاضر/ لواء، سنة ٧، عدد٧، صفر ١٣٧٣.
- أعداء الثقافة الإسلامية/ لواء، سنة ١٣ـــ، عدد١، رمضان ١٣٧٨، ص١٩.
- فوضى الفكر والرأي/ لواء، سنة ٩، عدد٤، ذو الحجة١٣٧٤، ص٢٤٣.
- مجادلة المنحرفين في أفكارهم الدينية/ لواء، سنة ٧، عدد٧، صفر ١٣٧٣.
- لغو الجاهلين/ لواء، سنة ١٩، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٣، ص٤١٤.
- المنحرفون عن الإسلام: (حلقتان)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٩، عدد٥، محرم ١٣٨٥، ص٢٨٤.
- الحلة (٢) لواء، سنة ١٩، عدد٦، صفر ١٣٨٥، ص ٣٤٦.
- المبتدعون والتجديد/ لواء، سنة ١٩، عدد٤، ذو الحجة، ١٣٧٥، ص٢٣٠.
- التجديد في الإسلام/ لواء، سنة ٢١، عدد٦، صفر ١٣٨٧، ص٣٤٨.
- التجديد في الإسلام / لواء، سنة ٥، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٠.
- دين الله فوق الانحراف/ لواء، سنة ٢١، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٧، ص٤١٧.
- الله معنا/ لواء، سنة ١١، عدد١، رمضان ١٣٧٦، ص٣٤.
- لله الأمر من قبل ومن بعد/ لواء سنة ١٠، عدد١٢، شعبان ١٣٧٦، ص٧٢٦.
- هنالك الولاية لله الحق/ لواء، سنة ١٠، عدد٨، رجب ١٣٧٦، ص٦٦٥.
- الضلال في فهم الدين/ لواء، سنة ١٠، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٧٦، ص٤٨٦.
- التعصب في فهم الدين/ لواء، سنة ١٠، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٦،ص٤٤٢.
- شريعة الله حاكمة لا محكومة/ لواء، سنة ٥، شوال ١٣٧٠، ص٩٣- ١٠٥.
- بين شريعة القرآن وقانون الرومان/ لواء، سنة ٤، عدد١٢، شعبان ١٣٧٠، ص٩١٥.

- أنصار الشريعة الإسلامية/ لواء، سنة ٦، عدد١٢، شعبان ١٣٧٢، ص٧٧٣.
- العدالة الحقيقية/ لواء، سنة ٢٢، ص٥٩٧.
- التوعية الدينية والرأي العام/ لواء، سنة ٢٢، ص٤٥١.
- الحق والقوة/ لواء، سنة ٢٢، عدد١، رمضان ١٣٨٧، ص٢٤.
- الحق والهوى/ لواء، سنة ٢٣، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٨، ص١٣٧.
- أمانة علم الدين/ لواء، سنة ٢٣، عدد٥، محرم ١٣٨٩، ص٥٢١.
- الإصلاح الإعجاب بالرأي/ لواء، سنة ٢٣، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٨، ص١٩٥.
- الإخلاص في العلم والفتوى/ لواء، سنة ٢١، عدد٥، محرم ١٣٨٧، ٢٨٦.
- الحق والباطل/ لواء، سنة ٢٠، عدد١٢، شعبان ١٣٨٦، ص٧٤٠.
- أخلاق العلماء/ لواء، سنة ١٧، عدد١، رمضان ١٣٨٢، ص٢٥.
- المؤمن في جهاد مستمر/ لواء، سنة ١٧، عدد١، رجب ١٣٨٣، ص٦٩١.
- زلة العالم/ لواء، سنة ١٩، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٤، ص٢١٩.
- الابتلاء والصبر/ لواء، سنة ٢٠، عدد١١، رجب ١٣٨٦، ص٦٩٥.
- المصائب تكون اختباراً وعقاباً/ لواء، سنة ٩، عدد١، رجب١٣٧٥.
- الإسلام الحر الرشيد/ لواء، سنة ٢٠، عدد٩، جمادى الأولى، ١٣٨٦، ص٥٥١.
- إن قول الحق لم يدع لي صديقاً/ لواء، سنة٢٠، عدد١، رمضان ١٣٨٥، ص٢٢
- ما أحوج المسلمين إلى أمر جامع/ لواء، سنة ١٩، عدد٢٠، جمادى الآخرة ١٣٨٥، ص٦٢٥.
- حول المؤتمر الإسلامي المسيحي/ لواء، سنة ٨، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٤، ص٧٥٩٦٢٣.

- الإيمان والغلو في الدين/ لواء، سنة ٨، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٤، ص٦٢٣.
- الحرية والإخاء والمساواة/ لواء، سنة ١٠، عدد٥، محرم ١٣٧٦، ص٢٩٢.
- العلم النافع/ لواء، سنة١٢، عدد٢، شوال ١٣٧٧، ص٨٥.
- إنشاء هيئة تقوم على إخراج الفقه الإسلامي إخراجاً علمياً يجعله سهل التناول/ لواء، سنة ٠، عدد١٢، شعبان ١٣٧٦، ص٧٤٧.
- جهود العقل البشري وما توصل إليه من اختراعات/ لواء، سنة ١١، عدد٨، ربيع الآخر ١٣٧٧، ص٤٨٧.
- بين العلم والدين/ لواء، سنة ١٢، عدد١، شوال ١٣٧٧، ص١١٤.
- المنهاج المستقيم: (عشر حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٨، عدد، ٣، ذو القعدة ١٣٨٣، ص١٦٨.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٨، عدد ١٤، ذو الحجة ١٣٨٣، ص٢٠٨.
- الحلقة (٣) لواء، سنة ١٨، عدد ٥، محرم ١٣٨٤، ص٢٧٤.
- الحلقة (٤) لواء، سنة ١٨، عدد ٦، صفر ١٣٨٤، ص٣٣٩.
- الحلقة (٥) لواء، سنة ١٨، عدد٧ ربيع الأول ١٣٨٤، ص ٤٠٣.
- الحلقة (٦) لواء، سنة ١٨، عدد ٨، ربيع الثاني ١٣٨٤، ٤٦٥.
- الحلقة (٧) لواء، سنة ١٨، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٨٤، ص٥٢٩.
- الحلقة (٨) لواء، سنة ١٨، عدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٤، ص٥٩٣.
- الحلقة (٩) لواء، سنة ١٨، عدد١١، رجب ١٣٨٤، ص٦٥٨.
- الحلقة (١٠) لواء، سنة١٩، عدد ١، رمضان ١٣٨٤، ص٢٤.
- القرآن موعظة ورحمة :

- القرآنيون في باكستان/ لواء، سنة ١٢، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٧، ص١٧٦.
- المنحرفون يهاجمون الحقائق الدينية/ لواء، سنة ١٥، عدد١، رجب ١٣٨١.
- شريعة الله باقية إلى يوم القيامة/ لواء، سنة ١٥، عدد٩، جمادى الأولى، ١٣٨١، ص٥٠٦.
- الإسلام دين الدولة/ لواء، سنة ١٥، عدد٥، محرم ١٣٨١، ص٢٩٩.
- تطبيق أحكام الشريعة في الوقت الحاضر/ لواء، سنة ٨، عدد٥، محرم ١٣٧٤، ص٣٠٦.
- الإسلام والرق/ لواء، سنة ١٢، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٧٨.
- هل انتشر الإسلام بالسيف/ لواء، سنة ١٢، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٧، ص٢٣٥.
- تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم/ لواء، سنة ١٠، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٥، ص١٨٢.
- الرق في الإسلام/ لواء، سنة ٦، عدد١، رمضان ١٣٧٢، ص٤٢. لواء، سنة١٢، عدد٩، جمادى الأولى، ١٣٧٨، ص٥٥٦.
- حول تحريم الخمر وما يثيره بعض الناس حول نص تحريمها/ لواء، سنة ٦، عدد١١، رجب ١٣٧٢، ص٧٠٢.
- عيد الأم في ضوء الإسلام/ لواء، سنة ١٦، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨١، ص١٩١.
- الرؤيا ذو القعدة/ لواء سنة٩، عدد١٢، شعبان ١٣٧٥، ص٧٤٩.
- الأمان الإسلامية وضرورة تصويرها/ لواء، سنة ٨، عدد٢، شوال ١٣٧٣، ص١١٥.
- الأشهر الحرم ومكانتها عند العرب/ لواء، سنة ٢٣، عدد٨، ربيع الثاني ١٣٨٩، ص٤٤٣.

- إحلال العامية محل الفصحى/ لواء، سنة ٢٣، عدد ٩ - ١٠، رجب ١٣٨٩، ص٥١٥.
- بين العامية والفصحى/ لواء، سنة ٢٠، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٥، ص٢١٢.
- رهبة الموت/ لواء، سنة ٨، عدد٨، ربيع الآخر، ١٣٧٤، ص٥١٤.
- كراهية الموت والخوف منه/ لواء، سنة ١٤، عدد٢، شوال ١٣٧٩، ص٢١٢.
- تفسير " وإن منكم إلا واردها " مريم: ٧١/ لواء، سنة ٩، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٥، ص٧٠٤.
- دين الله فوق الانحراف/ لواء، سنة ٢١، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٧، ص٤١٧.
- الاحتفال بليلة النصف من شعبان/ لواء، سنة ٧، عدد١٢، شعبان ١٣٧٣، ص٧٤٥.
- الأدعية التي يدعى نفع في نشرها وضرر في عدم نشرها/ لواء، سنة ٧، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٣، ص٦١٩.

١٤- السيرة :

- البعث المحمدي، لماذا كان في الجزيرة؟ / لواء، سنة ٢٣، عدد٥، محرم ١٣٨٩، ص٢٧٥.
- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين/ لواء، سنة ٢٠، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٦، ص٤٤٥.
- محمد رسول الله/ لواء، سنة ٢، عدد٧، ربيع الأول ١٣٦٨.
- النبي الأمي/ لواء، سنة ٤، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٠، ص٥٣١.
- النبي السياسي/ لواء، سنة ٦، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٢.
- النبي القوي/ لواء، سنة ٥، عدد٧، ربيع الأول، ١٣٧١، ص٤٢٨.
- الهجرة/ لواء، سنة ١٧، عدد٥، محرم ١٣٨٣، ص٦٨٥.

- من نور الهجرة/ لواء، سنة ٥، عدد٥، محرم ١٣٧١، ٢٩٨.
- الإسراء/ لواء، سنة٧، عدد١، رجب ١٣٧٣، ص٦٨٥.
- المعراج/ لواء، سنة ٧، عدد١١، رجب ١٣٧٣، ص٦٨٥.
- يوم الفرقان/ لواء، سنة ٥، عدد١، رمضان ١٣٧٠، ص٣٤.
- أحداث رمضان/ لواء، سنة ٢١، عدد٢، شوال ١٣٨٦، ص١١٣.
- فتح مكة/ لواء، سنة ١٧، عدد ٢، شوال ١٣٨٢، ص١١٩.

١٥- عقيدة :

- العقيدة الصحيحة: (حلقتان)
- الحلقة (١) لواء، سنة ٢٢، ص ٤٢٥.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ٢٢، عدد ٩، جمادى الأولى ١٣٨٨، ص٤٨٢.
- الحياة الآخرة/ لواء، سنة ١٣، عدد٣، ذو القعدة، ١٣٧٨، ص١٨٦.
- حياة البرزخ نعيم القبر وعذابه/ لواء، سنة ١٤،/ عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٩، ص٢٤٥؟
- نعيم الجنة الذي ذكره القرآن/ لواء، سنة٩، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٥، ص٤٤٧.
- نعيم القبر وعذابه/ لواء، سنة ٧، عدد٢، شوال ١٣٧٢، ص ١١٢.
- الشفاعة/ لواء، سنة ١٤، عدد٩، جمادى الأولى، ١٣٨٠، ص٥٧١.
- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاعة يوم القيامة/ لواء، سنة ٧، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٣، ص (؟).
- الوسيلة/ لواء، سنة ٩، عدد٥، محرم ١٣٧٥، ص٣٢٢.
- الدعاء وصلته بالقدر/ لواء، سنة٧، عدد١٠، جمادى الآخرة ص٦١٩، عام (؟).
- القضاء والقدر والإرادة الإنسانية/ لواء، سنة ٧، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٢.

- الكلام في قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) / لــواء، ســنة ٧، عــدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٣، ص٦١٩.
- القضاء والقدر/ لواء، سنة ١٢، عدد٧، ربيع الأول١٣٧٨، ص٤٢٧.
- الدين والمعجزات/ لواء، سنة ١٢، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٨، ص٦٢٢.
- هل للأنبياء معجزات بعد انتقالهم إلى الرفيق الأعلى/ لــواء، ســنة ٩، عــدد٩، جمادى الأولى عام ١٣٧٥، ص٥٧٩.
- عصمة الأنبياء/ لواء، سنة ٨، عدد٦، صفر ١٣٧٤، ص٣٧٠.
- القول الفصل في تصوير نبي الإسلام/ لواء، سنة ١٦، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨١، ص٢٥٠.
- إظهار الأنبياء الصالحين على الشاشة/ لواء، سن٩، عــدد٩، جمــادى الأولــى ١٣٧٥، ص٥٧٩.
- تمثيل الأنبياء/ لواء، سنة ١٣، عدد٥، محرم ١٣٧٩، ص٣١٨.
- تحضير الأرواح/ لواء، سنة ٧، عدد٢ شوال ١٣٧٢، ص٦١٢.
- الدين وتحضير الأرواح/ لواء، سنة ١٢، عدد١٢، شعبان ١٣٧٨.
- السحر/ لواء، سنة ٩، عدد٢، بشوال ١٣٧٤، ص ١٢٧.
- تسخير الجن لشفاء الأمراض/ لواء، سنة ١٧، عدد٥، محرم ١٣٨٣، ص٣٠٩.
- رفع المسيح حياً إلى السماء/ لواء، سنة ١٧، عدد٤، ذو الحجة ١٣٨٢، ص٢٤٧.
- المهدي المنتظر/ لواء، سنة ١٧، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٢، ص ١٨٧.
- التشاؤم والتفاؤل في نظر الدين/ لواء، سنة ١٧، عدد٦، صفر ١٣٨٣، ص٣٧٣.
- محادة الله ورسوله/ لواء، سنة ١٤، عدد١١، رجب ١٣٨٠، ص٦٧٥.
- إنما وليكم الله ورسوله/ لواء، سنة ١٤، عدد١٨، ربيع الثاني، ١٣٨٠، ٤٨٣.

- حكم الإسلام فيمن اخترعوا من غير المسلمين وأسدوا للبشرية خدمة جليلة وحكمهم في الآخرة/ لواء، سنة ٩، عدد١، رمضان ١٣٧٤، ص٦١.
- الأعمال التي يقوم بها الحي من أجل نفع الميت/ لواء، سنة ٩، عدد١، رمضان ١٣٧٤، ص٣٦٦.
- مسألة خلق القرآن/ لواء، سنة ٦، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٢، ص٦٤١.
- تمثال العذراء الباكي/ لواء، سنة ٧، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٧٣، ص٥٦١.
- الكتب المدرسية والدين/ لواء، سنة ٨، عدد١٢، شعبان ١٣٧٤، ص٧٥٩.
- تقديس الأشخاص/ لواء، سنة ٨، عدد١٢، شعبان ١٣٧٤، ص٧٥٩.

١٦- الأنبياء :

- كون الأنبياء من المشرق/ لواء، سنة ٧، عدد٤، ذو الحجة ١٣٧٢.
- يوم عاشوراء/ لواء، سنة ٨، عدد٦، صفر ١٣٧٤، ص٣٧٠.
- قصة موسى مع فرعون/ لواء، سنة ٢٢.
- مناقشة ما قيل عن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش/ لواء، سنة ١٠، عدد١٢، شعبان ١٣٧٦، ص٧٤٧.
- مسألة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش/ لواء، سنة ٦، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٢، ص٦٤١.
- ما كان بين سيدنا يوسف وامرأة العزيز/ لواء، سنة ٦، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٢، ص٦٤١.
- عودة إلى ما كان بين سيدنا يوسف وامرأة العزيز/ لواء، سنة ٦، عدد١١، رجب ١٣٧٣، ٧٠٢.
- الاحتفال بالمولد النبوي/ لواء، سنة ١٨، عدد٧، ربيع الأول ١٣٨٤، ص٤٢٦.

- أصل الاحتفال بالمولد النبوي/ لواء، سنة ٧، عدد٧، ربيع الأول، ١٣٧٣.
- نسبة الذنب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)/ لواء، سنة ٦، عدد١١، رجب ١٣٧٢، ص٧٠٢.

١٧- حـدود :

- حكم الإسلام في الردة/ لواء، سنة ١٦، عدد١، رمضان ١٣٨١، ص٥٣.
- رجم الزاني المحصن وشرعيته/ لواء، سنة٨، عدد٦، صفر ١٣٧٤، ص٣٧٠.
- فتوى المفتي وإعداد قاتل والديه/ لواء، سنة ٨، عدد٧، ربيع الأول ١٣٧٤، ص٤٤٢.
- حكم الله في الخارجين الموالين لأعداد الإسلام/ لواء، سنة ٧، عدد٥، محرم١٣٧٣.
- الحكم الشرعي فيمن يعين دولة أجنبية على دولة إسلامية/ لواء، سنة١٠، عدد١٠، جما الآخرة ١٣٧٦، ص٦١٩.
- تقيم الحكومة السعودية حدود الله في موسم الحج، حيث يحدث ما يوجب أحياناً إقامة هذه الحدود على بعض المسلمين من غير أهل تلك البلاد، فإذا ما أريد إقامة الحد، اعترضت حكوماتهم، فما حكم الشرع في ذلك؟/ لواء، سنة ١٠، عدد٨، ربيع الآخر ١٣٧٦، ص٥٠٦.
- حد السرقة في المجاعات والأزمات/ لواء، سنة ٧، عدد٣، ذو القعدة ١٣٧٢، ص١٧٤.
- الأخذ بالثأر/ لواء، سنة ١٤، عدد١، رمضان ١٣٧٩، ص٤٨.
- إلغاء عقوبة الإعدام/ لواء، سنة ١٤، عدد٥، محرم ١٣٨٠، ص٣١٤.
- قتل الأولاد عقب الولادة/ لواء، سنة ٩، عدد٦، صفر ١٣٧٥، ص٣٨٥.

١٨- طب :

- مسئولية الطبيب في الفقه الإسلامي : (حلقتان)
- الحلقة (١) لواء، سنة ٢، عدد١١، رجب ١٣٦٨، ص٥٢.
- الحلة (٢) لواء، سنة ٢، شعبان ١٣٦٨، ص٥٣.
- أجرة الطبيب/ لواء، سنة ، عدد٦، صفر ١٣٦٩، ٣٨.
- التلقيح الصناعي في نظر الدين/ لواء، سنة ١٨، عدد ١٢، شعبان ١٣٨٤، ص٧٤٢.
- الإجهاض/
- تشريح الجثث، وهل يتمشى مع الدين وهدي الرسول/ لواء، سنة ١٠، عدد١٠، جمادى الآخرة، ١٣٧٦، ص٦١٩.

١٩- ديانات:

- اليهود ... اليهود: ١/ لواء، سنة ٢١، عدد٩، جمادى الأولى ١٣٨٧، ص٥٤٢، ٢/ لواء، سنة ٢١، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٧، ص٥٤٢، ٣/ لواء، سنة ٢١، عدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٧، ص٦٠٤.
- اليهود ... اليهود/ لواء، سنة ١٧، عدد١٢، شعبان ١٣٨٣، ٧٥٤.
- قتلة النبيين/ لواء، سنة ١٨، عدد١، رمضان ١٣٨٣، ص٢٣.
- بنو إسرائيل في القرآن الكريم/ لواء، سنة ٢١، عدد١، رمضان ٨٦.
- أسطورة تبرئة اليهود من دم المسيح/ لواء، سنة ١٨، عدد١١، رجب ١٣٨٤، ص٦٦٣.
- الديانات السماوية/ لواء، سنة ١٩، عدد٣، ذو القعدة ١٣٨٤، ص١٧٩.

٢٠- مذاهب :

- القاديانية/ لواء، سنة ١٣، عدد٦، صفر ١٣٧٩، ص٣٥٤.

- الاشتراكية/ لواء، سنة ١٤، عدد٧، ربيع الأول، ١٣٨٠، ص٤٤٣.
- بدا الصبح الذي عينين (عن الشيوعية والإسلام) : (أربع حلقات)
- الحلقة (١) لواء، سنة ١٣، عدد ٩، جمادى الأولى ١٣٧٩، ص٥٣٥.
- الحلقة (٢) لواء، سنة ١٣، عدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٩ت، ص٥٩٩.
- الحلقة (٣) لواء، سنة ١٣، عدد١١،، رجب ١٣٧٩، ص٦٦٣.
- الحلقة (٤) لواء، سنة ١٣، عدد ١٢، شعبان ١٣٧٩، ص٧٢٧.
- الإسلام والشيوعية/ لواء، سنة ١٣، عدد١٠، جمادى الآخرة، ص٦٢٥.
- ماذا يريدون ؟ (عن الشيوعيين) لواء، سنة ١٨، عدد١٢، شعبان ١٣٨٤، ص٧٢١.
- الوجودية والشيوعية/ لواء، سنة ١٣، عدد٢، شوال ١٣٧٨، ص١١٨.
- الديمقراطية [(١)] / لواء، سنة ١٤، عدد٦، صفر ١٣٨٠، ص٣٨٠.
- طائفة الإسماعيلية، ومقدار صلتها بالإسلام/ لواء، سنة ١١، عدد٦، صفر ١٣٧٧، ص٣٨٦.
- الصوفية وعلاقتها بالدين/ لواء، سنة ٩، عدد ١٠، جمادى الآخرة ١٣٧٥، ص٦٤٠.
- التصوف في الإسلام/ لواء، سنة ١٣، عدد١٢، شعبان، ١٣٧٩، ص٧٥٨.

---

(١) الديمقراطية: كلمة مركبة أصلاً من كلمتين يونانيتين (ديموس) أي الشعب و (كراتوس): أي الحكم، ومعناها الحرفي في السياسة هو حكومة الشعب وهي بمدلولها العام تتسع لكل مذهب سياسي يعتبر إرادة الشعب مصدراً لسلطة الأحكام. (الموسوعة العربية الميسرة/ ٨٣٧/١) وهي على هذا المبدأ تخالف الإسلام الذي يجعل الحكم لله لا للشعب.

٢١- تراجم :

- الإمام علي بن أبي طالب/ لواء، سنة ١٩، عدد٢، شوال ١٣٨٤، ص١١٠.
- شهيد كربلاء/ لواء، سنة ١٩، عدد١٠، جمادى الآخرة ١٣٨٥، ص٦٤٥.
- سيرة أبي حنيفة/ لواء، سنة١، عدد٧، ربيع الأول ١٣٦٧.
- محمد عبدالله دراز/ لواء، سنة ١١، عدد١١، رجب ١٣٧٧، ص٦٨٩.

الفصل الثاني منهجه في تقرير العقيدة

المبحث الأول: موقفه من الاستدلال بالقرآن والسنة

ذكر الشيخ رحمه الله منهجه في تقرير العقيدة في كتابة العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، وفي كتابه عن شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الندوات في مجلة لواء الإسلام، فهو رحمه الله يرى أن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيهما كل الغناء ليعرف المسلم عقيدته كلها، يقول في ذلك : "كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيهما كل الغناء ليعرف المسلم عقيدته كلها، وأن ذلك الورد الصافي ليس فيه ما يرنق صفاء العقول، وأن السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عنهم كان علمهم من القرآن، وهديهم من محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا مع ذلك أقوى الناس إيمانا، وأشدهم يقيناً، وأكثرهم اطمئناناً ولقد سلك المسلمون من بعدهم سبيلهم، واتبعوهم بإحسان"[(١)].

وإن هذا الكلام يفهم منه أن الشيخ يأخذ بكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة سواء أكانت متواترة أم آحاد، لكننا نجد الشيخ لا يلتزم بما قرره في الكلام السابق؛ بل نجده يستثنى من ذلك خبر الآحاد. يقول في كتابه العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم: "وعلى هذا المنهاج نسير، فنرى أن الأصل في إثبات العقائد لا يكون إلا بالكتاب الذي لا يقبل التأويل والسنة المتواترة التي تثبت العلم الضروري، وأما خبر الآحاد فإننا نرى أنه مع وجوب منع ردّه، ووجوب قبوله لا يثبت العقائد إثباتاً قطعياً"[(٢)].

ويقول أيضاً: "وإنّا في دراستنا في هذا البحث، لنعتمد على ما ثبت بالقرآن الذي لا يقبل التأويل، وما يقبل التأويل مما يتصل بالعقائد تعرضنا لأقرب تأويل، أو

---

(١) ابن تيمية حياته وعصره، ص٢٥١ .

(٢) العقيـدة الإسلامية، ص١٢.

ما يكون تأويله قائماً على دليل من كتاب أو سنة، ومثـل القـرآن فـي الاسـتدلال والاعتماد السنة المتواترة"[١].

ويقول أيضاً: "السمعيات المتصلة بالعقيدة لا تثبت إلا بـالقرآن أو الحـديث المتواتر، شأن كل مسائل العقيدة، فلا يجب الإيمان فيها إلا بقرآن قطعي الدلالة، أو بحديث متواتر قطعي الثبوت... ونحن نؤمن بكل ما جاء به القرآن الكريم، وكل مـا جاءت به السنة المتواترة"[٢].

ويعلل الشيخ عدم أخذه بحديث الآحاد لاحتمال الكذب فيها يقول في ذلك: "أما الأوامر الاعتقادية فلا يجب الإيمان فيها إلا بما ثبت بالدليل القطعي الذي لا شـبهة فيه، وهو ما يثبت بالقرآن الذي يكون قطعي الدلالة، وما يثبت بالسنة المتواترة، أما أحاديث الآحاد فلاحتمال الكذب فيها وإن كان احتمالاً غير راجح ولا دليل عليه، فإنه يجب العمل بها في التكليفات العملية، ولا يجب الإيمان بها في الاعتقاديات"[٣].

النقـــد:

مـا ذهب إليه الشيخ في تقرير العقيدة هو منهـج المتكلمين من المعتزلة [٤]،

---

(١) العقيـدة الإسـلامية، ص١٣.

(٢) مجلة لواء الإسلام سنة (٧) عدد (٢) شوال ١٣٧٢هـ، ص١١٥.

(٣) المرجع السابق نفس السنة والعدد، ص١١٦.

(٤) فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، سلكت منهجاً متطرفاً في الاستدلال على العقائد الإسلامية، وذلك بتقديم العقل على النقل، من رؤوسهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهم، اشتهروا بالأصول الخمسة وهي التوحيد والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعدون من لم يقل بهذه الأصول الخمسة ليس بمعتزلي. وتحت كل واحد من هذه الأصول معنى باطل يخالف ما تبادر منه، فالتوحيد يقصدون به نفي الصفات، والعدل نفي خلق أفعال الله للعباد وهكذا.
أنظر التنبيه والرد للملطي ص ٤٩-٥٩، ومقالات الإسلاميين ٢٣٥/١، والفرق بين الفرق ص١١٤، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١٢٨/٣، والملل والنحل للشهرستاني ص٤ .

والأشاعرة[1] [2]، وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة والجماعة يأخذون بحديث الآحاد في العقائد، ويستدلون به، ويرون إفادته للعلم إذا احتفت بـه القرائن، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته: جاز لي.

ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفت من أن ذلك موجوداً على كلهم"[3].

ويذكر ابن حزم إجماع الصحابة على قبول خبر الواحد رحمه الله: " فـصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عـن النبـي صـلى الله عليـه وسلم"[4]. ويقول أيضاً: "وقد صح الإجماع من الصدر الأول كلهم، نعم وممن بعدهم على قبول خبر الواحد"[5].

ويذكر أبو المظفر السمعاني "أن الخبر إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الثقات والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم هذا قول عامـة أهـل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وأما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد

---

(١) فرقة من الفرق الإسلامية ينتسبون لأبي الحسن الأشعري وخصوصاً في طوره الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، يقدمون العقل على النقل يثبتون سبعاً من الصفات ويؤولون الباقي، وفي الإيمان على مذهب المرجئة، وفي القدر هم جبرية، اشتهروا ببدعة الكلام النفسي.
انظر الملل والنحل للشهرستاني ص٩٤، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام د/ غالب عواجي ٨٥٣/٢ وما بعدها.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ص ٦٧٢، ٦٩٠، والتمهيد للباقلاني ص ٤٤٠-٤٤١، وأصول الدين للبغدادي ص٢٢-٢٣، وأساس التقديس للرازي ص١٢٧.

(٣) الرسالة، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٤) الإحكام شرح أصول الأحكام ص١١٠/١.

(٥) المرجع السابق ص ١١١/١.

لا يفيد العلم بحال، ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم بــه شــيء اخترعتــه القدرية[1]، والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول"[2].

ويقول ابن عبد البر: "وأجمع أهل العلم من أهل الفقــه والأثــر فــي جميــع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبــت ولــم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عــصر مــن لــدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج[3]، وطوائف من أهل البدع"[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "جمهور أهل العلم من جميع الطوائــف علــى أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له، أو عملاً به، أنه يوجب العلم، وهــذا هــو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبــي حنيفــة، ومالــك، والــشافعي، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام، أنكــروا ذلــك، ولكن كثير من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك"[5].

---

(١) القدرية اسم عام يجمع كل من ينفي القدر، وهم طائفتان: الأولى تنفي العلم والكتابة عن الله تعالى، وهم القدرية الغلاة، وقد انقرض هؤلاء، والثانية: تنفي عموم المشيئة والخلق، وهم القدرية غير الغلاة من المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة والإباضية، وهؤلاء يرون أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يخلق أفعال العباد. انظر التنبيه والرد ص ١٧٦، والفرق بين الفرق ص ١٨، ٩١٤، والملل والنحل للشهرستاني ص ٤٣-٤٥ .

(٢) نقلة عنه ابن القيم في مختصر الصواعق، ص ٥٠٤.

(٣) الخوارج طائفة من أهل البدع، حذر منهم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن فتنتهم، وأمر بقتلهم، وأخبر بمروقهم من الإسلام، خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقاتلهم، وقتل كبيرهم ورأسهم ذا الثدية، وهم فرق شتى يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، يجمعهم القول بتكفير مرتكب الكبيرة، والخروج على الإمام الجائر.

انظر التنبيه والرد، ص٦٢، ومقالات الإسلاميين ١/١٦٧، والفرق بين الفرق، ص٧٢، والملل والنحل للشهرستاني ص١١٤، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٩.

(٤) التمهــيد ١/٢

(٥) مجمــوع الفتاوي ١٣/٣٥١.

ويقول ابن أبي العز الحنفي: "خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة"[١].

فمما سبق يتبين لنا أن جماهير أهل العلم يرون أن خبر الآحاد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن، ولهذا فإن أهل السنة والجماعة لا يفرقون في الاحتجاج بأخبار الآحاد بين مسائل العقيدة، وغيرها من مسائل الدين، بل يرون أن أخبار الآحاد تصلح لإثبات أصول الديانات يقول ابن عبد البر: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"[٢].

ويقول شيخ الإسلام: "مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات"[٣].

ويقول ابن القيم: "ولم يزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته"[٤].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٥]: " اعلم أن التحقيق الذي لا يجوز العدول عنه أن أخبار الآحاد الصحيحة كما تُقبل في الفروع تُقبل في الأصول، فما

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٧-١١٨

(٣) المسودة ص٢٤٨.

(٤) مختصر السواعق المرسلة ص٥٠٩.

(٥) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، من علماء شنقيط، إمام في اللغة والفقه والتفسير، والعقيدة، له عدة مصنفات منها أضواء البيان، وآداب البحث والمناظرة، ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز وغيرها توفي عام ١٣٩٣هـ.
انظر ترجمة تلميذه عطيه سالم له في مقدمة أضواء البيان.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة من صفات الله يجب إثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله على نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١، وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تُقبل في العقائد ولا يثبت بها شيء من صفات الله، زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين، وأن العقائد لابد فيها من اليقين، باطل لا يعول عليه، ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد تحكيم العقل"(١).

وقد استدل علماء السلف على أن خبر الآحاد يفيد العلم واليقين وأنه حجة يصلح الاحتجاج به، بأدلة كثيرة وذكروا من الآيات والأحاديث ما يدل على ذلك، وأفردوا في ذلك مصنفات وأبواباً مستقلة(٢) ومن أبرز الأدلة التي استدلوا بها على إفادة خبر الواحد العلم ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]. وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد الثقة، وأنه لا يحتاج إلى تثبت ولو كان خبر الواحد الثقة لا يفيد العلم لأمر بالتثبت في قبوله حتى يحصل العلم، ولو كان خبر الواحد الثقة لا يفيد العلم فإنه حينئذ لا يكون هناك فرق بين الفاسق والثقة في وجوب

---

(١) مذكرة أصول الفقه ص١٠٣.

(٢) انظر الرسالة للشافعي ص٤٥٧ وما بعدها، والإحكام شرح أصول الأحكام لابن حزم١/١١٠ وما بعدها، والتمهيد لابن عبد البر ١/٢ وما بعدها، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٤٦، ومختصر الصواعق المرسلة ص ٤٨٧ وما بعدها والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للألباني، وأخبار الآحاد في الحديث النبوي د/ عبد الله الجبرين ص ١٤٥ وما بعدها، والأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد لسليم الهلالي.

التثبت في الكل، ولكن الآية خصت الفاسق، فدل ذلك على أن خبر الثقة لا يحتاج إلى تثبت في قبوله، بل إنه يوجب العلم"[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾المائدة: ٦٧ وقد قال صلى الله عليه وسلم(بلغوا عني) [٢]. ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبَلَّغ، ويحصل به العلم، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم لا بما لا يعلم صدقه من كذبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التواتر، وهذا من أبطل الباطل"[٣].

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم: (نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه..)[٤].

قال الإمام الشافعي: فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها ... أمر أن يؤديها ولو واحد، دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدّى إليه، لأنه إنما يُـؤَدّى

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص٤٩٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم ٣٢٧٤، ج١٢٧٥/٣.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص٤٩٨.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند بألفاظ مقاربة برقم ٤١٥٧، ١٣٣٥٠، ١٦٧٣٨، ١٦٧٥٤، وقال عنه محققه حديث صحيح، وأخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم برقم ٣٦٦٠، ٣٤٦/٢، وابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علما برقم ٢٣٠، ٨٤/١، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٤) ٦٨٩/١.

عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا، ودّل على أنه قد يحمل الفقه غير الفقيه يكون له حافظا ولا يكون فيه فقيها، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم جماعة المسلمين مما يحتج به في أن إجماع المسلمين لازم"(١). يقول الإمام ابن القيم: "والمقصود أن خبر الواحد العدل لو لم يفد علما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقبل من أدى إليه إلا من عدد التواتر الذي لا يحصل العلم إلا بخبرهم، ولم يدع للحامل المؤدى وإن كان واحداً، لأن ما حمله لا يفيد العلم، فلم يفعل ما يستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه إلى أهل التواتر، وهذا خلاف ما اقتضاه الحديث، ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ندب إلى ذلك وحث عليه وأمر به لتقوم الحجة على من أدى إليه، فلو لم يفد العلم لم يكن فيه حجة"(٢).

٤- أن التفريق بين خبر الآحاد والتواتر في إفادة العلم، أمر حادث لم يدل عليه كتاب ناطق ولا صفة ماضية، ولم يعرفه الصحابة ولا التابعون، فالرسول صلى الله عليه وسلم صدقه المؤمنون فيما أخبر به دون حاجة منهم إلى تواتر المخبرين، وكذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصدق أصحابه فيما يخبرونه به وكذا الصحابة يصدق بعضهم بعضا فيما يُخْبَرُ به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يثبت أن قال أحد منهم لمن حدّثه: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر، وكذا التابعون يلتقون الصحابة ويأخذون عنهم العلم ويصدقونهم فيه دون طلب حصول التواتر. فالقول بعدم إفادة خبر الآحاد العلم خرق لإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام"(٣).

---

(١) الرسالة ص٤٠٢-٤٠٣.

(٢) مختصر الصواعق ص٥٠١.

(٣) انظر مختصر الصواعق ص ٤٧٣ وما بعدها.

٥- أنه تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يبعث الآحاد من الصحابة رسلاً إلى الملوك والولاة ليبلغوا عنه رسالة الإسلام، وأنه يبعث الآحاد من أمرائه وقضاته وسعاته إلى الأطراف ليبلغوا الأحكام والقضاء وأخذ الصدقات ونحو ذلك، فلو كان خبر هؤلاء لا يفيد العلم ولا تقوم به الحجة لما بعثهم، فإن ذلك عبث يتنزه عنه صاحب الرسالة، يقول الإمام الشافعي: "ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعث إلا واحداً الحجة قائمة بخبره على من بعثه إن شاء الله"(١).

٦- أن المسلمين لما أخبرهم الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت إلى الكعبة قبلوا خبره وتركوا الحجة التي كانوا عليها واستداروا إلى القبلة، ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل شكروا على ذلك، وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الأولى، فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لا يفيد العلم"(٢).

وأما ما اعتمد عليه الشيخ أبو زهرة من رده لحديث الآحاد وعدم الأخذ به في العقائد وذلك لاحتمال الكذب فيها فإنه باطل ولا حجة له فيه وذلك لأمور.

الأول: أن الشيخ كفانا المؤونة في الرد عليه فهو قد ردّ على نفسه حيث قال أنه احتمال غير راجح ولا دليل عليه، فكيف بعد ذلك يأخذ الشيخ بهذا القول الذي لا دليل عليه ويترك ما دلت الأدلة على نقضيه وقد سبق إيراد بعضاً منها.

ثانياً: أن أهل السنة لا يقولون باستحالة الخطأ على جميع النقلة، ولا بعصمتهم من الكذب، لكنهم أيضاً في المقابل لا يمنعون من الجزم بصدق بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجدت أمارات تدل على ذلك، من تتبع أخبار الراوي حتى يوقف على صحتها، ومن موافقته لمن هو مثله أو أفضل منه،

---

(١) الرسالة ٤١٥.

(٢) انظر مختصر الصواعق ص٤٩٦.

وغير ذلك من القرائن التي يعرف بها أهل الفن صدق الرواية[١]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم، فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهوري أحاديث الكتابين، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث"[٢].

ويقول الحافظ ابن حجر: "والخبر المحتف بالقرائن أنواع: منها ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ حد المتواتر، فإنه احتف به قرائن، منها: جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى من إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، إلا أن هذا يختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ مما في الكتابين، وبما لم يقع التجاذب لاستحالة أن يفيد المتناقضات العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته"[٣].

الثالث: أن الذين نقلوا لنا الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفات الرب سبحانه وتعالى، وفي القدر والإيمان وغيرها من مسائل الاعتقاد، هم الذين نقلوا لنا أيضاً أحكام الوضوء والغسل من الجنابة، وأعداد الصلوات، وأوقاتها، وأحكام الزكاة والصوم والحج والبيوع، فإن جاز عليهم الكذب في نقل مسائل الاعتقاد جاز عليهم الكذب أيضاً في نقل أحاديث الأحكام، وحينئذ فلا وثوق لنا بشيء نقل عن نبينا صلى الله عليه وسم البتة، وهذا انسلاخ من الدين والعلم والعقل[٤].

---

(١) انظر أخبار الآحاد في الحديث النبوي للجبرين ص١١٠.

(٢) مجموع الفتاوي ١٨/١٧.

(٣) شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ص٩.

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة، ص٥٢٤.

أما قــول الشيخ "وأما خبر الآحاد فإننا نرى أنه مع وجوب منع ردّه ووجوب قبوله لا يثبت العقائد إثباتاً قطعياً"[1]، وقوله في موطن آخر حين ذكر عذاب القبــر وذكر أن هناك أحاديث جاءت في إثبات عذاب القبر قال عنها: "من قبيل الاحتيــاط نتمسك بها ونأخذها على العين والرأس ولا نردها، وفي الوقت نفسه لا نعتبرها جزء من الاعتقاد يجب الإيمان به ويكفر جاحده"[2].

فإنه لا شك أن كلام الشيخ متناقض ولا أدري كيف يوفق الشيخ بــين قولــه: "تأخذها على العين والرأس ولا نردها" وبين قوله "وفي الوقت نفسه لا نعتبرها جزءاً من الاعتقاد يجب الإيمان به ويكفر جاحده"

ويبدو لي أن الشيخ هنا متذبذب ومضطرب أمره فإنه قد درس وتلقى العقيدة على منهج المتكلمين، ثم بعد ذلك اطلع على كلام أهل العلــم وكــلام أهــل الــسنة والجماعة وخصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية والذي شهد له بسعة علمــه ومعرفتــه لكلام السلف من الصحابة والتابعين، فلم يستطع أن ينفك تماماً عن مناهج المتكلمين، ولم يتبيّن رأي السلف أيضاً فاتخذ طريقاً وسطاً في نظــره، وجــاء بهــذا المــنهج الغريب، فإني حسب إطلاعي لم أجد أحداً من أهل العلم المعتبرين ذكر هذا المــنهج الذي اتخذه الشيخ عفى الله عنه.

ثم أن الشيخ عفى الله عنه لم يلتزم بمنهجه هذا، فنجده قــد رد كثيــراً مــن الصفات الخبرية، مع أنه وردت فيها أحاديث صحيحة تثبتها كما سيتضح معنا فــي فصل الاسماء والصفات.

---

(١) العقيــدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ص١٢.

(٢) لواء الإسلام- السنة (٧) العدد (٢) شوال ١٣٧٢هــ ص ١١٥-١١٦.

المبحث الثاني : موقفه من تعلم المنطق والكلام

يري الشيخ أن المنطق أنشأته الضرورة، وأن العلماء الذين تعلموا المنطق إنما تعلموه للدفاع عن الدين الإسلامي من شبهات أعداء الإسلام، ولكي يخاصموا به الكفار المعاندين فإما يقنعوهم أو يفحموهم وقد قسم الشيخ الناس، قسمين مسلمين وغير مسلمين فبالنسبة للمسلمين فإنه لا يسوغ لهم أن يطلبوا عقيدتهم إلا من القرآن الكريم، ففيه علم العقيدة الصافي وفيه الأدلة المنتجة يقينا ولهذا فهم لا حاجة لهم في تعلم الكلام والمنطق.

وأما غير المسلمين فهم طائفتان طالبة للحق فهذه يكفيها ما في القرآن الكريم من الآيات البينات التي تهدي للحق، وطائفة أخرى كفرت على علم وعاندت فهذه لا مانع من أن يسلك معها مثل طريقهم فلعلهم يهتدون وإن لم يهتدوا فيفحمون ويلجمون يقول مبينا رأيه في كلام شيخ الإسلام عن المنطق حينما ذكر أن المنطق ليس له فائدة عملية ولا نظريه، وأنه لا جدوى فيه: (ومهما يكن من أمر الأوجه التي ساقها ابن تيمية والتعليق عليها فأننا بلا شك نوافقه في أمرين:

أحدهما: أن الدراسة المنطقية وحدها لا تؤدي إلى يقين، فإن اليقين في مادة الدليل لا في شكله .

وثانيهما: أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيهما كل الغناء ليعرف المسلم عقيدته كلها، وليس في القرآن بيان العقيدة بياناً إخباريا من كل الوجوه، بل فيه الأدلة المنتجة يقينا، ففيه الحث على النظر وتوجيه العقول إلى الكون، ودلالته على الخالق العليم المريد، ولقد وجد السابقون فيه الأدلة التي انتهت إلى التصديق الصحيح...

وإذا كنا نوافق ابن تيمية في أن القرآن فيه شرح العقيدة وأدلتها، وأن في ذلك الغناء لمن يطلب اليقين، ويريد الحق سائغا غير مرنق بهوي أو انحراف، فإنا لا

نوافق الرازي[1]. عندما قرر في كتابه نهاية العقول أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن بحال ٠٠٠فإذا كان الرازي يترك القرآن وأدلته في إثبات العقائد معتبراً ذلك دليلا سمعياً لا يعول عليه فيها ، فقد ترك موضع الجزم واليقين إلى متاهات العقول وضلال الأفهام ...

نحن إذن نخالف الرازي في هذا المقام بالنسبة للمسلم ، فإن المسلم لايسوغ له أن يطلب عقيدته إلا من القران الكريم ،ففيه علم العقيدة الصافي، والعقول تعمل على إدراكه وفهمه ...

ولكن هل تقف العقول لاتطلب علما وراء علم القران ،وهل يمكن أن يقنع غير المسلم بأحكام القران من غير أدلة وراء أدلته،ولنبين الجواب عن السؤال الثاني: فإن فيه تمهيدا للأول، إن غير المسلمين طائفتان:

أحداهما طالبة للحق لا تبغي غيره ، وفي القرآن هداية لهذه الطائفة فإنها ليس بينها وبين أن تدرك الحق إلا أن تعلمه بالطريق المستقيم، وفي القرآن الكريم قصد السبيل، والهداية إلى الطريق القويم بآيات بينات مثبتة لطلب الحق هادية، وإن السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ آمنوا لما علموا أنه الحق من القرآن نفسه، فلم يكن ثمة احتجاج فلسفي، ولا قياس برهاني بل كان هناك سائغ قامت البينات على أنه حق سائغ ومن كفر من المشركين فلم يكن ذلك لنقص في الدليل، بل كان لضلال القلب وفساد النفوس بالهوى، ومنهم من كان يرى الحق واضحاً ولكن تمنعه الكبرياء الظالمة من الإيمان ....

الطائفة الثانية : من غير المسلمين طائفة كفرت على علم وعاندت وموهت وضلت وأضلت، لا يهتدون بالحق المجرد، ولا بالآيات البيانات، وهؤلاء ممن

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، من كبار الأشاعرة ، له مؤلفات كثيرة منها المطالب العالية، والأربعين في أصول الدين ، والمحصول وغيرها توفى عام ٦٠٦ هـ.
أنظر سير أعلام النبلاء ٢١ /٥٠٠

يرجون بالإسلام خبالاً، ولا يريدون إلا فساداً، لا يكفيهم أن يتلي عليهم القرآن بأدلته، ولا أن يوجهوا إلى الكون، وما فيه من آيات مبصرات توضح للعقول طريق الحق، إنما لابد من أن يقام لهم الدليل، وأن تساق لهم البراهين، وأنه لأجل إلزامهم وإفحامهم لا مانع من أن يسلك مثل طريقهم وأن يخوض الباحث معهم في نظرياتهم ليلزمهم بالقرآن إن وجد في ذلك ما يلزمهم.

وعلى ذلك نقرر أنه يسوغ تعلم تلك العلوم ذوداً عن الإسلام وحماية له ومجادلة بالتي هي أحسن، فعساهم يهتدون وعساهم يعتنقون الحق، ومن استمر منهم على المماراة والمهاترة كان في دراسة أساليبهم ما يفحمه ويلجمه، فإن لم تؤد المجادلة بحججهم إلى الإقتناع أدت بلا ريب إلى الإلزام والإفحام، وإن تلك الطائفة من المخالفين لا تترك الإسلام في هدوء بل إنها تثير حوله الريب فلابد من مجادلتهم، ... لذلك عنى المعتزلة ومن إليهم بالمجادلة معهم، ثم ترجم منطق أرسطو، فأجدى في ذلك وأثمر.

وإن تلك هي جدوى المنطق، فإن جدوى المنطق أنه ميزان الحق بين المتجادلين، وهو الذي يبين زيف الاستدلال، فهو بحدوده وأشكال القياس المنطقي، وضروب التمثيل يوضح الزيف في القول، ويكفي أن يوضع الكلام الزائف في شكل قياس منطقي، وتتعرف الحدود في كل أجزائه، ويعرف العموم والخصوص في مقدماته، ليتبين الخبيث من الطيب ...

ولكن المنطق لا يمكن أن يكون وحده طريقاً للإنتاج فإن ذرائع الإنتاج العقلي لا تتقيد بالمنطق، وقد يكون ميزاناُ ضابطا ومع ذلك ليس هو وحده طريق الضبط العلمي، فإن سلامة الفطرة واستقامة العقل قد تغني عنه كل الغناء في التأليف بين المسائل، والتوفيق بين متنافرها، وحسبك أن تعلم أن العلماء الأولين أنتجوا في أبواب العلم وهم لا يعرفونه وحسبك أن تقرأ الرسالة للشافعي لتري فيها حسن

التنسيق، والتبويب والترتيب، والسلامة العقلية، مع أنه لم يكن بالمنطق على علم، إذ لم يكن قد ترجم أو على الأقل لم يكن قد ذاع وشاع وتداولته الأقلام) [1].

النقد :

لقد ذم السلف والأئمة علم الكلام وحذروا منه، يقول الإمام أبو حنيفة: "وكنت أعد الكلام أفضل العلوم، وكنت أقول هذا الكلام في أصل الدين، فراجعت نفسي بعد ما مضى لي فيه عمر، وتدبرت فقلت: (إن المتقدمين من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم لم يكونوا يفوتهم شيء مما ندركه نحن، وكانوا عليه أقدر، وبه أعرف، وأعلم بحقائق الأمور ثم لم ينتصبوا فيه منازعين ولا مجادلين، ولم يقوموا فيه بل أمسكوا عن ذلك ونهوا عنه أشد النهي، ورأيت خوضهم في الشرائع وأبواب الفقه وكلامهم فيه ... فلما ظهر لنا في أمورهم هذا الذي وصفناه، تركنا المنازعة والمجادلة والخوض في الكلام ورجعنا إلى ما كان عليه السلف) [2].

وقد سئل الأمام أبو حنيفة عما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟

فقال: (مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة) [3].

وقال الإمام مالك بن أنس: (من طلب الدين بالكلام تزندق) [4].

وقال الإمام الشافعي: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل

---

(١) أبن تيمية حياته وعصره ص ٢٥٠ – ٢٥٦ بتصرف.

(٢) مناقب أبي حنيفة للمكي ص ٥٤ – ٥٥.

(٣) ذم الكلام للهروي ٢١٢/٤.

(٤) المرجع السابق ١١٥/٤.

على الكلام) [1]وقال أيضاً: (لقد اطلعت من أهل الكلام على شئ ما ظننت مسلما يقوله، ولأن يبتلي العبد بكل ما نهي الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام) [2].

وقال أبو يوسف: (العلم بالخصومة والكلام جهل والجهل بالخصومة والكلام علم) [3].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: (من طلب الكلام فآخر أمره الزندقة) [4].

وقال الإمام أحمد: (لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة) [5].

وقال أيضاً: (لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل) [6].

ويقول البربهاري: (واعلم أنها لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك ،ولا بدعة ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين إلا من الكلام ،وأهل الكلام، والجدل والمراء والخصومة والعجب) [7].

والنصوص عن السلف في ذم الكلام وأهله كثيرة جداً ولعل فيما أوردته كفاية، ومن أراد المزيد فليرجع لكتبهم [8].

---

(١) المرجع السابق ٢٩٤/٤.

(٢) المرجع السابق ١٠٧/٤.

(٣) المرجع السابق ٢١١/٤.

(٤) ذم الكلام للهروي ٢٢٧/٤.

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن لجوزي ص ٢١٠.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ٩٥/٢.

(٧) شرح السنة للبربهاري ٤٤.

(٨) ومن ذلك خلق أفعال العباد للبخاري، والرد على الجهمية للدار مي ، والإبانة لابن بطة ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالالكائي ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، وذم الكلام للهروي ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ، وصون المنطق والكلام للسيوطي وغيرها من الكتب.

ومن الأمور التي تدل على بطلان علم الكلام وقلة فائدته رجوع أساطين علم الكلام عنه وتحذيرهم منه فها هو أبو المعالي الجويني[(١)] يحذر أصحابه من الاشتغال بعلم الكلام فيقول: (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به) [(٢)].

وقال عند موته: (لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوا عنه، والآن إن لم يدركني ربي برحمته فالويل للجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال على عقيدة عجائز أهل نيسابور) [(٣)].

وقال الشهرستاني [(٤)] في مقدمة كتابه نهاية الإقدام: (أما بعد، فقد أشار إلى من إشارته غنم، وطاعته حتم [(٥)] إن أجمع له مشكلات الأصول وأحل له ما انعقد من غوامضها على أرباب العقول ، لحسن ظنه بي أني وقفت على نهايات النظر، وفزت بغايات مطارح الفكر ، ولعله استحسن ذا ورم ، ونفخ في غير ضرم .

لعمري لقد طفت المعاهـد كلهـا   وسيرت طرفي بين تلك المعـالم

فلم أر إلا واضعها كـف حـائر   على ذقن أو قارعاً سن نـادم[(٦)]

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، الشافعي المعروف بإمام الحرمين ، من كبار الاشاعرة وأعلامهم ، له مؤلفات كثيرة منها الإرشاد في أصول الاعتقاد ، والشامل في أصول الدين والبرهان في أصول الفقه وغيرها توفى عام ٤٦٨ هـ .أنظر سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨.

(٣) ذكره عنه شيخ الإسلام في التسعينيه ٩٢٤/٣ وأورد قريبا منه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٨.

(٤) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، من كبار الأشاعرة وأعلامهم ، له مؤلفات كثيرة منها الملل والنحل ، ومصارعة الفلاسفة ، ونهاية الإقدام في علم الكلام ، وتوفي عام ٥٤٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠.

(٥) هذا الكلام مقيد بقوله (صلى الله عليه وسلم) : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والذي تكون طاعته حتم هو محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦) نهاية الإقدام ص ٣.

وتبرأ ابن عقيل الحنبلي[1] من الكلام وأهله فقال : (يقول على بن عقيل : إنني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب المبتدعة : الإعتزال وغيره ، ومن صحبة أربابه وتعظيم أصحابه ، والترحم على أسلافهم ، والتكثر بأخلاقهم وما كنت علقته ووجد بخطى من مذاهبهم وضلالاتهم فأنا تائب إلى الله سبحانه تعالى من كتابته وقراءته ، وإنه لا يحل لي كتابته ولا قراءته ولا اعتقاده) [2]

ويقول الفخر الرازي :

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال	وغاية سعي العـــالمين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وحاصـــل دنيانـــا أذي ووبـــال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقـــالوا

ثم قال : (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه : ٥] ...... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي).

هذا كلام السلف والأئمة في ذم الكلام والمنطق، بل وكلام أئمة أهل الكلام في عدم جدواه، فكيف بعد هذا يأتي الشيخ ويقول بأهمية تعلم الكلام والمنطق.

---

(١) هو أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، الحنبلي ، فقيه أصولي وواعظ ومتكلم ، كان فطنا شديد المحافظة على وقته ، له كتاب الفنون في أكثر من أربع مئة مجلد ، وحشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة وما يسنح له من الدقائق والغوامض ، وما يسمعه من العجائب والحوادث . توفى عام ٥١٣ هـــ انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩.

(٢) تحريم النظر في كتب أهل الكلام لابن قدامة.

ومما يلاحظ على كلام الشيخ التناقض ففي أول الكلام ذكر أن اليقين في مادة الدليل لا في شكله ثم رجع بعد ذلك وذكر أنه يكفي أن يوضع الكلام الزائف في شكل قياس منطقي .... ليتبين الخبيث من الطيب .

ولاشك أن وضع الكلام الزائف في شكل قياس منطقي لا يكفي ليتميز صحيحه من فاسده . فإذا قلنا مثلاً أن أحمد أسود وكل أسود غبي ، فتكون النتيجة أن أحمد غبي، وهنا لا يمكن أن نميز صدق هذه العبارة من كذبها إذا اعتمدنا فقط على شكل القياس المنطقي.

الباب الأول: آراؤه في الإيمان بالله

وفيه تمهيد وثلاثة فصول .

التمهيد: تعريف التوحيد وأقسامه:

أولاً: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً:

التوحيد لغة: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد والوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله . وفلان واحد دهره أي لا نظير له. وأوحده الله: جعله واحد زمانه، وفلان أوحد أهل زمانه [1].

والواحد أول العدد والجمع وُحْدانٌ وأحْدانٌ ، ويقال وحَدّه كما يقال ثَنّاهُ وثَلَّثَه ورجُلٌ (وَحَدٌ) و (وَحِدٌ) و(وَحِيدٌ) أي منفردٌ وتَوَحَّدَ برأيه تَفَرَّدَ به. فالمادة تدور على الانفراد الوحدة [2].

التوحيد اصطلاحاً:

ذكر العلماء تعريفات كثيرة لمعنى التوحيد [3]، وكلها تؤول إلى معنى واحد حقيقته : (إثبات صفات الكمال لله [4]، وتنزيهه عن أضدادها، وعبادته وحده لا شريك له) [5]، وهذه الحقيقة تشمل جميع أنواع التوحيد الثلاثة التي يذكرها أهل العلم من إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية، والإلوهية، والأسماء والصفات.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة، ٩٠/٦. الصحاح ٥٤٨/٢ . ولسان العرب ٤٥٢/٣.

(٢) انظر: الصحاح للجوهري، ٥٤٨/٢ .

(٣) انظر لهذه التعريفات تفسير الطبري . ٦١٣/١، ٦٤/٢، الإبانة لابن بطه، ١٧٢/٢- ١٧٣. مجموع الفتاوى ، ٤٤٧/٢٢- ٤٤٨. ومنهاج السنة، ٢٩٠/٣. تيسير العزيز الحميد، ص١٧. دعوة التوحيد للهراس، ص٨. القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين، ٥/١

(٤) توحيد الربوبية يدخل في إثبات صفات الكمال لله، لأن أفعال الله تعالى التي هي حقيقة الربوبية من صفاته تعالى.

(٥) الصواعق المرسلة، ٩٢٩/٣.

ثانياً: أقسام التوحيد :

اختلف العلماء في تقسيم التوحيد فمنهم من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الإلوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

ومنهم من قسم التوحيد إلى قسمين :

١- توحيد في المعرفة والإثبات (العلمي الخبري).

٢- توحيد في الإرادة والقصد (القصدي الطلبي).

وهذا الاختلاف في الحقيقة هو من باب اختلاف التنوع لا التضاد، لأن كلاً من الطائفتين قسم التوحيد باعتبار، فالذين جعلوه ثلاثة أقسام قسموه باعتباره متعلقه بالله تعالى، وذلك أن توحيد الله تعالى:

- أما أن يتعلق بأفعال الله تعالى فهو توحيد الربوبية.
- وإما أن يتعلق بأسماء الله وصفاته فهو توحيد الأسماء والصفات.
- وإما أن يتعلق بعبادته سبحانه وتعالى وإفراده بذلك فهو توحيد الإلوهية.

وأما الذين جعلوه قسمين فهم نظروا إليه باعتبار ما يجب على الموحد فيجب عليه في توحيد الربوبية والأسماء والصفات أن يعرف ويثبت، يعرف أن الله هو الخالق، الرزاق، المحيي، المميت ، الرحيم، الودود، ويثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات وهذا يسمى توحيد المعرفة والإثبات (التوحيد العلمي الخبري).

وبالنسبة لتوحيد الإلوهية فيجب على العبد أن يوحد إرادته وقصده لله تعالى فلا يريد ولا يقصد بأعماله إلا الله تعالى وهذا هو التوحيد القصدي الطبي[(١)].

وإذا رجعنا لتقسيم الشيخ أبي زهرة للتوحيد نجد أنه وافق علماء السلف في تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام[(٢)] يقول رحمه الله: (الوحدانية التي قررها القرآن الكريم لها أركان ثلاثة أو نواح ثلاث كل ناحية تشير إلى حقيقة ثبتت من القرآن الكريم، فقد أثبت القرآن الكريم أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه وحده المنشئ، وجاءت بذلك الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه وحده بديع السماوات والأرض، وهذه هي وحدانية التكوين والإنشاء.

وأثبتت نصوص القرآن الكريم أيضاً أن الله تعالى منفرد بذاته وصفاته وأنه تعالى لا يماثله أحد من خلقه وليس شيء من خلقه يشابهه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

وكانت آيات القرآن صريحة في أنه لا يعبد إلا الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [سورة النساء: ٣٦] .﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١].

وكانت وحدانية العبادة والإلوهية ثمرة وحدانية الذات العلية ... هذه هي نواحي الوحدانية، وكلها جاء في القرآن بالنص الذي لا تأويل فيه وبالعبارة لا بالإشارة [(٣)].

---

(١) انظر: في تقسيم التوحيد مجموع الفتاوى. ٣٣١/١٠. ومنهاج السنة النبوية. ٣٠٣/٣، ومدارج السالكين، ٢٣/١. وشرح الطحاوية، ص٧٩. وتيسير العزيز الحميد، ص١٧. ودعوة التوحيد، ١١، ١٢. والقول المفيد على كتاب التوحيد، ٥/١.والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد لعبد الرزاق البدر ، ص١٦ وما بعدها.

(٢) المقصود هنا موافقته لهم في مجرد التقسيم فقط، أما في تفاصيل بعض أنواع التوحيد فهو مخالف للسلف وخصوصاً في توحيد الأسماء والصفات كما سيأتي لاحقاً في مبحث الأسماء والصفات. وهو بهذا يخالف المتكلمين الذين لا يعدون توحيد العبادة من أنواع التوحيد حين يتكلمون عن تقسيم التوحيد.

(٣) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، ص٢٩.

ويقول رحمه الله : (أما بعد، فهذه آية الكرسي، أعظم آية في كتاب الله، كما ورد في بعض الآثار المثبتة في الصحاح، وإنها لتدل على وحدانية الله تعالى بكل شعبها، ذلك بأن الوحدانية لها شعب ثلاث: وحدانية الإلوهية، وقد دلت عليها بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ووحدانية الخلق والتكوين فلا خالق مع الله تعالى، ولا إرادة تمنع إرادته، وقد دل على ذلك بأكثر ما في الآية الكريمة كقوله سبحانه : ﴿ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. والشعبة الثالثة وحدانية الذات والصفات، بمعنى أنه لا يشبهه شيء أو أحد من خلقه[1] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ تعالى الله رب العالمين علواً كبيراً) [2].

ويقول رحمه الله: (وعلى ذلك تكون الوحدانية لها ثلاث شعب، لابد من الإيمان بها كلها:

الأولى: وحدانية المعبود، فلا معبود حق إلا الله سبحانه وتعالى، وهو العلي القدير، فكل عبادة لغير الله تعالى شرك به سبحانه، ومن فعل ذلك فعبادته باطلة فلا يعبد بشر ولا حجر ولا كائن ما كان في الوجود مع رب العالمين، ومن سوغ لنفسه أن يعبد أحداً مع رب العالمين فهو غير مسلم فلا عبادة لنبي ولا لولي.

الثانية: وحدانية الخالق فهو سبحانه وتعالى وحده الخالق لكل شيء فلا شيء من الخلق لأحد من المخلوقين.

---

(١) يركز الشيخ في كلامه عن توحيد الأسماء والصفات على جانب التنزيه، ويهمل جانب الإثبات ولا شك أن هذا المسلك مخالف لمنهج السلف رضوان الله عليهم، ويتضح هذا أكثر في مبحث الأسماء والصفات.

(٢) زهرة التفاسير، ٢/٩٤٢.

الثالثة: وحدانية الذات والصفات، فالله سبحانه وتعالى لا يشابهه أحد من الحوادث[١] وله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، ولم يكن لـــه كفواً أحد وذاته الكريمة واحدة ليست مركبة من أجزاء كالناس، بل هو سبحانه وتعالى فوق كل الخلق) [٢].

---

(١) سبق التنبيه على أن هذا المسلك مخالف لمنهج السلف، ومما تجدر الإشارة إليه أن المصطلحات التي يعبر بها عن وحدانية الذات والصفات هي من مصطلحات أهل الكلام.

(٢) ابن حزم حياته وعصره، ص٢٢٨.

وللاستزادة من النصوص التي تثبت أن الشيخ يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام انظر زهرة التفاسير، ٥٤/١، ١٥٥، ١٥٦، ٤١٩، ٤٢١-٩٣٠/٢، ١٠٨٧، ١٠٨٨ – ١٢٥٨/٣- ٢٤٠٩/٥-٦/ ٢٩٧٦- ٣٩٦٢/٨، ٣٩٦٣، ٤٣٠٤. وابن تيمية حياته وعصره، ص٢٥٧، ٣١٦.

الفصل الأول: آراؤه في إثبات وجود الله وربوبيته

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً

لقد بيّن الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – معنى ربوبية الله سبحانه وتعالى، وتكلم عن معنى الرب وسوف أبيّن معنى كلمة الرب في اللغة، ثم اذكر ما ذكره الشيخ من معاني كلمة الرب .

أولاً: معنى كلمة الرب لغة :

تطلق كلمة الرب في اللغة ويراد بها عدة معان.

المعنى الأول: مالك الشيء وصاحبه.

قال الجوهري [١] : (رب كل شيء مالكه) [٢].

وقال الأزهري [٣] : (كل من ملك شيئاً هو ربه، يقال: هو رب الدابة ورب الدار) [٤].

وقال ابن منظور[٥]: (وربُّ كلّ شيءٍ: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه. ويقال: فلان رَبُّ هذا الشيء: أي ملكه له. وكلُّ من ملك شيئاً فهو ربه. يقال هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهُنَّ ربَّات الحجالِ) [٦].

---

(١) هو إسماعيل بن حماد بن نصر الجوهري لغوي، أديب، له مصنفات منها: تاج اللغة وصحاح العربية، كتاب المقدمة في النحو، مات سنة ٣٩٣هـ، وقيل مات في حدود سنة ٤٠٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٧/٨٠.

(٢) الصحاح، ١/١٣٠- ١٣٢.

(٣) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي الشافعي، أديب لغوي، ولد سنة ٢٨٢هـ، عني بالفقه أولاً ثم غلب عليه علم العربية من تصانيفه تهذيب اللغة، التقريب في التفسير، مات سنة ٣٧٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/٣١٥.

(٤) تهذيب اللغة، ١٥/١٧٦- ١٨٤.

(٥) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي، ولد سنة ٦٣٠هـ، أديب، لغوي، ناثر، ناظم، له مؤلفات منها لسان العرب، مختصر تاريخ دمشق، مات سنة ٧١١هـ، انظر معجم المؤلفين، ٣/٧٣١.

(٦) لسان العرب، ١/٣٦٩.

المعنى الثاني : السيد المطاع . قال ابن منظور: (رَبَبْتُ القوم: سستهم، أي كنت فوقهم) [(١)].

وقال أيضاً: (والعرب تقول لأن يربّني فلان أحب إليَّ من أن يَرُبّنُي فلان، يعني أن يكون رباً فوقي وسيداً يملكني) [(٢)].

المعنى الثالث: المصلح للشيء، المدبر له، القائم عليه.

قال ابن فارس [(٣)]: (الرب: المصلح للشيء، يقال رب فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها) [(٤)]. وقال ابن منظور: (وَربَّ ولده والصبي يَرُبُّه ربًّا، وربَّبَه تَرْبيباً وتَربَّةً ... بمعنى رَبَّاه ... وتَرَبَّبَة، وارْتَبَّه، ورَبَّاه تربية .. وتَرَبَّاه .. أحسن القيام عليه) [(٥)].

وهذه المعاني اللغوية التي أشرت إليها سابقاً قد تطرق إليها الشيخ أبو زهرة في تفسيره لكلمة الرب فقال – رحمه الله – : (فالرب هو المالك، وهو السيد، وهو المصلح والمدبر والجابر، والقائم على كل شيء، الذي يسير الوجود كله بحكمته وبقدرته وإرادته و " الرب " وصف لله تعالى مأخوذ من ربّ الشيء يَرُبُّهُ بمعنى قام بإصلاحه وتقويمه، وتتبعه بالإصلاح والتنمية في كل أدواره ... وهذا المعنى يتلاقى مع " رَبَّي " فإن التربية هي الإصلاح والتغذية، والعمل على الإنماء، ولقد جاء في الصحاح للجوهري : (رّبَّ فُلان ولده يّرُبَّهُ رَبًّا، وتربيه بمعنى: ربَّاهُ، والمربوب المُرَبَّي). وعلى ذلك يصح أن نقول إن الرب من ربَّه، بمعنى نماه، أو من التربية بمعنى الإصلاح والإنماء ..) [(٦)].

---

(١) المرجع السابق، ٣٧٠/١.

(٢) المرجع السابق، ٣٧٠/١.

(٣) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي المالكي، لغوي، فقيه، متكلم، نحوي، وكان شاعراً، له مؤلفات منها مقاييس اللغة، والجمل في اللغة، مات سنة ٣٩٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٠٣/١٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ٣٨١/٢.

(٥) انظر: لسان العرب، ٣٧٠/١.

(٦) زهرة التفاسير، ٥٧/١-٥٨.

ثانياً: معنى توحيد الربوبية اصطلاحاً :

تكلم العلماء في معنى توحيد الربوبية وذكروا تعاريف كثيرة كلها تدور حول إفراد الله تبارك وتعالى بالخلق والحكم [1]، يقول ابن جرير الطبري عند تفسير قول الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] : (فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في مثل سودده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر) [2] ثم نقل قول ابن عباس في تفسير الآية فقال: (قال ابن عباس: يقول: قل الحمد لله الذي له الخلق كله – السماوات كلهن ومن فيهن، والأرضون كلهن ومن فيهن وما بينهن، مما يعلم ومما لا يعلم) [3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه : (فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن) [4] ويقول أيضاً: (توحيد الربوبية، وهو أن لا معطي لما منع الله، ولا مانع لما أعطاه ... وأما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره وقضاه، وإن لم يكن مما أمر به وأوجبه وأرضاه) [5].

وقد تطرق الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – لمعنى الربوبية في أثناء كلامه عن معاني الوحدانية حيث قسم الشيخ الوحدانية إلى ثلاثة أقسام ذكر منها الوحدانية في الخلق والتكوين يقول – رحمه الله – : (الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء فهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما ولقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة مبينة أنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل شيء، وأحسن خلقه، وأنه بديع السماوات

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ٤٠٢/١.

(٢) تفسير الطبري، ٩٢/١.

(٣) المرجع السابق، ٩٢/١.

(٤) الفتاوى، ٣٣١/١٠.

(٥) الفتاوى، ٤٤٧/٢٢– ٤٤٨. وانظر: للاستزادة والوقوف على تعاريف أهل العلم لهذا النوع من التوحيد تجريد التوحيد المفيد، ص٥٠. تسير العزيز الحميد، ص١٧.
القول المفيد لابن عثيمين، ٥/١–٧. وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ٢١/١.

والأرض، أبدعها على غير مثال سابق، وأنه سبحانه المتفـرد بـالخلق والتكـوين والإنشاء، وأن الله سبحانه وتعالى هو وحده المنشئ للكون وما فيه، وأنه المدبر لـه، وأنه وحده الذي يعلم غيبه وظاهره، وأنه سبحانه جعل هذا الكون مسخراً لنعم بنـي الإنسان بإرادته سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي ينجي بعض خلقه من بعض ما خلق، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تـزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء قدير، ولا قادر في هذا الوجود قدرة مطلقة على الكون وما فيه سواه ... وأن الله سـبحانه وتعالى خلق الأشياء، وقدر لها كل ما يقع، وكل ما يكون، وما لا يكون، فكل شـيء بتقديره سبحانه، فإنه هو المريد إرادة مطلقة ولا إرادة مطلقة لغيره في هذا الكون(١)، ولا يمكن أن يقع في ملكه ما لا يريد ...) (٢).

المبحث الثاني: منهجه في الاستدلال على وجود الله وربوبيته

المطلب الأول: دلالة الفطرة على الربوبية :

يقرر الشيخ أبو زهرة – رحمه الله تعالى – أن معرفة الله تعالى فطرية، وأن الفطرة تدل على وجود الله وربوبيته يقول – رحمه الله – : (ولقد بين النبي صـلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة أن الناس يولدون على الفطرة، والفطرة التي فطر الله الناس عليها مستقيمة دائماً لا تخرج عن سنن الحق بمقتضى العهد الفطـري الـذي أخذه على بني آدم من ظهورهم وذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قـالوا

(١) قول الشيخ أن الله هو المريد إرادة مطلقة يتضمن نفي الحكمة عن الله تعالى، وهذا منهج الأشاعرة فهم يرون أن الأشياء إذا كانت معللة بعلل كانت إرادة الله سبحانه وتعالى مقيدة، ولم يكن مريداً بإرادة مطلقة، ولم يكن مختاراً اختياراً مطلقاً ولاشك أن هذا القول مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة كما سيتضح معنا في الفصل الثالث من هذا الباب، انظر: ص ٤١٣.

(٢) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، بحث مقدم في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٣٨٥هـ/ ص٤٣-٤٤ .

بلى شهدنا، وإن الشياطين هي التي تحولهم عن الفطرة إلى الضلالة، ولقد قال صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة، فـأبواه يهودانـه، أو ينـصرانه، أو يمجسانه))، وروى مسلم في حديث قدسي عن النبي صلى الله عليه وسـلم: ((إنـي خلقت عبادي حنفاء، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)) فالله سبحانه خلـق الخلق، وهم يدركون بفطرهم أن لهذا الكون خالقاً، وأنه وحده الذي انفـرد بـالخلق والتكوين، وذلك بمقتضى الميثاق الذي أخذ عليهم بمقتضى الفطرة والغريزة) [١].

ويقول أيضاً في تفسيره لقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢]. الآية يقول – رحمـه الله: (" إذ " ظـرف للـزمن الماضي، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو تذكير بأن الفطرة الإنسانية توجب الإيمان بأن الله رب هذا الوجود وحده، وأنه هو الذي خلقه، وهو واحد بذاته وبـصفاته وقد حتم تعالى ذلك بالفطرة الإنسانية) [٢]، إلى أن يقول: (وقوله تعـالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي حملهم على الإقرار على أنفسهم، أو اتخذ منهم شـهداء علـى أنفـسهم، فاستجابوا، وشهدوا على أنفسهم فهي شهادة الفطرة الإنـسانية الـسليمة بالربوبيـة لله تعالى)[٣].

ويقول رحمه الله : (وإن هذا الذي ذكره الله تعالى من أخذ ذرية بني آدم من الأصلاب فيه تصوير محكم دقيق لتكوين الفطرة الإنسانية علـى الإقـرار بمعنـى الربوبية، والتوحيد، لسلامة التكوين وأنه سوى خلقه فأحسن تسويته، وأنـه صـوره فأحسن صورته) [٤]، ويقول – رحمه الله – : (... وهذا يـدل علـى أن الفطـرة السليمة تدرك بذاتها من فطرها، ولذا قال تعالى في ديـن الحـق: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى

---

(١) زهرة التفاسير، ٦/٢٨١٦.
(٢) زهرة التفاسير، ٦/٣٠٠٢.
(٣) المرجع السابق، ٦/٣٠٠٤.
(٤) المرجع السابق، ٦/٣٠٠٤.

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾) [سورة الروم: ٣٠] [١].

وما قرره الشيخ أبو زهرة رحمه الله من أن الفطرة تدل على وجود الله وربوبيته قول صحيح دلَّ عليه الكتاب والسنة، وقامت الأدلة العقلية على صدقه.

فأما دليل ذلك من القرآن هو قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الروم:٣٠].

يقول ابن جرير الطبري [٢] – رحمه الله – : (فسدّد وجهك نحو الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين حنيفاً، يقول: مستقيماً لدينه وطاعته، فطرة الله التي فطر الناس عليها، يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾ وذلك أن معنى ذلك : فطر الله الناس على ذلك فطرة) [٣].

ويقول ابن كثير [٤] – رحمه الله – : (فسدّد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره) [٥].

---

(١) زهرة التفاسير، ٢٥٦٣/٥.

(٢) محمد بن جعفر بن يزيد الطبري، مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، فقيه، أصولي مجتهد، ولد سنة ٢٢٤هـ، مؤلفاته كثيرة منها جامع البيان في تأويل القرآن، اختلاف الفقهاء، مات سنة ٣١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٦٧/١.

(٣) تفسير الطبري، ١٨٢/١٠– ١٨٣.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد سنة ٧٠٠هـ، له مؤلفات كثيرة منها تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، مات سنة ٧٧٤هـ، انظر: الدرر الكامنة، ٤٠٠/١.

(٥) تفسير القرآن الكريم، ٤٤٢/٣.

ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (والله سبحانه وتعالى قد فطر عباده على الإقرار به وعبادته وحده، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم:٣٠]) [١].

وأما من السنة النبوية ففي الصحيحين عن أبي هريرة [٢]– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)) [٣]، ثم يقول أبو هريرة – رضي الله عنه –: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

يقول الإمام ابن القيم: (ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل: ولد على الفطرة، أو على الإسلام، أو على الملة، أو خلق حنيفاً، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النحل : ٧٨]، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته، وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت من المعارض) [٤].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧٥/١.

(٢) هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، ولازم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي، روى كثيراً من الأحاديث النبوية، مات سنة ٥٧هـ.
سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟ ... حديث رقم (١٣٥٨)، ص٢٦٧، وأخرجه بنحوه مسلم في كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٦٥٨)، ٢٠٤٧/٤.

(٤) شفاء العليل، ٧٨٩/٢.

وفي الحديث القدسي: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) [(١)].

وأما الأدلة العقلية التي تدل على أن الخلق مفطورون على دين الله، الذي هو معرفته والإقرار به ومحبته والخضوع له فتتبين من وجوه منها [(٢)] :

الوجه الأول: أن الإنسان مدفوع بطبعه إلى ترجيح ما فيه منفعته، ودفع ما فيه مضرته، فيرجح الصدق على الكذب، والحق على الباطل، كما يميل بطبعه إلى طلب الأكل عند الجوع والماء عند العطش، وفي هذا دليل على أن في فطرة كل إنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النافع، وحينئذ فالإقرار بوجود الخالق ومعرفته والإيمان به إما أن يكون هو الحق أو نقيضه؟ والثاني معلوم الفساد قطعاً، فتعين الأول، وحينئذ فيجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الخالق والإيمان به.

الوجه الثاني: من المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل بذلك، وإلا فلو عُلّم الجمادى والبهائم لم يقبلا، ومعلوم أن حصول إقرارها بالخالق ممكن من غير سبب منفصل من خارج، وتكون الذات كافية في ذلك فإذا كان المقتضي قائماً في النفس وقُدِّر عدم التعارض، فالمقتضى

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (٢٨٦٥) ، ٢١٩٧/٤.

(٢) انظر هذه الوجوه في درء تعارض العقل والنقل، ٤٥٦/٨- ٤٦٨، وكذلك ذكرها ابن القيم في شفاء العليل، ٨٢٥/٢- ٨٣٦، وذكرها أيضاً شارح العقيدة الطحاوية، ص٨٤، واختصرها د/الجليند في تقريب درء تعارض العقل والنقل، ص٢٦٠- ٢٦٨.

السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطـــرة الـــسليمة إذا لـــم يحصل لها ما يفسدها، كانت مقرة بالخالق عابدة له.

الوجه الثالث: أن النفس لا تخلو عن الشعور والإرادة، بل هذا الخلو ممتنع فيها. فإن الشعور والإرادة لوازم حقيقتها، ولا يتصور أن تكون النفس إلا شـــاعرة مريدة، ولا يجوز أن يقال: أنها قد تخلو من حـــق الخـــالق تعـــالى عـــن الشعور بوجوده وعدمه، وعن محبته وعدم محبته، وحينئـــذ فـــلا يكـــون الإقرار به ومحبته من لوازم وجودها، ولو لم يكن لها معارض، بـــل هـــذا باطل. وذلك أن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها، وكونها مريدة من لوازم ذاتها، لا يتصور أن تكون نفس الإنسان غير مريدة. وإذا كـــان كذلك فلابد لها من مراد تحبه وتطلبه، والمراد إما أن يكون مراداً لنفـــسه أو لغيره، والمراد لغيره لابد أن ينتهي إلى مراد لنفسه، وإذا كـــان لابـــد للإنسان من مراد لنفسه، فهذا هو الإله الذي يألهه، فإذا لابد لكل عبد من إله، فعلم أن العبد مفطور على معرفة الخالق ومحبته والتأله له.

فإن قيل: ما ذكر يستلزم أنه لابد لكل حي من إله، أو لكل إنسان من إله، لكن لم لا يجوز أن يكون مطلوب النفس مطلق المألوه، لا مألوهاً معيناً، وجنس المراد لا مراداً معيناً.

فالجواب أن يقال إن هذا ممتنع، فإن المراد إما أن يـــراد لنوعـــه أو لعينـــه، فالأول مثل كون العطشان يريد ماءاً، والشبعان يريد طعاماً، فإرادته هنا لـــم تتعلـــق بشيء معين، فإذا حصل عين من النوع حصل مقصوده.

والمراد لذاته لا يكون نوعاً، لأن أحد المعنيين ليس هو الآخر، فلو كان هـــذا مراداً لذاته، للزم أن لا يكون الآخر مراداً لذاته، وإذا كان المراد لذاته هـــو القـــدر

المشترك بينهما، لزم أن يكون ما يختص به أحدهما ليس مراداً لذاته، وإذا لم يكن مراداً لذاته، لزم أن يكون ما يختص به كل منهما ليس مراداً لذاته. والكلي لا وجود له في الأعيان إلا معيناً، فإذا لم يكن في المعينات ما هو مراد لذاته، لم يكن في الموجودات الخارجية ما هو مراد لذاته، فلا يكون فيها ما يجب أن يألهه أحد، فضلاً عما يجب أن يألهه كل أحد.

فتبين أنه لابد من إله معين هو المحبوب لذاته من كل حي، ومن الممتنع أن يكون هذا غير الله، فلزم أن يكون هو الله، وعُلم أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، وأن كل مولود ولد على محبة هذا الإله، ومحبته مستلزمة لمعرفته والإقرار بوجوده، فعلم أن كل مولود ولد على محبته ومعرفته، وهو المطلوب.

وقبل أن أختم الكلام، أحب أن أنبه على أمر مهم وهو أن الشيخ ينكر أن يكون أخذ الميثاق أخذاً حقيقياً بل يرى أن المجاوبة في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] هي مجاوبة مجازية يقول في ذلك : (وقد قال بعض المفسرين: إن هذه المجاوبة مجازية إذ شبهت حال خلق الإنسان مفطوراً على الإيمان بهذه المجاوبة، ونحن نقول تبعاً لهذا التخريج) [١].

ولاشك أن تفسير الميثاق بالفطرة قول مرجوح عند السلف يخالف مذهبهم المعتمد[٢]، فإن علماء السلف مطبقين (على إجراء الميثاق على حقيقته وظاهره

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٠٠٤/٦.

(٢) انظر السنة لابن أبي عاصم، ٨٧/١. وتفسير الطبري، والشريعة للآجري، ٧٤٨/٢- ٧٥٣. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي، ٥٥٨/٣- ٥٦٣. وتفسير البغوي . وزاد المسير لابن الجوزي. والدر المنثور للسيوطي. عند تفسير قوله تعالى: {وإذ أخذ ربك}

المتبادر من النصوص والآثار دون أن يذكروا في ذلك خلافاً أو إشكالاً) [1]، ومن النصوص والآثار التي وردت عن السلف ما رواه الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فأخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار) [2].

---

(١) انظر ميثاق الإيمان لشيخنا د/ عيسى السعدي.

(٢) سنن الترمذي تفسير القرآن حديث رقم (٣٠٠١)، وأخرجه بنحوه مالك في الموطأ كتاب الجامع برقم (١٣٩٥)، وأحمد في المسند، مسند العشرة برقم (٢٩٤) ، وأبو داود في كتاب السنة برقم (٤٠٨١)، والحديث أعله ابن عبدالبر وغيره بالانقطاع والجهالة، وقد ذكر الدكتور عبدالعزيز العثيم أن إعلال الحديث بالجهالة والانقطاع غير متجه، وأن الحديث لا ينحط عن رتبة الحسن، فجهالة مسلم بن يسار جهالة عين لا جهالة حال، ومجهول العين تقبل روايته إذا وثقه غير من انفرد بالرواية عنه، وقد وثق مسلماً عدد من الأئمة، وعلة الانقطاع تزول إذا روى الحديث موصولاً من طريق آخر، وقد روي موصولاً من عدة طرق، ولهذا قال الدارقطني: إن وصله أولى بالصواب، وعلم من هذه الطرق الموصولة أن الواسطة بين مسلم بن يسار وعمر بن الخطاب هو نعيم بن ربيعة، وثقه ابن حبان، وقال ابن حجر: مقبول، وإنما قال ذلك لقلة حديثه، فلا يؤثر ذلك في روايته، وعلم من طرق الحديث أيضاً أن راوٍ آخر اسمه عمارة شارك مسلماً في الرواية عن نعيم بن ربيعة مما يزيد الثقة بحديثه ويعضد الحكم بحسنه كما نص على ذلك الترمذي أو الحكم بصحته كما هو رأي ابن حبان والحاكم والذهبي. انظر أخذ الميثاق ، د/ عبدالعزيز العثيم ، ص٧-١٥ نقلاً عن ميثاق الإيمان د/ عيسى السعدي، ص١١-١٢.

ومنها أيضاً ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: (يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي) [1].

ومن الآثار ما رواه الفريابي بسنده عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: (جمعهم ثم جعلهم أرواحاً فاستنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ... قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، فقالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك ....) [2] الحديث.

المطلب الثاني: دلالة الخلق على الربوبية :

تقدم أن الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وربوبيته أمر فطري بدهي، فطر الله الناس عليه [3]، ولكن هذه الفطرة قد تنحرف وتفسد، فجاءت الآيات القرآنية تقرر وجود الله وربوبيته، وتذكّر الإنسان بما استقر في فطرته من معرفة الله وربوبيته، وذلك بالإشارة إلى دلالة الخلق على الخالق سبحانه وتعالى، ولا شك أن كل المخلوقات تدل على وجود الله وربوبيته، إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته سبحانه وتعالى،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقانق، باب صفة الجنة والنار، برقم (٦١٨٩) ج٥/ ٢٣٩٩.

(٢) كتاب القدر للفريابي برقم (٥٢) ص٦٤-٦٥، والشريعة للآجري برقم (٤٣٥) ج٢/٨٥٨- ٨٥٩، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٣-٣٢٤)، وقال الحاكم : (صحيح الإسناد لم يخرجاه) ووافقه الذهبي . وللاستزادة من الآثار انظر ميثاق الإيمان د/ عيسى السعدي.

(٣) انظر: ص ١٠١ من البحث.

وما ثمَّ إلا خالق ومخلوق، والمخلوق يدل على خالقه فطرةً وبداهةً، إذ ما من أثر إلا وله مؤثر، كما اشتهر في قول الأعرابي الذي سئل: كيف عرفت ربك؟ فقال: (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وجبال وبحار وأنهار، أفلا تدل على السميع البصير) [1].

وقد نبّه الشيخ أبو زهرة – رحمه الله – في تفسيره إلى هذه الدلالة في أكثر من موضع يقول – رحمه الله – : (ولقد بيّن سبحانه دلائل وحدانيته، وأنه خلق الوجود بإرادته، ولم يخلق الوجود من غير إرادة خلاقة مسيطرة على ما في الوجود يعرف ما خلق، ويدبره والدليل على ذلك:

أولاً: تنوع خلقه من سموات وأرضين، ومن ماء ينزل فيحي الأرض بعد موتها، مما يدل على أنه مخلوق بإرادة واحدة.

ثانياً: تصريف الوجود من حال إلى حال، من ظلمة، ونور، وليل، ونهار، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل.

ثالثاً: المخلوقات المستمرة من رياح تتحرك، وسحاب مسخر، وجريان الفُلك على الماء بأمره، وكل ذلك لمعنى أريد، وغاية قصدت لا تكون إلا من خالق منفرد، بالإيجاد.

رابعاً: الإيجاد بالتوالد المستمر في هذا الوجود مما يدل على وحدة الموجد ... هذه إشارات إلى بعض ما في الآية من بينات، وأدلة على أن خالق الكون واحد مدبر وحده لا يشاركه في هذا الإيجاد المحكم الذي يسير على سنة رسمها منشئه، لا تقدير لخلق إلا من الله وحده .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/١٩٧.

وآية السماوات وما فيها من أبراج، ونجوم، وارتفاعها بغير عمد ترونها، وما فيها من الشمس، والقمر، والنجوم السائرة الباهرة مشرقة، ومغربة، نيرة، وغير نيرة.

وآية الأرض وما فيها من بحار، وجبال رواسي، وما في باطنها من فلزات ومعادن، وماس، وما في بحارها من لآلئ، ومرجان، وعنبر، فكل هذا آية على وجود الله تعالى ووحدانيته، فهو خالق الوجود وحده) [١]. ويقول – رحمه الله – : (هذا الذي ذكره سبحانه من خلق السماوات، والأرض، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، والمطر الذي ينزله من السماء، وتصريف الرياح بسنن كونية نظمها والسحاب المسخر بين السماء والأرض، فيه آيات بينات، وأدلة واضحات قاطعة تدل على وجود الله تعالى وانفراده سبحانه بتدبير الكون، وعلى أن إرادة واحدة هي التي أنشأته وهي التي تديره، سبحان الله رب العالمين) [٢].

ويقول – رحمه الله – تحت تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ .... ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]. يقول: (إن الذي أنشأ الأشجار، وأنشأ الزروع والثمار هو الله تعالى ... وكل هذه من نعم الله تعالى ما أنشأناها، ولكن أنشأها خالق هذا الوجود فهو الذي يتولاها في نموها من حبة فلقها، أو نواة شقها، إلى أن تصير نباتاً غلظ سوقه، أو نخلة عالية ... وإن هذا التنويع في التكوين، وإشباع الحاجات الإنسانية يدل على فاعل مختار لما يريد) [٣].

ويقول – رحمه الله –: (وفي هذه الآية أدلة ثلاثة : أحدها: أن التغيرات لابد لها من مغير. والثاني: على المنة سبحانه وتعالى علينا. فلو شاء إذ خلقنا ألا يخلق لنا غذاء ... الثالث: على القدرة في أن يكون الماء الذي من شأنه الرسوب يصعد

---

(١) زهرة التفاسير، ٤٨٧/١.
(٢) المرجع السابق، ٤٩١/١.
(٣) زهرة التفاسير، ٢٦٩٩/٥.

بقدرة الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة إلى أعاليها، حتى إذا انتهى إلى آخرها أنشأ فيها أوراقاً ليست من جنسها، وثمّ خارج، ومن صفته الجرم الوافر، واللون الزاهر، والجني الجديد، والطعم اللذيذ، فأين الطبائع وأجناسها، وأين الفلاسفة وأناسها، هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان، أو ترتب هذا الترتيب العجيب، فلا يتم في العقول إلا لحي عالم قدير مريد، فسبحان من له في كل شيء آية، ونهاية وإن هذا الكلام كما ترى يتجه إلى أمرين هما أساس التوحيد: أولهما أن الله تعالى خالق كل شيء بإرادته المختارة، وثانيهما: أنه قائم على هذا الوجود، وأنه وحده الذي يّرُبّه، ويدبر أمره، وهو الحي القيوم الذي لا يماثله أحد فيه، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[سورة الأنبياء: ٢٢] [١].

ويقول – رحمه الله – : (الناس صنفان أحدهما: له عقل مستقيم يدرك، والثاني: غلبت وسيطرت عليه الخيالات، فأما الذي أتاه الله تعالى عقلاً يدرك فإنه يفكر في خلق السماوات والأرض وما بينهما، ويأخذ دليلاً على وجود خالقهما من الأثر وقوة المؤثر، ثم يجيء الرسل فيهتدي بهديهم ويتبع ما يدعون إليه)، وهو الذي ينطبق عليه الوصف القرآني الكريم: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [سورة طه: ٥٠]. فالهداية ثمرة العلم بالخلق ..) [٢].

فمما سبق يتبين لنا موافقة الشيخ أبو زهرة لأهل السنة والجماعة في هذه الدلالة وقد استدل بها الإمام الطبري [٣]، وأبو الشيخ بن حيان الأصبهاني [٤]،

---

(١) زهرة التفاسير، ٥/٢٧٠٠.

(٢) زهرة التفاسير، ٧/٣٥٦٧، وللاستزادة انظر: زهرة التفاسير، ١/٤٩١- ٢/ ٥/٢٦٩٨ – ٦/٢٨٢٨، ٢٨٦١، ٣٠٢٠- ٧/ ٣٨٩٥، ٣٨٩٦- ٨/٣٩٩٩، ٤١٨٩، ٤١٩٣- ١٠/٥٣٠٩ ، وانظر أيضاً: المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٥٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ٢/٦٢- ٦٦.

(٤) انظر: كتاب العظمة، ١/٢٧١- ٢٨٦.

والإمام بن منده [١]، وابن تيمية [٢]، وابن القيم [٣]، وابن كثير [٤]، والصنعاني [٥]، وغيرهم يقول شيخ الإسلام: (فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن ، ومولوداً مخلوقاً من نطفة، ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول صلى الله عليه وسلم بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودل به وبينه واحتج به فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به وهو عقلي لأن بالعقل تعلم صحته، وكثير من المتنازعين في المعرفة هل تحصل بالشرع أو بالعقل لا يسلكونه وهو عقلي شرعي، وكذلك غيره من الأدلة المذكورة في القرآن مثل الاستدلال بالسحاب والمطر ...)[٦].

ويقول ابن كثير: (وقال آخرون: من تأمل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار المنيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور على الفكر العظيم في كل يوم وليلة دويرة، ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار الملتفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها ... وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع العباد، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، علم وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ...) [٧].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، ٩٧/١.
(٢) انظر: النبوات، ٢٩٢/١- ٢٩٣.
(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، ١٨٧/١- ١٨٨.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ١٩٨/١.
(٥) انظر: إيقاظ الفكرة في مراجعة الفطرة، ص١٣٠.
(٦) النبوات، ٢٩٢/١- ٢٩٣.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٩٨/١.

المطلب الثالث : دلالة المعجزة على الربوبية :

يرى الشيخ أن المعجزة تدل على صدق الرسول وإثبات رسالته وأنه مرسل من عند الله تعالى، وإذا ثبتت الرسالة، وجب التصديق بكل ما يخبر به الرسول من الغيب، وما جاء به ودعا إليه من وحدانية الله وربوبيته يقول – رحمه الله – : (والآيات تفيد أيضاً أن الله سبحانه وتعالى يبعث الرسل، ومعهم المعجزات الباهرات الخارقات للعادات التي تثبت أنهم جاؤوا من عند الله تعالى، وأنهم لا يفتروا على الله الكذب) [1] ويقول – رحمه الله – : (وأنه إذا ثبتت المعجزة، وإنها ثابتة لا محالة، فقد ثبت كل ما جاء به ودعا إليه من التوحيد، وألا يشركوا بالله شيئاً) [2]، ويقول أيضاً: (هذه إشارات إلى معجزات سيدنا موسى عليه السلام وكل خارق للأسباب والمسببات مما يدل بذاته أولاً – على أن الله تعالى فعال لما يريد، خلق الأشياء بإرادته وقدرته، ولم تنشأ عنه كما ينشأ المعلول عن علته، وتدل ثانياً على رسالة موسى عليه السلام وبعثه إلى بني إسرائيل، وفرعون وقومه) [3] .

النقد :

ما ذكره الشيخ من دلالة المعجزة على وجود الله وربوبيته فيه اضطراب، وذلك أن يجعل المعجزة مرة تدل على صدق الرسول وإذا ثبت صدق الرسول وجب تصديق كل ما يخبر به، ومن ذلك وجود الله وربوبيته، ومرة يجعل المعجزة تدل بذاتها على وجود الله وربوبيته كما في قوله: (مما يدل بذاته أولاً على أنه الله تعالى فعال لما يريد، خلق الأشياء بإرادته وقدرته).

وهذا الاضطراب ناشئ عن عدم فهم طريقة السلف رضوان الله عليهم فإن طريقة السلف في هذا أن المعجزة تدل بذاتها على وجود الله وربوبيته، وصفاته،

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٩٦.

(٢) زهرة التفاسير، ٣٠٢٠/٦.

(٣) المعجزة الكبرى القرآن، ص٤٠٣-٤٠٤.

وصدق رسله وصحة وعده ووعيده، لا أنها تدل أولاً على صدق الرسول، وإذا ثبت صدق الرسول وجب تصديق كل ما يخبر به، فإن هـذا مـسلك الأشـاعرة الـذين يحصرون دلالة المعجزة على الصدق فقط بخلاف السلف الذين يرون أن المعجـزة تدل على صدق الرسول وغيره.

يقول شيخ الإسلام: (نفس المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله، لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها، وأنـه أحـدثها لتـصديق الرسول، وإن لم يكن قبل ذلك قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع.

وقد يقال: أن قصة موسى من هذا الباب، قال تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ .... إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥-٥١]، ففرعون كان منكراً للصانع، مستفهماً عنه استفهام إنكار، سواء كان في الباطن مقراً به أو لم يكن، ثم طلب من موسى آية فأظهر آيته، ودلّ بها على إثبات إلهية ربه وإثبات نبوته جميعاً ... ولهذا قال السحرة لما عارضوا معجزته بسحرهم، فبطل سحرهم، وتبين أن تلك آية لا يقدر عليها المخلوقين: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٧-٤٨] ، فكان إيمانهم بالله لما شاهدوا معجزة موسى صلى الله عليه وسلم، فكانت المعجزة بينة للعلم بالصانع وبصدق رسوله) [(١)].

ويقول أيضاً – رحمه الله – بعد أن ذكر آيات سورة الشعراء من قوله تعالى: ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الشعراء:١٥] ، إلى قوله تعـالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء:٣٣]: (فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البيّنة التي جعلها دليلاً على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له

---

(١) درء التعارض، ٩/٤١-٤٤.

إلهاً غير فرعون يتخذه، وكذلك قال تعـالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة هود: ١٤]. فبيّن أن المعجزة تـدل على الوحدانية والرسالة، وذلك لأن المعجزة التي هي فعل خـارق للعـادة – تـدل بنفسها على ثبوت الصانع، كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك، لأن الحـوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهذا يسبح الرب عندها، ويمجد ويعظم ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته مـا لـم يحـصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطي حقها، وتدل بظهورها على الرسول، وإذا تبـين أنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله، فتقرر بها الربوبية، والرسالة، لاسيما عند من يقول دلالة المعجزة على صدق الرسول ضرورية) [١].

فشيخ الإسلام يبين أن موسى عليه السلام احتج بالمعجزة على من أنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى أو على من ادعى مقام الإلوهية، فإن القادر وحده علـى خـرق العادة هو رب السماوات والأرض وما بينهما. ولا شك أن هذه الطريقـة مـن أقـوى الطرق وأوثقها في الدلالة على الخالق. يقول ابن القيم: (ليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، إن انقلاب عصا تقلها اليد ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمر به، ثم يعود عصا كمـا كانت، من أدل دليل على وجود الصانع، وحياته، وقدرته، وإرادته، وعلمـه بالكليـات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعـاد، فكل قواعد الدين فـي هـذه العصا، وكذلك اليد، وفلق البحر طرقاً، والماء قائم بينها كالحيطان... فكل طريـق مـن هذه الطرق أصح، وأقرب، وأسهل، وأوصل من طرق المتكلمين) [٢].

(١) مجموع الفتاوى، ١١/٣٧٨– ٣٧٩.

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، لابن القيم، ٣/١١٩٧ – ١١٩٨.

المبحث الثالث: عدم كفاية توحيد الربوبية

يرى الشيخ أبو زهرة رحمه الله أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي لثبوت وصف الإسلام للإنسان، بل لابد من توحيد الإلوهية، وإلا كان مشركاً بالله تعالى، يقول رحمه الله: (والعرب كانوا يعرفون الله تعالى، وأنه وحده الذي خلقهم، كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٢٥]، وكانوا يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الزمر: ٣]. فهم يؤمنون بوحدة الخالق المنشئ المكون، ويؤمنون بوحدة الذات والصفات، وإشراكهم كان إشراك العبودية، فهم يعبدون مع الله غيره آلهة أخرى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا) [١].

ويقول أيضاً: (ولا يصح أن نفهم من هذا أن البراهمة يعتقدون التوحيد المطلق الذي نفهمه من كلمة التوحيد، وإلا كان العرب موحدين، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله خالق كل شيء، ولكنهم كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وهذا ليس من التوحيد في شيء، لأن التوحيد الكامل هو التوحيد في العبادة والخلق والاعتقاد، وليس توحيد البراهمة ولا جاهليي العرب شيئاً منه) [٢]، ويقول رحمه الله: (ذكرنا في مواضع كثيرة أن العرب كانوا يعرفون الله ولكن يشركون معه عبادة الأوثان، وغيرهم ما كان يعرف الله إلا مع ثلاثة، أو يعرفونه حالاً في بعض خلقه، أو لا يعرفونه قط، فالعرب كانوا خيراً منهم إن كان في الشر خيار، فكانوا يعرفون أن الله وحده خالق الكون، وأنه يلجأ إليه في الشدة، وأنه ليس مثله أحد من خلقه، ولكنهم يشركون في عبادته، وبذلك ضلوا ضلالاً بعيداً) [٣].

---

(١) زهرة التفاسير، ١/١٥٦.

(٢) مقارنات الأديان، ص٢٤. للوقوف على المواطن الأخرى التي أشار إليها الشيخ انظر: زهرة التفاسير، ٥/٢٧٢٢-٧/٣٦١٠، ٣٦٣٩ – ٨/٤٢٤٠- ٩/٤٥٠٠، ٤٥٣٢- ١٠/٥١٠٧، ٥٢٥٢.

(٣) زهرة التفاسير، ٧/٣٥٢٧.

ويقول رحمه الله: (وأن العرب كان فيهم إيمان بالله، كانوا يؤمنون بأنه الخالق لمن في السماوات والأرض، وانه هو المغيث، وأنه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته ولكنهم مع هذا الإيمان بخلق الله تعالى يشركون معه الأوثان في العبادة، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦][(١)].

ويقول رحمه الله عند قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة مريم: ٣٦] : (وفي ذلك إبطال لأوهام المشركين الذين يقرون لله تعالى بالخلق والربوبية وأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن فيهما، وما فيهما من خلقه، ومع ذلك في العبادة يشركون به الأوثان ويتخذونها أنداداً له سبحانه وتعالى عما يشركون، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد) [(٢)].

وما ذهب إليه الشيخ وقرره في هذه المسألة هو مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم يقول ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦] : (يقول تعالى ذكره: وما يُقر أكثر هؤلاء – الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥] – بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء {إلا وهم مشركون} في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً، وتعالى الله عما يقولون) [(٣)].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله : (وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد ...

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٨٦٩/٧.
(٢) المرجع السابق ٤٦٣٩/٩.
(٣) تفسير الطبري، ٣١٢/٧.

وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء – لم يكن موحداً، بل ولا مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له ... فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين) [(١)].

ويقول رحمه الله: (فأما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق، وقرره أهل الكلام، فلا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم) [(٢)] ويقول أيضاً: (والمشركون من قريش وغيرهم – الذين أخبر القرآن بشركهم واستحل النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم وسبي حريمهم وأوجب لهم النار – كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السماوات والأرض كما قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة لقمان: ٢٥]) [(٣)].

ويقول رحمه الله: (وهذا التوحيد توحيد الربوبية كان المشركون يقرون به فهو وحده لا ينجي من نار ولا يدخل الجنة. بل التوحيد المنجي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بحيث يُقر بأن الله هو المستحق للعبادة دون ما سواه)[(٤)].

---

(١) انظر: درء التعارض، ٢٢/١– ٢٢٦ بتصرف.
(٢) الفتاوى، ٢٣/٢.
(٣) المرجع السابق، ١٥٥/١.
(٤) الاستغاثة في الرد على البكري، ٢٣٢/١،. وانظر للاستزادة، در التعارض، ٥٦/٦ ، ٣٩/٨. ومنهاج السنة، ٢٨٩/٣. الفتاوى، ٣٣٢/١٠، ١٥٠١٤/١٤. اقتضاء الصراط المستقيم، ٨٥٥/٢.

الفصل الثاني : آراؤه في توحيد الإلوهية

تمهيد : أهمية توحيد الإلوهية :

يعتبر توحيد الإلوهية أهم أنواع التوحيد وأعظمهـا، وذلـك لأسـباب كثيرة منها:

أولاً : أنه الحكمة من خلق الجن والإنس، كما قال تعـالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (مـا خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا) [(١)]. ويقول ابن القيم رحمه الله: (فأخبر سبحانه أن الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته التي أصلها كمال محبته وهو سبحانه كما أنه يحب أن يعبد يحب أن يُحمد ويثني عليه ويُذكر بأوصـافه العلي وأسمائه الحسنى) [(٢)].

ثانياً : أنه الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سـورة الأنبيـاء: ٢٥]، وقـال تعـالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

يقول ابن كثير رحمه الله: (... وبعث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولاً وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة مـا سـواه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منـذ حـدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثـه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقـت دعوتـه الإنس والجن في المشارق والمغارب. وكلهم كما قال الله تعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سـورة الأنبيـاء: ٢٥]،

---

(١) تفسير الطبري، ١١/٤٧٦.

(٢) طريق الهجرتين، ص٢٢٨.

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ٤٥])[1].

ثالثاً : أنه أول ما تصدر به الأوامر الإلهية قال تعـــالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ... ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النـساء: ٣٦] . يقول ابن كثيـر: (يـأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هـو الخـالق الـرازق المـنعم المتفضل على خلقه في جميع الآفاق والحالات فهو المستحق منهم أن يوحـدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته] [2]. وقال تعـالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]، يقول ابن جرير: (يعني بذلك تعالى ذكره: حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره) [3].

رابعاً : أنه أول واجب على المكلف كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً [4]، إلى أهل اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فلـيكن أول مـا تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) [5]، وفي رواية: (إن يوحدوا الله) [6].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥٨٩/٢- ٥٩٠.

(٢) المرجع السابق، ٥٠٥/١.

(٣) تفسير الطبري، ٥٧/٨.

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري، الخزرجي، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن مات بالشام سنة ١٨هـ، تقريب التهذيب، ص٩٥٠. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ١٠٧/٦.

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعـاذ إلـى الـيمن حـديث رقـم (٤٣٤٧)، ص٨٩٤، وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين حديث رقم (٢٩)، ٥٠/١.

(٦) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله برقم (٧٣٧٢)، ص١٥٤٥.

خامساً : أنه حق الله على العبيد المقتضي لثبوت حق لهم على الله كما ورد في الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) (١). وهذا الحق ثابت بمقتضى الفضل والإنعام خلافاً لمن جعله بمعنى مجرد الخبر أو جعله بمعنى العوض (٢).

المبحث الأول: آراؤه في توحيد الألوهية و معنى لا إله إلا الله

تبين لنا مما سبق أهمية توحيد الإلوهية، وفي هذا المبحث سأبين معنى توحيد الإلوهية، وقد تكلم العلماء في توحيد الإلوهية وذكروا له معان كثيرة كلها تدور حول إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وأن يكون الدين كله لله، فلا يُخاف إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، فيكون الله تبارك وتعالى أحب إلى العبد من كل شيء فيحب لله، ويبغض لله، ويرجو الله، ويتوكل على الله، ويجعل جميع عباداته القولية والعملية لله تبارك وتعالى (٣)، فإن الإلهية نسبة إلى الإله بمعنى المألوه المعبود، يقال: أَلَه الله فلانٌ إلاهة، كما يقال:

---

(١) رواه البخاري، في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار برقم (٢٧٠١) ج٣/ ١٠٤٩، ٥٧٩، ٥٨٠، روى مسلم نحوه في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة برقم ٤٨، ٥٨/١.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص٥٠٣. والمغني للقاضي عبدالجبار، ٥٣/١٤- ٥٤. الملل والنحل للشهرستاني، ص٤٥. والفصل لابن حزم، ١٩٧/٢.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية، ٢٩٠/٣. واقتضاء الصراط المستقيم، ٨٤٣/٢. ومجموع الفتاوى، ٣٦٧/١، ٢٤٩/١٠. واجتماع الجيوش الإسلامية، ص٩٣، وتيسير العزيز الحميد، ص٢٠. وفتح المجيد، ص١٥. ودعوة التوحيد للهراس، ص٣٧. والقول المفيد لابن عثيمين، ٩/١. وغيرها.

عبدالله فلان عبادة، قال ابن عباس: (الله ذو الإلوهية والمعبودية على خلقه أجمعين)[1].

وهذا المعنى للتوحيد يقر به الشيخ أبو زهرة رحمه الله ويؤكد عليه في كتبه ويعرف توحيد الإلوهية أو العبادة به حيث يقول رحمه الله : (الوحدانية في العبادة ألا يعبد سواه) [2]، ويقول رحمه الله : (والعبادة الخضوع المطلق لله سبحانه وتعالى وحده بحيث يكون القلب لله تعالى، لا يحب إلا لله، ولا يكره إلا لله، والعبادات تعم الصلوات، والزكوات، والصوم، والحج، وغير ذلك مما يكلفه العباد، حتى الأعمال التي تكون بها الحياة، كلها تكون عبادة إذا قصد بالخير فيها وجه الله تعالى، ونفع عباده) [3].

ويقول رحمه الله : (ولفظ الجلالة " الله " قال العلماء: أن أصله: إله، دخلت عليه أداة التعريف " أل " وحذفت الهمزة فصارت: الله ، وهي بهذا المعنى دلت على ذلك " أل " التي تفيد التعريف، فمعنى كلمة الله: الإله المنفرد بالإلوهية التي لا يشاركها فيها سواه[4]، وعلى ذلك تكون كلمة الله تفيد معنىاستحقاق العبادة ومعنى الواحدانية، ومعنى الكمال كله، لأنه المنفرد بذلك كله ... وإن ذلك المعنى المفهوم من لفظ الجلالة وأصل اشتقاقه قد صرح به في هذه الآية الكريمة فقد قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فهو صريح بما فهم ضمناً مما قبله، فاجتمعت في الدلالة على الوحدانية الدلالتان: الدلالة التضمنية، والدلالة اللفظية، أو الدلالة بالإشارة، والدلالة بالعبارة، فكان في ذلك تأكيد فضل تأكيد لمعنى الوحدانية في الإلوهية، معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا معبود بحق إلا هو، وهذا هو المعنى الذي اختاره جمهور المفسرين، وهو واضح وفيه إشارة إلى وقائع الأمور، ذلك لأن بعض الناس

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ٨٢/١. والصحاح للجوهري، ص٥٢.ولسان العرب، ١٠٤٦/٧ – ١٠٤٧.

(٢) العقيدة الصحيحة كما جاء بها القرآن الكريم، ص٤٩.

(٣) زهرة التفاسير، ١٥٥/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري، ٨٣/١. والصحاح ص٥٢. لسان العرب، ١٠٤٦/٧– ١٤٠٧.

عبدوا غير الله تعالى فعبد بعضهم الشمس والكواكب، وعبد بعضهم النـــار، وعبــد بعضهم الأوثان، واعتبروا كل هذه آلهة، فكانت عبادتهم باطلة وبغيــر حــق، إنمــا المعبود حقاً، والمستحق للعبادة صدقاً هو الله سبحانه وتعالى، وهو العلــيم الحكــيم، العلي القدير)[1]، ويقول رحمه الله: (ما تضمنته كلمة الشهادة، أو الشهادتين كما يعبر كثيرون من العلماء، بيان أن المعبود بحق في الإسلام واحد لا يشاركه أحــد، فهــو واحد في الخلق فلا يشاركه في إنشاء هذا الكون وما فيه ومن فيه أحد، وهو في ذاته وصفاته لا يماثله أحد، وفي العبودية لا يستحق العبادة سواه، وهذا صريح الــشهادة الأولى (أشهد أن لا إله إلا الله) ذلك لأنها تضمنت نفياً وإثباتــاً، أو تــضمنت نفــي الإلوهية عن غيره، وتضمنت الاستثناء بعد النفي إثبات الإلوهية له، والإلوهية هــي استحقاقه العبادة وحده) [2].

ويقول – رحمه الله –: (وكلمة " الله " تعالى لا تطلق إلا على الذات العليــة خالق الكون، ومنشئ الوجود على غير مثال، سبق بديع السماوات والأرض. وقالوا: أن أصل كلمة الله الإله، ثم كان حذف الهمزة، مع تقدير أنها مطوية في الكلام مقدرة فيه. والإله تطلق على المعبود، وتعم المعبود بحق وبغير حق، ولكــن كلمــة " الله " تعالى لا تطلق إلا على المعبود بحق ...) [3].

ويقول – رحمه الله –: (وقد صرح الله سبحانه وتعالى بالوحدانية فقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [سورة البقــرة: ١٦٣] ، وقولــه تعالى: {وَإِلَٰهُكُمْ } بالإضافة إليهم فيه إشارة إلى أن المعبود الذي تعبدونه بحق إلــه واحد، فالذين تعبدونهم من أوثان وأحجار ليسوا بآلهة بل إلهكم الحق الذي يجــب أن

(١) زهرة التفاسير، ٩٣١/٢.

(٢) العقيدة الإسلامية كما جاء القرآن الكريم، ص٢٣.

(٣) زهرة التفاسير، ٥٠/١.

تعبدوه واحد لا إله إلا هو، لا يعبد بحق إلا هو، ولا يمكن أن يسمى غيره من الأوثان باسمه، إنما هي أسماء سميتموها ما أنزل الله بها من سلطان) [١].

ويقول رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[سورة آل عمران: ٢] : (هذه الجملة السامية تبيّن أصل التوحيد وتقرر معناه، فابتدأت بلفظ الجلالة الذي يدل على كمال الإلوهية وانفراده سبحانه بحق العبودية ... فقال سبحانه ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو، أو لا إله في الحقيقة والواقع إلا هو، وكل ما يدعى له الإلوهية من شخص أو وثن فهو ليس إلا أسماء سماهم بها المشركون الضالون وليس من حقيقة الإلوهية في شيء) [٢].

النقد :

من النصوص السابقة يتضح لنا أن الشيخ رحمه الله يفسر الإلوهية باستحقاق الله للعبادة وحده دون ما سواه.

ويجعلها هي مدلول كلمة لا إله إلا الله وهو بهذا يخالف منهج المتكلمين في تفسير لا إله إلا الله، فالشيخ يفسرها كما فسرها السلف الصالح رضوان الله عليهم[٣]، ويجعل مدلولها الأصلي على توحيد الإلوهية.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى تفسير المتكلمين لـ (لا إله إلا الله) وبين أنهم يجعلونها تدل على الربوبية، وقد حاول الشيخ عفى الله عنه أن يهون من الخلاف في هذه المسألة بين السلف والمتكلمين، وذلك بجعله قول السلف ثمرة لقول المتكلمين يقول في ذلك: (ولقد سلك بعض العلماء مسلكاً آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ

---

(١) زهرة التفاسير، ٤٨٦/١.

(٢) زهرة التفاسير، ١٠٩٩/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ٦٤/٢. ومجموع الفتاوى لابن تيمية، ١٠١/٣، ٢٠٢/١٣-٢٠٥. وتفسير ابن كثير، ٣١٦/١. وشرح الطحاوية لابن أبي العز، ص٩٢، ١٠٩. وتجريد التوحيد للمقريزي، ص٥٦-٥٧. وتطهير الاعتقاد للصنعاني، ص١٨٩- ١٩٠.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فذكر أن معنى الإلوهية هو تسخير الكون كله لقوة القادر الغالب على كل شيء، وتعلق الخلق كله بخالقه، واتصاله به اتصال إنشاء وتكوين، ثم اتصال تدبير وتنظيم، ثم اتصال خضوع وسيطرة كاملة، وتعلق به سبحانه، وعلى هذا يكون المعنى: لا منشئ، ولا خالق، ولا مسخر، ولا مسيطر على الوجود إلا رب الوجود وهو الله سبحانه وتعالى، ولا خضوع إلا لقدرته، ولا تعلق الأشياء إلا بذاته سبحانه وتعالى، وإذا كان كذلك فإنه لا مستحق للعبادة سواه وبذلك يجيء المعنى الأول نتيجة لهذا المعنى وثمرة له، وهما بهذا متلاقيان وفي الحق أن أصل اشتقاق كلمة " إله " يتضمن معاني الخلق، والعبادة، والمحبة، والضراعة إليه سبحانه) [1].

ولاشك أن قوله (وهما بهذا متلاقيان) لا يسلم للشيخ فإن بين قول السلف في مفهوم لا إله إلا الله وبين قول المتكلمين بون شاسع في النتيجة فإن الإله عند السلف على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط ، ولهذا يقال أله الله فلانٌ إلهة أي عبد الله فلانٌ عبادة يقول ابن جرير الطبري: (فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق)[2]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع) [3].

فالسلف يذهبون إلى أن معنى لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق إلا الله فغاية التوحيد عندهم هو توحيد الإلوهية وهو التوحيد المنجي، أما عند المتكلمين فإنهم يجعلون إله على وزن فعال بمعنى فاعل أي لا خالق ولا رازق ... إلا الله فيكون غاية التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون ولم ينفعهم.

---

(١) زهرة التفاسير ، ١/٩٣١، ٩٣٢.
(٢) زهرة التفاسير ، ١/٩٣١، ٩٣٢.
(٣) تفسير الطبري، ١/١٢٢ تحقيق أحمد شاكر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله، وهم مع هذا يعبدون غيره ... فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه، داعياً له دون ما سواه) [(١)].

ولهذا نجد عدم العناية بتوحيد الإلوهية عند المتكلمين حتى حل التصوف عندهم بدلاً عنه، فحينما نأتي لتعريف التوحيد عندهم لا نجدهم يذكرون الإلوهية وإنما غاية قولهم وتقسيمهم ينحصر في توحيد الذات والصفات والأفعال فيقولون إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له[(٢)].

وهذا التفسير الخاطئ لمعنى لا إله إلا الله جعلهم يخلطون بين الربوبية والإلوهية ولا يفرقون بينهما، فجعلوا من أقر بتوحيد الربوبية مقراً بتوحيد الإلوهية يقول أحمد زيني دحلان [(٣)]: (ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له

---

(١) درء التعارض، ١/٢٢٦- ٢٢٧.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ص٤٢، وشرح جوهرة التوحيد، ص٥٩.

(٣) هو أحمد زيني دحلان شافعي المذهب، أشعري العقيدة، فقيه، مؤرخ، نحوي ولد عام ١٢٣٢هـ بمكة المكرمة، له مؤلفات منها الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين، والدرر السنية في الرد على الوهابية وغيرها توفي عام ١٣٠٤هـ. انظر الأعلام، ١/١٢٥. ومعجم المؤلفين، ١/٢٢٩

بالإلوهية) [1]، ويقول أيضاً: (فإن توحيد الربوبية هو توحيد الإلوهية) [2]، وهذا الانحراف أدى إلى الانحراف في مفهوم الشرك، فإن المتكلمين لا يعتبرون الشرك في الإلوهية شركاً إلا إذا تضمن اعتقاد أن للمعبود قدرة على جلب نفع أو دفع ضر، فالشرك عندهم في الربوبية لا في الإلوهية، فاتخاذ وسائط بينهم وبين الله تعالى يسألونهم ويطلبونهم ما لا يقدر عليه إلا الله ليس شركاً إلا إذا تضمن اعتقاد استقلالية المطلوب منه وقدرته على الاختراع والتأثير [3].

يقول دحلان: (الذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد إلوهية غير الله سبحانه، أو اعتقاد التأثير لغير الله ولا يعتقد أحد من المسلمين إلوهية غير الله، ولا تأثير أحد سوى الله) [4]. وعلى هذا فيكون كل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله لا يعتبر عندهم مشركاً إلا إذا تضمن اعتقاد إلوهية غير الله أو اعتقاد تأثيره ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكل هذه الطوام إنما نشأت بناءاً على التفسير الخاطئ لمعنى لا إله إلا الله، ولهذا لا يسلم للشيخ إظهاره للخلاف بين السلف والمتكلمين بهذه الصورة، والتي يخيل للقارئ أنه لا خلاف بين التفسيرين.

---

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٤١.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) انظر شفاء السقام للسبكي، ص١٧٥. والدرر السنية للرد على الوهابية، ص٣٥. وشواهد الحق للنبهاني، ص١٥٠. ومفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي المالكي، ص١٠٣- ١٠٥.

(٤) الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص٣٤.

المبحث الثاني: منهجه في الاستدلال على الإلوهية

اعتنى الشيخ رحمه الله في تفسيره بتوحيد الإلوهية، والاستدلال عليه، وقد بيّن الشيخ رحمه الله أن الدعوة إلى توحيد الإلوهية هي دعوة جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى أقوامهم يقول رحمه الله : (أكد سبحانه وتعالى بعثه للرسل بأن بعث لكل أمة رسولاً، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعاً من الرسل، أكد ذلك باللام وقد، ولقد عين سبحانه رسالة كل رسول من هؤلاء الرسل فقال: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

(أن) تفسيرية فهي مفسرة بمعنى الرسالة، وهي الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت ... فالدعوة إلى الوحدانية واجتناب الطاغوت جامعة لكل معاني الرسالة من عقيدة، وتعامل الناس بعضها مع بعض هذه رسالة رسل الله، في الأرض اعتقاد سليم، وتعاون وعمل عادل مستقيم) [(١)].

ويقول رحمه الله : (وقصص القرآن ليس المقصود منها مجرد السرد التاريخي، كما يسجل التاريخ وتدون قصصه، إنما قصص القرآن المقصود به: أولاً: العظة والاعتبار... ثم ثانياً: إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم... ثم المقصود. ثالثاً: بيان وحدة الشرائع الإلهية السماوية، لأنها جميعها تنبعث عن مصدر واحد، وهو رب السماوات والأرض وما فيهما، فبيان قصص النبيين السابقين وما كانوا يلقون في الدعوة إلى التوحيد دليل على أن التوحيد هو الوحدة الجامعة بين كل الشرائع، وهو الحد الفاصل بين ما هو من السماء، وما هو من إفك أهل الأرض)[(٢)]، ويقول رحمه الله : (وموضع الاعتبار هنا أن قوم نوح يحاربونه بما حارب الملأ من

---

(١) زهرة التفاسير، ٤١٧٥/٥.

(٢) زهرة التفاسير، ١١٩٣/٣.

قريش محمداً صلى الله عليه وسلم، ودعوة نوح هي دعوة محمد الخالدة، وهي دعوة النبيين من قبل، وهي الحقيقة الأزلية، هي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له) [(١)].

ويقول رحمه الله : (فالمعنى أن الله سبحانه وتعالى أرسل نوحاً ومن بعده هوداً وأن لم يتعاقبا، ومن بعدهما صالحاً إلى ثمود.

وكانت دعوته الأولى هي التوحيد، لب الرسالات السماوية ومجتمعها والمشترك فيها جميعاً ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة هود: ٦١] ، حق عبادته لا تشركوا معه أحداً ولا حجراً، ولذا قال سبحانه في تفسير معنى عبادتكم ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [سورة هود: ٦١])[(٢)] وعند قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١] يقول رحمه الله: (هذا هو الأمر الأول الذي حرمه الله تعالى، وهو أعظم الأمور، وأقواها أثراً لأنه يتعلق بخالق الكون، ومنشئ الوجود، وأصل الاعتقاد الديني، وهو أول الشريعة، وعليه اجتمعت كل الرسالات، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

فالوحدانية لب الإيمان، والله تعالى يجعل كل السيئات قابلة للغفران إلا الشرك، ولذا يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء: ٤٨]) [(٣)].

مما سبق يتبين لنا اهتمام الشيخ بتوحيد الإلوهية، لأنه دعوة جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وقد ركز الشيخ رحمه الله في تفسيره على الاعتناء بهذا

---

(١) المرجع السابق، ٧/٣٦٩٨.
(٢) زهرة التفاسير، ٧/٣٧٢٣.
(٣) زهرة التفاسير، ٥/٢٧٢٩.

النوع من التوحيد والإشارة إليه، والاستدلال عليه، وقد سلك الشيخ المسالك التالية في الاستدلال على الإلوهية:

المسلك الأول: الاستدلال بالربوبية على الإلوهية:

تقدم معنا أن الاعتراف بتوحيد الربوبية، أمر فطري فطر الله عليه عباده، فأقروا له بموجب فطرهم بتوحيد الربوبية، وينطلق الشيخ أبو زهرة رحمه الله من هذا الإقرار ليستدل به على إلوهية الله سبحانه وتعالى وأنه المستحق للعبادة، فإن الإنسان إذا أقر بأن الله هو الخالق، الرزاق، المحيي المميت، النافع الضار، وجب صرف العبادة له سبحانه من الحب والخضوع، والخوف والرهبة والرغبة، والرجاء، والتوكل، والصلاة، والصوم، والحج وغيرها من العبادات إذ أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية.

يقول رحمه الله: (وفي الاعتراف بالربوبية إحساس صادق بجلال النعم، وتقديم شكر المنعم، ثم الاعتراف بالربوبية الحق يطوي في ثناياه الاعتراف بالإلوهية الحق، لأن كمال الخضوع لله لا يكون إلا بالإيمان بالربوبية، ووراء هذا كله الإفراد بالعبودية) [(١)].

ويقول رحمه الله: (ولقد أكد سبحانه وتعالى حقيقة ربوبيته، وإلوهيته بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢]، الإشارة في " ذلكم " إلى ما ذكر من خلق الحب والنوى، وإنشاء النبات، والأشجار، والأنفس، والتوالد، والنزاهة المطلقة عن الشريك والولد، وانفراده سبحانه وتعالى بالخلق والتكوين، والقيام لكل شيء، والعلم بكل شيء، وهذه أوصاف

---

(١) المرجع السابق، ٣/١٢٣٨.

الوحدانية، وإذا كان واحداً في إنشائه للكون، فهو الجدير بالعبادة وحده، وكل عبادة لغيره تكون باطلة بطلاناً مطلقاً) [1].

يقول رحمه الله: (وقد أكد القصر في العبادة على الله تعالى بقوله: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[سورة الأنعام: ١٦٤]، وكانت هذه مقدمة منطقية مؤداها، أنه خالق كل شيء، وخالق كل شيء هو المستحق للعبادة وحده، لأنه مالك كل شيء)[2].

ويقول رحمه الله: (بعد أن أخذ سبحانه وتعالى منهم إقراراً بأنه خالق الكون ومدبره، والقائم عليه وحده، بيّن سبحانه وتعالى أنه هو الرب وحده، وأشار إلى أنه المستحق للعبادة وحده فقال عز من قائل: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة يونس: ٣٢]، أي إذا كان الله الخالق وحده، المدبر للكون، وخالق القوى الإنسانية وغيرها وحده فهو الرب حقاً وصدقاً، و (الحق) تأكيد لمعنى الربوبية، والربوبية والعبادة متلازمتان تلازماً لا يقبل الانفصال، فالرب حقاً هو المعبود وحده المنفرد بالخلق، وهو المنفرد بالعبودية فلا إله غيره) [3].

ويقول رحمه الله: (... فهو تعريف لله تعالى بأنه الذي خلق السماوات والأرض خلق سبحانه وتعالى السماء بروجها، ونجومها، وكواكبها، والأرض بطبقاتها وجبالها، وما أودع ببطنها من أحجار، وفلزات، ومعادن جامدة، وسائلة ... هذا هو الإله القادر القاهر الغالب، وهو الجدير بأن يعبد لما أنشأ، وأبدع، وأنعم) [4].

---

(١) زهرة التفاسير، ٢٦١٤/٥

(٢) زهرة التفاسير، ٢٧٦٥/٥.

(٣) زهرة التفاسير، ٣٥٦١/٧.

(٤) زهرة التفاسير، ٤٠٣١/٨.

ويقول رحمه الله: (تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾: (أي أن الله تعالى خالقي وخالقكم، والقائم على شئوني وشئونكم، وأن ذلك يقتضي أن نعبده، ولذا بعد أن قرر الربوبية أمر بالعبودية له سبحانه وتعالى وحده، لأن الإلوهية تلازم الربوبية) [١].

ويقول رحمه الله: (أخذ إبراهيم عليه السلام يصف ربوبية الله تعالى له في حياته من خلقه إلى موته، ثم بعثه، وأنها منبه دائم إلى استحقاقه وحده بالعبادة، وأنه لا إله إلا هو) [٢].

اكتفي بهذه النقولات التي توضح منهج الشيخ رحمه الله، وتدل على اهتمام الشيخ رحمه الله بتقرير توحيد الإلوهية [٣]، ولا شك أن هذا المسلك في الاستدلال مسلك شرعي، دلت عليه الآيات القرآنية، وسلكه السلف الصالح يقول ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢١] : (فأمر جل ثناؤه الفريقين اللذين أخبر الله عن أحدهما أنه سواء عليهم أأنذروا أم لم ينذروا أنهم لا يؤمنون ... وعن الآخر أنه يخادع الله والذين آمنوا ... وغيرهم من سائر خلقه المكلفين بالاستكانة والخضوع له بالطاعة ، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم ... فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم ، وهو يقدر على ضرّكم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر) [٤].

---

(١) زهرة التفاسير، ٤٦٣٩/٩.

(٢) المرجع السابق، ٥٣٦٧/١٠.

(٣) من أراد الاستزادة من النصوص في هذه المسألة فليراجع زهرة التفاسير، ١٥٦/١، ٤٨٧ – ١٨٧٥/٤ – ٢٧٦٤/٥ – ٣٥١٣/٧، ٣٥٥٩، ٢٥٦٠، ٣٦٠٩، ٣٧٢٣، ٣٨٩٠– ١٤٤٢/٨، ٤١٩٣، ٤٣٩٠، ٤٥٠٠/٩، ٤٥٤٤، ٤٥٥٠، ٤٦٠٠، ٤٦٧٠، ٤٨٥٥، ٤٨٥٨، ٤٩١٣، ٥١٠٨/١٠، ٥١٠٩، ٥١١١، ٥١٢٨، ٥٢٤٦ت، ٥٢٤٧، ٥٤٧٠، ٤٥٧٥.

(٤) تفسير الطبري، ٣٦٢/١ تحقيق أحمد شاكر.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن اللبيب العاقل إذا تدبر طريقة القرآن، وجد أن الله يدعو عباده، بتوحيد الربوبية على الإلوهية، فإن ربه هو الذي خلقه ورزقه، وبصره، وهداه وأسبغ عليه نعمه، فإذا مسه الله بضر فلا يكشفه عنه غيره، وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه، وهذا يقتضي التوكل على الله والاستعانة به، ودعاءه، ومسألته دون ما سواه ويقتضي أيضاً محبة الله وعبادته والإحسان إلى عبده [1].

ويؤكد ابن القيم رحمه الله ذلك حيث يقول: (فتأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله، وهو أن كونه سبحانه فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم له، وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يعبد فاطره وخالقه. ولاسيما إذا كان أمره إليه فمبدأه منه ومصيره إليه، وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته) [2].

يقول ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] : (ثم ذكر الدليل على انفراده بالإلهية بتفردها بخلق السماوات والأرض وما فيهما، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته)[3].

المسلك الثاني: الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على الإلوهية:

إن من يتصف بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه هو الذي يستحق أن يعبد وحده، وقد أشار الشيخ أبو زهرة رحمه الله في تفسيره لهذا المسلك في الاستدلال وبيّن أن المتصف بصفات الكمال والجلال والعظمة هو المستحق

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ١/٢٧.
(٢) مفاتح دار السعادة، ٢/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/٤٧٤.

للعبادة دون غيره يقول رحمه الله: (وإن الأسماء أو الصفات كما أنها سبب لانفراده باستحقاق الحمد هي أيضاً سبب لانفراده بالعبادة والاستعانة، وطلب الهداية) [١]، ويقول أيضاً: (... والعلم، والقدرة، والإرادة صفات كمال في الخلق والتكوين يصاحب بعضها بعضاً، وإنه بها وغيرها من صفات الكمال تستحق العبادة ولذا جاء بعدها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]) [٢].

ويقول رحمه الله : (وإن المشركين كانوا يعبدون غير الله تعالى، وينكرون صفات الله تعالى [٣] التي تجعله وحده المستحق للعبادة ، ولذا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٠]، يقول رحمه الله: (فإن انفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والتكوين يقتضي ألا يعبد سواه ووحدانية ذاته وصفاته، وأنه ليس كمثله شيء يقتضي ألا يعبد سواه، أنه لا يعبد إلا من انفرد بالوجود الكامل وعلا عن الشبيه والنظير) [٤].

ويقول رحمه الله: (الاستدلال بالتصريف بأن يؤخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى، بأن يؤخذ مثلاً من حقيقة الأصنام دليلاً على أنها لا تصلح أن تكون معبوداً، ومن بيان صفات الله تعالى دليلاً على أن يكون وحده المستحق للعبادة، وإذا كان موضوع القول هو الذات العلية تقدست أسماء الله، فإنه يكون الاستدلال على

---

(١) زهرة التفاسير، ٦٢/١.
(٢) زهرة التفاسير، ٤٦٠٠/٩ .
(٣) صفات الله التي تدل على الوحدانية والإلوهية.
(٤) العقيدة الإسلامية، ص٥٠.

إلوهيته سبحانه، ببيان صفاته، وخلقه للكون صغيره وكبيره، ولا تعرف الذات العلية إلا بصفاتها) [1].

فمما سبق يتبين لنا أن الشيخ رحمه الله يجعل انفراد الله عز وجل بالأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لانفراده وحده بالعبودية والإلوهية، ولا شك أن هذا منهج سديد، ومسلك حميد، وهو ما دلت عليه الآيات القرآنية.

يقول ابن جرير الطبري عند تفسير آية الكرسي: (النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية يقول " الله " الذي له عبادة الخلق " الحي القيوم " لا إله سواه لا معبود سواه، يعني : ولا تعبدوا شيئاً سوى الحي القيوم الذي لا يأخذه سنة ولا نوم والذي صفته ما وصف في هذه الآية ... العالم الذي لا يخفى عليه شيء محيط بذلك كله، محص له دون سائر من دونه، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يعلمه، فأراد علمه، وإنما يعني بذلك: أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً فكيف يعبد من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم ؟! يقول: أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها يعلمها لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها) [2].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله مفسراً قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [سورة مريم: ٦٥] : (أي: هل تعلم له مسامياً، ومشابهاً، ومماثلاً من المخلوقين، وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي لا تعلم له مسامياً ولا مشابهاً، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق

(١) المعجزة الكبرى، ص٣٤٧.

(٢) تفسير الطبري، ٣٨٦/٥- ٣٩٧ تحقيق أحمد شاكر.

لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار عليها، وعلل بكماله وانفراده، بالعظمة، والأسماء الحسنى) [1].

ويقول أيضاً رحمه الله: (هذه الآيات الكريمات [2]، قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى، وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله غيره فإنه باطل، لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً) [3].

المسلك الثالث: الاستدلال بضرب الأمثال على الإلوهية:

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه يضرب الأمثال ويبين الحقائق من خلالها، فهي تقريب للحقائق، وتوضيح للمعاني، وقد ضرب الله تعالى في القرآن عدة أمثال ليبين للمشركين بطلان عبادة الأوثان وأن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى وقد نبه الشيخ أبو زهرة رحمه الله لهذا الأمر، يقول رحمه الله: (واقرأ قوله تعالى في بيان عجز الأصنام ومن يعبدونها العجز المطلق، وقدرته تعالى على كل شيء فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الحج: ٧٣-٧٤] ، انظر إلى الدليل القاطع الذي يثبت بطلان الوثنية، ويقيم الدليل على الوحدانية، فإن الأوثان، ومن يتبعونها، لو تضافرت كل القوى معها، لا يمكن أن يخلقوا ذباباً ذلك الطير الضعيف أو تلك الحشرة الضئيلة التي يستحقرونها، ولو أن الذباب سلب منهم شيئاً، لو اجتمعوا مع أوثانهم على أن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٤٧.

(٢) المقصود بالآيات التي في آخر سورة الحشر.

(٣) المرجع السابق، ص٧٩٢.

يستردوه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وهم والذباب سواء في الضعف وإن بدوا أقوياء، وهذا أضعف خلق الله تعالى في زعمهم، فكيف يكون للذين يدعونهم آلهة أمام قوة الله، وكيف يعبدونهم معه، وهم لا وجود لهم ولمن يعبدونهم بجواره، سبحانه وتعالى علواً كبيراً، فهذا المثل سيق مساق الاستدلال، وكان دليلاً قوياً) (1).

ويقول رحمه الله: (ومن الأمثلة التي تساق مساق الدليل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾ [سورة النحل: ٧٥-٧٦]، والآيات قبل ضرب هذه المثلين كانت في الأمر بعبادة الله تعالى وحده .

والإخبار عن عبادة المشركين من لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣﴾ [سورة النحل: ٧٣] ، فجاء سبحانه وتعالى بهذين المثلين، وهما يبطلان عقيدة الشرك، وزعم المشركين بأمثلة تقع في الحياة، والحكم فيهما من البدهيات التي لا ينكرها عاقل، ولا يختلف فيها فكر عن فكر، وكل مثل من المثلين دليل قائم بذاته على بطلان الوثنية إذ فيه تسوية بين من لا يقع بينهما التساوي ... وإذا كان هذان الرجلان لا يستويان بداهة، فأولى ألا تتساوى في العبادة الأحجار مع خالق الكون، وهادي الخلق، ومانح النعم ومجريها رب العالمين) (2).

ويقول رحمه الله: (ومن الأمثلة التي تدل على أن العبادة الخالصة لا تكون إلا لله تعالى وحده، وأنها بغير ذلك لا تكون عبادة قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

---

(١) المعجزة الكبرى، ص٣٥٨- ٣٥٩.

(٢) المعجزة الكبرى، ص٣٦١.

[سورة الزمر: ٢٩] ، إن هذا المثل التصويري فيه دلالة على صدق التوحيد، وفساد الشرك، فإنه سبحانه وتعالى جعل الفرق بين التوحيد والشرك كالفرق بين رجل مملوك لعدة أشخاص هم مختلفون فيه كل يريد أن يختص بأكبر حظ منه، وأن يكلف أقل قدر فيه، وهو في ذاته ضائع بينهما نفسياً ومادياً لا يدري أيهما يطالبه بحقه،فهو ضائع لا محالة، وهو لا يحس بأمن في هذه الملكية المتنازعة، وذلك مثل من يعبد آلهة مختلفة تكون نفسه حائرة بائرة غير مستقرة، ولا مطمئنة فليست كحالها، مع رجل سلماً خالصاً لرجل لا يشاكسه أحد فيه، وهو مستقر يعرف من يخدمه ومن يعتمد عليه، ومن فوض أمره إليه، وذلك مثل من يعبد الله تعالى وحده، فإن من يعبد الله وحده تطمئن نفسه، ويجد المأوى، ويجد الملجأ والملاذ، وذلك مثل تهتدي به النفوس الشاردة) (١).

وهذا المسلك الذي سلكه الشيخ رحمه الله مسلك شرعي عقلي، سلكه سلف الأمة وأئمتها (٢)، فإن ضرب الأمثال من الطرق والأقيسة العقلية التي تقرب المعنى للعقل بتصويره بصورة المحسوس المشاهد، لتوضيحه، وذلك لأن النفس تأنس بالأشباه والنظائر، وتنفر من الغربة والوحدة، ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها، وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده ولا ينكره من له أدنى معرفة بذلك، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته (٣).

---

(١) المعجزة الكبرى، ص٣٦٢- ٣٦٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٢٦٢/١٧، تحقيق أحمد شاكر، ومجموع الفتاوى، ٧١/٦-٧٢، ودرء التعارض، ٢٩/١، وإعلام الموقعين، ١٥٠/١- ١٩٠، والصواعق المرسلة، ٤٦٦/١-٤٦٧، وتفسير ابن كثير، ٣١٢/٦ تحقيق سامي بن محمد سلامة.

(٣) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم، ٢٣٩/١- ٢٤٠.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ودلالة القرآن على الأمور نوعان ... والثاني دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها، وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل، ولا يقال إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر، وإذا أخبر الله بالشيء ودل عليه بالدلالات العقلية صار مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليله العقلي الذي يعلم به، فيصير ثابتاً بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الدلالة الشرعية) [1].

وقد أطنب الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين من ذكر الأمثال التي جاءت في كتاب الله تعالى لبيان بطلان الشرك واستحقاق الإلوهية لله تعالى يقول عند قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم: ٢٨] : (وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويُحتج عليه بما هو في نفسه مقرراً عنها، معلوماً لها، فقال: هل لكم مما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإيمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم ويشاطرونكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه ؟ ... والمعنى هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخالف غيره من الشركاء والأحرار، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي ؟ فإن كان هذا الحكم باطلاً في نظركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦/٧١- ٧٢.

في حقكم، إذ ليس عبيدكم ملكاً لكم حقيقة، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عبيد لي ، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيد وملكي وخلقي ؟ فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول) [1].

ويقول ابن كثير عن هذه الآية : (هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له ...) [2].

المسلك الرابع : الاستدلال على الإلوهية بذكر صفات ما يعبد من دون الله:

وهذا المسلك من أهم المسالك في إثبات الإلوهية فإذا ثبت بطلان عبادة غير الله، ثبت أن الإله المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده، وقد جاء القرآن الكريم بهذا المسلك حيث أبطل الله تعالى عبادة آلهة المشركين بسبب أنها لا تملك شيئاً من خصائص الإلوهية أو بسبب أنها متصفة بصفات النقص التي تدل على عدم صلاحيتها للعبادة، وقد أشار الشيخ رحمه الله لهذا المسلك في تفسيره لآيات القرآن وركز على أن هذه المعبودات الباطلة لا تصلح للعبادة، ويمكن لنا أن نبين الوجوه التي أشار إليها الشيخ لبيان بطلان عبادة الأوثان والآلهة المزعومة على النحو التالي:

الوجه الأول: الاستدلال بصفة الحدوث على بطلان الشرك :

فإن من صفات الإله الحق أنه يخلُق ومن لا يخلُق لا يستحق أن يُعبد، وقد بيّن الله تعالى في القرآن أن المعبودات الباطلة لا تستطيع أن تخلُق شيئاً، يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢] : (إن مقياس الإلوهية هو الخلق والتكوين، فإذا كان الله هو الخالق المكوّن فهو المالك لما خلق

---

(١) إعلام الموقعين، ١/١٥٩- ١٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ٦/٣١٢.

وكوَّن، وهو وحده المستحق للعبادة، سبحانه وتعالى والله تعالى مالك السماوات والأرض وخالقهما، وخالق الإنسان فكيف يُعبْد غيره ؟! ولذا قال تعالى مستنكراً ما عليه الضالون: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الاستفهام إنكاري الواقع بمعنى التوبيخ أي أتشركون بالله في العبادة ما لا يخلق شيئاً وهو ذاته مخلوق) [١].

ويقول أيضاً: عن بطلان عبادة الأوثان وأنها مخلوقة مثل عابديها فكيف يعبدونها: (الواضح هو بيان مثليتها في أنها مخلوقة مثلهم، وعلى الأقل متماثلة مع المشركين في أنها خلق لله لا تُعبد كما لا يعبدون، فكيف يعبدونها ؟ وهذا القدر كاف لاستنكار عبادتها) [٢].

ويقول رحمه الله : (ولقد قال تعالى بعد أن ذكر هذه الشركة الوثنية قال تعالى: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠] ، أي أن الله تعالى خلقهم، فهم مخلوقون، حادثون ولا يصلحون أن يكونوا معبودين، لأن المعبود بحق هو القديم الذي لا أول له والباقي الذي لا أخر له، ولأنه ليس من العقل في شيء أن يشترك الخالق مع المخلوق) [٣].

ويقول رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٧] : (الاستفهام إنكاري بمعنى إنكار الواقع، لأنهم فعلاً عبدوا الأحجار فجعلوا من خلق الوجود كمن لا يخلق شيئاً، وهو ذاته مخلوق ميت لا حياة فيه إذ هو جمادى من الجمادىات، وحجر من الأحجار، وإنكار الواقع توبيخ، لأنه يكون استفهاماً عن واقع غير معقول، فيكون الجواب منهم إقراراً بأنهم يفعلون أمراً غير معقول ... فإنه يترتب على أن الله تعالى خالق الأشياء، والنعم، والأنفس،

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٠٣٢/٦.

(٢) زهرة التفاسير، ٣٠٣٥/٦.

(٣) زهرة التفاسير، ٢٦١١/٥.

وبذلك يكون هو المعبود وحده، وإلا كان الأمر المستنكر عقلاً وواقعاً، وهو أن يكون الخالق كالمخلوق، بل أن يكون الخالق كأصغر ما خلق) [1].

فمما سبق يتبين لنا بطلان ما كان عليه المشركون من عبادة للأوثان والأصنام فإنها مخلوقة مربوبة لله تعالى لا تستطيع أن تخلق ومن كان هذا حاله فهو لا يصلح للعبادة، وإذا ثبت بطلان عبادتها ثبت استحقاق الخالق سبحانه وتعالى للعبادة.

الوجه الثاني: الاستدلال بالفقر على بطلان الشرك :

وإذا ثبت أنه ليس لها نصيب من الملك ثبت بطلان عبادتها وأنها لا تستحق أن تُعبد من دون الله، وأن المستحق للعبادة هو المالك المتصرف الذي بيده النفع والضر وهو الله تبارك وتعالى.

يقول الشيخ رحمه الله: (قال تعالى في توضيح باطلهم : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة النحل: ٧٣]، هذا باطلهم وهو أوضح باطل آمنوا به يعبدون غير الله من دونه وهو إشارة إلى مقام معبودهم من الله تعالى ما لا يملك لهم رزقاً في السماوات والأرض فلا يملك في السماء مطراً يحيي به الأرض بعد موتها، ولا في الأرض نباتاً يأكل منه الإنسان والحيوان، ولا النعم التي تكون في الأرض، ولا الثمرات التي تثمرها الغراس والأشجار ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أي لا تستطيع تلك المعبودات المزعومة أن تأتي بشيء من هذا ولكنه ضلال العقل والوهم الذي يسيطر، وأعيد الضمير لمن يعقل تهكماً بهم وعلى زعمهم، إذ يعبدونهم) [2].

ويقول أيضاً رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٢] : (صدر سبحانه

---

(١) زهرة التفاسير، ٧/٤١٤٩.

(٢) زهرة التفاسير، ٨/ ٤٢٢١.

الجملة التي فيها كمال سلطان الله تعالى في الوجود بلفظ الجلالة، لتربية المهابة في نفس القارئ، ولأن ذلك يتلاقى مع سلطان الله الكامل و﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ للدلالة على ملكيته لكل ما في السماوات وتكرار ﴿ مَا فِي ﴾ للدلالة على كمال استغراق الملكية له سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء قدير، مالك كل شيء، وذكر سبحانه ملكيته له في السماء والأرض وذلك يقتضي ملكيته لهما، لأن ملكية ما يشتملان عليه يقتضي لا محالة ملكيتهما، إذ ملكية المظروف تقتضي ملكية الظرف وإن الملكية الكاملة لهذا الوجود كله بما فيه من أجرام، وأحياء عاقلة وغير عاقلة يتضمن أنه يملك الأنداد، وأنها وعبَّادُها في قبضته سبحانه العليم بكل شيء وفي ذلك برهان قاطع أنها غير جديرة بالعبادة، ولذا قال سبحانه وتعالى بعد ذكر سلطان الله تعالى في الوجود كله، وأنه لا سلطان لغيره ذكر بعض مقتضياته وهو كفر من يعبد الأوثان واستحقاقه للعذاب) (١).

الوجه الثالث: الاستدلال بالعجز على بطلان الشرك :

فإن الإله المعبود هو الذي يملك النفع والضر، والإنسان لا يعبد ويرجو إلا من يملك جلب النفع ودفع الضر، فإذا كانت هذه الأوثان والمعبودات الباطلة عاجزة لا تملك لنفسها ولا لغيرها جلب النفع ودفع الضر فهي لا تستحق أن تعبد، وإنما المستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى الذي يملك النفع والضر.

يقول الشيخ رحمه الله: (فالله أمر نبيه أن يستنكر ما يدعونه إليه، ويبين في استنكاره بطلان ما يعتقدون، وأنه انحدار في الإنسانية، وذلك من الجدل الحكيم والدعوة إلى الإسلام في رفق وتواضع، فيقول: ﴿ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [سورة الأنعام: ٧١]، أي لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا يملك من أمره شيئاً ولا يملك موتاً ولا حياة، وإن هذا إهمال لحكم العقل، نترك عبادة ما يضر وينفع وهو مالك كل شيء وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي نلجأ إليه في شدائد البحر والبر،

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٩٨٢/٨ – ٣٩٨٣.

كيف نترك عبادته إلى ما تدعونا إليه من أوثان لا تنفع ولا تضر وأن الله تعالى قد هدانا إليه سبحانه، وإن ما تدعونا إليه نكسة بعد تقدم، ورجعة بعد الهداية) [1].

ويقول رحمه الله: (ومع أن الله الذي خلق السماوات والأرض، وصاحب السلطان المطلق، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، فَجَرَ المشركون وجحدوا واتخذوا من دونه – من غيره ما هو دون في ذاته – آلهة ، ... ومعنى اتخذوا من دونه آلهة أنهم آثروا على عبادة الله عبادة آلهة عاجزة، وهذا الاتخاذ إفك مبين ... فالحجارة ليست آلهة ... وهي في ذاتها مخلوقة ... وفوق أن هذه الأحجار مخلوقة لا تملك ضراً ولا نفعاً، فهي لا قدرة لها على شيء ضار أو نافع، وعبَّادها أقدر منها، وبيّن سبحانه وتعالى أنها على حال جامدة مستمرة لا تحيي ولا تميت، ولا تبعث ولا تنشر، فهي خالية من أي صفة من صفات الإله المعبود) [2].

ويقول رحمه الله : (وإن الأوثان التي يعبدونها والآلهة التي يقدسونها من ملك أو بشر أو جن لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يغيثون ، ولذا قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٥٦] ، من صفات الربوبية القدرة المطلقة، ولا يعبد إلا من يكون قادراً على كشف الضر، والعرب كانوا يعرفون الله تعالى وأنه القادر وحده على كل شيء، فكانوا يستغيثون به إذا أصابهم بأس في البر والبحر، ويعتقدون أنه لا ينجيهم سواه، وإذا مسهم ضر لا يلجأون إلا إليه كما قال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ... ﴾ [سورة يونس: ١٢]، ولكنهم عند العبادة يعبدون مع الله غيره من الأوثان أو الملائكة أو عيسى ... وإذا كانوا لا يستطيعون لكم جلب نفع، ولا دفع ضر فكيف تعبدونهم،

---

(١) زهرة التفاسير، ٥/٢٥٥٣.

(٢) زهرة التفاسير، ١٠/٥٢٤٧.

والعجز ظاهر حالها، وعجيب أمركم عبادتها مع هذا العجز) [1]. ومن أهم مظـــاهر العجز في هذه الآلهة المزعومة العجز عن الكلام والسمع والبصر.

ولا شك أن عدم الاتصاف بالكلام والسمع والبصر يدل على نقصها وعجزها وعدم استحقاقها للعبادة، يقول الشيخ رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة مريم: ٤٣] : (لقد وصف معبوده وهو الصنم بثلاث صفات سلبية :

الوصف الأول: أنه لا يسمع، وكيف يعبد من يسمع ما لا يسمع، فهو أقل كمالاً منـــه وهو عاجز، لأن عدم السماع عجز.

الوصف الثاني: أنه لا يبصر وأنت تبصر، ومن يبصر أكمل مما لا يبصر، فكيــف تعبد هذا الذي ينقص عنك، وأنت خير وأفضل منه).

الوصف الثالث: أنه لا يدفع عنه ضراً، ولا يجلب له نفعاً...) [2].

وبيّن رحمه الله، أن إبراهيم عليه السلام بيّن لقومه بطلان عبادة الأصـــنام بأنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر يقول رحمه الله: (وهنا نجد إبراهيم يُبـــين لهـــم بطلان هذه العبادة، لأن المعبود يجب أن يكون أعلى من العابد، كيانـــاً، وأنفـــع وأضر فقال لهم خليل الله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٢-٧٣]، ... إذ يدعون ما لا يستطيعون جواباً وما لا يستطيع أقل في الكون والوجود ممن يدعوه، إذ الداعي سميع مبصر وهذه لا تسمع ولا تبـــصر، ويصح أن نقول إن ﴿ تَدْعُونَ ﴾ معناها تعبدون وكأنهم يعبدون ما لا يسمع ووجـــودهم أقل، إذ هم أحياء يسمعون، وهؤلاء جمادى لا حياة فيه) [3].

---

(١) زهرة التفاسير، ٤٤٠٤/٨ - ٤٤٠٥.

(٢) زهرة التفاسير، ٤٦٤٦/٩ - ٤٦٤٧.

(٣) زهرة التفاسير، ٥٣٦٥/١٠- ٥٣٦٦.

ويقول أيضاً: (﴿ فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣]، الفاء عاطفة على إخبارهم بأن رئيسهم الذي فعل أو " الفاء " للإفصاح، أي إذا كان الفاعل هو أو غيرهم فاسألوهم، وذلك فيه تهكم واضح عليهم، لأنهم لا ينطقون فكيف يعبدون، وفي التهكم أخذ اعتراف منهم بأنهم لا ينطقون، وأنها أحجار لا تضر ولا تنفع، وهذا برهان قاطع على ضلالهم وبطلان ما يعبدون ، ....

ولما نكسوا على رؤوسهم نكس أيضاً قولهم في المجادلة فقالوا : ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٥]، ... فهم لا ينطقون في الماضي، ولا ينطقون في الحاضر ولا القابل، وإن هذا ما نطقوا به معترفين بعجز هذه الأحجار عن النطق في كل الأحوال، وأي دليل ينفي إلوهيتهم أكثر من هذا ؟ !!) [(١)].

الوجـــه الرابع: الاستدلال على بطلان الشرك بعدم الحجة:

بيّن الشيخ رحمه الله أن الكافرين يعبدون الأصنام مع أنه ليس لهم حجة لا نقلية ولا عقلية تسوغ عبادتها بل إن الحجة العقلية تؤدي إلى بطلان عبادتها يقول رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤ ﴾ [الأنبياء: ٥٢ – ٥٤]: (والاستفهام منصب على سؤاله عن هذه الأصنام التي عكفوا عليها يعظمونها، ويعبدونها، وهو يتضمن أولاً الاستهانة بها وتحقيرها بالإشارة، لأن الإشارة تتضمن أنها حجارة محسوسة لا تضر ولا تنفع، ويتضمن ثانياً استنكار العكوف عليها وعبادتها، والاستفهام ليس عن الماهية، بل عن أوصافها وتنبيه إلى أنها لا تضر ولا مسوغ لعبادتها، لأنها ليس فيها صفات الإلوهية التي توجب العبادة، لم يجيبوا عن سؤاله لأن ظاهره أنه يطالبهم بمسوّغ للعبادة، وقد فروا من الإجابة المسوغة إلى قولهم: (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لم يجدوا مسوغاً عقلياً

---

(١) زهرة التفاسير، ٤٨٨٨/٩– ٤٨٨٩.

ولا نقلياً إلا التقليد للآباء كما قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] أي أن المسوغ أنا وجدنا آباءنا لها عابدين، أي استمروا على عبادتها، وما استمروا عليه فهو حق، ولا دليل عندنا سوى ذلك... وهذا الكلام يدل على أنهم لا يعرفون الله، أو يعرفونه ويشركون معه هذه التماثيل من غير حجة ولا برهان.

وما كان لأبي الأنبياء أن يتركهم من غير أن يصف عبادتهم بالضلال فقال: (قال لقد كنتم أنتم وآباءكم في ضلال مبين)... ومبين معناه واضح، وكان واضحاً لأنه لا يستند إلى دليل علمي، ويناقض بدائه العقول، لان المعبود يجب أن يكون أعلى وأقوى من عباده، فهل في تمثال قوة وعلو على الإنسان، فأي ضلال أبين من هذا وأضل عقلاً وفكراً)[1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج: ٧١] : (والضمير في (ويعبدون) يعود إلى الكافرين الذين سيطرت عليهم الأوهام، والأهواء والتقليد، فيعبدون ما لم تنزل به حجة ترشدهم إلى عبادته، والسلطان في قوله: (ما لم ينزل به سلطان) أي حجة نقلية نزلت من عند الله تعالى، وسميت سلطانا، لأنها تكون قوة تجعل لمن نزلت له قوة تجعل ما عنده قوياً كالسلطان، ولكن لم ينزل شيء من ذلك، وإذا كان لم ينزل دليل نقلي من عند الله بعبادته، هل لديهم برهان عقلي ينتج يقيناً؟ نفى الله تعالى ذلك أيضاً فقال تعالى: (وما ليس لهم به علم) أي ليس لهم به برهان عقلي يسوغ عبادتهم، بل إن البرهان العقلي يؤدي إلى نقيضه، لأنه لا يسمع ولا يبصر، والقانون العقلي يوجب أن يكون المعبود أعظم من العباد، فكيف يعبدون أحجاراً، وهم أحياء، وهو لا يعقل، وهم يعقلون؟!!)[2].

---

(١) زهرة التفاسير ٩/٤٨٨٢- ٤٨٨٣.

(٢) المرجع السابق ٩/٥٠٢٦ – ٥٠٢٧.

ويقول عند قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] : (أي يعبد مع الله إلهاً آخر بزعمه من بشر أو حجر " لا برهان له به " أي بعدّه إلهاً، أو باستحقاقه لصفة الإلوهية، فالضمير في " به " يعود على " إلهاً آخر " ونفي البرهان يقتضي أولاً أنه لا برهان على وجوده بحيث يكون نافعاً ضاراً، وينفي ثانياً: استحقاقه للعبادة، لأن من يعبده أعلى تكويناً منه في كثير من الأحيان ، فالإنسان يعبد حجراً ، وهو يسمع ويبصر، والحجر لا يسمع ولا يبصر ولا حياة فيه، بل هو جمادى، وإذا كان لا برهان يسوغ عبادته، فإنما الوهم لا العقل هو الذي سهل هذه العبادة) (١).

المبحث الثالث : آراؤه في ما يضاد توحيد الألوهية أو يقدح فيه

تحدث الشيخ رحمه الله عن بعض الأعمال التي تنافي توحيد الألوهية أو تقدح فيه، وبين رأيه فيها، وسوف نتحدث عنها حسب المطالب التالية:

المطلب الأول: الذبح لغير الله:

يرى الشيخ رحمه الله تحريم الذبح لغير الله، وأنه شرك بالله يقول عند قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ... ﴾ [المائدة: ٣] : (والإهلال لغير الله عند الذبح أن يذبحوا باسم صنم من الأصنام، وإن ذلك فيه عبادة لغير الله تعالى، فنهى عن أكل ما يذبح لذلك منعاً لهذا العمل الذي هو شرك بالله تعالى، وكان النهي عن الأكل لأنه ذريعة إلى المنع المطلق. والتحريم في هذا ليس لذات الحيوان بل لما صحبه من عمل فيه شرك بالله تعالى، وفسوق عن أمره سبحانه وتعالى) (٢).

ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٠]: (وقد جاء ذلك النص السامي في هذا الموضع الذي يذكر فيه إباحة

---

(١) زهرة التفاسير، ٥١٢٩/١٠.

(٢) زهرة التفاسير، ٢٠٢٩/٤.

الذبائح التي ذكر فيها اسم الله للإشارة إلى أن الأساس في الذبائح وغيرها، هو ترك الآثام، فذكر اسم غير الله إثم ظاهر وهو شرك واجب تركه) [1].

ومع هذا الوضوح في تقرير حكم الذبح لغير الله، إلا أننا نجد الشيخ رحمه الله أحياناً غير واضح في فتاويه التي يُسأل فيها عن الذبح لغير الله، ولا يكون صريحاً في بيان أنها شرك وإنما يجيب إجابة غير صريحة ويكتفي بأنها لا تحل، ففي سؤال وجه إليه عن الحكم في تقديم ذبيحة يتم ذبحها أمام قبة الولي، ويقال هذه الذبيحة لك أي للولي؟ فأجاب الشيخ بقوله: (الذبيحة تكون قربة لله تعالى، ولا يصح أن يقرن اسم غير الله تعالى به، وإن الذبح أمام قبة رجل صالح وإعطاؤها له وهو ميت، يشبه الذبح على النصب لا يحل، ويجب أن ينبه العامة لذلك)، وليت الشيخ صرح هنا بأنها شرك كما صرح في التفسير حتى يحذر العامة من هذه الأفعال الشركية، فإن تحقيق التوحيد، والمحافظة عليه، وحماية جنابه من الوقوع في الشرك من أولى أولويات العالم والداعية إلى الله، وخصوصاً في زمن انتشرت فيه الشركيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله [2].

النقد :

ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من تحريم الذبح لغير الله، وأنه شرك موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإن الذبح عبادة يجب صرفها لله تعالى، ويحرم صرفها لغيره يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، يقول ابن جرير الطبري : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان (إن صلاتي ونسكي) يقول: وذبحي (ومحياي) يقول: وحياتي (ومماتي)

---

(١) المرجع السابق، ٢٦٤٨/٥، وانظر أيضاً ٢٧٦٢/٥، ٥٢٠٢/١٠.

(٢) فتاوى الشيخ أبو زهرة، ص١٥٠ .

يقول: ووفاتي (لله رب العالمين) يعني: أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به، أيها المشركون من الأوثان (لا شريك له) في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصاً (وبذلك أمرت) يقول: وبذلك أمرني ربي (وأنا أول المسلمين) يقول: وأنا أول من أَمَرَّ وأذّعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك) [(١)].

ويقول الحافظ ابن كثير: (وقوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: (فصل لربك وانحر) أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى) [(٢)].

وقد وردت السنة بتحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض) [(٣)].

وقد نقل ابن كثير الإجماع على تحريم ما ذبح على اسم غير الله من سائر المخلوقات يقول عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۝٣﴾ [المائدة:٣]: (أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه

---

(١) تفسير الطبري، ٥/٤٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٢٠٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله برقم ١٩٧٨، ٣/١٥٦٧.

العظيم فمتى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع) [1].

المطلب الثاني : النذر لغير الله:

تحدث الشيخ عن معنى النذر وبين أنه التزام طاعة من الطاعات أو عطاء في بر، وذكر أن النذر ينقسم إلى قسمين نذر طاعة ونذر معصية وأن نذر الطاعة واجب الوفاء به ونذر المعصية باطل ولا يجب الوفاء به، يقول في ذلك: (وبهذا يتبين أن الوفاء بالنذر واجب ما دام غير معصية وفي مكان لا معصية فيه، ولكن هل النذر عند الأضرحة والقبور خال من المعصية؟ إن ذلك موضع نظر، والاحتياط في النذور أن تكون لله خالصة) [2].

فهنا الشيخ لم يكن صريحاً في بيان حكم النذر لغير الله كما كان صريحاً في بيان الذبح لغير الله وانه شرك، وحينما نبحث أكثر في كلام الشيخ عن النذر لغير الله كالنذر للأوثان نجد أن الشيخ يبين أن المشركين ساووا بين الله وبين الأوثان في النذر كما ساووا بين الله وبين الأوثان في العبادة وأن كل ذلك باطل وضلال بعيد، يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ ....﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦]: (إن فساد الاعتقاد يؤدي إلى فساد الأعمال، فحيث فسدت العقيدة، اتجهت النفس تحت تأثير الأوهام إلى مفاسد كثيرة، فالأوهام التي تفسد الاعتقاد تفسد أيضاً الحياة، فتحت تأثير أوهام الوثنية أفسدوا حياتهم، فحرموا على أنفسهم بعض ما أحل الله، وقتلوا أولادهم حاسبين أن ذلك يرضي أوثانهم، ونذروا للأوثان بعض الزرع والنعم ولله نصيب، فكما سووا بينها وبين الله في العبادة، أو زادوهم، فكذلك سووا بينه وبينها في النذر وتحيفوا في تنفيذها لله ولم

---

(١) تفسير ابن كثير، ٩/٢.

(٢) زهرة التفاسير، ١٠١٧/٢.

يتحيفوا على الأوثان) [١]، ثم يستطرد في شرح الآيات إلى أن يقول: (فكل شيء يذهب من نصيب الوثن إلى نصيب الله يردونه حرصاً عليه، وكل ما يجيء إلى نصيب صنمهم من نصيب الله يحسبون أن الوثن أراده، فيسقطونه، فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً)[٢]. فمن هذين النصين هل يمكن أن يقال أن الشيخ يرى أن النذر لغير الله شرك، لأن من ساوى بين الله وبين الأوثان في العبادة مشرك ولاشك في ذلك، فكذلك من ساوى بين الله وبين الأوثان في النذر مشرك أيضاً ؟

للأسف لا يقول الشيخ بهذا، بل يرى أن النذر للقبور أو لسكان القبور أو العاكفين على القبور ليس شركاً، وإنما هو ضلال ومحرم. يدل على ذلك أنه حينما نقل رأي شيخ الإسلام عن النذر للقبور وسكانها وأنه شرك يجب قتل صاحبه، أنكر رأي شيخ الإسلام ووصفه بأنه مغالاة دفعه إليه حدة الجدل يقول عفى الله عنه ناقلاً كلام شيخ الإسلام ومعلقاً عليه: (ويقول أي – ابن تيمية – رضي الله عنه: (ومن اعتقد أن في النذر للقبور نفعاً أو أجراً فهو ضال جاهل) [٣]، ثم يقرر أن ذلك نذر في معصية (وأن من يعتقد أنها باب الحوائج إلى الله تعالى، وأنها تكشف الضر، وتفتح الرزق، وتحفظ العمر، فهو كافر مشرك يجب قتله) [٤] ... ونحسب أنه لو اقتصر على أنه ضلال، ما كان في ذلك تطرف ولا مغالاة، أما الحكم بأنه كفر فأحسبه مغالاة، دفعته إليها حدة الجدال) [٥].

النقد :

النذر عبادة من العبادات، وقربة من القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، وقد دلت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة على وجوب الوفاء بالنذر وامتدح

---

(١) المرجع السابق، ٢٦٨٥/٥.

(٢) زهرة التفاسير، ٢٦٨٨/٥.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، ٦٧/١.

(٤) المرجع السابق، ٦٨/١.

(٥) ابن تيمية حياته وعصره، ص٣٢٣.

الله تبارك وتعالى الذين يوفون بالنذر فقـال تعـالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ ﴾ [الإنسان: ٧] والله سبحانه وتعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم، وذلك هو العبادة، وعلى هذا فمن صرف ذلك لغير الله فقد أشرك[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعـصه فلا يعصه)[2]، ولهذا أجمع العلماء على أن من نذر لغير الله فقد أشـرك يقـول شـيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبـي ولا لغير نبي وأن هذا النذر شرك لا يوفى به) [3].

ويقول أيضاً: (والسبب الذي من أجله نهى عن الصلاة في المقبرة فـي أصـح قولي العلماء هو سد ذريعة الشرك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقـت غروبها، بأنها تطلع بين قرني شيطان، والمشركون يسجدون لها حينئذ، فنهى عن قصد الصلاة في هذا الوقت لما في ذلك من المشابهة بهم في الصورة وإن اختلف القصد.

كذلك نهى عن الصلاة في المقبرة لله لما فيه من مـشابهة مـن يتخـذ القبـور مساجد، وأن المصلي لله لا يقصد ذلك، سداً للذريعة، فأما إذا قصد ليصلي هناك ليدعو عند القبور ظناً أن هذا لدعاء هناك أجوب فهذا ضلال بإجماع المـسلمين وهـو ممـا حرمه الله ورسوله.

وأبلغ من ذلك أن يُدعى ويُقسم على الله بالميت، وأبلغ من ذلك أن يسال الله بـه ونحو ذلك، وأبلغ من ذلك أن يسافر إليه من مكان بعيد لهذا القصد، أو ينذر له أو لمـن عنده؛ دهن ، أو شمع ، أو ذهب، أو فضة، أو قناديل، أو ستور، فهذا كله من نذور أهل الشرك، ولا يجوز مثل هذا النذر باتفاق المسلمين ولا الوفاء به ... ولا يجوز أن ينـذر

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله، ص١٦٩.

(٢) رواه البخاري، في كتاب الإيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، برقم ٦٣١٨ ج ٢٤٦٤/٦.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨٦/١.

أحد إلا طاعة، ولا يجوز أن ينذرها إلا لله، فمن نذر لغير الله فهو مشرك، كمن صلى لغير الله وسجد لغير الله) [1].

ويقول الأذرعي [2] في شرح المنهاج : (وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك – وهو الغالب أو الواقع من تصور العامة – تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه، أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى أنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم: إنه استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت، ويقولون إنها تقبل النذر كما يقوله البعض يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض، أو قدوم غائب أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لاشك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً) [3].

وقال الشيخ صنع الله الحنفي[4] في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء: (فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله، فيكون باطلاً وفي التنزيل : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١] وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

(١) منهاج السنة النبوية، ٢/٤٣٩- ٤٤٠.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد، شيخ البلاد الشامية، أخذ عن الحافظين المزي والذهبي وأجاز له جمعٌ، رحل إليه بدر الدين الزركشي وغيره، له شرح على منهاج النووي، لا يزال مخطوطاً، توفي عام ٧٨٣هـ. انظر الدرر الكامنة لابن حجر، ١/١٢٥- ١٢٨.

(٣) نقله عنه الشيخ سليمان بن عبدالله في كتابه تيسير العزيز الحميد، ص١٧١.

(٤) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، واعظ ، فقيه، محدث، أديب، له أرجوزة في الحديث، وكتاب سيف الله على من كذب على أولياء الله وغيرها من المؤلفات، توفي عام ١١٢٠هـ. انظر هدية العارفين، ١/٤٢٨، ومعجم المؤلفين، ٥/٢٤.

﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢] أي صلاتي وذبحي لله ... والنذر لغير الله إشراك مع الله ... فالنذر لغير الله كالذبح لغيره) [١].

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله: (فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقرباً بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم وليشفعوا لهم، كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب وهو شبيه بما ذكر الله عن المشركين في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾ [الأنعام: ١٣٦]) [٢].

المطلب الثالث: رأيه في شد الرحال إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

يرى الشيخ عفى الله عنه جواز شد الرحل إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بل يرى أنه مندوب إليه، وهو بهذا يخالف شيخ الإسلام ابن تيمية حينما ساق كلام شيخ الإسلام في زيارة قبور الصالحين والأنبياء، عقب كلامه بقوله: (هذه إحدى القضايا التي آثار غبارها ابن تيمية في قوة وعنف، وقرع بها مشاعر معاصريه قرعاً شديداً وأزعجهم بها إزعاجاً شديداً. ونحن قد نميل إلى قوله في زيارة قبور الصالحين، أما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فإننا نخالفه فيه مخالفة تامة) [٣]، ويقول أيضاً: (وبعد فإننا نقرر أن التبرك بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مستحسن، –وليس التبرك الذي نقصده عبادة أو قريباً منها، إنما التبرك هو التذكر والاعتبار والاستبصار) [٤].

---

(١) نقله عنه الشيخ سليمان بن عبدالله في كتابه تيسير العزيز الحميد، ص١٧٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص١٦٩.

(٣) ابن تيمية حياته وعصره، ص٣٢٥.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٢٠٩.

ثم بعد أن بين رأيه في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يسوق الحجج والأدلة التي تدل في نظره على جواز هذا الأمر، ويمكن حصر ما ذكره في الأمور التالية.

١- أن ابن تيمية خالف بقوله هذا جمهور المسلمين، بل تحداهم في عنف[١].

٢- أن ابن تيمية كان يرى أن شد الرحال يؤدي إلى الوثنية والشرك بمضي الأعصار والدهور، وأن ذلك خوف في غير مخاف، لأنه إذا كان في ذلك تقديس لمحمد صلى الله عليه وسلم، فهو تقديس لنبي الوحدانية وتقديس نبي الوحدانية، تقديس لها وللمعاني التي بعث بها.

٣- أنه رُوِيّ عن ابن عمر أنه زار قبره أكثر من مائة مرة [٢].

٤- أنه وردت أحاديث تحث على الزيارة كحديث : (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) وكحديث: (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) ، ولا حجة لابن تيمية في تضعيفها [٣].

هذه هي أهم الحجج والأدلة التي يزعم الشيخ أنها تدل على استحباب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وسوف أناقشها واحداً واحداً بإذن الله تعالى.

النقد :

مسألة شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، وخصوصاً قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المسائل التي نشب فيها الخلاف بين العلماء، وخصوصاً بعد القرون المفضلة، وهي من المسائل التي طالت ذيولها، واشتهرت أصولها، وامتحن بسببها من امتحن من العلماء [٤]، وقبل أن أبدأ بنقد كلام الشيخ في

---

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٢٠٨.

(٢) انظر ابن تيمية حياته وعصره، ص٣٢٥ - ٣٢٦.

(٣) انظر ابن حزم حياته وعصره، ص٢٢٥.

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني، ص٦٦ .

هذه المسألة، أحب أن أنبه على أمر مهم، وهو أن لفظ " الزيـــارة " لفــظ اختلــف استخدامه بين المتقدمين من القرون المفضلة ومن جاء بعدهم، إذ قد صار في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة الشرعية، والزيارة البدعية، بل الغالب عليهم أنهم يستخدمونه في الزيارة البدعية، ولذلك لم يكن السلف من الصحابة والتـــابعين لهـــم بإحسان يعرفون هذا المعنى، فليس في الشريعة عمل يسمى زيارة لمجرد قبر النبـــي صلى الله عليه وسلم، ولذلك ينبغي أن يستفصل ممن يستخدم هذا اللفظ فإن أراد بـــه ما يشرع فالمعنى صحيح، لكن يكون قد عبر عنه بلفظ لا يدل عليه، وإن أراد ما لا يشرع فذاك معنى باطل وخطأ بيّن.

يقول شيخ الإسلام: (ليس في الشريعة عمل يسمى زيارة لقبـــره، وأن هـــذا الاسم لا مسمى له، والذين أطلقوا هذا الاسم، إن أرادوا به ما يشرع فالمعنى صحيح لكن عبروا عنه بلفظ لا يدل عليه، ولهذا كره من كره أن يقال لمن سلم عليه هنـــاك زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإن أرادوا ما لا يشرع فذاك المعنـــى خطـــأ مفهوم، ومع هذا فليس هو زيارة) (1).

وما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من استحباب شد الرحال لزيارة قبـــر النبـــي صلى الله عليه وسلم قول باطل لا دليل عليه، ولم يعرف عـــن أحـــد مـــن الـــسلف والمتقدمين القول بالاستحباب، فإنهم اختلفوا في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أنه لا يجوز شد الرحال لزيارة القبر، والسفر للزيـــارة يكـــون ســـفر معصية، ولا يجوز قصر الصلاة فيها.

القول الثاني: أنه يجوز السفر وهو قول بعـــض المتـــأخرين مـــن أتبـــاع الأئمـــة الأربعة(2).

---

(1) الرد على الإخنائي، ص١٢٥ .

(2) انظر مجموع الفتاوى ١٨٤/٢٧. والرد على الإخنائي، ص١٣٦. والمغني لابن قدامة ١١٧/٣-١١٨. وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، ٨٤/٣.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لم يقل أحد من علماء المسلمين إن السفر إلى ذلك واجب، ولا عرف عنهم القول بالاستحباب، بل السلف والقدماء على تحريم ذلك، والمتأخرون متنازعون: فأحد القولين أن ذلك جائز لا فضيلة فيه، والآخر أنه ينهى عنه) [(١)]. والقول بالتحريم هو الذي تدل عليه النصوص الشرعية وتحذر منه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الأقصى) [(٢)].

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم منع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فغير المساجد أولى بالمنع، لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد. فإذا كان النهي عن شد الرحال لقصد التقرب والعبادة لله في غير المساجد الثلاثة لا يجوز، وإن كان مسجداً، فمن باب أولى أن النهي عن شد الرحال لزيارة القبور داخل فيه [(٣)].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [(٤)].

ووجه الدلالة أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن الصلاة عليها أو إليها، وتحري العبادة عندها، وشد الرحال إليها مفضي إلى اتخاذها مساجد [(٥)].

---

(١) الرد على الإخنائي، ص١٦٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم ١١٨٩، ج٣/٧٦. وروى مسلم نحوه في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد برقم ١٣٩٧.

(٣) انظر الرد على الإخنائي، ص١١٤، واقتضاء الصراط المستقيم، ٢/١٨٤. وهدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة لعمرو سليم، ص٨٩.

(٤) رواه مسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء الساجد على القبور، ١/٣٧٦.

(٥) انظر تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني، ص٤٠-٤١. وهدم المنارة، ص٩٥-٩٦.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) [١].

ووجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتخذ قبره عيداً، والعيد كل ما يعتاد، وشد الرحال لقبره صلى الله عليه وسلم وسيلة لاتخاذه عيداً والوسائل لها أحكام المقاصد، ومما يدل على تناوله النهي عن شد الرحال لقبره صلى الله عليه وسلم قوله: (وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) [٢].

ومما يؤيد التحريم أيضاً ما رواه مالك وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (خرجت إلى الطور فلقيت: كعب الأحبار، فجلست معه، فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري [٣]، فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تعمل المطيُّ إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس) [٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم ٨٨٠٤ – ٤٠٣/١٤ وقال عنه محققه إسناده حسن ورواه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور برقم ٢٠٤٢– ٦٢١/١، والحديث حسنه شيخ الإسلام في الرد على الإخنائي، انظر ص ٢٦٦. والألباني كما في تحذير الساجد، ص١٢٨– ١٢٩.

(٢) انظر آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، ص٢٢٧. وهدم المنارة، ص٩٣-٩٤.

(٣) هو بصرة بن أبي بصرة ، واسمه جميل بن بصرة الغفاري له ولأبيه صحبة، حضر فتح مصر، روى له أبو داود والترمذي والنسائي لم يذكر له تاريخ وفاة، انظر تهذيب الكمال ٣٦/١. وتهذيب التهذيب ٣٥٦/١.

(٤) رواه مالك في الموطأ، في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة برقم ٢٩٠ – ١٦٤/١ – ١٦٦. وأحمد في المسند برقم ٢٧٢٣٠، ج٤٥/ ٢٠٦ وقال عنه محققه حديث صحيح، ورواه الترمذي في أبواب الجمعة، باب الساعة التي ترجو في يوم الجمعة برقم ٤٩١ مختصراً وقال عنه حديث صحيح، وصححه ابن حجر كما في الإصابة ٤٤٩/١، والألباني كما في إرواء الغليل ٢٨٨/٣.

ووجه الدلالة أن الصحابي الذي روى الحديث فهم أن الطور وأمثالـه مـن مقامات الأنبياء مندرجة في العموم، وأنه لا يجوز السفر إليها، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، ولهذا أقره أبو هريرة رضي الله عنه على ذلك ولم ينكر عليه [1].

يقول شيخ الإسلام: (والمقصود هنا: أن الصحابة لم يكونوا يستحبون السفر لشيء من زيارات البقاع، لا آثار الأنبياء، ولا قبورهم، ولا مساجدهم: إلا المساجد الثلاثة، بل إذا فعل بعض الناس شيئاً من ذلك أنكر عليه غيره كما أنكروا على من زار الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام) [2].

وأما ما استدل به أبو زهرة على الاستحباب فلا حجة له فيه. فأما قوله عن شيخ الإسلام أنه خالف جمهور المسلمين، فهو قول باطل فالشيخ لم يذكر أحداً من العلماء ممن يعتد بهم قد خالفه شيخ الإسلام هذا أولاً، ثم إن شيخ الإسلام رحمه الله قد رد على هذه الدعوى التي رماه بها قاضي المالكية في عصره ابن الإخنائي [3]، يقول شيخ الإسلام : (وأما قوله: إنه خالف في ذلك السادة العلماء وأئمة العصر) فيقال: هذا باطل، فإنه لم يخالف في ذلك أحداً من علماء المسلمين وأئمة الدين المعروفين عند المسلمين بأنهم أئمة الدين. وأما من تكلم بلا علم أو تكلم بالهوى والجهل فهذا ليس من أئمة الدين، ولا يذكر المسلمون قول مثل هذا في كتبهم على أن يتبع ويقتدى به، بل قال تعالى للخليل لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤] فبين أن عهده بالإمامة لا ينال ظالماً، فلا يكون الظالم إماماً للمتقين، بل قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا

---

(١) وانظر الرد على الإخنائي، ص٤٢١، أيضاً آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية، ص٢٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٧/٣٢. وانظر الرد على الإخنائي، ص٣٧٠- ٣٧٢.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي المصري المعروف بابن الإخنائي، المالكي، ولد سنة ٦٥٨هـ، اشتغل بالتفقه على مذهب مالك وغيره، تولى قضاء مصر لمدة تزيد عن ثلاثين سنة توفي سنة ٧٥٠هـ. انظر الدرر الكامنة، ٣/٤٠٧.

صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤] فالأئمة الذين يهدون بأمر الله هم أهل الصبر واليقين، والله تعالى أخبر أنه جعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يهدون بأمره، وإبراهيم إمام الحنفاء والداعي إلى توحيد الله وعبادته وحده، والتبرؤ من عبادة ما سوى الله، ومن العابدين لغيره. وقد أخبر الله أنه لا يرغب عن ملته إلا من كان سفيهاً جاهلاً ....

فمن أمر الناس أن يحجوا إلى قبر مخلوق أو يدعوه فقد أمرهم أن يجعلوا صلاتهم ونسكهم لغير الله، وهذا من الأئمة الذين يدعون إلى النار لا من أئمة الهدى والتقى.

فالقولان اللذان ذكرهما هما القولان المعروفان عن علماء المسلمين وأئمة الدين وما عرف لهم قول ثالث فمن قال قولاً ثالثاً فحسبه أن يحكي قوله ويبين خطؤه لا يجعل قوله مقدماً على أقوال السلف الماضين وأئمة الدين وعلماء المسلمين) [١].

ويقول أيضاً: (فدعوى من ادعى أن السفر إلى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر، وكذلك إن ادعى أن هذا قول الأئمة الأربعة أو جمهور أصحابهم أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب لا ريب، وإن قال إن هذا قول بعض المتأخرين أمكن أن يصدق في ذلك، وهو بعد أن يعرف صحة نقله نقل قولاً شاذاً مخالفاً لإجماع السلف مخالفاً لنصوص الرسول، فكفى بقول فساداً أن يكون قولاً مبتدعاً في الإسلام مخالفاً للسنة والجماعة: لما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما أجمع عليه سلف الأئمة وأئمتها) [٢].

وأما قوله عن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم (أن فيه تقديس لنبي الوحدانية، وتقديس نبي الوحدانية تقديس لها وللمعاني التي بعث بها). فيجاب عنه بأن التقديس قد يكون غلواً ممنوعاً، والنبي صلى الله عليه وسلم حقه علينا المحبة

---

(١) الرد على الإخنائي، ص٣٨٣- ٣٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥٩.

والمتابعة له والعمل بشرعه وترك ما نهى عنه، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إطرائه والمبالغة في مدحه والغلو فيه فقال صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدالله ورسوله) [١]، ولما قال له رجل (ما شاء الله وشئت قال: أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده) [٢].

وغيرها من الأحاديث التي تنهى عن الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم إن تقديس المخلوق لا يستلزم أن يكون تقديساً لله تعالى كما يقول الشيخ أبو زهرة، بل قد يكون شركاً بالله عز وجل إذا تجاوز الحد، وقد حدث ذلك فقد غلا أناس في تقديس النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقعوا في الشرك والعياذ بالله، وقد رأينا ذلك عياناً نسأل الله العافية ولهذا لا يسلم للشيخ قوله: (ومع ذلك لم ينظر أحد إليه نظرة عبادة أو وثنية) بل الواقع الذي نراه خلاف ذلك وخصوصاً ما يفعله الرافضة وجهال الصوفية من الشرك عند قبره صلى الله عليه وسلم.

وأما احتجاجه بأن ابن عمر رضي الله عنهما زار قبره صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة، فإنه لا حجة له فيه فإن ابن عمر كان يفعل ذلك إذا قدم من سفر ولم يكن يسافر إلى المدينة لأجل القبر وزيارته، بل المدينة موطنه فكان يخرج عنها لبعض الأمور ثم يرجع إلى وطنه فيأتي المسجد، فيصلي فيه ويسلم، فأما السفر لأجل القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة، يقول شيخ الإسلام : (وابن عمر رضي الله عنهما لم يكن يسافر إلى المدينة لأجل القبر، بل المدينة وطنه وكان يخرج عنها لبعض الأمور ثم يرجع إلى وطنه فيأتي المسجد فيصلي فيه ويسلم، فأما السفر لأجل القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة، بل ابن عمر كان يقدم إلى بيت المقدس فلا يزور قبر الخليل، وكذلك أبوه عمر ومن معه من المهاجرين والأنصار

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، برقم ٣٢٦١، ١٢٧١/٣.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم ١٨٣٩، ٣٣٩/٣ وقال عنه محققه صحيح لغيره، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٢٣٥، ٢١٨/١، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٩، ٢١٦/١.

قدموا إلى بيت المقدس ولم يذهبوا إلى قبر الخليل، وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا ببيت المقدس لم يعرف عن أحد منهم أنه سافر إلى قبر الخليل ولا غيره، كما لم يكونوا يسافرون إلى المدينة لأجل القبر) [١].

وأما احتجاجه بالأحاديث التي تحث على الزيارة كحديث (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) وكحديث (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم). فيمكن أن يجاب عنها بجواب إجمالي وآخر تفصيلي.

أما الإجمالي فيقال بأن جميع الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إما موضوعة أو ضعيفة لا يصح منها شيء [٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (أحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة، لا يعتمد على شيء منها في الدين، ولهذا لم يروا أهل الصحاح والسنة منها شيئاً، وإنما يرويها من يروي الضعاف كالدارقطني والبزار وغيرهما) [٣].

ويقال أيضاً: على فرض صحتها فهي إنما تدل على مطلق الزيارة التي بدون سفر ومن غير شد الرحال، وحينئذ فهي لا تدل على ما استدل به الشيخ من القول بالاستحباب، بل هي خارجة عن محل النزاع أصلاً [٤].

وأما التفصيلي فهو بالكلام عن كل حديث على حدة. فأما الحديث الأول وهو: (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) فالجواب عنه من وجوه:

---

(١) الرد على الإخنائي، ص٣٦٩- ٣٧٠. وانظر أيضاً الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي، ص٧٣.

(٢) ممن نص على ذلك من أهل العلم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى ٢/٢٢٤. وفي الرد على الإخنائي، ص٣٠٠. والحافظ ابن عبدالهادي كما في الصارم المنكي، ص٢٠. والشيخ سليمان بن عبدالله كما في تيسير العزيز الحميد، ص٣١٤. والشيخ محمد ناصر الدين الألباني كما في السلسلة الضعيفة برقم ٤٧، ١/٦٤. والشيخ بكر أبو زيد في التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث، ص١٣١.

(٣) مجموع الفتاوى، ١/٢٢٤.

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد، ص٣١٤.

الوجه الأول:

أن هذا الحديث موضوع لا يحتج به، فقد رواه العقيلي [١] في الضعفاء، بلفظ: (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له شهيداً يوم القيامة، أو قال شفيعاً) [٢]، وفي سنده فضالة بن سعيد بن زميل المأربي قال عنه العقيلي: (حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به) [٣]، وقال الذهبي في الميزان عقب إيراد هذا الحديث في ترجمة فضالة: (هذا موضوع على ابن جريج) [٤].

وورد الحديث بلفظ آخر وهو : (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) وفي رواية " وصحبني " [٥]، وفي إسناده حفص بن سليمان القارئ. وقد اتفق أهل العلم بالحديث على الطعن في حديث حفص هذا، فإن حفصاً متروك الحديث، منسوب إلى الوضع والكذب.

قال يحيى بن معين في حفص هذا: ليس بثقة، وفي رواية عنه: كان حفص كذاباً وقال البخاري: تركوه، وقال مسلم بن الحجاج: متروك، وقال علي بن المديني: ضعيف الحديث وتركته على عمد، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال مرة: متروك، وقال صالح جزره: لا يكتب حديثه وأحاديثه كلها مناكير، وقال أبو

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي الحجازي، الإمام الحافظ، الناقد له كتاب الضعفاء، توفي عام ٣٢٢هـ، انظر سير: أعلام النبلاء، ٢٣٦/١٥.

(٢) الضعفاء العقيلي، ٤٥٧/٣.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) ميزان الاعتدال، ٣٤٩/٣.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٣٤٩٧) (٤٠٦/١٢) ، ورواه الدارقطني في السنن برقم (١٩٢) (٢٧٨/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (١٠٥٧٣) (٢٤٦/٥)، وابن عدي في الكامل، ٢٨٢/٢.

زرعة: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم الرازي: لا يكتب حديثــه، وهــو ضــعيف الحديث لا يصدق متروك الحديث، وقال ابن خراش: كذاب متروك يضع الحديث[١].

وبهذا يتبين لنا ضعف هذه الأحاديث من كلام أهل العلم الذين ســبقوا شــيخ الإسلام، وفيه رد على قول أبي زهرة : (أنه لا حجة لشيخ الإسلام في تضعيف هذه الأحاديث) فإن الحجة مع شيخ الإسلام في تضعيفها، إذ قد سبقه أئمة الحــديث فــي تضعيف هذه الأحاديث.

الوجه الثاني:

ومما يدل على بطلان هذا الحديث أيضاً أنه يلزم من ذلــك المــساواة بــين الصحابة رضوان الله عليهم وبين من زار قبره بعد مماته، ومعلوم أن الأعمال التي فرضها الله ورسوله لا يكون الرجل بها مثل الواحد من الصحابة، فإنه قد ثبت عــن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحــدهم ولا نصيفه) [٢]. فالجهاد والحج ونحوهما أفضل من زيارة قبره باتفاق المسلمين، ولا يكون الرجل بهما كمن سافر إليه في حياته ورآه، فإن السفر إلى النبــي صــلى الله عليه وسلم في حياته إما أن يكون للهجرة إليه وقد انقطعت الهجرة بالفتح، وإمــا أن يكون لأجل تعلم الإسلام منه صلى الله عليه سلم وتبليغ ذلك عنه وهذا عمل، ومعلوم أنه لا يمكن لأحد بعد الصحابة رضوان الله عليهم أن يفعل ذلك، وينال منزلتهم [٣].

---

(١) انظر لتوثيق هذه الأقوال عن أهل العلم تهذيب التهذيب، ١/٦٢٠- ٦٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً ...) برقم ٣٤٧٠، ٣/١٣٤٣. وروى مسلم نحوه في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم برقم ٢٥٤٠، ٤/١٩٦٧.

(٣) انظر الرد على الإخنائي، ص٣٦٧.

الوجه الثالث:

أن الزيارة الشرعية لقبر الميت مقصودها الدعاء له والاستغفار كالصلاة على جنازته، والدعاء المشروع المأمور به في حق نبينا – كالصلاة عليه والسلام عليه وطلب الوسيلة له – مشروع في جميع الأمكنة لا يختص بقبره، فليس عند قبره عمل صالح تمتاز به تلك البقعة بل كل عمل صالح يمكن فعله في سائر البقاع، لكن مسجده صلى الله عليه وسلم أفضل من غيره، فالعبادة فيه فضيلة كونها في مسجده، وليس لأنها بجوار قبره [١].

وأما حديث (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) . فالجواب عنه من وجهين:

الوجه الأول:

أن هذا الحديث لا أصل له، وقد ذكره شيخ الإسلام في بعض كتبه فقال عنه: (وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث) [٢]، وقال أيضاً: (حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث) [٣].

ووجدته أيضاً في السلسلة الضعيفة للألباني بلفظ : (توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم) وقال عنه: (لا أصل له) [٤].

وقال عنه في كتابه التوسل: (لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة) [٥].

---

(١) انظر الرد على الإخنائي، ص٢٩٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ١*٣١٩

(٣) المرجع السابق، ١/٣٤٦.

(٤) السلسلة الضعيفة، ١/٣٠.

(٥) التوسل أنواعه وأحكامه، ص١٢٧.

وكلام شيخ الإسلام والألباني رحمهما الله يدل على قلة علم وضعف أبي زهرة في الحديث النبوي، وأن بضاعته مزجاة في ذلك، ولهذا استغربت قوله حينما ذكر الحديثين وذكر أن شيخ الإسلام يضعفهما فقال بعد ذلك: (ولا حجة له في التضعيف) [١]، ويبدو أن الشيخ قال ذلك تقليدياً لبعض المتأخرين الذين يستحبون شد الرحال لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك يمكن أن نعكس العبارة ونقول أن الشيخ أبا زهرة لا حجة له في تصحيح هذين الحديثين، وأن الحجة كل الحجة مع شيخ الإسلام رحمه الله.

الوجه الثاني:

أن الحديث لا يدل على استحباب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فالحديث يتحدث عن التوسل، والكلام عن استحباب شد الرحال لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فالحديث خارج نطاق الموضوع ولهذا لا يصلح للاحتجاج.

---

(١) ابن حزم حياته وعصره، ص٢٣٥.

الفصل الثالث

آراؤه في توحيد الأسماء والصفات

تمهيد : معنى توحيد الأسماء والصفات :

بين العلماء معنى توحيد الأسماء والصفات، وذكـروا لـه معـان كثيـرة[1] خلاصتها أن توحيد الأسماء والصفات هو إفراد الله تعالى بما ثبت له في كتابـه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تمثيل[2] ولا تكييف[3] وتنزيهاً بلا تعطيل[4] ولا تحريف [5].

وقد أجمع أهل السنة على ذلك يقول الإمام أحمد بن حنبـل رحمـه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث) [6].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة، ١/١٠-١١. والتبصير في معالم الدين للطبري، ص١٤٠. وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، ص ١٦٤ . واعتقاد الإمام الشافعي جمع أبي الحسن الهكاري، ص٢٠. وكتاب الصفات لعبدالغني المقدسي ضمن عقائد أئمة السلف، ص٩٦. وصفة العلو لابن قدامة المقدسي، ص١٣٦. ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ٣/٣، ٤/١٨٢، ٥/٢٦. والتدمرية، ص٥٨. الصفدية، ١/١٠٠. والجواب الصحيح، ٤/٤٠٥. واجتماع الجيوش الإسلامية ، ص٩٣.

(٢) التمثيل: اعتقاد صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقين. انظر: شرح الواسطية للهراس ص٦٩.

(٣) التكييف:مأخوذمن كيف،وهو لفظ يسأل به عن تعيين الكنه،فيكون المراد :حكاية كيفية الصفات وشكلهاأو هيئتها. انظر الكليات ص ٧٥٢، وشرح الواسطية للهراس ص٦٩

(٤) التعطيل: نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها، وإنكار قيامها بذات الله تعالى. انظر: شرح الواسطية للهراس ص٦٧.

(٥) التحريف: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها. انظر: الصواعق المرسلة ١/٢١٥.

(٦) مجموع الفتاوى، ٥/٢٦.

وقد سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فقال: (حرام على العقول أن تمثــل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقع، وعلى النفوس أن تفكــر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل إلا مــا وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام) [(١)].

ويقول الإمام ابن منده[(٢)] رحمه الله : (إن الأخبار في صفات الله عز وجــل جاءت متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم موافقة لكتاب الله عــز وجــل نقلهــا الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا علــى سبيل إثبات الصفات لله، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر به فــي تنزيلــه، وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وتــرك التمثيل والتكييف) [(٣)].

ويقول الإمام أبو إسماعيل الصابوني [(٤)] رحمه الله : (أصحاب الحديث – حفظ الله أحياءهم، ورحم موتاهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله وشهد له رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله، ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ... وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه وتركوا لقول بالتعطيل

---

(١) المرجع السابق، ٤/٥-٦.

(٢) سبقت ترجمته، ص .

(٣) الحجة في بيان المحجة، ١/٩١- ٩٢.

(٤) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري، الحافظ، المفسر المحدث الفقيه الواعظ الملقب بشيخ الإسلام، له تصانيف كثيرة منها عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والدعوات، والانتصار، توفي عام ٤٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٨/٤٠.

والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]) [(١)].

ويقول الحافظ ابن عبدالبر: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة) [(٢)].

ويقول الإمام الحافظ أبو القاسم الأصبهاني [(٣)] : (الكلام في صفات الله عز وجل ما جاء منها في كتاب الله أو رُوي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات) [(٤)].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل،وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد [(٥)]: لا في أسمائه ولا في آياته ...

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٠- ١٦٤.

(٢) التمهيد، ١٤٥/٧.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، يلقب بقوام السنة، كان عالماً في التفسير، والحديث، واللغة، والأدب، وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة له مؤلفات كثيرة منها دلائل النبوة، والحجة في بيان المحجة وغيرها توفي عام ٥٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠/٨٠-٨٨.

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة ١٨٨/١، ١٨٩.

(٥) الإلحاد: العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت بها. انظر: مدارج السالكين ٣٨،٣٩/١، والصواعق المرسلة ٢١٧/١، بدائع الفوائد ١٦٩/١.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات؛ إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] ففي قوله : (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل وقوله: (وهو السميع البصير) رد للإلحاد والتعطيل) [(١)].

فمما سبق يتبين لنا أن أهل السنة والجماعة مجمعون على إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسله إثباتاً بلا تمثيل ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفته عنه رسله نفياً بلا تعطيل أخذاً بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١].

المبحث الأول: موقفه من نصوص الصفات

يرى الشيخ أن نصوص الصفات الواردة في الكتاب داخلة في معنى المتشابه وخصوصاً الآيات والأحاديث الواردة في الصفات الخبرية فقد ذكر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ ... ﴿٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٧] ، معنى المتشابه في القرآن، وبين أن المتشابه يحتمل معنيين، الأول: ما لا يمكن معرفة حقيقته على الوجه الأكمل في الدنيا، والثاني: ما يمكن معرفته ولكن لبعض الخاصة الراسخين في العلم، وجعل نصوص الصفات داخلة فيه يقول رحمه الله: (والمتشابه ينتهي كما ذكرنا إلى أحد معنيين، إما أن نقول إنه الغيب الذي لا يستطيع الإنسان معرفته، كحقيقة الروح، وحقيقة الجن والملائكة، وما يكون يوم القيامة ... هذا هو الوجه الأول الذي يحتمله تفسير كلمة المتشابه، أما الوجه الثاني فمعنى المتشابه أنه الذي يدق معناه إلا على طائفة خاصة من أهل العلم، كبعض العبارات القرآنية الخاصة بالكون وتكوين

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣، وانظر أيضاً الصفدية ١٠١/١، الجواب الصحيح ٤٠٥/٤.

السماء والأرض وبعض ما ذكر في القرآن من أوصاف لله سبحانه وتعالى، ونحو ذلك من الحقائق التي لا يخوض فيها إلا أهل الذكر، وهي دقيقة في معناها ....

ونرى أن كلا الوجهين تحتملهما الآية، من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، بل يصح لنا أن نقول: إن الوجهين معاً مرادان، وسنختار ذلك) [١]، ثم يبين أنه يختار في نصوص الصفات منهج الإمام الماتريدي والغزالي وابن الجوزي وهو التأويل أو التفويض يقول رحمه الله في معرض حديثه عن الإمام الماتريدي ومنهجه في تفسير القرآن : (فهو في تفسير القرآن يحمل المتشابه على المحكم، فيؤول المتشابه على ضوء ما يدل عليه المحكم، فإن لم تكن عند المؤمن الطاقة العقلية للتأويل فالتفويض أسلم) .

فالشيخ يذهب في نصوص الصفات بعد أن جعلها من المتشابه. إما إلى التفويض أو التأويل ويرى التفويض فسحةً على العامة والتأويل من شأن الخاصة موافقاً لما ذكره الغزالي في إلجام العوام من علم الكلام، ولما ذكره ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه يقول رحمه الله بعد أن نقل كلام الغزالي وابن الجوزي : (وإذا كان ابن الجوزي قد نفى أن يكون مذهب السلف هو التفسير بظواهر الألفاظ، تفسيراً لا يتفق مع التشبيه ، فالغزالي قد قرر أن السلف فهموا المعاني المجازية، وقرر أن الذين لا يفهمون هذه المعاني التنزيهية عليهم أن يفوضوا ولا يخوضوا وقال لهم : (ليس هذا بعشك فادرجي) .

وبهذا يكون قد قسم الناس قسمين: قسم يدرك ويفهم، وقسم يعسر عليه أن يدرك ويفهم الأمور على حقيقتها، وهذا يكتفي الغزالي منه بنفي المعاني المشبهة غير المنزهة، ثم يمنعه من بعد ذلك من الخوض، وكأنه يعتبر ذلك من علم الخاصة، وليس من علم العامة الذي لا يسع مسلماً أن يجهله كما قرر الشافعي. وإن ذلك النظر بلا

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٠-١٨١.

ريب نظر سليم، لا مجال لرفضه) [1]، ويقول أيضاً بعد أن تكلم عن السلفيين ومنهجهم في ظواهر نصوص الصفات وبيّن أنهم يأخذون بظواهر النصوص من غير تأويل ولا تحريف، ورد هذا الرأي وشكك في كونه مذهباً للسلف معتمداً على ما ذكره ابن الجوزي والغزالي، ورجح أن مذهب السلف هو الأخذ بالمجاز إن تعذرت الحقيقة يقول : (ولذلك نحن نرجح منهاج الماتريدي، ومنهاج ابن الجوزي، ومنهاج الغزالي ونرى أن الصحابة كانوا يفسرون بالمجاز إن تعذر إطلاق الحقيقة كما يفسرون بالحقيقة في ذاتها) [2]. ويقول أيضاً: (وبعض السلف كانوا يفسرون بالمجاز المشهور الواضح وهو إطلاق اليد بمعنى القدرة أو النعمة ونحو ذلك)[3].

ولنا مع كلامه عدة وقفات:

<u>الوقفة الأولى</u> : وهي اعتبار نصوص الصفات من المتشابه.

ما ذهب إليه الشيخ من اعتبار نصوص الصفات من المتشابه مخالف لمذهب السلف رضوان الله عليهم، فإن السلف لم يكونوا يعتبرون نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يعلمون تأويله بل كانوا يعرفون معناه ويفهمون ما تدل عليه النصوص من صفات الله عز وجل، ويثبتونها لله على الوجه اللائق به، فقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اتفقوا على إثبات صفات الله عز وجل كما وردت على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها تبديلاً، ولم يبدو لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يقل أحد منهم يجب

---

(١) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ص٣١-٣٢.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٩٩.

(٣) العقيدة الإسلامية ص .

صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوهـا بـالقبول والتـسليم، وقابلوهـا بالإيمان والتعظيم [1].

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن إدخال أسماء الله وصفاته، أو بعـضها فـي المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي اسـتأثر الله بعلم تأويله أنه لا يعلم عن أحد من سلف الأمة، ولا من الأئمة أنه جعل ذلـك مـن المتشابه الذي لا يعلم أحد معناه، بل المنقول عنهم يخالف هذا، فـإن الـسلف مـن الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن: آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي صلى الله عليه وسـلم أحاديث كثيرة توافق القرآن، والصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنهـم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنـع مـن تفسير آية. وكذلك الأئمة كانوا إذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه، بل يثبتون المعنى، وينفون الكيفية [2].

يقول الإمام الأوزاعي [3] رحمه الله مبيناً إجمـاع التـابعين علـى الإيمـان بنصوص الصفات كما وردت: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكـره على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات)[4] .

---

(١) انظر: أعلام الموقعين ٤٩/١، والصواعق المرسلة ٢١٣/١.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٩٤/١٣ – ٣١٣ ، ٤٢٣/١٧-٤٢٥.

(٣) هو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، ولد عام ٨٨ وأول من دون العلم بالشام، كان كثير الحديث والعلم والفقه، قال عنه الإمام مالك: " الأوزاعي إمام يقتدى به" مات سنة ١٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧، الطبقات الكبرى ٤٨٨/٧.

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ١٥٠/٢، ورواه الذهبي في العلو ٩٤٠/٢.

يقول الإمام محمد بن الحسن الشيباني [١]: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير [٢] ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصف ربه بصفة لا شيء) [٣].

وقال الوليد بن مسلم [٤] رحمه الله : (سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري [٥]، والليث بن سعد [٦]، والأوزاعي عن الأخبار الواردة في الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت وفي رواية أمروها كما جاءت بلا كيف) [٧].

---

(١) هو محمد بن الحسن بن زفر وقيل ابن فرقد الشيباني مولاهم، أبو عبيده صاحب أبي حنيفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفقه، صنف كتباً كثيرة ، توفي بالري عام ١٨٩هـ.
انظر سير أعلام النبلاء ١٣٤/٩.

(٢) يقول شيخ الإسلام : (وقوله: " من غير تفسير " أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات). انظر: الحموية ص٣٣٣.

(٣) شرح أصول الاعتقاد ٤٣٢/٢.

(٤) هو الوليد بن مسلم الدمشقي عالم:أهل الشام، ارتحل وصنف التصانيف، قال عنه الإمام أحمد ما رأيت في الشاميين أحداً أعقل من الوليد بن مسلم مات سنة ١٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢١١/٩، الطبقات الكبرى ٤٧٠/٧.

(٥) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، إمام أهل الدنيا في زمانه، جمع بين العلم والزهد والعمل، أثنى عليه الأئمة الكبار ثناء عطراً كالإمام أحمد، وابن المبارك، وابن معين، وابن مهدي، حتى أطلقوا عليه : أمير المؤمنين في الحديث، مات سنة ١٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧، الطبقات الكبرى ٣٧١/٦.

(٦) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، عالم الديار المصرية، وفقيهها ومحدثها، كان سخياً جواداً، قال عنه الإمام أحمد: " ليس في المصريين أصح حديثاً من الليث بن سعد" ، مات سنة ١٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٢/٨.

(٧) رواه ابن منده في التوحيد ١١٥/٣، والآجري في الشريعة ١١٤٦/٣.

وسأل رجل عبدالله بن المبارك [١] رحمه الله عن أحاديث الصفات فقال: (تمر كما جاءت بلا كيف) [٢].

وسُئل سفيان بن عيينة [٣] رحمه الله عن أحاديث الصفات فقال: (هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف) [٤].

وسئل الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام [٥] رحمه الله عن بعض أحاديث الصفات فقال: (هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه، وكيف يضحك قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحد يفسره) [٦]. وبهذا يتضح لنا من النصوص السابقة بطلان كلام الشيخ أبو زهرة لأن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يؤمنون بنصوص الصفات ويثبتون معانيها لله تعالى على الوجه اللائق به، ولم يقولوا حينما سئلوا عنها أنها من المتشابه الذي لا يعلم معناه، أو أن ظاهرها يقتضي التجسيم أو التشبيه، بل آمنوا وسلموا وأثبتوا ما دلت عليه من المعاني على الوجه اللائق بالله تعالى. وتوقفوا فقط رحمهم الله في معرفة كنهها وحقيقتها، وكيفيتها، أما معانيها فكانت معلومة لهم.

---

(١) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الإمام الحافظ، جمع بين العلم والجهاد والتجارة، من مؤلفاته الزهد، والجهاد، ولد سنة ١١٨هـ ومات سنة ١٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٨.

(٢) أخرجه: أبو يعلي في إبطال التأويلات برقم ٣٠، ٥٣/١.

(٣) هو سفيان بن عيينه بن أبي عمران، مولى محمد بن مزاحم، إمام كبير، حافظ عصره، جبل في السنة، حمل العلم عن الكبار، وانتهى إليه علو الإسناد، توفي سنة ١٩٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨.

(٤) رواه ابن عبدالبر في التمهيد ١٤٨/٧.

(٥) هو القاسم بن سلام بن عبدالله، المشهور بأبي عبيد، من أئمة الحديث، وكبار السلف له مؤلفات كثيرة منها الإيمان، وغريب الحديث، وغيرهما توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١٠.

(٦) العلو للذهبي ١٠٩٩/٢.

الوقفة الثانية :

الرد عليه في قوله أن ظاهر نصوص الصفات يوهم التشبيه والتجسم وأنه غير مراد.

إن جعل ظاهر نصوص الصفات يوهم التشبيه والتجسيم وأنه غير مراد كلام باطل فيه جناية على النصوص وهو مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول ويتبين ذلك من الوجوه التالية :

الوجه الأول: أن الله تبارك وتعالى أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، ليعقله الناس ويتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم، وليس فيه شيء موهم للباطل قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣]، فالله تبارك وتعالى أنزل كتابه باللسان العربي المبين من أجل أن نعقله ونفهمه ونتدبره بل أمرنا سبحانه وتعالى باتباعه، فوجب علينا إجراؤه على ظاهره بمقتضى ذلك اللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي ولا فرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها بل قد يكون وجوب التزام الظاهر في نصوص الصفات آكد وأوجب لأن مدلولها توقيفي لا مجال للعقول في تفاصيله [١].

الوجه الثاني: أن هذه المقالة فيها قول على الله بلا علم وهو من أعظم المحرمات قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ

---

(١) انظر: تقريب التدمرية ص٥٥، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة ومنها – د/ جابر إدريس أمير، ٢/٤٩٤- ٤٩٥.

ﭐلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. فالذي يجعل ظاهر النصوص موهم للتشبيه ثم يصرفها إلى معنى آخر يخالف الظاهر متقول على الله بلا علم من جانبين:

الجانب الأول : أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كذا مع أنه ظاهر الكلام.

لجانب الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر – ابتدعه هو – لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قول بلا علم فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام [(١)].

الوجه الثالث: أن هذا القول فيه جناية على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية حيث جعلها تدل على معان باطلة غير لائقة بالله تعالى ولا مرادة له، فأي جناية أعظم من تلك الجناية حينما يجعل ظاهر النصوص كفر أو تشبيه، مع أنها لمن يقدر الله حق قدره ويؤمن بوحيه لا تدل إلا على وصف الله بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص والمثل والعيوب [(٢)].

الوجه الرابع : أن هذا القول فيه جناية على المسلمين وسداً لباب معرفة الله تبارك وتعالى وعبوديته عليهم فإنه من المعلوم أن العلم بأسماء الله وصفاته من أعظم الطرق الموصلة إلى معرفة الله عز وجل، ومحبته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص

---

(١) انظر: القواعد المثلى ص ٤٠–٤١ ، وانظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها. د/ جابر بن إدريس أمير، ٥٠٧/٢.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة ٢٤٠/١.

العبادة له تعالى، ولا يمكن إدراك حقيقة العبودية قولاً وعملاً إذا لم يعرفوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا الدالة على إثبات الكمالات له عز وجل وتنزيهه عما يناقض ذلك من العيوب والنقائص والشبيه والمثيل.

ومن هنا نعرف عظم جناية الذين يزعمون أن نصوص الصفات ظاهرها التشبيه ليتوصلوا بذلك إلى نفي صفات الله أو شيء منها، كيف أنهم بذلك يغلقون باب المعرفة بالله عز وجل وعبوديته، لأنه تعالى إذا جهلت صفاته وأفعاله أو أسماؤه أصبح معدوماً لا حقيقة له [1].

الوجه الخامس: أن هذا القول فيه إساءة ظن بالله وبرسوله وباتباعه أما إساءة الظن بالله تعالى فإنهم عطلوه جل وعلا من صفات كماله ونسبوه إلى أنه أنزل كتاباً مشتملاً على ما ظاهره كفر وتشبيه، وأن ظاهره وحقائقه غير مراده. وأما إساءة الظن بالرسول صلى الله عليه وسلم فلأنه تكلم بذلك وقرره وأكده، ولم يبين للأمة أن الحق في خلافه وتأويله.

وأما إساءة الظن باتباع النبي صلى الله عليه وسلم فبنسبتهم إلى التشبيه والتمثيل وهم بريئون من ذلك إذ لم يثبتوا إلا ما أثبته الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال والجلال [2].

الوجه السادس: أن يُقال لمن يدعي أن ظواهر نصوص الصفات توهم التشبيه هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول لا . ثم يقال له: هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول : نعم صدق وحق. ثم يقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟ فسيقول : لا . ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه

---

(١) انظر: مقالة التشبيه ٥١١/٢.

(٢) المرجع السابق ٥١٢/٢.

وتعالى أراد أن يُعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول : لا . هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة فيقال له: هل تعلم أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول لا. ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وحق؟ فسيقول : نعم صدق وحق. ثم يقال له: هل تعلم أن أحداً من الناس أفصح كلاماً وأبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول : لا . فيقال له: إذا كنت تقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله تعالى؟

وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقة الصفات أو صرفها إلى معان يخالف ظاهرها بغير علم؟

وماذا يضيرك إذا أثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق به تعالى، فأخذت بما جاء في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله عليه السلام إثباتاً ونفياً؟

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة، أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك، فلعل المراد يكون – على تقدير جواز صرفها – غير ما صرفتها إليه [1].

الوجه السابع : أن نقول لمن يظن أن ظاهر نصوص الصفات غير مراد ماذا تريد بالظاهر؟ أتريد ما يظهر من النصوص من المعاني اللائقة بالله من غير تمثيل فهذا الظاهر مراد لله ورسوله قطعاً، وواجب على العباد قبوله، والإيمان به شرعاً، لأنه حق ولا يمكن أن يخاطب الله عباده بما يريد منهم خلاف ظاهره

---

(١) انظر: القواعد المثلى ص ٤٢.

بدون بيان، كيف وقد قال :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء: ٢٦] ، وقال ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [النساء: ١٧٦]، ويقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النحل: ٤٤]، ويقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢] ومن خاطب غيره بما يريد منه خلاف ظاهره بدون بيان فإنه لم يبين له ولم يهده.

أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل، فهذا غير مراد لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة، لأن هذا الظاهر الذي فهمته كفر وباطل بالنص والإجماع. ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفراً وباطلاً ولا يرتضي ذلك أحد من المسلمين وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق.

وبيان ذلك : أن من صفاتنا ما هو معان وأعراض قائمة بنا كالحياة، والعلم، والقدرة. ومنها ما هو أعيان وأجسام وهي أبعاض لنا كالوجه واليدين، ومن المعلوم أن الله وصف نفسه بأنه حي، عليم، قدير، ولم يقل المسلمون إن المفهوم من حياته، وعلمه، وقدرته كالمفهوم من حياتنا وعلمنا وقدرتنا، فكذلك لما وصف نفسه بأن له وجهاً ويدين لم يكن المفهوم من وجهه ويديه كالمفهوم من وجوهنا وأيدينا. وإنما قال المسلمون إن المفهوم من صفات الله في هذا وهذا لا يماثل المفهوم منها في صفاتنا بل كل صفة تناسب الموصوف وتليق به. فلما كانت ذات الخالق لا تماثل ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تماثل صفات المخلوق.

فتبين بذلك أن من قال: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد فقد أخطأ على كل تقدير، لأنه إن فهم من ظاهرها معنى فاسداً وهو التمثيل فقد أخطأ في فهمه وأصاب في قوله " غير مراد "، وإن فهم من ظاهرها معنىً صحيحاً وهو المعنى

اللائق بالله فقد أصاب في فهمه وأخطأ في قوله " غير مراد " فهو إن أصـــاب فـــي معنى ظاهرها أخطأ في نفي كونه مراداً، وإن أخطأ في معنى ظاهرها أصاب فـــي نفي كونه مراداً، فيكون قوله خطأ على كل تقدير.

والصواب الذي لا خطأ فيه أن ظاهرها مراد، وأنه ليس إلا معنى يليق بـــالله عز وجل [١].

فعلم مما تقدم بطلان القول بأن ظواهر نصوص الصفات غير مـــراد وأنـــه يوهم التشبيه والتجسيم.

الوقفة الثالثة : الرد على تجويزه للتفويض والتأويل في نصوص الصفات.

قول الشيخ أبو زهرة بجواز التفويض والتأويل في نصوص الصفات مبنـــي على أن نصوص الصفات من المتشابه وأن ظاهرها يوهم التجسيم والتشبيه، وأنـــه غير مراد، وقد سبق معنا [٢] بيان بطلان هذا القول، وما بُني على باطل فهو باطل.

والشيخ في هذا لم يأت بجديد بل سار على منهج الأشاعرة في القول بجـــواز التفويض أو التأويل يقول اللقاني [٣]:

وكل نـــص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها [٤]

وقال الباجوري [١] شرحاً لهذا البيت: (والمراد بالنص هنا: ما قابـــل القيـــاس، والاستنباط والإجماع، وهو الدليل من الكتاب أو السنة، سواء كان صريحاً أو ظاهراً .

---

(١) انظر تقريب التدمرية ص ٥٥-٥٧.

(٢) انظر: ص١٧٢- ١٧٦ من البحث.

(٣) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، نسبة إلى " لقانة " من البحيرة بمصر من علماء الكلام له مؤلفات منها جوهرة التوحيد، وحاشية على مختصر خليل، توفي عام ١٠٤١هـــ. انظر خلاصة الأثرفي اعيان القرن الحادي عشر ٦/١.

(٤) شرح جوهرة التوحيد ص ٩١.

وقوله : "أوهم التشبيها": أي أوقع في الوهم صحة القول به بحسب ظاهره .. وقوله: "أوله": أي أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوله تأويلاً تفصيلياً بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف: وهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل: من بعد القرون الثلاثة.

وقوله: " أو فوض": أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة الصحابة والتابعون واتباع التابعين.

وقوله: "ورم تنزيها": أي واقصد تنزيها له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي، لأنهم يصرفون النفي الموهم عن ظاهرة المحال عليه تعالى، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين (٢).

هذا ما ذكره الباجوري شرحاً لعقيدة الأشاعرة وهو موافق لما ذهب إليه الشيخ رحمه الله ولهذا سوف أبين بطلان كلٍ من التفويض والتأويل، حتى يتبين لنا خطأ ما ذهب إليه الشيخ في ذلك.

أولاً: بطلان التفويض في نصوص الصفات :

والمراد هنا بيان بطلان تفويض المعنى وليس تفويض الكيفية، لأن تفويض الكيفية هو الحق في نصوص الصفات ويتبين ذلك من وجوه كثيرة منها :

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري نسبة إلى " الباجور " من المنوفية بمصر تولى رئاسة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ. له مؤلفات منها تحفة المريد على جوهرة التوحيد، وحاشية الباجوري على أم البراهين والعقائد، توفي عام ١٢٧٧هـ، انظر: الأعلام ٧١/١.

(٢) شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ٩١ .

الوجه الأول: أن الله تبارك وتعالى وصف كتابه الكريم بأنه بيان وهدى ورحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقال تعالى:﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة:١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤]، وغيرها من الآيات التي تبين أن القرآن كتاب بيان وفصاحة، ولم يستثن الله تبارك وتعالى شيئاً من كتابه لم يتحقق فيه وصف البيان، والهدي لا آيات الصفات ولا غيرها فدل ذلك على أنها بينة المعنى مفهومة للمخاطبين بها، ولهذا لم يستشكل الصحابة رضوان الله عليهم شيئاً من آيات الصفات، أو ينقل عنهم أنهم لم يكونوا يعرفون معناها، فدل ذلك على بطلان القول بالتفويض [(١)].

الوجه الثاني : أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القمر: ٢٢]، يقول ابن جرير رحمه الله : (ولقد سهلنا القرآن، وبيناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ) [(٢)]، ولو كان في القرآن ألفاظ غير مدركة المعنى بيسر وسهولة لما حصل به التذكر والاتعاظ، فكيف بمن زعم بأن فيه ما لا يدرك معناه أصلاً، ولا سبيل إلى عقله وفهمه، يقول ابن القيم: (واخبر أنه يسره للذكر، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعاً من التيسير: إحداها: تيسير ألفاظه، والثاني: تيسير معانيه للفهم، والثالث: تيسير أوامره ونواهيه للامتثال، ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن ميسراً له، بل كان معسراً عليه، فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدل على خلافه، فهذا من أشد التعسير، وهو مناف للتيسير)[(٣)].

---

(١) انظر: مقالة التشبيه جابر إدريس ٥١٦/٢.

(٢) تفسير الطبري ٥٥٥/١١.

(٣) الصواعق المرسلة ٣٣٢/١.

الوجه الثالث : أن الله تبارك وتعالى أمر بتدبر كتابه فقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبر) [(١)]، ويقول أيضاً: (فإذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره، علم أن معانيه مما يمكن للكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكناً للمؤمنين، وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم) [(٢)]، ويقول أيضاً: (إن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم، لفظاً ومعنى، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد. فإنه قد علم أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب، أو النحو أو الفقه أو غير ذلك، فإنه لابد أن يكون راغباً في فهمه، وتصور معانيه، فكيف بمن قرؤوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم الذي به هداهم الله، وبه عرفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي؟

فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات، بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه، فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه، بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعـــريفهم معـــاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعـــاني لا تحصل المقصود، إذ اللفظ إنما يراد للمعنى) [(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٧/١٣.

(٢) المرجع السابق ١٥٧/٥– ١٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٧/٥.

الوجه الرابع : أن الله تبارك وتعالى ذم من لا يفهم القرآن فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥- ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة النساء: ٧٨] فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضاً لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين، وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن المنافقين أن ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد: ١٦]، وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا، وقالوا: ماذا قال آنفاً؟ أي الساعة، وهذا كلام من لا يفقه قوله، فقال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد: ١٦] فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان غير عالمين بمعاني القرآن، جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه) [(١)].

الوجه الخامس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضر مجلسه الشريف أقوام مختلفو الأفهام متفاوتو الإدراك، ولم ينقل عنه عليه السلام أنه كان يحذر الحاضرين لمجلسه من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفات الله تعالى، فلو كان حذر عليه السلام لنقل لنا، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز. يقول أبو الحسن الأشعري: (ومعلوم عند سائر العقلاء أن ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إليه من واجهه من أمته من اعتقاد حدوثهم، ومعرفة المحدث لهم وتوحيده، ومعرفة أسمائه الحسنى، وما هو عليه من صفات نفسه، وصفات فعله، وتصديقه فيما بلغهم من رسالته مما لا يصح أن يؤخر عنهم البيان فيه، لأنه عليه السلام لم يجعل لهم فيما كلفهم من ذلك من مهلة، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٥٨-١٥٩.

أمرهم بفعله في الزمن المتراخي عنه، وإنما أمرهم بفعل ذلك على الفور، وإذا كان ذلك من قبل أنه لو أخر ذلك عنهم لكان كلفهم ما لا سبيل لهم إلى فعله، وألزمهم ما لا طريق لهم إلى الطاعة فيه، وهذا غير جائز عليه لما تقتضيه ذلك من بطلان أمره وسقوط طاعته.

وهذا المعنى لا تجد عن أحد من صحابته خلاف في شيء مما وقف عليه السلام جماعتهم عليه، ولاشك في شيء منه، ولا نقل عنهم كلام في شيء من ذلك ولا زيادة على ما نبههم عليه من الحجج، بل نصوا جميعاً – رحمة الله عليهم – على ذلك، وهم متفقون لا يختلفون في حدثهم ولا في توحيد المحدث لهم وأسمائه وصفاته، وتسليم جميع المقادير إليه، والرضا فيها بأقسامه لما قد ثلجت به صدورهم، وتبينوا وجود الأدلة التي نبههم عليه السلام عليها عند دعائه لهم إليها، وعرفوا بها صدقه في جميع ما أخبرهم به) [١].

ويقول الشيخ مرعي الكرمي: (ويجد الناظر في النصوص الواردة عن الله ورسوله في ذلك نصوصاً تشير إلى حقائق هذه المعاني، ويجد الرسول تارة قد صرّح بها مخبراً بها عن ربه، واصفاً له بها، ومن المعلوم أنه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف: العالم والجاهل، والذكي والبليد، والأعرابي الجافي ثم لا يجد شيئاً يعقب تلك النصوص مما يصرفها عن حقائقها، لا نصاً ولا ظاهراً كما تأولها بعض هؤلاء المتكلمين، ولم يُنقل عنه عليه السلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه، من الفوقية، واليدين ونحو ذلك، ولا نقل عنه أن لهذه الصفات معاني أخرى باطنة غير ما يظهر من مدلولها. ولما قال للجارية: أين الله؟ فقالت: في السماء، لم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهموا

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر ص ١٠١-١٠٢.

أن الأمر على خلاف ما هو عليه، بل أقرها، وقال: أعتقها فإنها مؤمنة [1]. إلى غير ذلك من الدلائل التي يطول ذكرها. ولم يقل الرسول، ولا أحد من سلف الأمة يوماً من الدهر: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، وكيف يجوز على الله ورسوله والسلف أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده – لا يتكلمون به ولا يدلون عليه) [2].

الوجه السادس : أنه يلزم على القول بالتفويض لوازم باطلة منها:

أولاً : أن ظاهر نصوص الصفات كفر وضلال، وأن من اعتقد ظاهر ما دلت عليه النصوص فإنه يكفر، وعلى ذلك فلا حاجة إلى إنزال هذه الآيات الكريمة، لأن الناس لم يستفيدوا منها علماً ولا هدى، بل كانت سبباً في ضلال كثير من العباد، حيث اعتقدوا ظاهرها الباطل على زعمهم [3].

ثانيا : القدح في الرب سبحانه وتعالى، وفي القرآن الكريم، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بأن يكون الله تعالى أنزل كلاماً لا يفهم، وأمر بتدبر مالا يُتدبر، وبعقل ما لا يُعقل، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين، والذكر الحكيم، سبباً لأنواع الاختلافات والضلالات، وأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ البلاغ المبين، ولا بين للناس ما نزل إليهم [4].

ثالثاً: استجهال السلف من الصحابة والتابعين واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين، بمنزلة الصالحين من العامة ولم يتبحروا في حقائق العلم بالله وبصفاته [5].

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم ٥٣٧ ، ٣٨١/١.

(٢) أقاويل الثقات ص ٨٤-٨٦.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة ٧٧٠/٢.

(٤) انظر: درء التعارض ٢٠٤/١.

(٥) انظر: الحموية ص ٢٠٦.

رابعاً: أنه يلزم منه الوقوع في التعطيل، فإن من يثبت ألفاظ الصفات دون ما دلت عليه من المعاني يكون معطلاً لتلك الصفات التي أثبتها الله لنفسه، ولا فرق حينئذ بينه وبين المعتزلة الذين يجعلون أسماء الله الحسنى أعلاماً لا أوصافاً، حيث يزعمون أن تلك الأسماء بمنزلة الألفاظ المترادفة [1].

ثانياً : بطلان التأويل في نصوص الصفات :

ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من تجويز التأويل في بعض نصوص الصفات هو قول باطل للأمور التالية :

أولاً: أن التأويل في عرف السلف من الصحابة والتابعين مخالف لما عليه لفظ التأويل عند المتأخرين يقول شيخ الإسلام: (ولفظ " التأويل " يراد به التفسير، كما يوجد في كلام المفسرين: ابن جرير وغيره. ويراد به حقيقة ما يؤول إليه الكلام. وهو المراد بلفظ التأويل في القرآن. وهذا الوجهان لا ريب فيهما، والتأويل بمعنى التفسير والبيان كان السلف يعلمونه ويتكلمون فيه.

وأما بالمعنى الثاني: فمنه ما لا يعلمه إلا الله، ولهذا كانوا يثبتون العلم بمعاني القرآن، وينفون العلم بالكيفية، كقول مالك وغيره الاستواء معلوم والكيف مجهول. فالعلم بالاستواء من باب التفسير، وهو التأويل الذي نعلمه وأما الكيف فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وهو المجهول لنا.

ويراد بالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، وهذا هو الذي تدعيه نفاة الصفات والقدر ونحو ذلك من نصوص الكتاب والسنة) [2].

---

(١) انظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات د: أحمد القاضي، ص٥٠٥.

(٢) درء التعارض ٥/٢٣٤- ٢٣٥.

ثانيـــاً : أن القول بالتأويل مبني على أساس فاسد، وهو القول بأن ظاهر النـــصوص يوهم التشبيه وقد سبق بيان بطلان ذلك [١]، وما بني على باطل فهو باطل.

ثالثاً : أن الله تبارك وتعالى أخبر أنه يسر القرآن للذكر، والتيسير يشمل عدة معـــان منها تيسير معانيه للفهم [٢]،لأنه لو كان كلامه بألفاظ لا تفهم لم يكن ميـــسراً، وكذلك لو أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه معاني لا تدل عليها، أو تـــدل على خلافها لكان تكليفاً بما لا يطاق ولكان في غاية التعسير لا التيسير [٣].

رابعاً : أن التأويل يعود على المقصود من وضع اللغات بالإبطال، فالإنسان لا يعلـــم ما في ضمير صاحبه إلا بالألفاظ الدالة على ذلك، فإذا حمـــل الـــسامع كـــلام المتكلم على خلاف ما وضع له، وخلاف ما يفهم منه عند التخاطب، عاد على مقصود اللغات بالإبطال ولم يحصل مقصود المتكلم ولا مـــصلحة المخاطـــب، وكان ذلك أقبح من تعطيل اللسان عن كلامه [٤].

خامساً : أن المتأولين عاجزون عن تحقيق الفرق بين ما يسوغ تأويلـــه مـــن آيـــات الصفات وأحاديثها وما لا يسوغ تأويله: فكل ما يدعون أنه لا يسوغ فيه التأويل هو من جنس ما أولوه، وكذا العكس، فإن الله سبحانه وتعـــالى وصـــف نفـــسه بصفات وسمى نفسه بأسماء وأخبر عن نفسه بأفعال، فسمى نفـــسه بـــالرحمن، الرحيم، الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، إلى سائر ما ذكر من أسمائه الحسنى، ووصف نفسه بما ذكره من الصفات كسورة الإخلاص، وأول الحديد، وأول طه وغير ذلك، ووصف نفـــسه بأنـــه يحـــب، ويكره، ويرضى، ويغضب، ويجيء، وينزل إلى السماء الدنيا، وأنـــه اســـتوى

---

(١) انظر: ص ١٧٦.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة، ٣٣٢/١.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة ٣٣٠/١- ٣٣١.

(٤) انظر: الصواعق المرسلة ٣٤٢/١ -

على عرشه، وأن له علماً، وحياة، وقدرة، وإرادة، وسمعاً، وبصراً، وكلامـــاً، ووجهاً، ويدين، وغيرها من الصفات.

ووصفه رسوله بأنه يفرح، ويضحك، وأن قلوب العباد بـــين أصـــبعين مـــن أصابعه، وغير ذلك. فيقال للمتأول: هل تتأول هذا كله أو تؤول بعضه ؟ فإن تأولت الجميع وحملته على خلاف حقيقته، كان ذلك عناداً ظاهراً وكفـــراً صـــراحاً وجحـــداً للربوبية، وحينئذ فلا تستقر لك قدم على إثبات ذات الرب تعالى، ولا صفة من صـــفاته، ولا فعل من أفعاله.

فإن قلت: بل أثبت أن للعالم صانعاً وخالقاً، ولكن لا أصفه بصفة تقـــع علـــى خلقه وحيث وصف بما يقع على المخلوق أتأوله.

قيل لك فهذه الأسماء الحسنى والصفات التي وصف بها نفسه هل تدل علـــى معان ثابتة هي حق في نفسها أم لا تدل؟

فإن نفيت دلالتها على معنى ثابت كان ذلك غاية التعطيل، وإن أثبت دلالتهـــا على معان هي حق ثابت قيل لك فما الذي سوغ لك تأويل بعضها دون بعض؟ ومـــا الفرق بين ما أثبته، ونفيته، وسكت عن إثباته ونفيه من جهة السمع أو العقل؟ ودلالة النصوص على أن له سمعاً، وبصراً، وعلماً، وقدرة، وإرادة، وحياة، وكلاماً كدلالتها على أن له رحمة، ومحبة، وغضباً، ورضى، وفرحاً، وضحكاً، ووجهـــاً، ويـــدين، فدلالة النصوص على ذلك سواء، فلم نفيت حقيقـــة رحمتـــه، ومحبتـــه، ورضـــاه، وغضبه، وفرحه، وضحكه، وأولتها بنفس الإرادة ؟

فإن قلت: لأن إثبات الإرادة والمشيئة لا يستلزم تشبيهاً وتجـــسيماً، وإثبـــات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، فإنها لا تعقل إلا في الأجسام قيل لك: وكذلك جميع ما أثبته من الصفات إنما هي أعراض قائمة بالأجـــسام فـــي الـــشاهد، فكيف لزم التشبيه والتجسيم من إثبات تلك الصفات ولم يلزم من إثبات هذه.

فإن قلت : لأني أثبتها على وجه لا يماثل صفاتنا ولا يشابهها، قيل لك فهلا أثبت الجميع على وجه لا يماثل صفات المخلوقين ولا يشابهها. ولم فهمت من إطلاق هذا التشبيه والتجسيم، وفهمت من إطلاق ذلك التوحيد والتنزيه، وهلا قلت: أثبت له وجهاً، ومحبة، وغضباً ورضى، وضحكاً، ليس من جنس صفات المخلوقين.

فإن قلت: هذا لا يعقل قيل لك: فكيف عقلت سمعاً، وبصراً، وحياة، وإرادة، ومشيئة، ليست من جنس صفات المخلوقين؟

فإن قلت: أنا أفرق بين ما يتأول وبين ما لا يتأول بأن ما دل العقل على ثبوته يمتنع تأويله كالعلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، وما لا يدل عليه العقل يجب أو يسوغ تأويله كالوجه، واليد، والضحك، والفرح، والغضب، والرضا. فإن الفعل المحكم دل على قدرة الفاعل، وإحكامه دل على علمه والتخصيص دل على الإرادة، فيمتنع مخالفه ما دل عليه صريح العقل.

قيل لك أولاً: وكذلك الإنعام والإحسان وكشف الضر وتفريج الكربات دل على الرحمة كدلالة التخصيص على الإرادة سواء. والتخصيص بالكرامة، والاصطفاء والاجتباء، دل على المحبة كدلالة ما ذكرت على الإرادة.

ويقال ثانياً: هب أن العقل لا يدل على إثبات هذه الصفات التي نفيتها، فإنه لا ينفيها، والسمع دليل مستقل بنفسه، بل الطمأنينة إليه في هذا الباب أعظم من الطمأنينة إلى مجرد العقل، فما الذي يسوغ لك نفي مدلوله.

ويقال لك ثالثاً: إن كان ظاهر النصوص يقتضي تشبيهاً أو تجسيماً فهو يقتضيه في الجميع، فأول الجميع، وإن كان لا يقتضي ذلك لم يجز تأويل شيء منه، وإن زعمت أن بعضها يقتضيه وبعضها لا يقتضيه طولبت بالفرق بين الأمرين وعادت المطالبة جذعاً [1].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة ١/٢٢٠-٢٢٥ بتصرف يسير.

سادساً : أن المتأولين يلزمهم في تأويلاتهم التي أثبتوها نظير ما فروا منه في الألفاظ التي أولوها، فإن المتأول إما أن يذكر معنى ثبوتياً أو يتأول اللفظ بما هو عدم محض، فإن تأوله بمعنى ثبوتي كائناً ما كان لزمه فيه نظير ما فر منه، فإن قال أنا أثبت ذلك المعنى على وجه لا يستلزم تشبيهاً. قيل له: فهلا أثبت المعنى الذي تأولته على وجه لا يستلزم تشبيهاً. فإن قال: ذلك أمر لا يعقل. قيل له: فكيف عقلته في المعنى الذي أثبته وأنت وسائر أهل الأرض إنما تفهم المعاني الغائبة بما تفهمها به في الشاهد. ولولا ذلك لما عقلت أنت ولا أحد شيئاً غائباً البتة فما أبديته في التأويل إن كان له نظير في الشاهد لزمك التشبيه، وإن لم يكن له نظير لم يمكنك تعقله البتة وإن أولت النص بالعدم عطلته فأنت في تأويلك بين التعطيل والتشبيه مع جنايتك على النص وانتهاكك حرمته فهلا عظمت قدره وحفظت حرمته وأقررته وأمررته مع نفي التشبيه والتخلص من التعطيل [(١)].

سابعاً: أنه يلزم من التأويل لوازم باطلة منها :

أ- أن لا يكون الكتاب والسنة هدى للناس، ولا بياناً ولا شفاء لما في الصدور ولا نوراً، ولا مرداً عند التنازع، بل كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين [(٢)].

ب- أن يكون الله تعالى قد كلف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك. ومعلوم أن هذا فيه عذاب عظيم للعقول، وفساد كبير في القلوب [(٣)].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة ١/٢٣٤-٢٣٧.

(٢) انظر: الحموية ص ٢٣٥، ٢٣٨.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة ١/٣١٤.

جـ- أن من زعم أن نصوص الصفات تحمل على غير ظاهرها يلزمه " أحد ثلاثة محاذير لابد منها أو من بعضها وهي : القدح في علم المتكلم بها، أو في بيانه، أو في نصحه.

وتقرير ذلك أن يقال : إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص عالماً أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك.

فإن لم يعلم ذلك، والحق فيها كان ذلك قدحاً في علمه، وإن كان عالماً أن الحق فيها فلا يخلو إما أن يكون قادراً على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وأنه لا يعرف الله من لم ينزهه بها أو لا يكون قادراً على تلك العبارات، فإن لم يكن قادراً على التعبير بذلك، لزم القدح في فصاحته وكان ورثة الصابئة [(١)]، وأفراخ الفلاسفة [(٢)]، وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة، أفصح منه، وأحسن بياناً وتعبيراً عن الحق وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة أولياؤه وأعداؤه، موافقوه ومخالفوه، فإن مخالفيه لم يشكوا في أنه أفصح الخلق، وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلصه من اللبس والإشكال.

وإن كان قادراً على ذلك، ولم يتكلم به، وتكلم دائماً بخلافه وما يناقضه كان ذلك قدحاً في نصحه، وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وأخبر عن رسله بأنهم أنصح الناس لأممهم، فمع النصح والبيان والمعرفة التامة، كيف يكون مذهب

---

(١) الصابئة: هم قوم إبراهيم عليه السلام، وأهل دعوته، وكانوا بحرّان، وكانوا قسمين: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة، والبروج الاثنى عشر، ويصورونها في هياكلهم. انظر: الملل والنحل ص٢٥٩، واعتقادات فرق المسلمين المشركين ص١٢٥.

(٢) الفلاسفة: هم طائفة ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين " فيلا" أي محب و"سوفيا" أي الحكمة، فمعناها محب الحكمة، ومن آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني وغيرها. انظر: الملل والنحل ص ٣١٢، واعتقادات فرق المسلمين المشركين ص١٢٦ – ١٢٧.

النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب وقول أهل الإثبات أهل القرآن والسنة باطلاً وضلالاً [(١)].

د- أن القائلين بالتأويل في نصوص الصفات يلزمهم فتح باب التأويل في غيرها كنصوص المعاد والجنة والنار، وقبول تأويل من أولها، إذ الموجب لتأويلها وصرفها عن ظاهرها واحد، وهو الزعم بإحالة العقل لظاهرها وحينئذ يفتح الباب على مصراعيه لكل مدع أن يدعي فيما شاء من نصوص الكتاب والسنة إحالة العقل لظاهرها ووجوب تأويلها [(٢)].

ومما سبق يتضح لنا بطلان ما ذهب إليه الشيخ من تجويز التأويل في نصوص الصفات، وأن الحق فيها هو ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من إجرائها على ظواهرها اللائقة بالله تعالى يقول شيخ الإسلام: (إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها (أي تفسيرها) وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد - إلى ساعتي هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين مالا يحصيه إلا الله ..) [(٣)].

الوقفة الرابعة : في الرد على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفسرون بالمجاز إن تعذر إطلاق الحقيقة :

ما ذهب إليه الشيخ من نسبة المجاز في بعض نصوص الصفات للصحابة، لا يسلم له، وهي نسبة باطلة للوجوه التالية :

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٣٢٤/١-٣٢٦.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة ٣٤٨/١-٣٤٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩٤/٦.

الوجه الأول : أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، تقسيم حادث لم يرد به كتـــاب ولا سنة ولا يعرفه أهل اللغة، ولا يوجد في كلام أحد مـــن الـــصحابة أو التابعين أو اتباع التابعين بل ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة أنه قسم الكلام إلى حقيقة ومجاز يقول ابن القيم: (والشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه، ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرح أحد مـــنهم بـــأن العـــرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز ولا قال أحد من العرب قط: هـــذا اللفـــظ حقيقة وهذا مجاز، ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عـــنهم مـــشافهة ولا بواسطة ذلك، ولهذا لا يوجد في كلام الخليل [١] وسيبويه [٢] والفراء [٣]، وأبي عمرو بن العلاء [٤]، والأصمعي[١] وأمثالهم، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابع التابعين، ولا في كلام أحـــد

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبدالرحمن البصري، أحد الأعلام، ومنشئ علم العروض كان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن، يقال أنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه، ففتح له بالعروض، وله كتاب العين في اللغة توفي عام ١٧٠هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/٤٢٩-٤٣٠.

(٢) هو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه وسمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين بديع الحسن، توفي عام ١٨٠هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٣٥١.

(٣) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الأسدي، مولاهم، الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي، وسمي الفراء لأنه كان يفري الكلام، كان عالماً بالنحو، خبيراً بالطب وبأيام العرب وأشعارها، له مؤلفات منها معاني القرآن، والحدود، توفي عام ٢٠٧هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/١١٨.

(٤) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي، البصري، شيخ الفراء كان عالماً بالقراءات والنحو، والشعر، وأيام العرب، واشتهر بالفصاحة، والصدق، وسعة العلم، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها، توفي عام ١٥٤هـــ. انظر سير أعلام النبلاء ٦/٤٠٧.

الأئمة الأربعة، فإذا علم ذلك يتبين لنا أن هذا التقسيم اصطلاح حـــادث بعـــد القرون الثلاثة المفضلة، وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن ســـلك طريقهم من المتكلمين.

الوجه الثاني: أن الشيخ لما نسب المجاز إلى الصحابة لم يذكر لنا دليلاً علـــى مـــا ذكره ولا يستطيع الشيخ أن يأتي لنا بمثال واحد عن أحد من الصحابة أنه قال بالمجاز، بل هي دعوى وكما قال الشاعر :

والـــدعاوى إذا لـــم يقيمـــوا عليها بينات أهلها أدعياء

وهذا ادعاء باطل من الشيخ لا يوافق عليه.

الوجه الثالث : أن السلف الصالح كانوا يذمون من يفسر اليد بالنعمة أو القـــدرة، أو يفسر الوجه بالذات أو العين بالرعاية، ويردون هذه التأويلات، فكيف ينـــسب إليهم الشيخ أنهم كانوا يفسرون بها النصوص والثابت عنهم خلاف ذلك.

(١) هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي، البصري، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب ولسان العرب، كتب شيئاً لا يحصى عن العرب، وكان ذا حفظ وذكاء ولطف عبارة وبهذا ساد، وتصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة، وأكثر تواليفه مختصرات. توفي عام ٢١٥هـــ وقيل ٢١٦هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٥.

المبحث الثاني: آراؤه في الصفات الذاتية والفعلية

المطلب الأول: آراؤه في الصفات الذاتية:

أولاً : صفة العلو :

يرى الشيخ أن الله تعالى منزه عن علو الذات، لأن الله تعالى: (لا مكان له، لأنه منزه عنه) [١]وأن إثبات علو الذات لله تعالى يقتضي التشبيه والتجسيم لا محالة فها هو رحمه الله يتعقب كلام ابن تيمية لما اثبت علو الله وأنه في السماء يقول : (هذا كلام ابن تيمية بنصه، ولا تتسع عقولنا لإدراك الجمع بين الإشارة الحسية بالأصابع والإقرار بأنه في السماء، وأنه يستوي على العرش، وبين التنزيه المطلق عن الجسمية والمشابهة للحوادث) [٢] ويقول أيضاً: (وإذا كان ابن تيمية قد اتسع عقله للجمع بين الإشارة الحسية وعدم الحلول في مكان، أو التنزيه المطلق فعقول الناس لا تصل إلى سعة أفقه إن كان كلامه مستقيماً) [٣].

ويتأول الشيخ الآيات والأحاديث الدالة على كون الله تعالى في العلو، وأنه سبحانه في السماء بعلو القدر والقهر يقول عفى الله عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: (فالله سبحانه هو العلي: علا بصفاته وذاته عن مشابهة المخلوقات، وعلا أيضاً عن خلقه بمعنى سيطر عليهم وسيرهم، فالعلو يشمل معنيين: أولهما: علو المنزلة والقدر، وذلك متحقق بتنزهه سبحانه عن مشابهة المخلوقين، وأنه فوق كل موجود.

وثانيهما: علو السلطان، والقدرة والقهر..) [٤].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:٦١]: (قوله تعالى (فوق عباده) كناية عن علو إرادته، ولا إرادة لمخلوق فوق إرادته، أو يقال إنها

---

(١) زهرة التفاسير ٢٨٣٧/٦، وانظر: أيضاً ١٩٠/١، ٤٨٤٤/٩، ٢٨٦٣/٦.

(٢) ابن تيمية حياته وعصره ص ٢٧٠، وانظر أيضاً: تاريخ المذاهب ص١٩٦.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) زهرة التفاسير ٩٤١/٢.

استعارة تمثيلية فيها تصوير علو الله تعالى على كل شيء في الوجود سلطاناً وتذليلاً بمن يكون فوق كل شيء حساً، وفي الحقيقة ذلك مجاز مشهور لا يحتاج إلى تقدير تشبيه أو نحوه، كقولنا: الأمير فوق رؤسائه أو فوق رعيته، وقد انحرف انحرافاً كبيراً الذين قالوا: إن ثمة فوقية حسية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)[1].

النقد :

وما ذهب إليه الشيخ من إنكار علو الذات لله تعالى مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة فإن العلو من الصفات الذاتية الثابتة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل فأما دلالة الكتاب والسنة فقد ذكرها أئمة السنة في كتبهم ووصل بها بعضهم إلى أكثر من عشرين نوعاً [2]، واعترف بها بعض كبار أئمة الكلام كابن كلاب[3]، والباقلاني [4]، والرازي [5] وسوف أذكر بعضها فمنها:

التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

أ- التصريح بالفوقية لله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

---

(١) زهرة التفاسير ٢٥٢٧/٥.

(٢) انظر: الرد على الجهمية للإمام: أحمد ص ١٣٥-١٣٨، والرد على الجهمية للدارمي ص٤٠-٧٠، والتوحيد لابن خزيمة ٢٣١/١- ٢٨٨، والإبانة للأشعري ص ٩٧- ١٠٣، والشريعة للآجري ١٠٨٢/٣ - ١١٠٦، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ٣٧٨/٣ -٤٠٢، والأسماء والصفات للبيهقي ٢٧٢/٢- ٣٢٩، والتمهيد لابن عبدالبر ١٢٩/٧-١٤٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/٥-١٥، ١٦٤/٥، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٠٥/٢.

(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص٢٨٢- ٢٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩٩- ٣٠٣.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠٤- ٣٠٦.

ب- [سورة الأنعام:١٨]، وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل:٥٠].

جـ- التصريح بأنه تعالى في السماء قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

د- ومنها الرفع والصعود والعروج إليه كما قال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج: ٣-٤] .

هـ- ومن ذلك التصريح بنزوله تبارك وتعالى كمثل ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله : (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[١].

و- ومن ذلك رفع الأيدي إليه والأبصار كما في أحاديث القنوت، وأحاديث الاستسقاء كما في حديث أنس رضي الله عنه وفيه: (.. فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه ..) [٢]، وكما في حديث ابن عباس في خطبته صلى الله عليه وسم يوم النحر وفيه: (... ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل برقم ٥٩٦٢، ج٥/ ٢٣٣٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد.

اللهم هل بلغت) [١]، وغيرها من أنواع الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على أن الله تعالى في السماء وأنه مستو على العرش.

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد منهم الإمام عثمان بن سعيد الدرامي في نقضه علي المريسي [٢]، وابن عبدالبر في التمهيد [٣]، وأشار إليه ابن القيم في الصواعق المرسلة فقال: (وأما من نقل إجماع الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فأكثر من أن يذكر ولكن ننبه على اليسير منه) [٤].

وأما دلالة الفطرة فإن بني آدم كلهم مفطورون على الإقرار بعلو الله الذاتي، لا يستطيع أحد منهم أن ينفك عن ذلك – عدا من اجتالته الشياطين منهم – فإن بني آدم إذا نابهم شيء اتجهوا بقلوبهم وأيديهم إلى جهة العلو اضطراراً وليس اختياراً بحيث لا يستطيع أحد دفع ذلك [٥]، وبهذا الأمر خصم الإمام أبو جعفر الهمداني الإمام أبا المعالي الجويني لما أخذ يقرر وهو على المنبر انكار استواء الله على عرشه بقوله كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان فقال له أبو جعفر: يا أستاذ: دعنا من ذكر العرش – يعني أن ذلك إنما جاء في السمع – أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط يا " الله " إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا تلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ فلطم أبو المعالي على رأسه وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني، ونزل [٦].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى برقم ١٦٥٢، ج ٦١٩/٢.

(٢) انظر: نقض الإمام الدارمي على المريسي ٢٢٨/١.

(٣) انظر: التمهيد ١٤٥/٧.

(٤) الصواعق المرسلة ١٢٨٣/٤.

(٥) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص٢٠-٢١، والتوحيد لابن خزيمة ٢٥٤/١، والتمهيد لابن عبدالبر ١٣٤/٧-١٣٥، ودرء التعارض ١٢/٦، ومجموع الفتاوى ٢٥٩/٥-٢٦٠، والصواعق المرسلة ١٣٠٦/٤.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى ٤٤/٤، وسير أعلام النبلاء ١٠٢/٢٠.

ويعلق شيخ الإسلام على هذه القصة بقوله (وذلك لأن نفس استوائه على العرش بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام علم بالسمع ، الذي جاءت به الرسل، كما أخبر الله به في القرآن والتوراة . وأما كونه عالياً على مخلوقاته بائناً منهم: فهو أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم. وكل من كان بالله أعرف، وله أعبد، ودعاؤه له أكثر، وقلبه له أذكر كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل) [1].

وأما دلالة العقل فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن الله تعالى كان ولا شيء معه ثم خلق العالم فلما خلقه فلا يخلو إما أن يخلقه داخل نفسه أو خارج نفسه، والأول باطل قطعاً بالاتفاق، لان الله منزه عن النقائص، أو أن يكون محلاً للقاذورات تعالى الله عن ذلك، فلزم أن يكون مبايناً للعالم. وإذا كانت المباينة فإنها تستلزم إما علوه على العالم أو سفوله عنه، وقد ثبت بصريح العقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما دون النقص، والعلو صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فوجب اختصاصه بها [2].

وبهذا يتبين لنا بطلان ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من نفي علو الله الذاتي لمخالفته لدلالة الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل. وأما اعتماده في نفي العلو على أن إثبات العلو يلزم منه أن الله جسم وأن الله في مكان فهو باطل، وذلك أن لفظ الجسم والمكان من الألفاظ المجملة المشتبهة التي لم يرد بها كتاب ولا سنة لا إثباتاً ولا نفياً والواجب التمسك بالألفاظ الشرعية، وأما التي لم ترد في الكتاب والسنة فيستفصل من قائلها ماذا يريد بها، فإن أراد بها معنى حقاً قبل وأن أراد بها معنى باطل رد وأما اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه لعدم ورود ذلك وعلى هذا يرد السؤال لمن يقول أن إثبات العلو

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٤٥.

(٢) انظر: ودرء التعارض ٦/١٤٣-١٤٦، ٧/٣-١٠، ومجموع الفتاوى ٥/١٥٢، والصواعق المرسلة ٤/١٣٠٧.

لله تعالى يلزم منه أن الله جسم فنقول له ماذا تريد بالجسم؟ فإن قال المراد بالجسم المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والانفصال، أو المركب من مادة [١] وصورة [٢]، أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر الفردة [٣].

قيل له: أن الله تعالى منزه عن ذلك كله، فالله تعالى منزه عن أن يكون متفرقاً فاجتمع، أو أن يقبل التفريق والتجزئة التي هي مفارقة بعض الشيء بعضاً وانفصاله عنه، أو غير ذلك من التركيب الممتنع عليه.

وإن أراد الجسم ما يُشار إليه، أو ما يُرى، أو ما تقوم به الصفات، فيقال له: إن الله تعالى يُرى في الآخرة، وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم، ووجوههم، وأعينهم، وهذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلاً على نفيه.

وأما اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، فليس في الكتاب ولا السنة، ولا قول أحد من سلف الأئمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً [٤].

ويقال مثل ذلك في لفظ المكان، فإن أراد من نفي المكان أن الله لا يحل في المخلوقات، وأنه لا يحتاج إلى شيء منها فقد أصاب، فإن الله منزه عن ذلك. وإن أراد أن الله تعالى ليس فوق السماوات، ولا هو مستو على العرش استواء لائقاً بذاته، وليس هناك إله يعبد، فيقال له أن المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى

---

(١) مادة الشيء: هي التي يحصل معها بالقوة، وقيل: المادة الزيادة المتصلة. انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٩٥.

(٢) الصورة: هو ما به يحصل الشيء بالفعل وقيل ما يؤخذ منه عند حذف المشخصات. انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٣٥.

(٣) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يقبل القسمة، لا قطعاً، ولا كسراً، ولا وهماً ولا فرضاً. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢٠٧/١.

(٤) انظر منهاج السنة ١٣٤/٢- ١٣٥، ودرء التعارض ٣٤٦/٦-٣٤٧، ٣٥٠-٣٥٤١، ١٠-٣٠٩، ومجموع الفتاوى ٢١٤/٥، ٣١٧/١٢.

ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلاً على نفيه. وأما اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، يقول نعمان الألوسي [١] : (وأما القائل الذي يقول : إن الله لا ينحصر في مكان إن أراد به أن الله لا ينحصر في جوف المخلوقات وأنه لا يحتاج إلى شيء منها فقد أصاب، وإن أراد أن الله تعالى ليس فوق السماوات، ولا هو مستو على العرش استواء لائقاً بذاته، وليس هناك إله يعبد ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج إلى ربه تعالى، فهذا جهمي فرعوني معطل) [٢].

وأما تأويله الآيات الدالية على العلو والفوقية بأنها علو القهر والقدر دون علو الذات فباطل لوجوه:

الأول: أن هذا القول مبني على اعتقاد باطل وهو كون ظاهر النصوص يقتضي التجسيم، وقد سبق بيان بطلان هذا القول [٣] وما بُني على باطل فهو باطل.

الثاني:أنه ادعى أن ذلك مجاز مشهور، وهذا لا يسلم له لأن الأصل الحقيقة والمجاز خلاف ذلك [٤].

الثالث: أن هذا الاستعمال المجازي لابد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته، فأين القرينة الصارفة في فوقية الرب تعالى وعلوه.

الرابع: أن الفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ذلك وأنه سبحانه وتعالى فوق العالم بذاته، فالخطاب بفوقيته تعالى ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية [٥].

---

(١) هو نعمان خير الدين الألوسي، أبو البركات، البغدادي الحنفي، من مؤلفاته : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح وغيرهما من الكتب توفي عام ١٣١٧هـ. انظر: الأعلام ٤٢/٨.

(٢) جلاء العينين ص٣٨٥.

(٣) انظر: ص ١٧٢.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص٣٧٠.

الخامس: قوله أن ذلك كقولنا الأمير فوق رؤسائه أو فوق رعيته، فهذا قبيح في حق الله تعالى، فإن ذلك إنما يقال في حق المتقاربين في المنزلة أو أحدهما أفضل من الآخر، وأما إذا لم يتقاربا بوجه فإنه لا يصح فيهما ذلك، وإذا كان يقبح كل القبح أن تقول الجوهر فوق قشر البصل، وإذا قلت ذلك ضحكت منك العقلاء للتفاوت العظيم الذي بينهما، فالتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم (١).

السادس: أن الآيات والأحاديث تواترت كلها على التصريح بعلو الله المطلق الذي يتضمن علو ذاته وقدره وقهره، وهو على علو الذات أدل من باقي أنواع العلو ولم يرد فيها على كثرتها ما يفيد تقييد ذلك بعلو القهر والقدر دون علو الذات، فتقييدها بذلك وتأويلها به دون غيره تحكم لا دليل عليه.

السابع: إن الرب سبحانه وتعالى لم يتمدح في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه أفضل من العرش، وأن رتبته فوق رتبة العرش، وأنه خير من السماوات والعرش والكرسي، وحيث ورد ذلك في الكتاب فإنما هو في سياق الرد على من عبد معه غيره، وأشرك في إلهيته، فبين سبحانه أنه خير من تلك الآلهة كقوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ ﴾ [النمل:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ ﴾ [يوسف: ٣٩]، ولكن أين في القرآن مدحه نفسه وثناؤه على نفسه بأنه أفضل من السماوات والعرش والكرسي ابتداءً، ولا يصح إلحاق هذا بذلك، إذ يحسن في الاحتجاج على المنكر وإلزامه من الخطاب الداحض ما لا يحسن في سياق غيره، ولا ينكر هذا إلا غبي (٢).

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٧٠.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٣٧٠.

ثانياً: صفــة الــوجـــه :

ينكر الشيخ إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق بجلاله بناءً على ما قرره من أن إثباته يقتضي التشبيه والتجسيم [1] ويؤول الآيات والأحاديث الواردة في صفة الوجه بأن المراد منها الذات يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] : أي واتجهوا إليه، فإن هناك وجه الله تعالى، فثم بمعنى مكان أو هناك وجه الله والمراد ذاته العلية الكريمة، وعبر بالوجه لأن الوجه بالنسبة للعباد هو الجزء الواضح البادي، وإذا رؤي فقد رؤيت الذات، ولذا كان في التحدث عن الله تعالى الوجه هو الذات كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] [2].

ويقول في موطن آخر من تفسيره : (وعبر بالوجه فإنه كثير ما يعبر به عن الذات كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة القصص: ٨٨] [3] ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٢] : أي يقصدون بعبادتهم ذاته العلية ولا يقصدون شيئاً سواها) [4].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢]: (ومعنى ابتغاء وجه ربهم أن يطلب رضا ذات الله تعالى العلية عليه. وعبر بالوجه عن الذات، لأنه في أصل معناه اللغوي ما يواجه الإنسان) [5].

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية ص ٢١-٢٢، وتاريخ المذاهب ص ١٩٨.
(٢) زهرة التفاسير ٣٧٥/١.
(٣) المرجع السابق ٣٦٧/١.
(٤) المرجع السابق ٢٥٦٣/٥.
(٥) المرجع السابق ٨ / ٣٩٣٤.

وما ذهب إليه الشيخ من تأويل الوجه بالذات مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة فإن صفة الوجه من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الــرحمن: ٢٦-٢٧]. يقول ابن جرير في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره: كل مــن علــى ظهــر الأرض من جنس وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربــك يــا محمــد ذو الجــلال والإكرام، وذو الجلال والإكرام نعت الوجه فلذلك رفع ذو. وقد ذُكر أنهــا فــي قراءة عبدالله بالياء" ذي الجلال والإكرام" على أنه من نعت الرب وصفته) [(١)]. وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٨].

وأما الأحاديث فكثيرة جداً منها حديث أبي موسى الأشعري [(٢)] رضــي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: (إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليــل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابة النور – وفي رواية النار – لو كشفه لأحرقت سبحات[(٣)] وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[(٤)].

وكذلك ما رواه مسلم من حديث أبي موسى أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما

---

(١) تفسير الطبري ٥٩١/١١.

(٢) هو عبدالله بن قيس الأشعري، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وتولى إمارة الكوفة في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، وأقرأ أهل الكوفة القرآن وعلمهم الفقه وكان حسن الصوت بالقرآن، توفي سنة ٤٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٢، والإصابة ١٨١/٤.

(٣) والسبحات: بضم السين والباء ورفع التاء، جمع سحبة كغرفة وغرفات، وهي مواضع السجود، ومعنى سبحات وجهه أي نور وجهه، أو جلال وجهه . انظر تهذيب اللغة للأزهري، ٤٥/٢. وشرح السنة للبغوي، ١٧٤/١. وغريب الحديث لابن الجوزي، ٤٥٤/١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله : حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، برقم ١٧٩، ج١/١٦١-١٦٢.

فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[1]. وما رواه البخاري من حديث جابر بن عبدالله [2] رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بوجهك) فقال: (أو من تحت أرجلكم) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بوجهك) قال: (أو يلبسكم شيعا) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا أيسر) [3].

وأما الإجماع فقد حكاه جماعة من أهل العلم منهم الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد حيث قال: (نحن نقول: وعلماؤنا جميعاً في الأقطار: أن لمعبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله فذوّاه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك) [4]. وقال أيضاً: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر مذهبنا : أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقولنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين) [5].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم ١٨٠، ج١/١٦٣.

(٢) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري، شهد بيعة العقبة، من المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم، شهد جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر وأحد مات بالمدينة سنة ٧٣هـ، وقيل ٧٤هـ. الإصابة ١/٥٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {كل شيء هالك إلا وجهه} برقم ٦٩٧١، ج٦/٢٦٩٤.

(٤) التوحيد لابن خزيمة ١/٥٣. وانظر أيضاً نقض الإمام الدارمي على المريسي، ٢/٧٢٢- ٧٢٣. الإبانة للأشعري، ص٣٤. وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، ص١٦٥.

(٥) المرجع السابق ١/٢٦.

وأما تأويله للوجه بالذات فباطل من وجوه :

الوجه الأول: أنه مبني على أصل باطل وهو أن إثباته يقتضي التشبيه وقد سبق بيان بطلان ذلك [١] وما بني على باطل فهو باطل.

الوجه الثاني: أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه بل الوجه في اللغة مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه، ولهذا فهو في كل محل بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف الوجه إلى زمن كان الوجه زمناً، كما إذا قيل وجه النهار أي أوله، ولا يمكن أن يراد به جميع النهار، وكذلك إذا أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه، فإذا قيل وجه الثوب فالمراد به أحد جانبيه وهو من جنسه، وإذا قيل وجه الحائط فالمراد به أحد جانبيه وهو من جنسه، فكذلك يكون إذا أضيف إلى من (ليس كمثله شيء) كان وجهه تعالى حقيقة كما قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، يقول الإمام ابن القيم : (فتأمل رفع قوله (ذو الجلال والإكرام) عند ذكر الوجه، وجرّه في قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام لما كان القصد الإخبار عنه، وذي المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم فتأمله) [٢].

الوجه الثالث: أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم التفريق بين الوجه والذات فقد روى الإمام أبو داود [٣] في سننه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص

---

(١) انظر: ص ١٧٢ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ص٣٥١.

(٣) سليمان بن الأشعث السجستاني، شيخ السنة، ومقدم الحفاظ، رحل في طلب الحديث، وجمع، وصنّف، وبرع في هذا الشأن، من نجباء أصحاب الإمام أحمد، توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٣، تهذيب الكمال ٢٦٢/٣.

رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الــشيطان الــرجيم) [1] فتأمل كيف قرن في الاستعاذة بين استعاذته بالذات وبين اســتعاذته بالوجــه الكريم وهذا صريح في إبطال من تأول الوجه بالذات [2].

الوجه الرابع: أنه لا فرق بين من أوّل الوجه بالذات وبين من قال أن لفــظ الوجــه زائد في الآيات التي ورد فيها ذكر الوجه، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧] معناها ويبقى ربك وهكــذا ولا شك أن هذا القول كذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وســلم وعلــى اللغة فإن هذه الكلمة ليست مما عهد زيادتها، ثم أنه لو ساغ ذلك لساغ لمعطل آخر أن يدعي الزيادة في كل ما أضيف إلى الله تعالى من صــفات كمالــه، كعزة الله، وقدرته، وسمعه وبصره، وغير ذلك من الصفات. بل إن هذا القول يتضمن إلغاء وجه الله تبارك وتعالى لفظاً ومعنى، فيكون لفظه زائد ومعنــاه منتف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [3].

ثالثاً: صفــة اليديــن:

ينكر الشيخ صفة اليد لله تعالى لأن إثباتها يوهم التشبيه والتجسيم ويتأول الآيات التي وردت في إثبات صفة اليد لله تعالى بمعنى الفيض والإنعام أو القوة والنعمة يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة : ٦٤]: (وقد فسرت اليد المنسوبة

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد برقم ٤٦٦، ج١/١٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٣/١.

(٢) انظر: مختصر الصواعق ٣٥٤.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٥٠-٣٥١.

لله تعالى بالمعنى المجازي المناسب في كل آية في القرآن الكريم على ما اختاره الغزالي وغيره، حتى أنه قال في قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح:١٠] بالسلطان والقوة، كما يقال وضع الأمير يده على المدينة، ولو كان مقطوع اليدين، والكلام في هذه المسألة مشهور في كتب علم الكلام) (١)، ويقول أيضاً : (وبسط اليد هنا مجاز عن الجود والفيض والإنعام من الله تعالى على خلقه، وعبر هنا بالمثنى، فقال سبحانه (يداه) للإشارة إلى كثرة الفيض والإنعام، والعطاء العميم كأنه يعطي بيدين لا بيد واحدة ...) (٢). ويقول أيضاً : (وبعض السلف كانوا يفسرون بالمجاز المشهور الواضح، وهو إطلاق اليد بمعنى القدرة أو النعمة ...) (٣).

وما ذهب إليه الشيخ من إنكار اليد لله تعالى وتأويلها بالقدرة أو النعمة مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة فإن صفة اليدين من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة : ٦٤]، وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥]، فهاتان الآيتان صريحتان في إثبات اليدين لله تعالى. وقال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] ، وقال تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح:١٠]، وغيرها من الآيات التي فيها إثبات اليد لله تعالى. يقول الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد تحت باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا : (والبيان: أن الله تعالى له يدان، كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه).

---

(١) زهرة التفاسير ٢٢٧٨/٥، وانظر أيضاً زهرة التفاسير ١١١٤/٢، وابن تيمية ص ٢٧٧.

(٢) المرجع السابق ٢٢٧٩/٥.

(٣) العقيدة الإسلامية ص٢٧.

قال عز وجل لإبليس : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ ص [ص: ٧٥]، وقال جل وعلا تكذيباً لليهود حيث قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤] فكذبهم في مقالتهم وقال: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وأعلمنا أن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينيه، : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح:١٠]، وقال : ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يــــس:٨٣]، وقال : ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران:٢٦]، وقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [يــــس:٧١]) (١).

وأما من السنة النبوية فالأحاديث التي تثبت صفة اليدين لله تعالى كثيرة جــداً منها قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أنس في الشفاعة الكبرى: (يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيديه، وأسجد لك الملائكة ..) (٢) الحديث.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه قوله صلى الله عليه وسلم في محاجة آدم وموسى عليهما السلام: (قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامــه وخط لك بيده) (٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم:(يقــبض الله الأرض يــوم القيامــة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض) (٤).

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١١٨.

(٢) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : {لما خلقت بيدي} برقم ٦٩٧٥، ج٦/٢٦٩٥، وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم ١٩٣، ج١/ ١٨٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله برقم ٦٢٤٠ ج٦/٢٤٣٩، رواه مسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عند الله برقم ٢٦٥٢ ج٤/ ٢٠٤٢.

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ملك الناس} برقم ٦٩٤٧ ج٦/٢٦٨٨، ورواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، برقم٢٧٨٧، ج٤/٢١٤٨.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (يد الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وقال: وكان عرشه على الماء، بيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع) [١].

أما الإجماع فقد حكاه جماعة من اهل العلم منهم أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث حيث قال: (أصحاب الحديث حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، وأشهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم، على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون إنه خلق آدم عليه السلام بيديه كما نص سبحانه عليه في قوله عز وجل من قائل : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين ...) [٢]، ويقول شيخ الإسلام: (بل إثبات جنس هذه الصفات قد اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وأئمة أهل الكلام من الكلابية، والكرامية، والأشعرية، كل هؤلاء مثبتون لله صفة الوجه واليدين ونحو ذلك) [٣].

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {لما خلقت بيدي} برقم ٦٩٧٦ ج٦/٢٦٩٧ ورواه مسلم بنحوه في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم ٩٣٣ ج٢/٦٩١.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٠- ١٦١. وفي إثبات اليد لله تعالى انظر أيضاً كتاب التوحيد لابن خزيمة، ١/١١٨. رسالة إلى أهل الثغر للأشعري، ص١٢٧. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ٣/٤٥٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ٤/١٧٤.

وأما تأويله لليد بمعنى القدرة أو النعمة أو الفيض والإنعام فباطل من وجوه[1] منها :

الوجه الأول: أنه مبني على أصل باطل وهو أن إثباتها يقتضي التجسيم، وقد سبق بيان بطلان ذلك [2]، وما من بُني على باطل فهو باطل.

الوجه الثاني: أنه ادعى أن ذلك مجاز مشهور، وهذا لا يسلم له لأن الأصل الحقيقة، والمجاز خلاف ذلك.

الوجه الثالث: أن مدعى المجاز المعين يلزمه أمور (أحدها) إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة إذ مدعيها معه الأصل والظاهر، ومخالفها مخالف لهما جميعاً، (ثانيهما) بيان احتمال اللفظ لما ذكره من المجاز لغة، وإلا كان منشئاً من عنده وضعاً جديداً (ثالثها) احتمال ذلك المعنى في هذا السياق المعين فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص، (رابعها) بيان القرائن الدالة على المجاز الذي عينه بأنه المراد، إذ يستحيل أن يكون هذا هو المراد من غير قرينة في اللفظ تدل عليه البتة، وإذا طولبوا بهذه الأمور الأربعة تبين عجزهم [3].

الوجه الرابع : أن إطراد لفظ اليد في نصوص الكتاب والسنة، وتنوع ذلك يمنع من حملها على المجاز، فقوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة : ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] ، فلو كان مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل

---

(١) ذكرها بن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ووصل بها إلى عشرين وجهاً. انظرها من ص ٣٣٦-٣٤٩.

(٢) انظر: ص ١٧٢.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص٣٣٦.

منه لفظ اليمين، كقوله صلى الله عليه وسلم: (المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين) [1] فلا يقال هذا يد النعمة والقدرة، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض) [2]، وكذلك ما رواه البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من اليهود فقال: (إنه إذا كان يوم القيامة، جعل الله السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه، وتصديقاً لقوله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وما قدروا الله حق قدره – إلى قوله يشركون) [3] [سورة الزمر:٦٧] ، فهنا هز وقبض وذكر يدين، وغيرها من الأحاديث الصحيحة الصريحة في ثبوت هذه الصفة، فهل يمكن أن تكون كل هذه النصوص مجازاً لا حقيقة، وليس معها قرينة واحدة تبطل الحقيقة وتبين المجاز [4]؟!

الوجه الخامس: أن قبول الشيخ لتفسير صفة اليدين بالنعمة أو النعمتين قول مخالف للغة العرب التي نزل بها القرآن يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: (وليس في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: "عملت كذا بيـــدي" ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيـــان

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل برقم ١٨٢٧، ج٣/١٤٥٨.

(٢) رواه البخاري ، كتاب التفسير، باب قوله: {والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ...} برقم ٤٥٣٤، ج٤/١٨١٢..

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم ٧٠٧٥، ج٦/١٧٢٩٦.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص٣٣٧.

أن يقول القائل " فعلت بيدي" ويعني النعمة . فبطل أن يكون معنى قوله عز وجل: {لما خلقت بيدي} النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يد) بمعنى: لي عليه نعمة ؛ ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دفع عن أن يكون اليد بمعنى (النعمة)، إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة؛ إلا من جهة اللغة فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها، لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل: (بيدي) نعمتي إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادّعى متفقين، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلاً) [(1)].

الوجه السادس: أن تأويل صفة اليدين بالنعمتين قول باطل لان نعم الله تعالى كثيرة لا تحصى يقول تعالى: : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ولا يمكن أن تكون محصورة في نعمتين فقط يقول الإمام الدارمي: (وقد ادعى المريسي وأصحابه أن يد الله نعمته فقلت لبعضهم : إذاً يستحيل في دعواكم أن يقال: خلق الله آدم بنعمته، أقوله {مبسوطتان} أنعمتان من أنعمه فقط مبسوطتان؟ فإن نعمه أكثر من أن تحصى، أفلم يبسط منهما على عباده إلا اثنتين، وقبض عنهم ما سواهما في دعواكم، فحين رأينا كثرة نعم الله المبسوطات ثم قال: {بل يداه مبسوطتان} علمنا أنهما بخلاف ما ادعيتم، ووجدنا أهل العلم ممن مضى يتأولونها على خلاف ما تأولتم وحجتهم أرضى وقولهم أشفى) [(2)].

الوجه السابع: أن تأويل صفة اليدين بالقدرة والنعمة قول باطل، لأنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ

---

(١) الإبانة لأبي الحسن الاشعري ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) نقض الدارمي على المريسي ٢٨٥/١.

الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وكقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقد يجمع النعم كقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾﴾ [سورة لقمان: ٢٠]، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتي أو نعمتي، فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم (١).

الوجه الثامن: أنه لو كان معنى اليدين في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥] أي قدرتي، لما كان هناك مزية لآدم عليه السلام، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه، ومعلوم أن الله جعل ذلك خاصة خص بها آدم عليه السلام دون غيره، ولهذا لما يأتي أهل الموقف إلى آدم عليه السلام يستشفعون به يقولون له : (يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته ..) (٢) فهذه من خصائص آدم عليه السلام، فلو كان المراد باليد القدرة لكان بمنزلة أن يقال له خلقك الله بقدرته، فأي فائدة في ذلك (٣).

رابعـــاً : صفة العينين :

يؤول الشيخ صفة العين لله تعالى بالرعاية والرقابة وينكر إثبات صفة العين صفة ذاتية لله تعالى على ما يليق بجلاله بناءاً على مذهبه من أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم، فقد أحال عند الكلام على قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴿٢٧﴾﴾ [المؤمنون: ٢٧]، إلى كتاب الغزالي إلجام العوام عن علم الكلام يقول رحمه الله: (فقوله {اصنع الفلك بأعيينا ووحينا} أي اصنع الفلك برعايتنا ورقابتنا، كمن يكون تحت العين والبصر، ولا يعد ذلك تأويلاً، بل إنه ظاهر اللفظ

---

(١) انظر: مختصر الصواعق ص ٣٣٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {لما خلق بيدي}، برقم ٦٩٧٥، ج٦/٢٦٩٥.

(٣) انظر: مختصر الصواعق ص٣٣٨..

من غير تأويل، فلا حاجة إلى ما قيل إن هذا تأويل كقول الخلف، ولا إلى القول بأن لله عيناً ليست كأعيننا كما يُدعى أنه قول السلف راجع في هذا رسالة الغزالي: إلجام لعوام عن علم الكلام) [١] وقد ذكر الغزالي في رسالته المذكورة أن كل من بلغه حديث من أحاديث الصفات وهو من العوام أنه يجب عليه سبعة أمور ذكر منها التقديس ويعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها [٢]. ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٢]: (أي أن ذلك كله تدبير من الله، وهو من مقتضى علمه الشامل الذي هو علم من يسمع من غير أذن، ومن يبصر من غير عين جارحة، لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [٣].

وما ذهب إليه الشيخ من تأويل صفة العين بالرعاية والرقابة هو قول الأشاعرة [٤] وهو مخالف لمذهب أهل السنة و الجماعة في إثبات العين لله تعالى بمقتضى الكتاب والسنة والإجماع وذلك على الوجه اللائق بالله تعالى وهي من صفاته الذاتية الخبرية.

أما الكتاب فقال تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴿٣٧﴾ ﴾ [هود:٣٧] وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الطور: ٤٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٣-١٤].

أما السنة فالأحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن الله لا يخفى

---

(١) زهرة التفاسير ٥٠٦٦/١٠، وانظر أيضاً ٢٧٢٥/٩.

(٢) انظر: إلجام العوام من علم الكلام ص٤٢-٤٤، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي المجموعة الرابعة.

(٣) زهرة التفاسير ٣١٤٢/٦.

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٥٥-١٥٨، وغاية المرام للآمدي ص ١٤٠، وأساس التقديس للرازي ٩٥.

عليكم، إن الله ليس بأعور – وأشار بيده إلى عينه – وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية) [١].

ومنها حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: (مـا بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بـأعور، مكتوب بين عينيه كافر) [٢].

وأما الإجماع فقد حكاه أبو عثمان الصابوني عنهم فقال: (وكذلك يقولون – أي أهل السنة – في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين ...) [٣].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (أجمع أهل السـنة علـى أن العينـين اثنتان) [٤].

وأما تأويله للعين بأن المراد بها العلم أو الرعاية والرقابة فقـط دون صـفة العين لله تعالى حقيقة فهو باطل لأنه مخالف لإجماع السلف ثم أن مـن فـسر مـن السلف الآيات بأن المراد بها الرعاية والرقابة لم يريدوا بذلك نفي حقيقة العين، وإنما فسروها باللازم مع إثباتهم العين لله تعالى يقول الشيخ ابن عثيمين رحمـه الله: (ولا يجوز تفسيرها [٥] بالعلم، ولا بالرؤية مع نفي العين، لأنه مخـالف لظـاهر اللفـظ وإجماع السلف على ثبوت العين لله ، ولا دليل عليه [٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {ولتصنع على عيني} برقم ٦٩٧٢ ج٦/٢٦٩٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {ولتصنع على عيني} برقم ٦٩٧٣ ج٦/٢٦٩٥.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٥. وانظر أيضاً لوامع الأنوار البهية، ١/٢٣٨-٢٤٠.

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين، ٣/٢٣٥.

(٥) المراد آية سورة طه وآية سورة القمر حيث قال هذا بعد ذكره للآيتين.

(٦) أي أن المراد بالعين مجرد الرؤية مع نفي العين.

والجواب عن تفسير بعض السلف قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة القمر:١٤]: أي بمرأى منا، أنهم لم يريدوا بذلك نفي حقيقة معنى العين، وإنما فسروها باللازم مع إثباتهم العين، وهذا لا بأس به، بخلاف الذين يفسرون العين بالرؤية، وينكرون حقيقة العين) [١].

ويقول الشيخ محمد خليل هراس: (أنه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها إلا بالنسبة لمن له عين حقيقة، فهل يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا: أن الله يتمدَّح بما ليس فيه، فيثبت لنفسه عيناً وهو عاطل عنها؟! وهل يريدون أن يقولوا : أن رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها، بل هو يراها بذاته كلها، كما تقول المعتزلة! إنه قادر بذاته، مريد بذاته ...) [٢].

خامساً : صفتي السمع والبصر :

يؤول الشيخ صفتي السمع والبصر بمعنى العلم وهو بهذا يوافق بعض المعتزلة [٣] الذين يؤولون السمع والبصر بالعلم يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣٤]: (أي أن الله سبحانه وتعالى عالم علماً دائماً أزلياً علم من يسمع ما يجهر به ويسر، ومن يطلع على حركات النفوس، وخلجات القلوب وما يجيش في الصدور، وعالم علم من يبصر أدق الأعمال وأخفاها من خير أو شر) [٤]. ويقول أيضاً: (وذكر السميع البصير في هذا المقام للإشارة على أن الله تعالى عليم علم من يسمع بما قيل لك من مشركي قريش وأهل الطائف، والعليم علم من يبصر بما رد به سفهاء ثقيف ...) [٥].

---

(١) تعليقات على الواسطية ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٢٧٥/٤.
(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١١٨.
(٣) كالنظام والكعبي ومن تابعهما من البغداديين. انظر الفرق بين الفرق ص ١٨١.
(٤) زهرة التفاسير ١٨٩٣/٤.
(٥) المرجع السابق ٤٣٢١/٨، وانظر أيضاً زهرة التفاسير ٣٦٠٧/٧، ٤٥١٩/٩.

وما ذهب إليه الشيخ من تأويل صفتي السمع والبصر بالعلم مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة فإن السمع والبصر صفتان ذاتيتان ثابتتان لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وقد دل عليها الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة:١]، وغيرها من الآيات التي يجمع الله فيها بين اسمه تعالى السميع والبصير مما يدل على أن له سمعاً وبصراً حقيقياً يسمع ويبصر بهما.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً منها حديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ولكن تدعون سميعاً بصيراً) (١). ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن جبريل عليه السلام ناداني وقال: إن الله سمع قول قومك وما ردوا عليك) (٢)، ومنها أيضاً حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال: (إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور – وفي رواية النار– لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة برقم ٦٠٢١ ج٥/٢٣٤٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {وكان الله سميعاً بصيراً} برقم ٦٩٥٤ ج٦/٢٦٩٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٠٦ .

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد منهم الإمام الــدارمي [1]، وابــن بطــه[2]، والصابوني[3]، وشيخ الإسلام[4] وغيرهم يقول ابن بطة رحمــه الله : (فــإن أهــل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وأن الله قديم لا بداية له ... لم يزل عالماً ناطقاً سميعاً بصيراً) [5].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله : (وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة) [6].

وأما تأويله للسمع والبصر بالعلم فباطل لوجوه :

الوجه الأول: أن هذا التأويل فيه نفي لصفتي السمع والبصر عن الله تعالى، وهما صفتان قائمتان بذاته تعالى حقيقة، يؤيد ذلك الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه من رواية أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨] قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع إصبعيه) [7] يقول البيهقي: (والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر

---

(١) انظر: نقض الدارمي على المريسي، ٦٨٩/٢.

(٢) انظر: الإبانة، ٥٥٧/٢، ٥٥٨.

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٥.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ١٩٦/٥، و٢١٨/٣.

(٥) الإبانة لابن بطة، كتاب الإيمان، ٥٥٧/٢.

(٦) مجموع الفتاوى، ١٩٦/٥.

(٧) سنن أبي داود ، كتاب السنة، باب في الجهمية والمعتزلة برقم ٤٧٢٨ ج٦٤٥/٢. قال الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث (أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم) فتح الباري ٣٨٥/١٣.

منا، لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال: قبض فلان على مال فلان، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر حقيقيان، لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلوم منا)[1] .

الوجه الثاني : أنه يلزم من يؤول السمع والبصر بالعلم بأن يكون في كلام الله تعالى ما هو لغو لا فائدة منه وهذا ما ألزم به أبو الحسن الأشعري المعتزلة فقال: (وزعمت المعتزلة أن قوله تعالى {سميع بصير} أن معناه عليم. قيل لهم: فإذا قال عز وجل﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طـه:٤٦] وقال:﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة:١] فهل معنى ذلك عندكم علم؟

فإن قالوا : نعم.

قيل لهم : فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله ﴿ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طـه:٤٦] (أعلم وأعلم إذا كان معنى ذلك العلم) [2].

وهذا لاشك أنه باطل فكلام الله تعالى أجل وأعظم من أن يكون فيه حشو لا فائدة منه فتبين بطلان ما ذهب إليه الشيخ من تأويل السمع والبصر بالعلم. ويلزمهم أيضاً ما ذكره في موضع آخر من أن يكون معنى قادر معنى عالم (... فيقال للمعتزلة : إذا زعمتم أن معنى سميع بصير معنى عالم فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟ .. فإن قالوا : هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً.

قيل لهم : لو كان معنى (سميع بصير) معنى عالم لكان كل معلوم مسموعاً، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم) [3].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٤١٢/١-٤٦٣.

(٢) الإبانة للأشعري ص ١٢٠-١٢١.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

الوجه الثالث: أنه يلزم الشيخ وكل من أول صفتي السمع والبصر بالعلم تـسوية الله تعالى بالأعمى الذي يعلم أن السماء زرقاء ولا يراها، والأصم الذي يعلـم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها يقول ابن بطـال رداً علـى مـن أوّل الـسمع والبصر بالعلم : (ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها والأصم الذي يعلم أن في النـاس أصـواتاً ولا يـسمعها، ولاشك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحـدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً، وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً وبـين كونـه ذا سـمع وبصر وهذا قول أهل السنة قاطبة) [1].

المطلب الثاني: آراؤه في الصفات الاختيارية:

أولاً: صفـة الـكـلام :

تمهيد :

قبل أن أبدأ ببيان رأي الشيخ عفى الله عنه في هذه المسألة أحب أن أنبه على بعض الأمور التي رأيتها في كلام الشيخ عن هذه المسألة وغيرها من مسائل العقيدة وهي كالتالي:

أولاً: تهوين الشيخ للخلاف في هذه المسألة، وكأن الخلاف في هذه المسألة أمر سائغ يقول في ذلك: (وإذا كان الأمر كما خرج ابن تيمية قول الإمام أحمد عليه، فالحقائق لم تكن موضع خلاف بين السلف والمعتزلة بالنسبة للقرآن فكلاهما قال إنه ليس بقديم، وإنما الخلاف في أن يقال عنه مخلوق أو لا يقال) [2]،

---

(١)شرح صحيح البخاري(٤١٦/١٠)

(٢) ابن تيمية حياته وعصره، ص٢٩٨.

يعني أن الخلاف في مجرد التسمية واللفظ فهو خلاف لفظي فها هو يقول: (والحقيقة أن الخلاف في شئون العقيدة كانت خلافات جزئية لا تتصل بلبابها وجوهرها، بل يكاد الخلاف فيها يكون لفظياً) [١].

ويقول أيضاً في حديثة عن المعتزلة وجدالهم مع الفقهاء والمحدثين: (فإن موضع الخلاف بين المعتزلة والفقهاء هين متدارك، لا يكفر به مخالف، ولا يخرج به عن نهج الدين مجادل... وليس معنى هذا الكلام أنه لم يكن هناك خلاف، بل كان بينهما خلاف في جزئيات كثيرة، ولكنه لا يصيب لب العقيدة) [٢].

ويقول أيضاً: (وعند النظر في التوفيق بين الرأيين – أي رأي السلف والمعتزلة– نقرر حقيقتين: أولاهما: أن أحمد في أول مرة كان يتوقف عن القول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، لأنه يرى أن ذلك بدعة من القول، ولكنه بعد أن زالت المحنة ما كان يستطيع أن يستمر على توقفه، بل لابد أن يدلي بقوله مؤيداً أحد الاتجاهين ... فاختار ما رآه أسلم في نظره، وهو أن القرآن ليس بمخلوق، وليس معنى ذلك أنه قديم، بأنه لم يؤثر عنه أنه قديم ... وإذا انتهينا إلى أن الخلاف حول التسمية يكون خلافاً يسيراً ...) [٣].

ثانياً: أرى أن الشيخ يتناقض في حديثه عن الخلاف في مسألة خلق القرآن فهو أحياناً يصفها بأنها من المنكرات، وأنه لابد للإمام أحمد من الصدع بالحق، وأن فكرة الإمام أحمد سليمة يقول في ذلك: (ونحن وإن كنا لا نرى ذلك التوقف عن الحكم بخلق القرآن، مع إجلالنا لمقام أحمد وورعه وإحاطته لدينه نجد أن الأخذ بالتقية في دار الإسلام لا يصح لأن المنكر في دار الإسلام

---

(١) المرجع السابق، ص٣٥٨.

(٢) الشافعي حياته وعصره، ص١١٦.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٤٨٨.

يجب استنكاره) [1]. إذن هنا يصف الشيخ بأن القول بخلق القرآن منكر يجب استنكاره، وهذا من التناقض فكيف يكون الخلاف سائغ وفي الجزئيات وتصفه بأنه منكر يجب استنكاره.

ويقول أيضاً: (ولأن التقية لا تجوز من الأئمة الذين يقتدى بهم، ويهتدى بهديهم، حتى لا يضل الناس) [2]. فكيف يكون القول بخلق القرآن ضلال وأنت ترى أن المسألة جزئية؟ أليس هذا من التناقض، وإن كنا نوافق الشيخ على أن القول بأن القرآن مخلوق ضلال بل هو كفر عند أهل السنة. ويقول أيضاً: (لأنهم – أي الأئمة المقتدى بهم – إن نطقوا بغير ما يعتقدون وليس للناس علم ما في الصدور اتبعوهم في مظهرهم، ويظنون أنه الحق الذي ارتضوه ديناً، وبذلك يكون الفساد عاماً، ولا يخص، وحق على الإمام أن يكون الممتحن المبتلى، فتنتشر الفكرة السليمة ...) [3].

فقول الشيخ (بذلك يكون الفساد عاماً ولا يخص) معنى ذلك أن القول بخلق القرآن إذا قال به كل الناس يكون الفساد في الدين، وهو يرى أن المسألة جزئية فكيف هذا، أليس هذا من التناقض. هذا وإن صبر الإمام أحمد على البلاء والمحنة والعذاب يدل على أن المسألة ليست في الفروع بل هي في الأصول، لأن القول بخلق القرآن، يؤدي إلى نفي صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى، ونفي الكلام يؤدي إلى نفي باقي الصفات وهذا ينتهي إلى التعطيل المحض، فإنه لا يتصور وجود ذات بدون صفات.

يقول شيخ الإسلام في بيان ما يؤول إليه القول بخلق القرآن: (وأن المقصود بقولهم: أن القرآن مخلوق أن الله لا يكلّم ولا يتكلّم، ولا قال ولا يقول، وبهذا تتعطل سائر الصفات من العلم والسمع والبصر، وسائر ما جاء به الرسل وأنزل به الكتب،

---

(١) ابن حنبل حياته وعصره، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص٥٧.

ثم فيه قدح في رسالة الرسل، فإن الرسل إنما جاءت لتبليغ كلام الله، فإذا قدح في أن الله لا يتكلم، كان ذلك قدحاً في رسالة المرسلين) (١).

ولذلك عبر ابن القيم عن هذه المعاني في قصيدته المشهورة بالنونية حيث قال:

والله عز وجل موص آمر	ناه مثيب مرسل لبيان
ومخاطب ومحاسب ومنبئ	ومحدث ومخبر بالشان
هاد يقول الحق يرشد خلقه	ومحذر ومبشر بأمان
فإذا انتفت صفة الكلام فكل	هذا منتف متحقق البطلان
وإذا انتفت صفة الكلام كذلك	الإرسال منفي بلا فرقان (٢)

فكل هذه الأمور الباطلة تكون نتيجة لمن يقول بخلق القرآن ومع ذلك نرى الشيخ عفى الله عنه يهون من الخلاف في المسألة وهذا من تساهله.

رأيه في صفة الكلام :

يثبت الشيخ أبو زهرة صفة الكلام لله تعالى ويرى أنها قديمة ويشير في حديثة عن صفة الكلام إلى مذهب المعتزلة ولا يرتضيه يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]: (وإن هذا يدل على أن الله تعالى متصف بصفة الكلام، والمعتزلة من الفرق الإسلامية ينكرون نسبة صفة الكلام لله تعالى، ويذهب فرط غلو بعضهم إلى أن يفسروا قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) بأنه كَلّم من الكَلْم لا من الكلام، أي أن الله تعالى اختبر موسى عليه السلام اختبارات شديدة كانت كالكلام والجروح وتلك مغالاة في تفسير القرآن الكريم بالمذهبية، وقد أنكره الزمخشري – وهو منهم – وسماه من بدع التفاسير. والحق أن

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٨١.

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم – لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، ١/٣١٠.

كلم من الكلام، وقد أكد تكليم الله تعالى لموسى بالمصدر، والظاهر من الكلام إذا أكد، كان غير قابل للمجاز ولا للتأويل، وأنه يجب تفسير القرآن بظواهره، وخصوصاً الظواهر المؤكدة ولا تطغى الآراء المذهبية على المعاني القرآنية، فالقرآن منبع الحق، ونور المتقين) [1].

بل إن الشيخ يرى أن الله كلم موسى عليه السلام من وراء حجاب وأن موسى سمع كلام الله تعالى في ذلك: (استأنس كليم الله بربه وطمع الكليم في أن يرى حبيبه، ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف:١٤٣] أي افتح بصري بالرؤية لأنظر إليك، أو تبين لي أنظر إليك. قال الله الذي كلم موسى، وحسب موسى أن الرؤية كالكلام، وإن كان الكلام من وراء حجاب، وقد شجعه على طلبه الرؤية أنه سمع الكلام، ومن سمع الكلام الجميل الجليل طمع في رؤية من يكلمه) [2].

ويقول أيضاً: وقوله تعالى: (وبكلامي) أي بكوني اختصصتك من بين الأنبياء بأن كلمتك من وراء حجاب) [3].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: ١١ - ١٢] : (وقد أكد ضمير المتكلم، وهو ياء المتكلم بتأكيدين أولهما (إنَّ) المؤكدة، وثانيهما الضمير الظاهر (أنا) المؤكد لياء المتكلم، وكان التأكيد لغرابة المؤكد في ذاته، ولغرابته على موسى عليه السلام، أما الغرابة في ذاتها فهو أنه من أغرب الغرائب "أن يكلم الله أحداً من عباده فقد يوحى إليه، أما أن يكلمه فذلك أمر غريب لم يكن به عهد حتى عند الأنبياء، وأما الغرابة بالنسبة لموسى فهو أنه خرج من مصر هارباً من مظالم فرعون وقهره ... ولكنه يفاجأ بأنه

(١) زهرة التفاسير، ١٩٦٧/٤.
(٢) المرجع السابق، ٢٩٤٥/٦.
(٣) زهرة التفاسير، ٢٩٤٧/٦.

يخاطبه ربه من وراء حجاب ولذا كان التأكيد في موضعه ليأنس بربه وتذهب عنه وحشة الاغتراب" [(١)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [النمل: ٩] : (النداء المتكرر من الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام ليؤنسه بذاته العلية .. ولكن موسى يود أن يطمئن إلى أن الله تعالى هو الذي يخاطبه ويمنحه ذلك الشرف، ولذا أمره بأن يلقي عصاه حجة تدل على أن الله تعالى هو الذي يخاطبه ...) [(٢)].

هذا كلام الشيخ في إثبات صفة الكلام لله تعالى، ويظهر من خلال النصوص السابقة أن الشيخ أثبت صفة الكلام وخالف المعتزلة، لكن الشيخ عفى الله عنه على مذهب الأشاعرة.

فقد وقفت على كلام له في المعجزة الكبرى يفهم منه بأنه ينكر أن الله يتكلم بحرف وصوت، وأن الكلام هو المعنى دون اللفظ وهذا يؤدي إلى القول بالكلام النفسي يقول رحمه الله معلقاً على قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢] : (... فكلمة أوحينا مع حلاوة لفظها فيها إشارة على هذه المعاني وفي عمومها، ولم يبين نوع الوحي، إذ هو على ضروب مختلفة متعددة بالنسبة لخطاب الله تعالى لأنبيائه عامة، وبالنسبة لمحمد خاتم النبيين خاصة، وذلك إما برسول يشاهد، يرى ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي – صلى الله عليه وسلم – يراه النبي عليه السلام وحده – وإما بإلقاء في الروع كما قال عليه السلام: (إن روح القدس نفث في روعي) ، وإما بمخاطبة لله تعالى وسماع كلامه سبحانه من غير حس، كما كان في المعراج ...) [(٣)]. فقوله " من غير حس " أي من غير صوت ولا

---

(١) المرجع السابق، ٤٧٠٩/٩.

(٢) المرجع السابق، ٤٧٠٩/٩.

(٣) المعجـــزة الكبرى، ص١٣٠

حرف فيكون المراد أن الله متصف بصفة الكلام والمراد به الكلام النفسي القائم بالذات، وأن كلام الله من غير صوت ولا حرف، وأنه يخرج اللفظ عن مسمى الكلام ويجعل الكلام هو المعنى النفسي القائم بالذات، ويؤيد ما سبق أن الشيخ عفى الله عنه يقول بخلق القرآن فهو يرى أن الألفاظ والحروف مخلوقة، بينما المعنى متعلق بعلم الله يقول في ذلك : (القرآن له ناحيتان إحداهما: معانيه وهي متعلقة بعلم الله تعالى الأزلي، فهي من علمه تعالى، وعلمه قديم، لأن صفات الله تعالى قديمه. والثانية: ما يتعلق بألفاظه وحروفه التي أوحى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق روحه الأمين جبريل، وقد قرأها للنبي صلى الله عليه وسلم وأقرأها النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة، وهؤلاء أقرءوها للتابعين، وتواترت القراءة والإقراء بها، وهذه نرى أنها مخلوقة لله تعالى) [١] فهو يرى أن الكلام معنى قائم بالنفس، والألفاظ عبارة عن هذا المعنى.

النقـــــد :

ما ذهب إليه الشيخ عفى الله عنه من إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، موافق لمذهب الأشاعرة، فإن الأشاعرة يرون أن الله متصف بصفة الكلام، وأن الله متكلم، ولكن كلامه معنى قائم بالذات وليس متعلقاً بالمشيئة والإرادة وأنه ليس بحرف ولا صوت [٢]، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون الكلام صفة قائمة بذات الله تعالى، ويقولون أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً ولا يزال، وأن كلامه تعالى متعلق بمشيئته وإرادته، وأنه مسموع بالآذان حقيقة، وأنه

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٤٨٨- ٤٨٩ وانظر أيضاً: ابن حنبل، ص١١٤.

(٢) انظر الإتصاف للباقلاني، ص٢٨٠ . والإرشاد للجويني، ص١٧٠، وأصول الدين للبغدادي، ١٠٦- ١٠٨. وقواعد العقائد في التوحيد للغزالي، ص٩٧. والأربعين في أصول الدين للرازي، ٢٤٤/١- ٢٥٨. وشرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص٧١. وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد، ٣٦٣/١، ٤١٠، ٤٩٤.

بحرف وصوت، وأن القرآن الكريم من كلام الله سبحانه وتعالى بحروفه ومعانيه، تكلم الله به على الحقيقة [1]، ويستدلون على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والعقل.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الشورى: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف: ٢٧]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي فيها إثبات أن الله تبارك وتعالى يتكلم ويكلم رسله حقيقة.

وأما من السنة فالأحاديث كثيرة جداً منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق؟ فحج آدم موسى) [2].

---

(١) انظر خلق أفعال العباد للبخاري، ٦/٢، ٦٢. والرد على الجهمية للدارمي، ص١٥٥. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ٢٢٧/٢- ٣١٢. وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، ص١٦٥. والحجة في بيان المحجة للأصبهاني، ٢٢٧/١- ٢٣٠، ٢٥٣- ٢٨٠. ومجموع الفتاوى، ٥٢٧/٦- ٥٢٨، ٢٤٣/١٢- ٢٤٤، ٥٨٤- ٥٨٦. وشرح الطحاوية لابن أبي العز، ص١٦٨- ١٨٨. ومعارج القبول للحكمي، ٢٤٧/١- ٢٨٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: (وكلم الله موسى تكليما)، برقم ٧٠٧٧، ٢٧٣٠/٦. وروى مسلم نحوه في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم ٢٦٥٢، ٢٠٤٢/٤.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ...) [(١)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل) [(٢)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوان، فلا أسخط عليكم بعده أبداً) [(٣)].

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم منهم الإمام الدارمي [(٤)]، وابن أبي عاصم [(٥)]، وأبو الحسن الأشعري [(٦)]، والآجري [(٧)]، وابن بطة[(٨)]، والصابوني[(٩)]، والمقدسي [(١٠)]، وابن تيمية [(١١)]، وغيرهم.

---

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة، برقم ٧٠٧٤، ٢٧٢٩/٦. ورواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، برقم ١٠١٦، ٧٠٣/٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، برقم ١٥١٩٢، وقال محققه: (إسناده صحيح على شرط البخاري)، ٣٧٠/٢٣-٣٧١. والبخاري في خلق أفعال العباد، ص١٨. وأبو داود في سننه برقم ٤٧٣٤. وابن ماجه برقم ٢٠١. والترمذي، برقم ٢٩٢٥، وقال عنه حسن صحيح. والدارمي في الرد على الجهمية، برقم ٢٨٥، ص١٥٨. وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٩٦٠، ٨٩٧/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، برقم ٧٠٨٠، ٢٧٣٢/٦.

(٤) انظر: نقض عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي، ٨٢٤/٢.

(٥) انظر: السنة لابن أبي عاصم، ٦٣١/٢.

(٦) انظر: رسالة إلى أهل الثغر، ص١٢٥.

(٧) انظر: الشريعة، ١١٠٧/٣.

(٨) انظر: الإبانة، ٥/٢.

(٩) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٥.

(١٠) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٣٠.

(١١) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ص٢٥. ومجموع الفتاوى، ٥٣٢/٥. ومنهاج السنة النبوية، ١٢٨/٣.

يقول ابن أبي عاصم: (ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة ... والقرآن كلام الله تبارك وتعالى – تكلم الله به، ليس بمخلوق) [١]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به، وإن كلامه غير مخلوق) [٢]، ويقول أيضاً: (بل نقول إنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة) [٣].

وأما دلالة العقل :

فمن المعلوم أن الكلام صفة كمال، وضدها صفة نقص كالبكم والخرس، والبكم والخرس إن وجدت في المخلوق العاجز الضعيف كانت نقصاً، فكيف يصح إثباتها لمن له الكمال المطلق سبحانه ؟ وكيف يهب عبده الكمال ويتصف بالنقص؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

ولقد جاء القرآن الكريم بتقرير هذا الأمر فقال تعالى في العجل الذي عبده بنو إسرائيل: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه: ٨٩]، فعاب العجل بكونه قد سلب صفة الكلام، فدل على أن سلبها صفة نقص لا تليق بالإله المعبود، وما كان الله ليعيب إلههم الباطل، بما هو عيب فيه تعالى وتقدس [٤].

---

(١) السنة، ٦٣١/٢.

(٢) شرح العقدية الأصفهانية، ص٢٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨٤/٩.

(٤) انظر: شرح الطحاوية، ص١٧٠. والعقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية لعبد الله الجديع، ص٩٤.

وأما ما ذكره الشيخ عن صفة الكلام فسوف أناقشه حسب النقاط التالية:

أولاً : حقيقة الكلام :

قول الشيخ: " من غير حس" يدل على أنه يخرج اللفظ من مسمى كلام الله ويجعله المعنى، ولا يسلم للشيخ قوله في مفهوم الكلام فإن الكلام في اللغة يطلق على اللفظ والمعنى معاً يقول ابن فارس في معنى الكلام: (الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح.

فالأول الكلام تقول كلمته أكلمه تكليماً، وهو كليمي، إذا كلمك أو كلمته، ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة ...) [١] إذن ابن فارس يرى أن الكلام نطق مفهم أي لفظ ومعنى، يقول ابن تيمية: (وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة، وكلام السلف والأئمة، بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام، والقول، وهذا كلام فلان، أو كلام فلان، فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لشموله لهما ليس حقيقة في اللفظ فقط، كما يقول قوم، ولا في المعنى فقط، كما يقوله قوم، ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم، ولا مشترك في كلام الآدميين وحقيقة في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم) [٢]، وإذا أريد به اللفظ وحده أو المعنى وحده لم يخل من قرينة تدل عليه[٣].

وأما في الشرع فقد وردت الآيات والأحاديث التي تفيد أن اللفظ يدخل في مسمى الكلام، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وهذا ظاهر في أن المراد الكلام اللفظي، وكما في قوله تعـــــالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [الكهف: ٥]، فأطلق الكلمة

(١) معجم مقاييس اللغة، ١٣١/٥. وانظر أيضاً: لسان العرب، ٤٨٠/٧- ٤٨١.

(٢) مجموع الفتاوى، ٤٥٦/١٢- ٤٥٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٥٣٣/٦.

على اللفظ الخارج من الأفواه وأما من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم) [(١)]. فهذا الحديث ظاهر في إخراج حديث النفس عن مطلق الكلام – إذ الإطلاق يفيد اشتماله على المعنى واللفظ.

ومما سبق يتبين لنا بطلان قول الشيخ في إخراج اللفظ عن مسمى الكلام، ومما تجدر الإشارة إليه أنه ليس لمن أخرج اللفظ عن مسمى الكلام دليل شرعي يعول عليه، وأقوى ما يعتمدون عليه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾ [المجادلة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ [الملك: ١٣].

واستشهدوا أيضاً ببيت للأخطل النصراني [(٢)].

إن الكلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وليس لهم فيما ذهبوا إليه مستمسك.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ ٨﴾ [المجادلة: ٨]، فيمكن أن يجاب عنه بجوابين:

أحدهما: أن المراد أنهم قالوه بألسنتهم سراً، وحينئذ فلا حجة لهم فيه، وهذا هو الذي ذكره المفسرون، حيث كانوا يقولون: سام عليك فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم، أي يقول بعضهم لبعض: لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول [(٣)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الإيمان برقم ٦٢٨٧، ٢٤٥٤/٦. وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب ما لم تستقر، برقم ١٢٧، ١١٦/١.

(٢) هو غياث التغلبي النصراني، أحد الشعراء المشهورين، توفي في نحو سنة ١٠٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥٨٩/٤.

(٣) انظر تفسير ابن جرير، ١٦/١٢. والمحرر الوجيز لابن عطية، ٢٧٧/٥. وتفسير البغوي، ٥٢/٨. والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ٣١/٢٨.

والثاني: أنه قيده بالنفس، وهذا على أن المقصود أنهم قالوه بقلوبهم، وإذا قيد القول بالنفس كان دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم) (١)، وهذا رد عليهم لأنه قال ما لم (تتكلم) فدلّ على أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الملك: ١٣]، واحتجاجهم على أن القول المسر في القلب دون اللسان لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

فالجواب عنها أن هذه حجة ضعيفة جداً لأن قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ﴾ بين أن القول يسر به تارة، ويجهر به أخرى، وهذا إنما هو فيما يكون في القول الذي هو بحروف مسموعة، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه إذا كان عليماً بذات الصدور فعلمه بالقول المسر والمجهور به أولى (٣).

وأما استدلالهم ببيت الأخطل:

إن الكلام لفـــي الفــؤاد وإنمـــا   جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالجواب عنه من وجوه :

---

(١) سبق تخريجه، ص٢٣٤.

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ٣/١٢٦٩- ١٢٧٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ، ٧/١٣٣ – ١٣٤. وانظر أيضاً: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود، ١٢٧٠/٣.

الأول: أن هذا البيت مشكوك في ثبوته عن الأخطل فقد قال ابن الخشاب[1]: (فتشت شعر الأخطل المدون كثيراً فما وجدت هذا البيت)[2]، وقد شكك في نسبته للأخطل شيخ الإسلام [3] أيضاً وشارح الطحاوية [4].

الثاني: على فرض ثبوته عن الأخطل فإنه لا حجة لهم فيه، لأن الأخطل شاعر مولد لا يحتج بشعره في اللغة، ولأنه أيضاً نصراني ومعلوم أن النصارى يتكلمون في كلمة الله بما هو باطل [5].

الثالث: أن مسمى الكلام والقول ونحوهما، ليس هو مما يحتاج في تفسيره إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، واللغة إنما تستفاد من استعمال أهلها لها في كلامهم، لا تستفاد مما يذكر من الحدود والتعريفات فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم: إن الرأس كذا، واليد كذا والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم. وبهذا يعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى " الكلام " ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد: إن كان قال ذلك ما فسره المفسرون للشعر، أي أصل الكلام من الفؤاد. وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، ولهذا قال:

لا يعجبنـــك مـــن أثيـــر لفظـــة   حتى يكون مع الكلام أصـــيلا

إن الكلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا   جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

---

(١) هو عبدالله بن أحمد بن أحمد البغدادي، كان أديباً عالماً باللغة والأدب والنحو والشعر والفرائض، يضرب به المثل في العربية، حتى قيل: إنه بلغ رتبة أبي على الفارسي، توفي عام ٥٦٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥٢٣/٢٠.

(٢) العلو للذهبي، ١٣٧٣/٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ١٣٨/٧.

(٤) انظر: شرح الطحاوية، ص١٤٨، تحقيق: أحمد شاكر.

(٥) انظر مجموع الفتاوى ١٣٩/٧.

فنهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل، ولهذا قال: حتى يكون مع الكلام أصيلا. وقوله: مع الكلام: دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله: " مع الكلام " مطلق، وقوله إن الكلام لفي الفؤاد: أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل عليه [١].

الرابع: أنه لو احتج عليهم محتج في مسألة بحديث في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا: هذا خبر واحد، مع أنه مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، ومع هذا لا يقبلون به، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام [٢]، وهذا من تناقضهم نسأل الله السلامة.

ثانياً : أن كلام الله من غير حرف ولا صوت :

قول الشيخ عفى الله عنه: (من غير حس) أي من غير صوت، ولم نتقول على الشيخ في ذلك فأن أهل اللغة يطلقون كلمة " حس " على الصوت يقول ابن فارس: (الحاء والسين أصلان: فالأول غلبة الشيء بقتل أو غيره، والثاني: حكاية صوت عند توجع وشبهة) [٣]. ويقول ابن منظور: (الحس والحسيس: الصوت الخفي) [٤].

فقوله أن النبي صلى الله عليه وسلم خاطبه الله تبارك وتعالى من غير حس أي من غير صوت، إنما هو مبني على مذهب الأشاعرة في قولهم بالكلام النفسي،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٧/١٣٩.
(٢) المرجع السابق، ٧/١٣٨.
(٣) معجم مقاييس اللغة، ٢/٩.
(٤) لسان العرب، ٤/١٦٢.

وأن كلام الله الذي هو صفته هو المعنى النفسي القديم القائم بذاته بدون اللفظ، ولاشك أن القول بالكلام النفسي قول باطل، وقد سبق أن أوردت أبرز أدلتهم على الكلام النفسي وبينت بطلانها، وما بني على باطل فهو باطل، والذي يهمني هنا هو بيان بطلان ما ذهب إليه الشيخ من نفي الحرف والصوت عن كلام الله تعالى، وعليه فيمكن أن يرد على الشيخ بما يلي:

أولاً: أن القول بأن كلام الله بصوت وحرف هو مقتضى الأدلة من الكتاب والسنة، ودلالتهما على ذلك من وجوه:

أ) أن النصوص القرآنية قد أثبتت المناداة والمناجاة لله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [طه: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [القصص: ٦٢]، وقوله عز وجل: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٦]، ومعلوم أن النداء لا يكون إلا بصوت يقول الجوهري: (والنداء: الصوت، وقد يضم مثل الدُعاء، والرُغاء، وناداه مناداة، أي: صاح به) [١].

وجاء في لسان العرب: (والنداءُ والنُّداء: الصوت مثل الدُّعاء والرغُاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء أي صاح به ... والنداء - يحدد - الدعاء بأرفع الصوت) [٢].

ويقول شيخ الإسلام: (والنداء في لغة العرب: هو صوت رفيع، لا يطلق النداء على ما ليس بصوت، لا حقيقة ولا مجازاً) [٣].

---

(١) معجم الصحاح، ص١٠٢٩.

(٢) لسان العرب، ٧٣٩/٨.

(٣) مجموع الفتاوى، ٥٣١/٦.

وأما السنة فقد ورد التصريح بإثبات الصوت فقد روى الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن أنيس [(١)] رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الله العباد – أو الناس – عراة غرلاً بهما) قال: قلنا: وما بهما؟ قال: (ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أَقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أَقُصَّه منه حتى اللطمة) قال: قلنا : كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهماً ؟ قال: (بالحسنات والسيئات) [(٢)].

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار) [(٣)].

ب) إن النصوص قد دلت على أن الله متكلم، وأن كلامه مسموع كقوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة طه: ١٣] والمسموع لا يكون إلا صوتاً [(٤)].

ج) أنه ورد إطلاق الحرف على كلام الله، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: (بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه سلم سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا

---

(١) هو عبدالله بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني، حليف بني سلمة من الأنصار، كان رضي الله عنه أحد من يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار، شهد العقبة وما بعدها، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن نبيح المعتزي وحده، فقتله، توفي رضي الله عنه عام ٥٤هـ بالشام.
انظر: الإصابة: في تمييز الصحابة، ١٣/٤- ١٤.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم ١٦٠٤٢، ٤٣١/٢٥، وقال عنه محققه (إسناده حسن) . ورواه البخاري في خلق أفعال العباد برقم ٦٠-٢ / ٤٩-٥٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) برقم ٧٠٤٥، ٢٧٢٠/٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ٥٣١/٦.

اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم وقال: أَبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته) [١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ولا أقول" " ألم" حرف، ولكن ألف حرف ، ولام حرف، وميم حرف) [٢].

ثانياً: أن الناس قد أجمعوا قبل ظهور البدع على أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، حتى نبغ ابن كلاب فأحدث القول بأن كلام الله تعالى، معنى نفسي ليس بحرف ولا صوت يقول أبو نصر السجزي: (اعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب ... في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف وإتساق وإن اختلفت به اللغات... فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً، فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاول الرد على المعتزلة عن طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنة، ولا ما كان من السلف عليه ... خرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة المسلم والكافر) [٣].

ثالثاً: أن الكلام الحقيقي هو المنتظم من الحروف المسموعة الدال على المعاني المقصودة، وأما الكلام الذي يدعي الأشاعرة – ومنهم أبو زهرة – ثبوته، ويزعمون أنه معنى نفسي قائم بالذات ليس بحرف ولا صوت فإنه غير معقول وليس له حقيقة في الشرع ولا في اللغة، وغير متصور ولهذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (الكلام القديم النفساني الذي أثبتموه، لم تثبتوا ما هو بل ولا

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، برقم ٨٠٦، ١/٥٥٤.

(٢) رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من أجر برقم.

(٣) الرد على من انكر الحرف والصوت ص ٢

تصورتموه، وإثبات الشيء فرع عن تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب – رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيء يعقل، بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس.

والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه، أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ فلا يعرف الساكت والعاجز حتى يعرف الكلام ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس. فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتونه) [(١)].

وبهذا يتبين لنا أن ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة عفى الله عنه في كلام الله تعالى مما تابع فيه متأخري الأشعرية، وهو باطل بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والعقل كما سبق بيانه، ومما يلحق بصفة الكلام القول بخلق القرآن ولهذا سوف نتعرف على رأي الشيخ في هذه المسألة.

رأيه في خلق القرآن:

يرى الشيخ عفى الله عنه أن القرآن مخلوق، وأن نظر المعتزلة هو الصواب في هذه المسألة يقول في كتابه عن الإمام أحمد بن حنبل بعد أن تحدث عن الأذى والفتنة التي تعرض لها الإمام أحمد، ودور المعتزلة وخصوصاً ابن أبي دؤاد [(٢)]، في هذا الأذى والاضطهاد: (وإذا حملنا ابن أبي دؤاد كبر الأمر، فهل لنا أن نحكم أن

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٩٦/٦. وانظر أيضاً: آراء ابن حجر الهيثمي الاعتقادية للشايع، ٢٣ وما بعدها.

(٢) هو أحمد بن فرج بن حريز الإيادي، البصري، الجهمي،' كان داعية إلى خلق القرآن وكان يوم المحنة إلباً على الإمام أحمد، يقول: يا أمير المؤمنين أقتله هو ضال فضل، عاده عبدالعزيز الكناني لما شاخ ورُمي بالفالج وقال له: لم آتك عائداً، بل لأحمد الله على أن سجنك في جلدك، غضب عليه المتوكل وصادر أمواله، توفي عام ٢٤٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦٩/١١.

مسلك ابن أبي دؤاد كان شراً لا شيء من الخير فيه؟ وأن أحمد بن حنبل كان موقفه من كل الوجوه صواباً لا مجال للخطأ فيه؟

إن هذه القضية قد تعددت فيها وجهات النظر، ولكل وجهة حكم خاص بها: فمن جهة التقوى والإيمان والعزيمة وقوة الصبر والاحتمال ليس لنا إلا أن نقرر أن أحمد بن حنبل كان بطلاً من أبطال التاريخ الذين ابتلوا فأحسنوا البلاء ... ومن جهة الاحتياط للدين، وصونه عن المقالات الفلسفية ومتاهات القول ليس لنا إلا أن نحمد موقف أحمد ...

ولكن إذا نظرنا من وجهة الحكم في القضية من حيث كون القرآن مخلوقاً أو غير مخلوق، فإن الأدلة التي ساقها ابن أبي دؤاد في تلك الكتب والعقل والبداهة تحملنا على الحكم للمعتزلة بصحة نظرهم، فإن القرآن وإن كان كلام الله، مخلوق، وهذا لا يمنع أن صفة الكلام قديمة بقدم الله سبحانه وتعالى) (١).

ويقول أيضاً: (وإن سلمنا لأحمد بن أبي دؤاد، وللمعتزلة عامة بصواب نظرهم في هذه القضية، فهل نسلم لهم مسلكهم في إنزال الأذى بمخالفيهم، وخصوصاً أهل التقى والفضل، ونسلم لهم أن يمتحنوا الضمائر، ويكشفوا السرائر! إن ذلك هو موضع النقد) (٢)، وبعد أن نقد موقف المعتزلة وما ذهبوا إليه من إنزال الأذى والاضطهاد بمخالفيهم بدأ عفى الله عنه يفسر موقفهم أو يحاول أن يلتمس لهم الأعذار التي تخفف اللوم في نظره وإن كانت لا تذهب بأصل الملام يقول في ذلك: (وإذا كان الأمر كذلك فليس الاضطهاد والأذى صواباً، ولا مبرر له في نظرنا، ولكن أكان أن نحكم بأن أولئك العلماء ارتكبوا ما ارتكبوا لمحض الكيد والأذى من غير باعث، وإن لم يكن قوياً، يبرر الأذى والانتقام) (٣)، ويقول في موطن آخر:

---

(١) ابن حنبل حياته وعصره، ص٥٢.

(٢) ابن حنبل حياته وعصره، ص٥٢- ٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣.

(وبعد هذا الاستقراء قد بينا الرأي الذي كان يناقض رأي المعتزلة الذي حاربوه، وقد بينا رأي المعتزلة، والمنهاج الذي رسموه لأنفسهم فهم يرون أن القرآن مخلوق وأنه محدث غير قديم.

ذانك نظران، كل منهما لها وجهته ولا يكفر أحدهما، ولكن انتقل المعتزلة عندما صار لهم سلطان، من المناقشة إلى التهديد والأذى، وهم أهل نظر وجدل ... لندع المأمون [١]، والمعتصم [٢]، والواثق [٣]، فأولئك كانوا مظاهر، والرأي رأي المعتزلة، بل إن الكتب والوصايا كلها كانت بقلم أحمد بن أبي دؤاد، ... ولذلك نجعل موضع السؤال المعتزلة أنفسهم، نلتمس لهم الأعذار، أو نقول أن لهم أعذاراً قد تخفف اللوم، ولكن لا يمكن أن تكون مبرراً للأذى والاضطهاد فإنهما أمران لا يسوغان بالنسبة للأتقياء أمثال أحمد بن حنبل.

وإن الأعذار التي نراها مخففة لإثم المعتزلة أو مزيلة بعض اللوم هي أن قول أهل السنة أن القرآن غير مخلوق وأنه كلام الله قد يؤدي إلى القول بقدمه، وأن

---

(١) هو أبو العباس عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي ولد سنة ١٧٠هـ، وتولى الخلافة سنة ١٩٨هـ، بعد قتال نشب بينه وبين أخيه الأمين، قرأ العلم والأدب، والأخبار، والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتب الفلسفة وبالغ، دعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ في ذلك، نسأل الله السلامة، توفي عام ٢١٨هـ. انظر : سير أعلام النبلاء، ١٠/١٧٣.

(٢) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي ولد سنة ١٨٠هـ، تولى الخلافة بعد موت أخيه المأمون، سنة ٢١٨هـ. كان ذا قوةٍ وبطش، وشجاعة وهيبة، لكنه نزر العلم، تقلد القول بخلق القرآن، وفي زمنه ضرب الإمام أحمد وعذّب، وهو الخليفة العباسي الذي يلقب بالمثمن، توفي عام ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٠/٢٩٠.

(٣) هو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي ولد سنة ١٩٦هـ، تولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧هـ، وتقلد القول بخلق القرآن، وتشدّد في المحنة، وقيل أنه رجع عن القول بخلق القرآن، توفي عام ٢٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٠/٣٠٦.

ذلك قد كان يتخذه النصارى حجة أو ذريعة للتشكيك ولحمل المسلمين على اعتقاد أن المسيح إله أو قديم قدم الإله، وقد كانوا يبثون ذلك بين جماهير المسلمين...ولم يكن خافياً في جوهره عن أعين المعتزلة الذين كانوا يجادلون أهل الديانات الأخرى والزنادقة، وهم لهذا يعلمون أن من يقول القرآن غير مخلوق قد يؤديه إلى أن يقول أنه قديم، وبذلك يمد النصارى بحجة يجادلون بها، توجب ألا يقال هذا القول حتى لا يكون حجة على الإسلام، ولكيلا يفتح ثغرة لمن ينالون منه ... فإذا كان أحمد بن حنبل وإخوانه من الفقهاء والمحدثين يحتاطون لدينهم، فالمعتزلة أيضاً يحتاطون لدينهم فيسدون الأبواب بالحق على كل من يريد كيداً بالإسلام، ولم يكونوا بذلك خارجين عن الدين، نعم كان الأولى ألا يخاض في هذه المسألة قط كما كان يريد الإمام أحمد ومن معه، ولكن الذين لا يريدون بالإسلام خيراً أذاعوا به ونشروه، فحق على كل مسلم أن يدافع عن الإسلام، ويذكر الحقيقة كما هي، ويدعوا إليها ...

هذا ما نظنه مبرراً يخفف الملام عما ارتكب المعتزلة، وإن كان لا يذهب بأصل الملام ...) [١] ثم بعد أن ذكر التفصيل في مسألة خلق القرآن، ورأي المعتزلة واضطهاد الإمام أحمد طرح سؤالاً لماذا لم يلجأ الإمام أحمد إلى التقية ويوافق المعتزلة على قولهم فقال: (هذا تفصيل ذلك الامتحان الخطير والقاسي الذي عكر حياة ذلك الإمام الورع التقي، وأزعج هدوء تلك النفس القارة المطمئنة، ... وقد يقول قائل: أما كان الأولى بذلك الرجل التقي أن يتخذ التقية فيما كانوا يريدون، ولكنه رفض ... ونحن وإن كنا لا نرى ذلك التوقف عن الحكم بخلق القرآن مع إجلالنا لمقام أحمد وورعه واحتياطه لدينه نجد أن الأخذ بالتقية في دار الإسلام لا يصح لأن المنكر في دار الإسلام يجب استنكاره وإلا تحولت صفتها، ولم يعدلها اسمها، ... ولأن التقية لا تجوز من الأئمة، الذين يقتدى بهم، ويهتدى بهديهم، حتى لا يضل الناس، لأنهم إن نطقوا بغير ما يعتقدون وليس للناس علم ما في الصدور اتبعوهم في مظهرهم، ويظنون أنه الحق الذي ارتضوه ديناً، وبذلك يكون الفساد

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١٥٨- ١٦١.

عاماً ولا يخص، وحق على الإمام أن يكون الممتحن المبتلى، فتنتشر الفكرة السليمة، ويكون الابتلاء سبيل نشرها وذيوعها.

ولذلك نحن نرى أن صبر الإمام أحمد كان هو الأولى به والأجدر، والأحمد له ولفكرته، وإن كنا نرى غيرها) [(١)].

النقـــد:

ما ذهب إليه الشيخ عفى الله عنه من القول بخلق القرآن هو قول المعتزلة ومتأخري الأشاعرة [(٢)]، وهو قول مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن مذهب أهل السنة والجماعة هو أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة، ومن قال أنه مخلوق فهو كافر، ودلّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعـــالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢] فهذه الآية الكريمة تبين أن الله سبحانه وتعالى لا يخلق شيئاً حتى يقول له " كن " فيكون فلو كان " كن " مخلوقاً، للزم أن يخلقه بـــ " كن " وهذا يستلزم التسلسل وهو فاسد، وإذا ثبت فساد ذلك، ثبت فساد كون القرآن مخلوقاً، وقد استدل غير واحد من أهل العلم بهذه الآية على أن القرآن كلام الله غير مخلوق [(٣)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففي هذه الآية الكريمة فرق سبحانه وتعالى بين الخلق والأمر، فالخلق، والأمر قوله، فدل على أن

---

(١) ابن حنبل حياته وعصره، ٥٧.

(٢) انظر: المحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار، ص٣٣١ وما بعدها، وشرح الأصول الخمسة، ص٥٢٨ وما بعدها. وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري، ص٩٤-٩٥. وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد، ٤٩٤/١.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم ٣٥٦، ٢٤٣/٢، والأسماء والصفات للبيهقي، ٦١٤/١. والصفدية لشيخ الإسلام، ٦٩/٢- ٧١. ومجموع الفتاوى، ١٨٨/١٢. وطبقات الشافعية للسبكي، ١٦٤/٢. وفتح الباري لابن حجر، ٤٥٨/١٣.

أمره غير خلقه، ولو كان أمره مخلوقاً، لكان كأنه قال: ألا له الخلق والخلق، وهذا تكرار من الكلام وعيٌّ لا فائدة فيه، ينزه عنه كلام الله، فدل ذلك على أن كلام الله غير خلقه، وأن القرآن من أمره لا من خلقه، وقد استدل بهذه الآية الإمام أحمد فقال: (فلمّا قال: (ألا له الخلق) لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق فقال: (والأمر) فأمره هو قوله، تبارك الله رب العالمين أن يكون قوله خلقاً) [(1)].

ومما يدل أيضاً على أن القرآن غير مخلوق قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن:١-٣]، ففرق الله سبحانه وتعالى بين علمه وخلقه، فالقرآن علمه، والإنسان خلقه، وعلمه تعالى غير مخلوق وهو القرآن، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ [سورة البقرة: ١٤٠]، ويقول أيضاً: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥] ، وقال أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧﴾ [الرعد:٣٧] فسمى الله تبارك وتعالى القرآن علماً إذ هو الذي جاءه من ربه، وهو الذي علمه الله تبارك وتعالى إيّاه صلى الله عليه وسلم، وقد استدل الإمام أحمد بهذه الآيات في جوابه للمتوكل حينما سأله عن القرآن فقال بعد أن ذكر الآيات السابقة: (... فالقرآن من علم الله، وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه هو القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ

---

(1) الرد على الزنادقة والجهمية، ص٢٢٤. وانظر أيضاً: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، ١٠٣/١. والشريعة للآجري، ٥٠٥/١. والأسماء والصفات للبيهقي، ٥٥٦/١. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٢٤٤/٢. وفتح الباري، ٥٤٢/١٣.

مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ، ولقد رويّ عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كــانوا يقولون: " القرآن كلام الله، وهو غير مخلوق" وهو الذي أذهب إليه) [١].

وأما من السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: (من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)[٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم حينما كان يعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما: (أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة) [٣].

ووجه الدلالة من الحديثين أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز الاستعاذة بكلمات الله فلو كانت كلمات الله مخلوقة، لكانت الاستعاذة بها شركاً، لأنها حينئذ تكون استعاذة بمخلوق، ومن المعلوم أنه لا تجوز الاستعاذة إلا بالله سبحانه وتعالى وأسماءه وصفاته، وكلام الله صفة من صفاته، وصفاته سبحانه غير مخلوقة، فدل ذلك على أن القرآن غير مخلوق [٤].

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم منهم البخاري [٥]، والدارمي [٦]، والآجري[٧]، وابن بطة [٨]، وابن أبي زمنين [٩]، واللالكائي [١٠]، والأصبهاني [١١]،

---

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم٩/٢١٩ . وتاريخ الإسلام للذهبي ١٨/١٣٦

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٨، ٤/٢٠٨٠

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (يزفون) [الصافات: ٩٤] النسلان في المشي برقم ٣١٩١- ٣/١٢٣٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ١٢/٣١٣.

(٥) انظر: خلق أفعال العباد، ٢/٦.

(٦) انظر: نقض عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد، ١/٥٧٣.

(٧) انظر: الشريعة، ١/٤٨٩.

(٨) انظر: الشرح والإبانة، ص٢٠٢- ٢٠٣.

(٩) انظر: أصول السنة، ص٨٢.

(١٠) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ١/٢٥٣.

(١١) انظر: الحجة في بيان المحجة، ٢/١٩٣.

والمقدسي [١]، وشيخ الإسلام ابن تيمية [٢]، وغيرهم.

يقول الإمام الآجري: (اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديماً وحديثاً أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، لأن القرآن علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقاً تعالى الله عن ذلك، دل على ذلك القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسملين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث ...) [٣].

وقد ساق الإمام اللالكائي رحمه لله في كتابه شرح أصول الاعتقاد القول عن خمسمائة وخمسين نفساً من علماء الأمة وسلفها كلهم يقولون أن: (القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق، فهو كافر) يقول رحمه الله: (فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر، من التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار، ومضى السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة) [٤].

وأما ما استند إليه أبو زهرة من أن القرآن مخلوق فهو لم يخرج عفى الله عنه عما قرره المعتزلة في هذه المسألة ولذلك لما نقل ما احتج به المعتزلة من آيات وشبهات قرر صحة نظرهم يقول في ذلك: (إذا نظرنا من وجهة الحكم في القضية من حيث كون القرآن مخلوقاً أو غير مخلوق، فإن الأدلة التي ساقها ابن أبي دؤاد في تلك الكتب؛ والعقل والبداهة تحملنا على الحكم للمعتزلة بصحة نظرهم).

---

(١) انظر: كتاب الصفات، ص٩٥ ضمن مجموعة عقائد أئمة السلف لفواز زمرلي..

(٢) انظر: منهاج السنة، ٢٤٦/٢، ٣٦٣. ومجموع الفتاوى، ٢٣٥/١٢، ٥٨٩.

(٣) الشريعة، ٤٨٩/١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٣٤٤/١.

وإذا رجعنا إلى الكتب التي أشار إليها الشيخ وإلى ما استدل به ابن أبي دؤاد من الآيات نجد أهمها ما يلي :

- الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣]، فكل ما جعله فقد خلقه.
- الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢] فسمى الله تعالى القرآن ذكراً ووصفه بأنه محدث وكل محدث مخلوق.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤٢]، فكل ما له بين يديه وخلف فهو محدود مخلوق.
- الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢]، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يحاط إلا بمخلوق.

وهناك شبهة عقلية ذكرها أبو زهرة عن المعتزلة يستدلون بها على أن القرآن مخلوق وذكر أنها من الأمور التي تخفف الملام عن المعتزلة في إنزالهم الأذى والاضطهاد بالإمام أحمد وهذه الشبهة هي أن القول بأن القرآن غير مخلوق يؤدي إلى القول بقدمه، ويمد النصارى بحجة في ادعائهم إلوهية المسيح عليه السلام يقول في ذلك: (وإن الأعذار التي نراها مختلفة[1] لإثم المعتزلة أو مزيلة بعض اللوم هي أن قول أهل السنة أن القرآن غير مخلوق وأنه كلام الله قد يؤدي إلى القول بقدمه، وأن ذلك قد كان يتخذه النصارى حجة أو ذريعة للتشكيك ولحمل المسلمين على اعتقاد أن المسيح إله أو قديم قدم الإله) [2]، هذه هي أهم الشبهات النقلية والعقلية التي ذكرها أبو زهرة عن المعتزلة، وسوف أجيب عنها إن شاء الله واحدة واحدة، وأبين بطلان استدلال المعتزلة بها، وهي رد على الشيخ أيضاً.

---

(١) هكذا وردت وأظنها "مخففة"

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١٥٩.

الآية الأولى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣]، وقولهم بأن كل ما جعله فقد خلقه.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أن يقال أن لفظة " جعل " في القرآن الكريم تأتي على معنى خلق وتأتي على معنى صير، فإذا تعدت إلى مفعول واحد كان معناها خلق كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴿١٢﴾ ﴾ [لإسراء: ١٢] ، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

وأما إذا تعدت إلى مفعولين فلا تكون بمعنى خلق بأي حال ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي مصيرك وقد فسر أبو زهرة عفى الله عنه لفظة جعل في هذه الآية بمعنى صير فقال: (وجاعلك أي مصيرك) (١) فلماذا هنا لم يجعل كلمة " جعل " خلق وكذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٣]، لا يكون المعنى ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة وإنما شرع وقد فسرها أبو زهرة بذلك فقال: (معنى جعل هنا أنشأ وشرع، والمعنى ما أنشأ الله تعالى شرعاً في التحريم في شيء من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، أي هذه الأشياء ما شرع الله تعالى أحكاماً خاصة بنعم متصفة بهذه الأوصاف، بل هي وسائر النعم سواء، والتفرقة بينها وبين غيرها من وهم كان عندهم) (٢).

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٩٤/١.

(٢) المرجع السابق، ٢٣٧٥/٥.

وكقوله تعالى لأم موسى : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧] لا يعني خالقوه من المرسلين لأن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها، ثم يجعله من بعد ذلك مرسلاً.

إذا تبين ذلك فالآية التي استدلوا بها لا يمكن أن تحمل لفظة جعل فيها على معنى خلق لأنها تعدت إلى مفعولين فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣] أي صيرناه وبيّناه يقول ابن جرير: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً بلسان العرب ..) [١]، وكذا قال ابن كثير [٢]، ونقل القرطبي عن مجاهد أنه قال: (قلناه) وعن الثوري وغيره بيناه [٣]. يقول شيخ الإسلام وكذلك قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ٣]، لم يقل جعلناه فقط حتى يظن أنه بمعنى خلقناه ولكن قال جعلناه قراناً عربياً أي: صيرناه عربياً، لأنه قد كان قادراً على أن يُنزله عجمياً، فلما أنزله عربياً كان قد جعله عربياً دون أعجمي) [٤].

الوجه الثاني : أنه من المعلوم أن فعل الله تبارك وتعالى، لم يأمر العباد به، فيقول لهم اخلقوا ولا تخلقوا، فإذا تبين ذلك، فإنه لا يمكن أن يحمل لفظة جعل وما تصرف منها بمعنى خلق في الآيات الآتية كقوله تعالى: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]، فلا يمكن أن يكون المعنى ثم اخلق على كل جبل منهن جزءاً، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩] فلا يكون المعنى ولا تخلق يدك مغلولة إلى عنقك، وكقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١] ، وكقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة: ٥]، فهل يصح

---

(١) تفسير الطبري، ١٦٥/١١.
(٢) تفسير ابن كثير ، ١٣٢/٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٤١/١٦.
(٤) مجموع الفتاوى، ٥٢٢/١٢.

أن يقال لا تخلقنا بعدما خلقهم وغيرها من الآيات التي يستحيل معها أن تجعل كلمة جعل بمعنى خلق(١).

الوجه الثالث: أنه تبين لنا أن جعل في القرآن تأتي على معنى خلق وعلى معنى صير، فما هي حجة الشيخ ومن معه على حمل جعل في الآيات بمعنى خلق، فإما أن يفسروا كل جعل في القرآن بما يناسبها من السياق، وإما يكونون من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون(٢).

الآية الثانية: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢]، فسمى الله تعالى القرآن ذكر والذكر محدث، وكل محدث مخلوق فالقرآن مخلوق.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول: أنه لا يسلم لهم أن المراد بالذكر في هذه الآية القرآن فقط، بل يمكن أن يقال أن المراد بالذكر هنا أيضاً ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر بعض المفسرين ذلك (٣)، وعلى هذا فيمكن أن نقول لهم كما قال الإمام أحمد: (إن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذم فأدناهما أولى به، فلما قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢] فجمع بين ذكرين ذكر الله، وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿

---

(١) انظر: نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد، ١/٥٦٤- ٥٦٥، وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد، ١/٥٠٣.

(٢) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، ص٢١٩

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ٤/٧٣، وزاد المسير لابن الجوزي، ٥/٣٣٩. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١١/١٧٨.

﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٠]، وإذا انفرد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أو الله خالق ومحدث.

والدلالة على أنه جمع بين ذكرين هو قوله ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢] فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إياناً، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنبياء إلا مُبَـلِّغ ومذكّر وقال تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى: ٩]، ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية: ٢١] .

فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله عز وجل الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢]، إنما هو محدث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فعلمه الله تعالى، فلما علمه الله تعالى كان ذلك محدثاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم) [(١)]، ويقول ابن بطة إنما معنى قوله: (ما يأتيهم من ذكر محدث) أراد: محدثاً علمه وخبره، وزجره، وموعظته، عند محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أراد أن عِلمَكَ يا محمد ومعرفتك محدث بما أُوحي إليك من القرآن، وإنما أراد: أن نزول القرآن عليك يحدث لك ولمن سمعه علم وذكر لم تكونوا تعلمونه ... فأخبر أن الذكر المحدث هو ما يحدث من سامعيه، وممن عَلِمَهُ وأُنْزِلَ عليه، لا أن القرآن محدث عند الله، ولا أن الله كان ولا قرآن، لأن القرآن إنما هو من علم الله فمن زعم أن القرآن هو بعد فقد زعم أن الله كان ولا علم ولا معرفة

---

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية، ص٢٤٣- ٢٤٧ بتصرف.

عنده بشيء مما في القرآن، ولا اسم له، ولا عزّة له، ولا صفة له حتى أحدث القرآن ... وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فإنما هو ما يحدثه الله عند نبيه وعند أصحابه، والمؤمنين من عباده، وما يحدثه عندهم من العلم، وما لم يسمعوه ولم يأتهم به كتاب قبله، ولا جاءهم به رسول [(١)].

الوجه الثاني: من المعلوم أن كل مخلوق فهو محدث وحادث باتفاق أهل اللغة، وأهل الكلام، وأما أن كل محدث فهو مخلوق، فهذا مما تنازع فيه أهل الكلام. والنظر واللغة لا يوجبان أن يكون كل ما كان محدثاً يكون مخلوقاً وإنما هذا اصطلاح انتم اصطلحتم عليه لا تـوافقكم عليه أهل اللغة فلفظ " محدث " كلفظ " موجود" فلفظ الموجود يطلق على ذات الباري سبحانه وتعالى، من حيث الإخبار، ولا يلزم أن يكون هناك موجِد، فكذلك لفظ محدث يطلق على كلام الله سبحانه وتعالى، ولا يلزم أن يكون مخلوقاً، بل هو كلامه وصفته سبحانه وتعالى وليس بمخلوق [(٢)].

الوجه الثالث: أن اللغة التي نزل بها القرآن فيها المحدث خلاف القديم، ويطلق المحدث على الشيء الجديد، ولو كان نسبياً، فالمتأخر محدث بالنسبة للمتقدم، أي جديد وقد كان القرآن ينزل شيئاً فشيئاً، فما تقدم نزوله فهو متقدم على ما تأخر نزوله وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلى ذلك المتقدم ولهذا قال ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢] فَعُلِمَ أن الذكر منه محدث – أي جديد – ومنه ما ليس بمحدث، لأن النكرة إذا وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره، كما لو قال قائل: ما يأتيني من رجل مسلم إلا أكرمته وما آكل إلا طعاماً حلالاً، ونحو ذلك، وبهذا يعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق كما تقوله المعتزلة ولكنه الذي أُنزل جديداً، فإن الله

---

(١) الإبانة لابن بطة. تحقيق الوابل، ٢/١٨٣- ١٨٥ بتصرف.

(٢) انظر: القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم، لمحمد هشام طاهري، ١/١٠٩- ١١٠.

كان ينزل القرآن شيئاً فشيئاً، فالمنزّل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخراً. وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة يس:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف:٩٥] [(١)].

الآية الثالثة: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، فكل ما له بين يدين وخلف فهو مخلوق.

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وهو صفة قائمة بالله تعالى، والصفة لا يمكن أن تقوم بذاتها حتى يقال أن لها يدين ورجلين، ولهذا فمعنى الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى أراد أنه لا يأتيه التكذيب من " بين يديه" فيما نزل قبله من التوراة والإنجيل والكتب التي تقدمت قبله، "ولا من خلفه" أي ولا يأتي بعده بكتاب يبطله ولا يكذبه [(٢)]، كما أخبر الله تبارك وتعالى بأنه مصدق لما كان قبله من الكتب فقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢]، ولهذا يمكن أن يقال أن ما كان قبل الشيء وأمامه فهو بين يديه، وما كان بعده فهو خلفه، وهذا واضح ولله الحمد والمنة في آيات القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة: ١٢] فلا يريد أن للصدقة بين يديه وخلفاً وإنما أراد قبل نجواكم صدقة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧]، والمعنى أنه يرسل الرياح قبل المطر، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦]، أي نذير قبل العذاب،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ، ٥٢٢/١٢.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ١٧٦/٧. والمحرر الوجيز لابن عطية، ١٩/٥. وزاد المسير لابن الجوزي، ٢٦٢/٧.

فإذا اتضح هذا فالآية التي استشهدوا بها هي من هذا الباب فقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ أراد قبله ولا من بعده [1].

الآية الرابعة : استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يحاط إلا بمخلوق.

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال أن القرآن الكريم من علم الله، وعلم الله وكلامه وجميع صفاته كل ذلك سابق اللوح المحفوظ وقبله وقبل القلم، فإن الله تبارك وتعالى خلق اللوح والقلم بقوله عز وجل لهما " كونا " فقوله سبحانه وتعالى قبل خلقه لهما، وما في اللوح المحفوظ كلامه، وإنما ما في اللوح من القرآن، هو الخط والكتاب، فأما كلام الله عز وجل فليس بمخلوق، فإنه من المعروف أن كل شيء له أربع مراتب في الوجود: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، أي وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي، فإذا كان كذلك فالقرآن كلام، والكلام له المرتبة الثالثة، ليس بينه وبين الورق مرتبة أخرى متوسطة، بل نفس الكلام يثبت في الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

ومن هذا الباب يقول ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: هو قرآن، مثبت في لوح محفوظ ... من الزيادة فيه، والنقصان منه، كما أثبته الله فيه) [2]، وكذلك قال ابن كثير [3]. ويقول شيخ الإسلام: (فإن كل مرتبة لها حكم يخصها، وليس وجود الكلام في الكتاب كوجود الصفة بالموصوف، مثل وجود العلم والحياة في محلها حتى يقال:

---

(١) انظر: الإبانة لابن بطة، تحقيق الوابل، ١٨٩/٢- ١٩٠.

(٢) تفسير الطبري، ٥٣٠/١٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ٥٣٠/٤.

إن صفة الله حلت بغيره، أو فارقته، ولا وجود فيه كالدليل المحض، مثل وجود العالم الدال على الباري تعالى، حتى يقال: ليس فيه إلا ما هو علامة على كلام الله عز وجل، بل هو قسم آخر، ومن لم يعط كل مرتبة مما يستعمل فيها أداة الظرف حقها، فيفرق بين وجود الجسم في الحيز وفي المكان، ووجود العرض بالجسم، ووجود الصورة بالمرآة، ويفرق بين رؤية الشيء بالعين يقظة، وبين رؤيته بالقلب يقظة ومناماً، ونحو ذلك، وإلا اضطربت عليه الأمور) (1). وهؤلاء المعتزلة لم يفرقوا بين وجود القرآن في اللوح المحفوظ وبين وجود الأعيان فيه يقول شيخ الإسلام: (ومن هنا غلط من غلط فظن أن القرآن في المصحف كالأعيان في الورق، فظن أن قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ [الواقعة: 77 – 78]، كقوله: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ١٥٧﴾ [الأعراف: 157] فجعل إثبات القرآن الذي هو كلام الله في المصاحف كإثبات الرسول في المصاحف وهذا غلط، إثبات القرآن كإثبات اسم الرسول هذا كلام وهذا كلام، وأما إثبات الرسول فهذا كإثبات الأعمال، أو كإثبات القرآن في زبر الأولين ... فثبوت الأعمال في الزبر وثبوت القرآن في زبر الأولين هو مثل كون الرسول مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ... فالقرآن نفسه ليس عند بني إسرائيل ولكن ذكره، كما أن محمداً نفسه ليس عندهم ولكنه ذكره، فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم، بخلاف ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ وفي المصاحف، فإن نفس القرآن أثبت فيها، فمن جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بيناً) (2).

هذه هي أهم الشبهات النقلية التي استحسنها الشيخ على القول بخلق القرآن، وقد تبين لنا أنها لا مستمسك فيها، بقي أن أختم هذا المبحث بالجواب عما أورده من

---

(1) التسعينية، 2/537.

(2) مجموع الفتاوى، 12/289-290.

الشبهة العقلية والتي مؤداها أن القول بأن القرآن غير مخلوق، وأنه كلام الله قد يؤدي إلى القول بقدمه، ويمد النصارى بحجة في ادعائهم إلوهية عيسى عليه السلام.

والجواب عن هذه الشبهة بما يلي :

أولاً : أنه لا يسلم لهم أن قول القرآن كلام الله غير مخلوق بأنه يؤدي إلى القول بقدم القرآن، فإن السلف والأئمة كانوا يطلقون القول بأن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق ولم يرد عن أحد منهم بأنه قال قديم أو خشي أن يفهم بأنه قديم يقول شيخ الإسلام : (وكما لم يقل أحد من السلف أنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم أنه قديم، ولم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان ولا من بعدهم من " الأئمة الأربعة " ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله) [1].

ويقول أيضاً: (ولم يقل أحد من السلف: إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلاً عن أن يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله) [2].

على هذا فكوننا نقول أن كلام الله قديم لا يلزم منه أن القرآن قديم ولا منافاة بين اتصاف الله سبحانه وتعالى بالكلام القديم وكون ما يتكلمه غير قديم يقول ابن تيمية: (وحينئذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وإن قيل أنه ينادي ويتكلم بصوت لا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء

---

(١) المرجع السابق، ٣٠٢/١٢.

(٢) المرجع السابق، ٣٠١/١٢.

والسين قديماً لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة، لما علم من القرآن من الفرق بين النوع والعين ...) [1].

ثانياً: أنه لا يصح أن يرد المنكر بمنكر، فإن ادعاء النصارى أن عيسى عليه السلام إله لا شك أنه منكر وكفر، ولكن لا يجوز لنا أن نرد على منكرهم وكفرهم بكفر آخر فإن القول بأن القرآن مخلوق كفر بالله وإنما يرد المنكر بالحق، والآيات القرآنية التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم فيها الرد الشافي والكافي على بطلان إلوهية عيسى عليه السلام، فإن المسلمين يقرءون القرآن ويعلمون أن عيسى مخلوق وليس إله، فإن الله وصفه بصفات المخلوقين من الأكل والشرب وغيرها كما قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥] وحينئذ فلا خوف على المسلمين بأن يعتقدوا اعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام، وإنما الخوف عليهم هو أن يعتقدوا أن القرآن مخلوق فهذا هو الكفر بالله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثاً: إن قوله " ويمد النصارى بحجة في ادعائهم إلوهية عيسى عليه السلام" يريد بذلك الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١] والحقيقة أنه لا مستمسك للنصارى في هذه الآية على إلوهية عيسى عليه السلام، وذلك أن عيسى عليه السلام كان بالكلمة وليس هو الكلمة كما ذكر ذلك المفسرون [2]، فقد ذكر ابن كثير عن قتادة أنه قال: (ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى)[3].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، ٣/٤٥٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٤/٣٧٤. والمحرر الوجيز لابن عطية، ٢/١٣٩. ومعالم التنزيل للبغوي، ٢/٤١٣. وتفسير ابن كثير، ١/٦٠٣- ٦٠٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/٦٠٤.

ونقل ابن جرير عن قتادة أنه قال: (قوله " كن " فسماه الله عز وجل كلمته، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدر الله من شيء: هذا قدر الله وقضاؤه، يعنى به: هذا عن قدر الله وقضائه وحدثه) (١).

ويقول ابن كثير: (أي إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه قال له كن فكان، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، فكان عيسى بإذنه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان) (٢).

وقد بين الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية بطلان فهم الجهمية والنصارى لهذه الآية فقال: (ثم إن الجهم ادعى أمراً فقال: إنا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق. قلنا: أي آية ؟ قال قول الله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١] وعيسى مخلوق. فقلنا: إن الله منعكم الفهم في القرآن، عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يجري عليه تسمية: مولود، وطفل، وصبي، وغلام، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد. ثم هو من ذرية إبراهيم، فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟

ولكن المعنى في قول الله جل ثناؤه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١] فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري، ٢٦٨/٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ٦٠٣/١- ٦٠٤.

له : كن. فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول، وليس كن مخلوقاً.

وكذبت النصارى والجهمية على الله تعالى في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة.

وقال النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمة الله من ذات الله، كما يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب.

قلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة) [(١)].

ثانياً: صفة الاستواء:

يرتضي الشيخ أبو زهرة تأويل المعتزلة ومتأخري الأشاعرة [(٢)] لصفة الاستواء؛ بالاستيلاء ويتأول كلام الإمام مالك الوارد عنه في الاستواء على غير مراده منه ويحمله على التفويض يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: آية٥٤]. :(العرش: يطلق على كرسي الحكم كما في قوله تعالى: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: آية ٤١] وما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: آية١٠٠]. واستوى بمعنى استقر، والعلو على هذا العرش.

ويقول علماء الكلام: إن للعلماء في مثل هذا النص السامي (استوى على العرش) منهاجين: أحدهما يفسر فيقول: إن معنى استوى استولى على عرش هذا الوجود، وصار له السلطان الكامل فيه، لأنه مالك كل شيء، ولا شيء لغيره فيه، فهو المالك وحده.

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية، ص٢٤٩- ٢٥١.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٢٢٦، والإرشاد للجويني ص٤٠، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص١٠٤، وغاية المرام للآمدي ص١٤١، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص٩٢.

والثاني: يفوض فيقول: إن الله ذكر أنه استوى على العرش، فنؤمن بذلك ولكن لا نحاول أن نبحث عن مدى هذا المعنى كما قال الإمام مالك رضي الله عنه "الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عن ذلك بدعة" فهو يرى أننا نؤمن بالحقيقة، ولا نسأل عن كيفها، ونؤمن بنزاهة الله، فننزهه عن أن يكون له مكان، فإن ذلك شأن الحوادث، والله تعالى لا يماثل الحوادث في شيء كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: آية١١].

وإنه ليبدو لنا غير مفتاتين، ولا مدعين أن قوله تعالى: {ثم استوى على العرش} تعبير مجازي، قصد به استيلاء الله تعالى على حكم هذا الذي خلقه فهو تشبيه سلطان الله تعالى فيما خلق من السماوات والأرض وما بينهما وتدبيره لهما وتسييره أمرهما بمن استوى على عرش ملك يدبره ويسير أمره ولله سبحانه وتعالى المثل الأعلى في السماوات والأرض)[1].

ويقول أيضاً في سورة طه: (العرش: هو المكان الذي يتجلى فيه سلطان الله، ولقد نسب لعلماء السلف أنهم قالوا: إن لله عرشاً لا يعرف كيفه، والله تعالى يستوي عليه وهو أعلم باستوائه ولكنه غير مجسم، ولا مشابهة فيه للحوادث، وقد يقال: إن ذلك دليل على كمال سلطانه وإن الخالق الذي لا يخرج شيء مما خلق عن سلطانه كما يقال: وضع الأمير يده على المدينة، وربما يكون مقطوع اليدين، وكما يقال عن البخيل: يده مغلولة،، وعن الكريم: يده مبسوطة، وربما لا يكون له يد بل تكون مقطوعة، والله سبحانه وتعالى أعلم، وليس الخوض في هذا مما يمكن الوصول فيه إلى حق جلي، ولذا روي عن الإمام مالك أنه قال: "الخوض فيه بدعة")[2].

---

(١) زهرة التفاسير ٢٨٦٣/٦- ٢٨٦٤.

(٢) المرجع السابق ٤٧٠٥/٩- ٤٧٠٦ وانظر أيضاً زهرة التفاسير ٣٥١٢/٧- ٣٥١٣ ٥٣٠٦/١٠، وابن حزم حياته وعصره ص ٤٢٦- ٢٤٧، وابن تيمية حياته وعصره ص٢٧٧، وفتاوى الشيخ أبو زهرة ص١١٨- ١١٩.

النقد :

وما ذهب إليه الشيخ عفى الله عنه من تأويل الاستواء بالاستيلاء هو قول المعتزلة ومتأخري الأشاعرة [١] وهو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة فإن صفة الاستواء من الصفات الاختيارية الخبرية التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليها الصحابة والتابعون، وأئمة المسلمين ولم يخالف في ذلك إلا الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وشيعتهما يقول شيخ الإسلام: (القول بأن الله تعالى ليس فوق العرش أول من ابتدعه في الإسلام الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وشيعتهما، وهم عند الأمة من شرار أهل الأهواء)[٢].

أما ورودها في القرآن الكريم فقد وردت في سبعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة طه: ٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد:٢] وهي كلها تدل على استواء الله على عرشه على الوجه اللائق به.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً فقد عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باباً كاملاً لبيان استواء الله على عرشه أورد فيه عشرة أحاديث منها حديث عمران بن حصين[٣] رضي الله عنه قال: إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال (اقبلوا البشرى يا بني تميم). قالوا: بشرتنا فأعطنا،

---

(١) تقدم توثيق قولهم ص ٢٢٧، هـ ٢.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٤١٧/١.

(٣) هو أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، أسلم عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان من أفاضل الصحابة وفقهائهم، تولى القضاء بالبصرة، وكان مجاب الدعوة، توفي البصرة عام ٥٢هـ وقيل ٥٣هـ انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ٥٨٤/٤ .

فدخل ناس من أهل اليمن فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم) قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال: (كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء)[1].... الحديث.

ومنها أيضاً حديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقه، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض)[2].

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي)[3].

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد منهم الإمام ابن بطة[4] والإمام اللالكائي[5] وشيخ الإسلام ابن تيمية[6] وابن القيم[7]، والذهبي [8].

يقول الإمام ابن بطة : (وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه) [9].

---

(١) صحيح البخاري- كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) برقم ٦٩٨٢ ج٦/٢٦٩٩.
(٢) صحيح البخاري- كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) برقم ٦٩٨٣ ج٦/٢٦٩٩.
(٣) صحيح البخاري- كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) برقم ٦٩٨٦ ج٦/٢٧٠٠.
(٤) انظر: الإبانة، ٢/٢٨٦.
(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٩٦٩.
(٦) انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٦٠- ٦١.
(٧) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٢٤.
(٨) انظر: الإبانة، ٢/٢٨٦.
(٩) انظر: العلو، ٢/٩٤٠.

وأما تأويله للاستواء بالاستيلاء فباطل من وجوه كثيرة بلغ بها ابن القيم رحمه الله في الصواعق اثنين وأربعين وجهاً منها.

الوجه الأول : أنه لم يرد في لغة العرب وكلامهم أن معنى استوى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وذلك أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق، ومقيد فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴿١٤﴾﴾ [القصص:١٤]. وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة اضرب: أحدها: مقيد بإلى كقوله﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٩]، واستوى فلان إلى السطح، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]، والثاني في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:١١] وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف، والثاني: مقيد بعلى كقوله ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الزخرف:١٣] وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:٤٤] وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة، والثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبه بمعنى ساواها، فهذه هي معاني الاستواء المعقولة في كلام العرب، ليس فيها معنى استولى البتة، وإنما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية [(١)].

---

(١) انظر مختصر الصواعق ص ٣٧٢.

الوجه الثاني : أن أهل اللغة لما سمعوا تأويل الاستواء بالاستيلاء أنكروا ذلك غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب، قال ابن الأعرابي[1] وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى ؟

فقال: لا تعرف العرب ذلك[2].

وقال محمد بن أحمد بن النضر الأزدي[3]، سمعت ابن الأعرابي يقول: أرادني أحمد بن أبي دؤاد[4] أن أجد له في لغة العرب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] بمعنى استولى، فقلت: والله، ما أصبت هذا [5].

فها هو ابن الأعرابي وهو من أئمة اللغة ينكر ذلك غاية الإنكار.

الوجه الثالث : أن تفسير الاستواء بالاستيلاء، تفسير لكلام الله تبارك وتعالى بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون أقوال السلف.

ثم إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف[6].

---

(١) محمد بن زياد الهاشمي مولاهم، أبو عبدالله، الكوفي، المعروف بابن الأعرابي، انتهى إليه علم اللغة والحفظ، وكان صاحب سنة واتباع، وله مصنفات منها كتاب الأنوار، والنوادر توفي سنة ٢٣١هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٧- ٦٨٨.

(٢) مختصر الصواعق ص ٣٧٢.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) هو أحمد بن أبي داود بن فرج بن حريز الإيادي، أبو عبدالله، البصري ثم البغدادي، القاضي، جهمي بغيض، كان داعية إلى خلق القرآن، وحمل الناس على امتحان الناس بذلك، وكان إلباً يوم المحنة على الإمام أحمد بن حنبل، ولكن الله تعالى أدلة في آخر عمره، ومات من فالج إصابة سنة ٢٤٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩- ١٧١.

(٥) فتح الباري ١٣/٤١٧.

(٦) مختصر الصواعق ص ٣٢١.

الوجه الرابع : أن لفظ الاستواء قد اطرد في الكتاب والسنة بهذا اللفظ، ولـو كـان معناه استولى لكان استعماله في أكثر مورده كذلك، فـإذا جـاء موضـع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود، وأمـا أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيدعي صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية الفـساد، ولـم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبي ذلك(١).

الوجه الخامس : أن الاستواء والاستيلاء لفظان متغايران، ومعنيان مختلفان فحمـل أحدهما على الآخر إن ادعى أنه بطريقة الوضع فكذب ظاهر، فإن العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة، وإن كان بطريق الاستعمال فـي لغـتهم فكذب أيضاً، فهذا نظمهم ونثرهم شاهد بخلاف ما قالوه، فتتبع لفـظ اسـتوى ومواردها في القرآن والسنة وكلام العرب هل تجدها في موضع واحد بمعنى الاستيلاء؟ اللهم إلا أن يكون ذلك البيت المصنوع المختلق(٢) الذي لا يعـرف

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) يقصد ابن القيم رحمه الله البيت الذي يستدل به الجهمية على نفي صفة الاستواء وتأويلها بالاستيلاء وهو قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

يقول ابن كثير رحمه الله عن هذا البيت: (وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاؤه عليه. تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيراً، فإنه إنما يقال: استولى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً حتى يقال استولى عليه أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية حتى أواهم الإفلاس عن الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم) البداية والنهاية، ٩/ ٢٢٠.

له إسناد، وقد أنكره أئمة اللغة. وإن كان بطريق المجاز القياسي فهو إنشاء من المتكلم بهذا الاستعمال فلا يجوز أن يحمل عليه كلام غيره من الناس فضلاً عن كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم[1].

الوجه السادس : أن الإمام أبو الحسن الأشعري حكى إجماع أهل السنة على بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء، يقول في الإبانة: (وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن قول الله عز وجل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥] أنه استولى وملك وقهر وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه- كما قال أهل الحق- وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، والأرض لله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عز وجل مستوى على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواءً يختص بالعرش دون الأشياء كلها)[2].

---

(١) انظر مختصر الصواعق ص ٣٢٣.

(٢) الإبانة للأشعري ص ٩٨.

ثالثاً: صفة الرحمة:

يؤول الشيخ صفة الرحمة لله تعالى بالإنعام، وذلك لأنه يرى أن الرحمة رقة في القلب والله تعالى لا يتصف بذلك، لأن ذلك من صفات الحوادث يقول في ذلك: (والرحمة رقة في القلب، والله تعالى لا يتصف بذلك، لأن هذا من صفات الحوادث، والله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وإنما يراد من الأوصاف التي يتصف بمثلها العباد غايتها وثمرتها، وثمرة الرحمة الإنعام الكامل، والنفع ودفع الضر، والرزق وغفران الذنوب، وكلاءة الله تعالى لهم، والقيام على كل ما يمدهم به بالخير والنعمة)[١].

ويقول أيضاً: (ورحمة الله غفرانه ذنوبهم،والإنعام عليهم وأن يكتب لهم الثواب بفضل منه وكرم)[٢] ويقول عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: آية ٦٥]: (والرحمة صفة مشبهة للرحمة، والرأفة أصلها رقة القلب، والشفقة بالناس، والرحمة من الناس تشمل معنى الإنعام الذي يناسب الناس، أما الرأفة بالنسبة لله تعالى فهي ما يقتضيه اتصافه بالكمال، وتنزيهه سبحانه عن المشابهة بالحوادث، وهو أنه سبحانه يقدم ما يكون إنعاماً عليهم في مشاعرهم وأحاسيسهم، والرحمة والإنعام والإحسان في عامة أمورهم)[٣].

وما ذهب إليه الشيخ من تأويل لصفة الرحمة بالإنعام هو قول أهل التأويل من الأشاعرة [٤]، وهو قول مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، والرحمة من الصفات الاختيارية الثابتة لله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة والإجماع والعقل.

---

(١) زهرة التفاسير ٥١/١.

(٢) المرجع السابق ٢٨٧٠/٦.

(٣) المرجع السابق ٥٠٢١/٩ وانظر أيضاً ٢٣٦٨/٥، ٢٤٤٨، ٢٦٧٩.

(٤) انظر الإرشاد للجويني ص١٤٥.

أما الكتاب فقد تنوعت دلالته عليها من وجوه كثيرة فتارة يدل عليها بالاسم إما بصيغة المبالغة كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس:١٠٧] وإما باسم التفضيل كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٩٢]، وتارة يدل عليها بالصفة كقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف:٥٨] وتارة يدل عليها بالفعل كقوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴿٢١﴾ ﴾ [العنكبوت:٢١]

وأما السنة فالأحاديث كثيرة جداً منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[٢] وغيرها من الأحاديث.

وأما الإجماع فقد حكاه شيخ الإسلام [٣] وابن الوزير [٤] يقول رحمه الله: (وقد أجمع المسلمون على حسن إطلاق الرحمة على الله...)[٥].

وأما العقل فيدل على الرحمة بأن يقال: الإحسان إلى الخلق بما ينفعهم ويرفع عنهم الضرر يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على الإرادة بل هو أبين وأوضح وأظهر لكل أحد[٦].

---

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين برقم ٧٠١٥، ج ٢٧١٢/٦، وروى مسلم نحوه في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم ٢٧٥١ ج٢١٠٧/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب: ما جاء في قوله تعالى: (إن رحمة الله قريب من المحسنين) برقم ٧٠١٠ ج٢٧١١/٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٢٠٩/١٦.

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني، من آل الوزير، كان من كبار حفاظ الحديث، والعلماء المجتهدين اليمانيين، ومن أعيان اليمن، له مصنفات كثيرة منها إيثار الحق على الخلق، والعواصم والقواصم وغيرها، توفي عام ٨٤٠ هـ.انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع٧٥/٢

(٥) إثبات الحق على الخلق ص ١٢٧.

(٦) انظر التدمرية ص ٣٤.

وأما تأويله للرحمة بالإنعام فباطل لوجوه :

الوجه الأول : أن هذا التأويل مبني على أن إثابتها يستلزم التشبيه وقد سبق بيان بطلان ذلك وما بني على باطل فهو باطل[1].

الوجه الثاني : أن الرحمة صفة كمال وضدها صفة نقص، فيلزم من نفي صفة الرحمة عنه سبحانه وتعالى اتصافه بضدها[2].

الوجه الثالث : أن قوله (الرحمة رقة في القلب) فيقال له أتريد بالرحمة رحمة المخلوق أم رحمة الخالق أم كل ما سمي رحمة شاهداً وغائباً ؟ فإن قلت بالأول فقد صدقت ولا ينفعك ذلك شيئاً، وإن قلت بالثاني والثالث كنت قائلاً غير الحق فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيواناً له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان ملكاً فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة، لم يلزم أن تكون رحمته من جنس المخلوق لمخلوق، لأنه قد علم بالشرع والعقل والإجماع التفاوت العظيم بين الخالق سبحانه وتعالى والمخلوق [3].

الوجه الرابع : أن الله تبارك وتعالى فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل وإنعامه على الخلق فقال تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة:٢١] فالرحمة والرضوان صفته والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثواباً منفصلاً مخلوقاً، وكذلك قول من قال: هي إرادته الإحسان، فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة، فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان إلى المرحوم، فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفي لازمها، وهو إرادة الإحسان، ومن الممتنع ثبوت لوازم الحقيقة مع انتفائها، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها[4].

---

(١) انظر ص ١٧٢.
(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص٣١٢ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ٢٥٨/٢.
(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٣١٢، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ٢٥٨/٢.
(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٣١٦.

رابعاً: صفـــة الـنـزول :

لا يثبت الشيخ صفة النزول لله تعالى على ما يليق بجلاله، ويتأول تلك الصفة إما بقربه سبحانه وتعالى من عباده أو بقرب حسابه أو بفيوض النعم الإلهية يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [الشعراء: آية٢٢١] : (والتنزيل: النزول، ولا يقال عن الله تعالى وإنما يقال عن الملائكة)(١) ويقول أيضاً في تعقبه لشيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر رأيه في الصفات: (إننا بلا شك إذا فسرنا تلك المعاني بتفسيرات لا تجعلنا نحيلها على مجهولات يكون ذلك التفسير أحرى بالقبول، ما دامت اللغة تتسع له، وما دام المجاز بيناً فيها، كتفسير اليد بمعنى القوة أو النعمة، والاستواء بمعنى السلطان الكامل، وتفسير النزول بفيوض النعم الإلهية..)(٢).

ويقول أيضاً في أثناء كلامه عن السلفية في تاريخ المذاهب الإسلامية مـــشككاً فيما نسبه ابن تيمية للسلف: (ونرى هنا أنه يجب أن نذكر أن ادعاء أن هذا مـــذهب السلف موضع نظر، وقد رأينا رأى ابن الجوزي في ذلك الرأي عندما شـــاع فـــي عصره.

ولنا أن ننظر نظرة أخرى، وهي من الناحية اللغوية لقد قال سبحانه: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الفتح: آية١٠] وقال: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص:آية٨٨] أهذه العبارات يفهم منها تلك المعاني الحسية، أم أنه تفهم منها أمور أخرى تليق بذات الله تعالى، فيصح أن تفسر اليد بالقوة أو النعمة، ويصح أن يفسر الوجه بالذات ويصح أن يفسر النزول إلى السماء بمعنى قرب حسابه، وقربه سبحانه وتعالى من العباد)(٣).

---

(١) زهرة التفاسير ١٠/ ٥٤١٨.

(٢) ابن تيمية حياته وعصره ص ٢٧٧.

(٣) تاريخ المذاهب ص ١٩٧- ١٩٨.

ولا أحسب أن قول الشيخ (وقر به سبحانه وتعالى من العباد) أن المراد به القرب الحقيقي الذي يثبته أهل السنة والجماعة وإنما يريد الشيخ بقربه سبحانه من العباد ما ذكره في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] فإنه قال: (أي أن هذا القرب ليس قرب مكان ولكن قرب إجابة ورضا ورحمة) [(١)].

النقـــد:

تأويل الشيخ لصفة النزول بفيوض النعم الإلهية أو قرب حسابه أو قرب إجابته ورضاه ورحمته مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة وهو قول أهل التأويل من الأشاعرة[(٢)] فإن النزول من الصفات الاختيارية الثابتة لله تبارك وتعالى على الوجه اللائق به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فأما دلالة الكتاب فقد أشار إليها الإمام الدارمي في رده على الجهمية حيث قال: (فمما يعتبر به من كتاب الله عز وجل في النزول، ويحتج به على من أنكره قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢١٠] وقوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الفجر:٢٢] وهذا يوم القيامة إذا نزل الله ليحكم بين العباد... فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السماوات كلها ليفصل بين عباده، قادر على أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء)[(٣)].

وأما السنة فالأحاديث التي تثبت صفة النزول لله تبارك وتعالى فكثيرة جداً وعدها جماعة من أهل العلم من قبيل المتواتر كالحافظ ابن عبد البر[(٤)]، وشيخ

---

(١) زهرة التفاسير ٥٦٢/٢.

(٢) انظر الإرشاد للجويني ص١٦١، والاقتصاد للغزالي ص ١٠٦، وغاية المرام للآمدي ص١٤٢، وأساس التقديس للرازي ص٨٧، شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص٩٣.

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص ٧٤.

(٤) انظر التمهيد ١٢٨/٧.

الإسلام ابن تيمية[١]، وتلميذه ابن القيم[٢]، والإمام الذهبي[٣]، وغيرهم وقد جمعها بعض الباحثين في أطروحته في صفة النزول [٤].

يقول شيخ الإسلام: (أحاديث النزول متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم رواها أكثر من عشرين نفساً من الصحابة بمحضر بعضهم من بعض، والمستمع لها منهم يصدق المحدث بها ويقره، ولم ينكرها أحد منهم، ورواه أئمة التابعين، وأودعوه كتبهم، وأنكروا على من أنكره)[٥].

وأشهر هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[٦].

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد منهم الإمام الدارمي[٧]، وابن خزيمة[٨]، والأشعري[٩]، وابن عبدالبر[١٠]، وشيخ الإسلام[١١]، وابن القيم[١٢] وغيرهم.

---

(١) انظر التسعينة ٩١٤/٣.

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٨٠، ٣٨٦.

(٣) انظر العلو ٧٠٠/١.

(٤) انظر صفة النزول الإلهي، لعبدالقادر الغامدي، ص ٥٦- ١٤٦.

(٥) التسعينة ٩١٤/٣.

(٦) صحيح البخاري- كتاب التوحيد. باب قوله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) برقم ٧٠٥٦ ج٦/٢٧٢٣

(٧) انظر الرد على الجهمية ص٩٧.

(٨) انظر التوحيد ٢٨٩/١.

(٩) انظر رسالة إلى أهل الثغر ص١٢٩.

(١٠) انظر التمهيد ١٤٨/٧-١٤٩.

(١١) مجموع الفتاوى ٣٢٢/٥.

(١٢) انظر مختصر الصواعق ص ٣٧٨، ٤٠٥.

يقول الإمام الدارمي بعد أن ساق أحاديث النزول رداً على الجهمية: (ولكن بيننا وبينكم حجة واضحة يعقلها من شاء الله من النساء والولدان، ألستم تعلمون أنا قد آتيناكم بهذه الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه والتابعين، منصوصة صحيحة عنهم، أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا وقد علمتم يقيناً أنا لم نخترع هذه الروايات ولم نفتعلها، بل رويناها عن الأئمة الهادية، الذين نقلوا أصول الدين وفروعه إلى الأنام، وكانت مستفيضة في أيديهم يتنافسون فيها، ويتزينون بروايتها، ويحتجون بها على من خالفها، وقد علمتم ذلك ورويتموها كما رويناها إن شاء الله، فأتوا ببعضها أنه لا ينزل منصوصاً كما روينا عنهم النزول منصوصاً، حتى يكون بعض ما تأتون به ضداً لبعض ما آتيناكم به، وإلاَّ لم يدفع إجماع الأمة وما ثبت عنهم في النزول منصوصاً بلا ضد منصوص من قولهم، أو من قول نظرائهم، ولم يدفع شيء بلا شيء، لأن أقاويلهم ورواياتهم شيء لازم وأصل منيع، وأقاويلكم ريحُ ليست بشيء، ولا يلزم أحداً منها شيء إلا أن تأتوا فيها بأثر ثابت مستفيض في الأمة كاستفاضة ما روينا عنهم، ولن تأتوا به أبداً)[1].

وأما تأويل الشيخ للنزول بفويض النعم الإلهية أو قرب رضاه ورحمته أو قرب حسابه فباطل من وجوه:

الوجه الأول: إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالاً وباطلاً، وهو صلى الله عليه وسلم يتكلم بها دائماً ويعيدها

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص ٩٦- ٩٧.

ويبديها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يـــأتي بما يدل على إرادة الحقيقة [(١)].

الوجه الثاني: أن في ألفاظ الحديث: (لا أسأل عن عبادي غيـــري)[(٢)] وفيـــه: (مـــن يدعوني فأستجيب له، (من يستغفرني فأغفر له) والرضا والرحمة ونحو ذلك لا تقول هذا، ولا تغفر الذنوب ولا تجيب الداعي، وإنما ذلك لله تبارك وتعالى[(٣)].

الوجه الثالث: يقال له أن الرحمة التي تثبتها إما أن تكون عيناً قائمة بنفـــسها، وأما أن تكون صفة قائمة في غيرها.

فإن كانت عيناً قائمة بنفسها وهي مخلوقة، وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يكن لها أن تقول: من يدعوني فأستجيب له، ولا: لا أسأل عن عبادي غيـــري، ولا: أنـــا الملك أنا الملك.

وأيضاً: فحينئذ يكون الذي ينزل لفصل القضاء مخلوقاً محدثاً لا رب العـــالمين وهذا معلوم البطلان قطعاً، وهو تكذيب صريح للخبر، فإنه يصح معه أن يقـــال: لا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يأتي لفصل القضاء، وإنما الذي ينزل ويأتي غيره.

---

(١) انظر مختصر الصواعق ص ٣٨٠.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (١٠٣٠٩) ج٦/١٢٢ ضمن السنن الكبرى، بإسنادين أحدهما على شرط الشيخين والآخر على شرط البخاري كما قال البوصيري، وأخرجه أيضاً ابن خزيمة في التوحيد ٣١٢/١، والآجري في الشريعة ١١٣٦/٣ وحكم المحقق على الإسنادين بالصحة، وابن منده في التوحيد برقم ٨٨٢، ٢٩٨/٣، والإمام أحمد في المسند برقم ١٦٢١٥، ١٦٢١٨ج ١٥٢/٢٦، ١٥٧، الحديث قال عنه شيخ الإسلام: (رواه النسائي وابن ماجه وغيرهما وسندهما صحيح) مجموع الفتاوى ٣٧٢/٩ وقال الإمام ابن القيم: (هذا حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده وفيه رد على من زعم أن الذي ينزل ملك من الملائكة فإن الملك لا يقول: (لا أسأل عن عبادي غيري) مختصر الصواعق ص٣٩٠ وللاستزادة انظر صفة النزول الإلهي للغامدي ص٨٤.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٤١٦/٥.

وإن كانت صفة من الصفات: فهي لا تقوم بنفسها بل لابد من محـــل، ثـــم لا يمكن للصفة أن تقول هذا الكلام، ولا محلها[1].

الوجه الرابع : أنه ورد في لفظ الحديث أنه ينزل إلى السماء الدنيا فلو كان المـــراد بالنزول نزول الرحمة إلى السماء الدنيا فقط ولم تنزل إلينا إلى الأرض فـــأي منفعة لنا في ذلك[2].

الوجه الخامس : أن نعم الله تعالى ورحمته تنزل بالليل والنهار، لا تختص بالثلـــث الأخير من الليل، ولا بوقت دون وقت، بل لا تنقطـــع عـــن العـــالم العلـــوي والسفلي طرفة عين[3] يقول الإمام ابن عبدالبر رداً لمن تؤول النزول بالرحمة والأمر: (هذا ليس بشيء، لان أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبداً في الليـــل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمراً قال له: كن فيكون، فـــي أي وقت شاء، ويختص برحمته من يشاء متـــى شـــاء لا إلـــه إلا هـــو الكبيـــر المتعال)[4].

الوجه السادس : أن نزول أمره ورحمته ورضاه لا تكون إلا منـــه وحينئـــذ فهـــذا يقتضي أن يكون هو فوق العالم، فتأويله نفسه يبطل مذهبه، ولهذا قال بعـــض النفـــاة لبعض المثبتين: ينزل أمره ورحمته، فقال له المثبت: فمن أين ينـــزل؟ ما عندك فوق شيء، لا ينزل منه أمر ولا رحمة، فبهت النافي وكـــان كبيـــراً فيهم[5].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٧٢/٥- ٣٧٣ ومختصر الصواعق ص ٤٠٥.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٣٧٣/٥.

(٣) انظر مختصر الصواعق ص ٤٠٥.

(٤) التمهيد ١٤٣/٧.

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٤١٦/٥.

خامساً: صفـة الإتيـــان :

يتأول الشيخ صفة إتيان الله تعالى بإتيان أمره وعقابه، ولا يثبت هذه الصفة لله تعالى كما يليق بجلاله يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ ﴾ [البقرة: آية ٢١٠]: (وقد وجه بعض المفسرين الآية على أن الكلام على حذف مضاف، فمعنى إتيان الله إتيان عقابه وعلى ذلك يكون المعنى: أن هؤلاء المشركين الذين كفروا بالله بعد أن جاءتهم البينات هم في غيهم يعمهون، وكأنهم لا ينتظرون بعد هذه الحجج الدامغة القاطعة إلا أن يأتيهم عذاب الله في ظلل من السحاب يحسبونها عارضاً ممطرهم، وهي عذاب يسحقهم، فتأتيهم النقمة من حيث ينتظرون النعمة ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون فعلى هذا التخريج تكون الآية للوعيد ويكون معنى إتيان الله وملائكته إنزال عذابه الدنيوي.

وهناك اتجاه آخر، وهو عدم تقدير كلمة عذاب، وأن مجيء الله هو تجليه يوم القيامة، وكشف الحجاب للناس يوم الجزاء، فيتجلى عليهم ربهم وملائكته...)[1] ويقول عند قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ١٥٨ ﴾ [الأنعام: آية ١٥٨]: (أكثر المفسرين على أن ذلك عندما يحين حين هذا الدنيا، والاستفهام إنكاري توبيخي، لا ينتظرون بعد هذا التكذيب إلا أن تأتيهم الملائكة تقبض أرواحهم أو يأتيهم ربك أي أمر ربك، فهي من قبيل حذف المضاف والاكتفاء بذكر الله تعالى، وأمر الله شديد لا قبل لكم باحتماله)[2].

---

(١) زهرة التفاسير ٢/٦٥٥- ٦٥٦.

(٢) المرجع السابق ٥/٢٧٥٢.

وما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة في تأويله لإتيان الله تبارك وتعالى بإتيان أمره وعقابه هو قول أهل التأويل الأشاعرة(١)، وهو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، فإن صفة إتيان الله تبارك وتعالى من الصفات الاختيارية الثابتة لله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة وقد أجمع عليها سلف الأمة.

أما الكتاب فقال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ ﴾ [البقرة: آية ٢١٠] يقول ابن جرير رحمه الله: (قال أبو جعفر: فمعنى الكلام إذاً: هل ينظر التاركون الدخول في السلم كافة والمتبعون خطوات الشيطان، إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، فيقضي في أمرهم ما هو قاض)(٢)، وقال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ١٥٨ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] يقول ابن جرير: (قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام (إلا أن تأتيهم الملائكة) بالموت فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك، يا محمد بين خلقه في موقف القيامة، (أو يأتي بعض آيات ربك) يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها...)(٣).

وأما السنة فالأحاديث كثيرة جداً وهي متواترة يقول شيخ الإسلام: (الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة) (٤).

---

(١) انظر الإرشاد للجويني ص١٥٩- ١٦٠، أساس التقديس للرازي ص٨٤ شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص٩٣.
(٢) تفسير الطبري ٣٤٢/٢.
(٣) المرجع السابق ٤٠٤/٥.
(٤) مجموع الفتاوى ٣٧٤/٥.

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان أحوال الناس يوم القيامة وهو حديث طويل الشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم: (... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه) [١].

وأما الإجماع فقد حكاه الدارمي[٢]، وأبو الحسن الأشعري[٣]، وشيخ الإسلام[٤]، وابن القيم[٥]، يقول الإمام ابن القيم: (وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة..)[٦].

وأما تأويله للإتيان بإتيان أمره فباطل من وجوه:

الوجه الأول : أن الله تبارك وتعالى قد ذكر في القرآن لفظ (الإتيان) مطلق ومقيد، فإذا أراد مجيء أمره ورحمته أو عذابه قيد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النحل:٢٦] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ ﴾ [الحشر:٢]

---

(١) صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب الصراط جسر جهنم برقم ٦٢٠٤ ج٥/٢٤٠٣.

(٢) انظر الرد على الجهمية ص ٩٣.

(٣) انظر رسالة أهل الثغر ص ١٢٨.

(٤) انظر مجموع الفتاوى ٥/٦٠.

(٥) انظر مختصر الصواعق ص ٤٠٥.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

وأما إذا أطلق كما في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: آية ٢١٠] فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه وتعالى[١].

الوجه الثاني : أن الله تبارك وتعالى قد فرق بين إتيان أمره وبين إتيانه بنفسه، فعطف مجيئه سبحانه وتعالى على مجيء الملائكة، ثم عطف مجيء آياته على مجيئه فقال تبارك وتعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ... ﴾ [الأنعام: ١٥٨] مما يدل على أن مجيئه حقيقة وليس مجازاً [٢].

الوجه الثالث : أن تأويله للإتيان بإتيان أمره مخالف لما ورد عن السلف في تفسير الآية فقد نقل ابن جرير رحمه الله أقوال المفسرين من السلف ولم يذكر أن أحداً منهم فسر إتيان الله بإتيان أمره، بل كلهم متفقون على أن الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة لفصل القضاء يقول رحمه الله: (قال أبو جعفر يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام (إلا أن تأتيهم الملائكة) بالموت فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك. وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها)[٣] وقد حكى ذلك عن مجاهد[٤]، وقتادة[٥] والسدي[٦]، وابن جريج[٧].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق ص ٣٨٣- ٣٨٤.

(٢) مختصر الصواعق ٣٨٢- ٣٨٤.

(٣) تفسير الطبري ٤٠٤/٥.

(٤) مجاهد بن جبر المكي الأسود، أبو الحجاج، إمام حافظ مفسر، من أئمة التابعين توفي عام ١٠٢هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤ ، تقريب التهذيب ص ٥٢٠.

(٥) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، إمام حافظ مفسر، من أئمة التابعين توفي عام انظر سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥، تقريب التهذيب ص٤٥٣.

(٦) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كرمة السدي، إمام حافظ مفسر، من أئمة التابعين، توفي عام ١٢٧هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥، تقريب التهذيب ص١٠٨.

(٧) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي، مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل من أئمة التابعين، توفي عام ١٥٠هـ وقيل بعدها. انظر سير أعلام النبلاء ٣٢٥، تقريب التهذيب ص٣٦٣.

وأما قوله: (أن مجيء الله هو تجليه يوم القيامة، وكشف الحجاب للناس يـوم الجزاء فيتجلى عليهم ربهم وملائكته) .

فقد ساقه الشيخ على أنه أحد الأقوال في تفسير الآية ولم يتبناه الشيخ. وإنمـا تبنى الرأي الآخر كما هو موضح في آية الأنعام، ولا استطيع أن أحدد مراد الـشيخ لمعنى التجلي هل هو يريد بذلك الرؤية فقط دون أن يقارنها إتيان أم يريد أمراً آخر.

سادساً: صفة الغضب:

يؤول الشيخ صفة الغضب لله تعالى بعدم رضاه وإنزال العذاب والعقاب يقول عند قوله تعالى: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ ﴿٩٠﴾ ﴾ [البقرة: آية٩٠] : (والغضب يكون حالاً تليق بذات الله تعالى يتجلى في عدم رضاه وإنزاله العذاب بمن يغضب عليه وطرده من رحمته ولعنه، وكل ما يذكر الله تعالى من صفات وأحوال يتشابه أسماؤه مع ما يتصف به من صفات وما تكون عليه من أحوال لا يكون مشابهاً لنا، بل يكون أمراً يليق بالذات العلية﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: آية١١] تعالى الله عن مشابهة الحوادث)[1].

ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]: (السين في سينالهم لتأكيد ما ينزل بهم و(غضب) حال تقوم بالذات العلية، وهي غير غضبنا، وإن مظهره عذاب شديد، وبعد عن رحمته)[2].

تأويل الشيخ لصفة الغضب بعدم الرضا وإنزال العذاب والبعد عن رحمته هو قول أهل التأويل من الأشاعرة [3] وهو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، فإن صفة الغضب من الصفات الاختيارية الثابتة لله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة

---

(١) زهرة التفاسير ٣١٣/١.

(٢) المرجع السابق ٢٩٥٩/٦.

(٣) انظر الاقتصاد للغزالي ص١٠٣، وانظر مشكل الحديث لابن فورك من ٢٥٩.

والإجماع أما دلالة الكتاب عليها فقال تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [سورة النساء:٩٣] وقال تعالى: ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴿٨١﴾ ﴾ [طه:٨١] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة:١٣].

وأما السنة فالأحاديث كثيرة منها حديث الشفاعة المشهور وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: (.. إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله)[١] وحديث: (.. إن رحمتي سبقت غضبي)[٢] وغيرهما وأما الإجماع .

فيقول ابن أبي العز[٣] رحمه الله: (مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى، والعداوة والولاية، والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات .... ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفي للصفة)[٤].

وتأويل الشيخ لصفة الغضب بعدم الرضا وإنزاله العذاب والعقاب فباطل من وجوه:

الوجه الأول : أن هذا التأويل مبني على أصل باطل وهو اعتقاد أن إثباتها يقتضي التشبيه وقد سبق بيان بطلان ذلك وما بني على باطل فهو باطل[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه) برقم ٣١٦ ٣/١٢١٥ ، وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم ١٩٤ ج١/١٨٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٠.

(٣) هو القاضي صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، فقيه حنفي ولد بدمشق، وتولى قاضي القضاة بها، ثم بمصر، قال عنه الحافظ ابن حجر: اشتغل قديماً وتمهّر، ودرّس، وأفتى، وخطب، توفي عام ٧٩٢. انظر: الدرر الكامنة ٤/١٠٣

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٣– ٤٦٤.

(٥) انظر ص ١٧٢.

الوجه الثاني : أن تأويل الغضب بعدم الرضا تفسير له بغير مدلوله اللغـوي وهـو الغضب الحقيقي، وتفسيره بذلك ينفي حقيقة الصفة[1].

الوجه الثالث : إن كل من تأول الغضب إما بإرادة الانتقام أو الانتقـام نفـسه فإنـه يلزمه فيه نظير ما فر منه، فهو ما تأول الغـضب:لا لاعتقـاده أن ظـاهره يقتضي التشبيه والتمثيل، فيقال له: وكذلك ما ذهبت إليه من التأويل فإنه ممـا يتصف به المخلوق، فإن كان إثبات ما ذهبت إليه لا يقتضي التشبيه والتمثيل فكذلك إثبات حقيقة الغضب لله تبارك وتعالى على الوجه اللائق به لا يقتضي التشبيه، وإن كان إثباتهما يقتضي التشبيه والتمثيل لزمك المحظور.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فإن كان المخاطب ممن يقر بان الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة، أو ينازع في محبته، ورضاه، وغضبه، وكراهيتـه، فيجعـل ذلـك مجازاً، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كـالقول فـي الآخر، فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضـاه وغـضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به، قيـل لك : وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قلـت: هـذه إرادة المخلوق، قيل لك: وهذا غضب المخلوق.

---

(١) انظر: آراء ابن حجر الهيثمي الاعتقادية، للشايع، ص٣٥٤.

وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفي عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات... فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض، يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته..)[١].

سابعاً: صفة المحبة:

إن المتأمل فيما ذكره الشيخ عن هذه الصفة يجد أن الشيخ عنده اضطراب فنجده أحياناً يؤول المحبة بالرضا والرحمة يقول: (ومحبة الله تعالى للتائبين رضاه عنهم، وإسباغ رحمته عليهم، فالمحبة رضا ورحمة وتقريب)[٢].

وأحياناً نجد أن الشيخ يناقض ما ذكره سابقاً ويقرر أن الرحمة حال من أحوال الذات العلية لا تعرف كنهها ولا تدرك حقيقتها وهي غير الإحسان والرضا والرحمة يقول في ذلك: (أما محبة الله فحال من أحوال الذات العلية لا تعرف كنهها، ولا تدرك حقيقتها وهي تليق بذاته الكريمة، وتتفق مع صفات الجلال والكمال التي يتصف بها واجب الوجود، والذي خلق بقدرته كل موجود، وهي غير الإحسان، وإن كانت من فضل الله، وغير الرحمة، وغير الرضا، لأن الله سبحانه وتعالى جعلها لبعض عباده، والإحسان والرحمة يعمان كل موجود، والرضا وإن جعله جزاء أعلى للمحسنين، كما قال في جزاء المؤمنين بعد ذكر الجنات والنعيم والمقيم ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [سورة التوبة: آية٧٢] نجد المحبة أكثر منه. وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فكان هذا دليلاً على أنهما متغايران بالنسبة لذاته العلية، كما أن المدلول اللفظي لهما متغاير، وإن كانت المحبة تتضمن الرضا لا محالة، بل أنها لا تكون إلا حيث يكون أقصى الرضا)[٣] ويقول أيضاً: (والمحبة شأن من شؤون الله تعالى، لا تتشابه مع

---

(١) التدمرية ص ٣١-٣٣ وانظر الصواعق المرسلة ٢٣٤/١ .

(٢) زهرة التفاسير ٧٣٤/٢.

(٣) المرجع السابق ١١٨٧/٣.

محبتنا، ولامع ما يجري بيننا من حب وبغض، لان ذات الله تعالى منفردة بصفاته لا تشابه ذات المخلوقين في شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] والمحبة أكثر من الرضا، والرضا أكثر من الإرادة، فهذه كلها صفات للذات العلية مرتبة في القوة... والمحبة مرتبة فوق الرضا أو هي أبلغ الرضا وقد وعد الله تعالى أهل الإيمان الحق الصادق بأنهم ينالون محبته، وهي أقصى درجات الرضا)[١].

تأويل الشيخ لصفة المحبة بالرضا والرحمة هو قول أهل التأويل من الأشاعرة[٢] وهو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، فإن صفة المحبة من الصفات الاختيارية الثابتة لله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة والإجماع والعقل.

أما الكتاب فالآيات التي ذكر الله تبارك وتعالى فيها المحبة كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤] وغيرها من الآيات.

وأما السنة فالأحاديث كثيرة جداً منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: أن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض)[٣].

---

(١) زهرة التفاسير ١٩٢٩/٤- ١٩٣٠ وانظر أيضاً زهرة التفاسير ٢٢٥١/٥، ٤٧٢٤/٩.

(٢) انظر: الإرشاد للجويني ص ٢٣٨. والأسماء والصفات للبيهقي، ٤٦٩/٢.

(٣) صحيح البخاري- كتاب التوحيد- باب: كلام الرب مع جبريل، برقم ٧٠٤٧ ج٢٧٢١/٦، وروى مسلم نحوه في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده برقم ٢٦٣٧ ج٢٠٣٠/٤.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله وقال يحب الله ورسوله...)[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي) [2].

وأما دلالة العقل على صفة المحبة فإن إثابة الطائعين بالجنات والنصر والتأييد وغير ذلك، يدل بلا شك على المحبة، ونحن نشاهد بأعيننا ونسمع بآذاننا عمن سبق وعمن لحق أن الله عز وجل أيد من أيد من عباده المؤمنين ونصرهم وأثابهم، وهل هذا إلا دليل على المحبة لمن أيدهم ونصرهم وأثابهم عز وجل؟[3].

وأما الإجماع فقد حكاه جماعة من أهل العلم منهم الإمام الدرامي [4]، والصابوني [5]، وشيخ الإسلام [6]، وابن القيم [7]، وغيرهم.

يقول أبو عثمان الصابوني : (وكذلك يقولون – يقصد أهل السنة – في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين ... والحب والبغض ...) [8].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم ٣٤٩٩ ج٣/١٣٥٧، وروى مسلم نحوه في فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم ٢٤٠٧ ج٤/٢٢٧٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٦٥ ج٤/٢٢٧٧.

(٣) انظر: التدمرية ص٣٤ وانظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٤١/١.

(٤) انظر: نقض الدرامي على المريسي، ٨٦٦/٢.

(٥) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٥.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٥٤/٢.

(٧) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١٧١.

(٨) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٦٥.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام) [١].

وأما تأويل المحبة بغير حقيقتها الثابتة لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله فباطل لوجوه.

الوجه الأول : أن هذا التأويل مبني على أصل باطل وهو أن إثباتها يقتضي التشبيه وقد سبق بيان بطلان ذلك وما بني على باطل فهو باطل[٢].

الوجه الثاني : أن النصوص الشرعية وردت بإثبات المحبة لله وأنه يُحِب ويُحَب، وكما وردت أيضاً بإثبات الخلة والود له سبحانه وتعالى، ولم يرد في شيء منها تأويلها بالإرادة أو الأنعام أو الرحمة أو غير ذلك، مما يدل على أن المراد بها حقيقتها[٣].

الوجه الثالث : أنه يلزم: (هؤلاء الذين ينفون أن الله يُحِبُّ ويُحَب أنه لا يبقى عندهم فرق بالنسبة إلى الله بين أوليائه وبين أعدائه، ولا بين الإيمان والكفر ولا بين ما أمر به وما نهى عنه، ولا بين بيوته التي هي المساجد وبين الحانات ومواضع الشرك)[٤]. وحينئذ لا يكون هناك فرق بين المحبة والإرادة الكونية، فالجميع سواء، فإن الله تبارك وتعالى يحب أموراً ويبغض أخرى، يحب الإيمان، ويبغض الكفر وإن أراده كوناً، فإذا لم يثبتوا المحبة لله تبارك وتعالى على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، أصبح الإيمان سيان بين الإيمان

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢/٣٥٤.

(٢) انظر ص ١٧٢.

(٣) انظر مدارج السالكين ٢/٥٣٠- ٥٣٨.

(٤) انظر منهاج السنة ٥/٣٢٥.

والكفر، وما أمر به وما نهى عنه، وبين المساجد والحانات إذ كل هذه الأمور الواقعة تعلقت بها الإرادة الكونية.

الوجه الرابع : أن تأويل الشيخ للمحبة بالرضا والرحمة والتقريب يلزمه فيه نظير ما فرّ منه، فإنه إنما تأول المحبة لزعمه أن ظاهرها يقتضي التشبيه، فيقال له، وكذلك ما أثبته يقتضي التشبيه، فإن كان ما أثبته لا يقتضي التشبيه فكذلك إثبات المحبة على الوجه اللائق بالله لا يقتضي التشبيه، وإن كان ما أثبته يقتضي التشبيه فقد وقعت فيما فررت منه[١].

ثامناً: آراؤه في صفة الرؤية:

رؤية الله تبارك وتعالى من المسائل المهمة التي لها علاقة بباب الصفات، لأنها محل نزاع بين السلف والخلف، ولأن نفاة الرؤية هم نفاة الصفات، وينفون الرؤية بنفس الحجج الواهية والشبهات الباطلة التي ينفون بها الصفات[٢].

وسوف يكون الكلام عن الرؤية من جوانب **الأول:** رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا، **والثاني:** رؤية النبي لله تبارك وتعالى ليلة الإسراء والمعراج **والثالث:** رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة.

أولاً: رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا :

يرى الشيخ أبو زهرة رحمه الله أن رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا مستحيلة وغير ممكنة، وحجته في ذلك أن رؤية الدنيا تقتضي التحيز في مكان والله تعالى منزه عن ذلك يقول رحمه الله: (وإن الله تعالى لا يرى في الدنيا بإجماع العلماء قط، لأن رؤية الدنيا تقتضي مكاناً والله سبحانه وتعالى منزه عن المكان)[٣].

---

(١) انظر التدمرية ص ٣١- ٣٣.
(٢) انظر منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة لمحمد إسحاق كندو ٩٦٧/٢.
(٣) زهرة التفاسير ٢٣٦/١.

ويقول أيضاً: (وأما في الدنيا فإن الله لا يُرى فيها، لأن الرؤية تقتضي التحيز في مكان والله تعالى منزه عن ذلك)(١) ويقول أيضاً: (ومهما يكن الطالبون، فإن رؤية الله تعالى مستحيلة في الدنيا)(٢).

وما ذكره الشيخ من أن الله لا يرى في الدنيا (٣)،، وإن كان موافق لقول أهل السنة والجماعة في النتيجة، إلا أنه مخالف لهم في طريقة الاستدلال فأهل السنة اعتمادهم على نفي الرؤية في الدنيا النقل أما أبو زهرة فيعتمد على شبهة عقلية هي نفس الشبهة التي نفى بها علو الله تبارك وتعالى وقد سبق بيان بطلان هذه الشبهة (٤)، ومن أدلة أهل السنة على نفي الرؤية في الدنيا قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٣] ووجه الدلالة من الآية أن النفي الوارد في الآية المراد به أبصار أهل الدنيا على أحد القولين في الآية(٥).

يقول الإمام أحمد في تفسير هذه الآية: (يعني في الدنيا دون الآخرة، وذلك أن اليهود قالوا لموسى: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا وعوقبوا بقولهم أرنا الله جهرة، وقد سأل مشركو قريش النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فلما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسألة قال الله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [البقرة:١٠٨] حين قالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم

---

(١) المرجع السابق ٢٦١٦/٥ وانظر أيضاً ٢٩٤٥/٦.
(٢) المرجع السابق ٢٣٧/١.
(٣) المراد في حال اليقظة، أما في المنام فلم أجد له كلاماً في ذلك.
(٤) انظر ص ١٧٢.
(٥) انظر تفسير ابن جرير ٢٩٦/٥-٢٩٧، وابن كثير ١٦٦/٢ والرد على الجهمية للدارمي ص١٢٤.

الصاعقة، فأنزل الله سبحانه بخبر أنه لا تدركه الأبصار أي: أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة، فقال: لا تدركه الأبصار يعني في الدنيا) [(١)].

ومن أدلتهم أيضاً وهو نص صريح في المسألة قوله صلى الله عليه وسلم: (تَعَلَّمُوا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت)[(٢)] وقد علق الحافظ ابن حجر[(٣)] على هذا الحديث في الفتح فقال: (وفيه تنبيه على أن دعواه الربوبية كذب لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموت، والدجال يدعي أنه الله ويراه الناس مع ذلك، وفي هذا الحديث رد على من يزعم أنه يرى الله تعالى في اليقظة تعالى الله عن ذلك ...)[(٤)].

الثاني: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عز وجل ليلة المعراج :

ذكر الشيخ اختلاف أهل العلم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عز وجل ليلة المعراج، ورجح أن الرؤية قلبية وليست بصرية يقول رحمه الله: (وهنا يثار سؤال هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في المعراج؟ بعض العلماء زعم أنه رآه، ولا يوجد نص قاطع يدل على ذلك، ولكن وردت آثار كبيرة تدل على نفيه، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك؟ قال: (إنه نور، فأني أراه)[(٥)].

ويقول أيضاً: (أن أخبار المعراج تصرح بأنه رأى ربه، والرؤية القلبية ممكنة باستحضار عظمته، وبالسبحات الروحية المتجهة إلى الله سبحانه وتعالى، وأن النبي

---

(١) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٩٥.

(٢) صحيح مسلم- كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب ذكر ابن صياد، برقم ٢٩٣١، ج٤/٢٢٤٥.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني، العسقلاني، الشافعي، شهاب الدين، أحد أعلام المحدثين المتأخرين، له تصانيف كثيرة، منها فتح الباري بشرح صحيح البخاري وتهذيب التهذيب، توفي عام٨٥٢هـ. انظر شذرات الذهب.

(٤) فتح الباري ١٣/١٠٣.

(٥) زهرة التفاسير ٥/٢٦١٦.

صلى الله عليه وسلم قد قرر أنه لم ير ربه في حديث أبي ذر الغفاري فقد قال عليه الصلاة والسلام في إجابة سؤال الصحابي الجليل أبي ذر "إنه نور، فأنى أراه")[١].

وما ذكره الشيخ أبو زهرة من نفي الرؤية البصرية وإثبات القلبية هو القول الذي اختاره جمع من المحققين من أهل العلم منهم الإمام السمعاني[٢] والإمام القرطبي[٣]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٤]، وابن كثير[٥]، وابن أبي العز[٦]، وابن حجر[٧]، والسفاريني[٨]، وغيرهم.

يقول شيخ الإسلام: (وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال " رأى محمد ربه بفؤاده مرتين ") وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية وتارة يقول: رآه بفؤاده ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق، ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

---

(١) خاتم النبيين ٤١٩/١.

(٢) انظر تفسير القرآن ٢٨٨/٥.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦١/١٧.

(٤) انظر مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦- ٥١٠.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٢٦٧/٤.

(٦) انظر شرح الطحاوية ص ١٩٦- ١٩٧.

(٧) انظر فتح الباري ٤٧٤/٨.

(٨) انظر لوامع الأنوار البهية ٢٥٤/٢- ٢٥٥.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنّى أراه".

وقد قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١] ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى)[١].

لكن يبقى السؤال هل ما ذكره الشيخ أبو زهرة من تفسير الرؤية القلبية موافق لقول من ذكرت من العلماء السابقين؟

وبالرجوع لكلام أهل العلم في تفسير الرؤية القلبية نجد أن مراد الشيخ أبو زهرة مخالف لمرادهم يقول الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم:١١] : (أي: لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأي ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية) [٢].

ويقول أبو المظفر السمعاني: (وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده، فإن قال قائل: المؤمنون يرونه بفؤادهم، وليس ذلك إلا العلم به فما معنى تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم؟

والجواب أنهم قالوا: إن الله تعالى خلق رؤية لفؤاده فرأى بفؤاده مثل ما يرى الإنسان بعينه)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦- ٥١٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦١/١٧.
(٣) تفسير السمعاني ٢٨/٥.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا كله وما أشبهه لم يريدوا به أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح[1] الروح ذات الله كما يرى هو نفسه، فإن هذا لا يمكن لأحد في الدنيا، ومن جوز ذلك إنما جوزه للنبي صلى الله عليه وسلم كقول ابن عباس: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين)[2].

ويقول الحافظ ابن حجر: (ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه، كما يخلق الرؤية بالعين لغيره)[3].

فتفسير الشيخ أبو زهرة للرؤية القلبية باستحضار عظمته وبالسبحات الروحية لا يسلم له، لان النبي صلى الله عليه وسلم مستحضر لعظمة الله على الدوام، فلا يكون هناك مزية لذكرها ليلة المعراج، بل المراد قدر زائد عن العلم واستحضار العظمة كما سبق بيانه من كلام الأئمة والله تعالى أعلم.

ثالثاً: رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة:

تحدث الشيخ عن رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة، وأشار إلى الخلاف الواقع بين أهل السنة ومخالفيهم، وعند التأمل فيما ذكره الشيخ نجد الآتي:

١- أنه يذكر قول أهل السنة والجماعة بصيغة يُفهم منها أنه لا يوافقهم على ما يعتقدونه من حقيقة الرؤية، يقول في ذلك: (ورؤية أهل الجنة عند من يثبتونها تكون بالعين الباقية، والله أعلم كيف يرى)[4].

---

(١) المكافحة مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة، ويقال: كافحه مكافحة وكفاحاً لقيه مواجهة. انظر لسان العرب لابن منظور، ٣٦٤/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٩٢/٥.

(٣) فتح الباري ٤٧٤/٨.

(٤) خاتم النبيين ٤١٩/١، وانظر أيضاً زهرة التفاسير ٤٣٢٧/٨.

ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] :(والزيادة بغفران بعض السيئات ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:١١٤] ثم بالرضوان وهو اكبر ما يعطي الله تعالى، وقد قال أهل السنة في ذلك أنهم يرون ربهم كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣] [١].

٢- أنه أثبت رؤية الله في الآخرة بناءاً على مذهبه في نفي العلو، فهو يثبت الرؤية ويجعلها بحال لا يعلم كيفيتها، ويفوض أمرها إلى الله تعالى يقول في ذلك: (ورؤية يوم القيامة تكون بحال لا تكون كحال الناس، فهي نوع من الكشف والتجلّي، والرؤية من غير كيف ولا حد ولا جسمية، ولقد قال تعالى في حال الإنسان يوم القيامة: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [سورة ق:٢٢] وإنّا نرى إثبات الرؤية من غير كيف وإن كنا لا نكفر من يؤول النص)[٢].

ويقول أيضاً: (أما في الآخرة، فأمرها أي الرؤية- عند علم الله وهو العليم بما فيها، والحياة فيها غير الحياة في الدنيا، وما يكون مستحيلاً في الدنيا، أو ما يرى كذلك لا يكون مستحيلاً في الآخرة والله بكل شيء عليم)[٣]. هذا هو رأي الشيخ في الرؤية، وهو بهذا يوافق قوله قول الأشاعرة بان الله يرى لا في جهة، وإن كان لم ينص على ذلك، لكن مؤدى كلامه يفهم منه ذلك، وخصوصاً إذا استحضرنا نفيه للعلو.

---

(١) زهرة التفاسير ٣٥٥٣/٧.

(٢) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ص٦٣.

(٣) زهرة التفاسير ٢٩٤٥/٦ وللاستزادة انظر ابن حنبل حياته وعصره، آراؤه وفقهه ص١١٦، ومالك حياته وعصره، آراؤه وفقهه ص١٦٥، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص١٨٧، ١٨٨، ١٩٩. وزهرة التفاسير ٢٣٦/١، ٢٦١٧/٥، ٣٢٦٠/٦، ٣٥٥٣/٧، ٤٣٢٧/٨.

النقـــد:

ما ذكره الشيخ عن أهل السنة في مسألة الرؤية، وإن كان ذكره بصيغة يُفهـم منها أنه لا يوافقهم عليها، إلا أن ما ذكره عنهم هو الحق الذي لا مرية فيـه، فـإن رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب فمنـه قولـه تعـالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة،٢٢-٢٣] فإضافة النظر إلى الوجه، الذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة "إلى" الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تـدل علـى خـلاف حقيقتـه صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦] فالحـسنى الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم كما فسرها بذلك الرسول صـلى الله عليه وسلم، فقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب[2] رضي الله عنه قـال: قـرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة).

قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: تريـدون شـيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينـا مـن النـار؟ قـال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين:١٥] وقد احتج بها جمع من "أئمة السلف على الرؤية منهم الإمام الشافعي رحمه الله حيث

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص١٨٩.

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣٦٤.

(٣) صحيح مسلم- كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم ١٨١، ج١/١٦٣.

قال: (لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى)[1].

وأما السنة فقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الرؤية، وقد جمعها غير واحد من أهل العلم في مصنفات مستقلة[2] وتتبعها الإمام ابن القيم في كتابه حادي الأرواح فبلغت ثلاثين حديثاً[3]. منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟" قالوا: لا، يا رسول الله، قال: "هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟" قالوا: لا يا رسول الله. قال: "فإنكم ترونه كذلك..." [4] الحديث.

ومنها أيضاً حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جنات الفردوس أربع، جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[5].

وأما الإجماع فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات الرؤية في الآخرة، وحكى الإجماع غير واحد من أهل العلم منهم الإمام الدارمي [6] والأشعري[7]،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم ٨٨٣، ٥٦٠/٢.

(٢) كالتصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة للآجري، والرؤية للدارقطني ورؤية الله تعالى لابن النحاس، وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ٤٨٦/٦ فقد ذكر شيخ الإسلام مجموعة من العلماء غير من ذكرت.

(٣) انظر: حادي الأرواح ص ٣٣٧-٣٦٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريقة الرؤية، برقم ١٨٢، ج١٦٣/١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم ١٨٠ ج١٦٣/١.

(٦) انظر الرد على الجهمية ص ١٢٢- ١٢٣.

(٧) انظر رسالة إلى أهل الثغر ص ١٣٤، والإبانة ص ٦٧.

وشيخ الإسلام[١]، وابن القيم[٢]، والطحاوي[٣]، والسفاريني[٤].

وأما ما قرره أبو زهرة من تقييده للرؤية من غير كيف ولا حد ولا جسمية فلا يوافق عليه، ولا يسلم له وذلك للأمور التالية:

أولاً: أن ألفاظ الحد والجسمية والمكان ونحوها ألفاظاً مجملة لم ترد في الكتاب والسنة، فلا تثبت بإطلاق، ولا تنفي بإطلاق، وإنما يستفصل عن معناها، ويعبر عنها بالألفاظ الشرعية، كما سبق الإشارة إلى ذلك[٥].

ثانياً: إن إثبات رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة من غير تقييد ببصر وجهة لا إحاطة معها مخالف لظواهر الكتاب والسنة، وما اجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من ثبوت النظر ببصر العين إلى الله عز وجل في جهة العلو من غير إحاطة به تعالى يقول الإمام ابن القيم: (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام، وأهل الحديث، عصابة الإسلام ونزل الإيمان، وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة، وإن له والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم...)[٦].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (قول هؤلاء- أي الأشاعرة - إن الله يرى من غير معاينة ومواجهة قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة، وجمهور العقلاء

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤٦٩/٦، ٥١٠.

(٢) انظر حادي الأرواح ص٣٢٦.

(٣) انظر شرح الطحاوية ص ١٨٩.

(٤) انظر لوائح الأنوار السنية ٢٨٢/١.

(٥) انظر ص٢٠٢.

(٦) حادي الأرواح ص ٣٨٠.

على أن فساد هذا معلوم بالضرورة. والأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترد عليهم، كقوله في الأحاديث الصحيحة: (إنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته).. فشبه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، .. ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عياناً مواجهة، فيجب أن نراه كذلك، وأما رؤية ما لا نعاين، ولا نواجه فهذه غير متصورة في العقل، فضلاً عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر. ولهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية، وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة في الباطن، فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة)[١].

ثالثاً: أن إثبات الرؤية إلى غير جهة، مخالف للفطرة، ومناقض للعقل، يقول ابن أبي العز رحمه الله: (ومن قال: يرى لا في جهة- فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله، وفي عقله شيء، وإلا فإذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة، ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة)[٢]. وهذا يلزم الشيخ وكل من قال بقوله، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٨٤- ٨٥.

(٢) شرح الطحاوية ص ١٩٥.

الباب الثاني

آراؤه في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر

الفصل الأول : آراؤه في الإيمان بالملائكة وما يتعلق بهم

بيَّن الشيخ رأيه في الإيمان بالملائكة في عدة مواطن من كتبه، وحيث أن الإيمان بالملائكة يتضمن الإيمان بوجودهم، وخلقهم، وبمن علمنا اسمه منهم، وبأعمالهم ووظائفهم، فسوف أفرد كل واحد من هذه الأمور في مبحث مستقل، لكن قبل أن أبدأ في مباحث هذا الفصل أريد أن أُمّهد لهذا بالتعريف بالملائكة وبالله التوفيق .

تمهيد : **في تعريف الملائكة** :

الملائكة: جمع مَلَك، أو جمع ملأك؛ أو مألك، فهو من الألوكة وهي الرسالة[1] بقول ابن فارس: (ألك: الهمزة واللام والكاف أصل واحد، وهو تحمّل الرسالة، قال الخليل: الألوك الرسالة، وهي المألكة على مفعلة ... وإنما سميت الرسالة ألوكاً لأنها تؤلك في الفم، مشتق من قول العرب: الفرس يألك باللجام ويعلُكه، إذا مضغ الحديدة ...

وقول العرب: (ألكنى إلى فلان) المعنى تحمل رسالتي إليه)[2].

ويقول ابن جرير الطبري رحمه الله: (والملائكة جمع مَلأكٍ، غير أن أحدهم بغير الهمزة أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز، وذلك أنهم يقولون في واحدهم: ملك من الملائكة ....

وقد يقال في واحد منهم مألك فيكون ذلك مثل قولهم: جبذ وجذب، وشأمل وشمأل، وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة. غير أن الذي يجب إذا سمي واحد

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ١٣٢/١، والصحاح للجوهري، ص٥١، ولسان العرب، والقاموس المحيط، ١٢٣٥/٢، ومفردات ألفاظ القرآن، ص٨٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ١٣٢/١ – ١٣٣.

"مألك" أن يجمع إذا جمع على ذلك " مآلك " ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعاً، ولكنهم قد يجمعون: ملائك وملائكة كما يجمع أشعث: أشاعث وأشاعثة ... فمن قال: ملأكاً فهو مفعل، من لأك إليه يلأك إذا أرسل إليه رسالة ملأكة ومن قال: مألكاً فهو مفعل من ألكت إليه آلك : إذا أرسلت إليه مألكة وألوكاً ... فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة، لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده) [1].

المبحث الأول : في الإيمان بوجودهم

يثبت الشيخ وجود الملائكة ويرى أنهم عالم من العوالم التي خلقها الله تبارك وتعالى، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] ذكر أن هناك ثلاثة عوالم، جاء ذكر بعضها في بيان علاقة الإنسان في خلقة وتكوينه بها يقول رحمه الله: " وقبل أن نتعرف القصة الحقيقية التي صورها القرآن لخلق الإنسان نذكر عوالم ثلاثة للعقلاء، جاء ذكر بعضها في بيان علاقة الإنسان في خلقه وتكوينه بها، وهذه العوالم الثلاثة هي : عالم الملائكة وهم خلق الله تعالى ...) [2].

وبين في موطن آخر أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالإيمان بهم (فحق علينا أن نؤمن بوجودهم، وهم مذكورون في كتابه الكريم، وفي الكتب التي صدقها) [3].

النقد :

ما ذكره الشيخ عن وجود الملائكة، ووجوب الإيمان بهم هو قول أهل السنة والجماعة [4]، وهو من مقتضيات الإيمان بهم، التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، فإن

---

(١) تفسير ابن جرير، ٢٣٤/١ – ٢٣٥.

(٢) زهرة التفاسير، ١٩٢/١.

(٣) المرجع السابق، ٥١٩/١.

(٤) انظر: درء التعارض، ١٠٧/٦– ١٠٠، مجموع الفتاوى (٣٤٦/٤) ، (٢٤/٦–٢٥)، (٣٩٩/١٠).

إنكار وجودهم كفر بالله تعالى، لأنه تكذيب لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك ما تواتر عن الأنبياء من وصف الملائكة، هو ما يوجب العلم اليقيني بوجودهم في الخارج، كقصة ضيف إبراهيم المكرمين، ومجيئهم إلى إبراهيم، وإتيانه بالعجل السمين ليأكلوه،وبشارتهم لسارة بإسحاق ويعقوب، ثم ذهابهم إلى لوط، ومخاطبتهم له، وإهلاك قرى قوم لوط، وقد قص الله هذه القصة في غير موضع) [١].

ويقول أيضاً: (والإقرار بالملائكة والجن عام في بني آدم لم ينكر ذلك إلا شواذ من بعض الأمم، .... فذكر الملائكة والجن عام في الأمم، وليس في الأمم أمة تنكر ذلك إنكاراً عاماً ، وإنما يوجد إنكار ذلك في بعضهم) [٢].

المبحث الثاني : رأيه في مكان وجودهم

يرى الشيخ أن الملائكة لا مكان لهم، يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عِبَادَته ﴾ [الأنبياء: ١٩]: والعندية هي عندية المنزلة لا عندية المكان، لأن الله تعالى ليس له مكان حتى يكون في هذا المكان أحد، إنما العندية هي العندية المعنوية، وهي المكان [٣]، وأولئك الملائكة وهم أزواج مطهرة ليس لها مكان نعرفه وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ...) [٤].

---

(١) درء التعارض، ١٠٩/٦.

(٢) الثوابت، ١٩٤/١- ١٩٥.

(٣) زهرة التفاسير، ١٨٤٤/٩.

(٤) هكذا ويبدو أن الصواب (المكانة).

النقد :

ما ذكره الشيخ من أن الملائكة ليس لها مكان نعرفه، قول باطل مخالف للنصوص الشرعية، والذي جعله يعتقد ذلك هو هروبه من إثبات علو الله تعالى وقد سبق وأن بينت بطلان قوله في علو الله تعالى [1]، أما بالنسبة للملائكة فالذي تدل عليه النصوص الشرعية إثبات أن الملائكة مسكنهم السماوات غالباً كما قال تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ ﴾ [فُصلت: ١٢].

قال ابن جرير رحمه الله: (يقول وألقى في كل سماء من السماوات السبع ما أراد من الخلق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ... وعن السدي ﴿ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ ﴾ قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم) [2]. ويقول القرطبي: (قال قتادة والسدّي: خلق فيها شمسها وقمرها، ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سماء خلق من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلوج، وهو قول ابن عباس قال: ولله في كل سماء بيت تحج إليه وتطوف به الملائكة) [3].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ ﴾ [الشورى: ٢٩]، يقول ابن كثير رحمه الله: (وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في أرجاء أقطار السماوات والأرض) [4].

---

(١) انظر: ص

(٢) تفسير الطبري، ٩٣/١١.

(٣) تفسير القرطبي، ٢٥٥/١٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٢٥/٤.

المبحث الثالث: رأيه في خلق الملائكة

المطلب الأول: مادة خلقهم:

يرى الشيخ أن الملائكة خلق لله تبارك وتعالى، ولكنه لا يجزم بمادة خلقهم فهو يشككك في خلقهم من نور، مع أنه في أول الأمر أشار إلى أنهم مخلوقون من نور يقول: (... حتى يكون الجو الروحي الذي يمكن أن تنزل فيه تلك الأرواح التي هي نور خلقه الله تعالى) [(١)]. لكنه بعد ذلك رجع وشكك في خلقهم من نور، وذكر خلقهم بصيغة يفهم منها أنه يضعف هذا القول يقول في ذلك: (عالم الملائكة وهم خلق الله تعالى، قيل أنه سبحانه خلقهم من نور) [(٢)]، ولم يذكر بعد ذلك شيئاً عن مادة خلقهم.

النقد :

ما ذهب إليه الشيخ من التشكيك في خلق الملائكة من نور قول مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة خلقت من نور فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي

---

(١) زهرة التفاسير، ١٣٩٨/٣.

(٢) المرج السابق، ١٩٢/١، مما يجدر التنبيه عليه أن الشيخ بدأ كتابة التفسير من قوله تعالى في سورة البقرة: {يسألونك عن الأهلة} وذلك إكمالاً لما بدأه الشيخ محمد الخضر حسين فقد وصل إلى هذه الآية، فأكمل الشيخ التفسير إلى قوله تعالى في سورة الأنعام {وعنده مفاتح الغيب}، ثم بعد ذلك رجع الشيخ وفسر القرآن من البداية إلى مكان توقف الشيخ محمد الخضر حسين حتى يكون التفسير نسقاً واحداً فيكون ما ذكره عن خلق الملائكة في آل عمران متقدم على ما ذكره في البقرة.

صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) [1].

فهذا الحديث نص صريح في المسألة، كان ينبغي على الشيخ أن يقبله ولا يشكك فيه، خصوصاً وأن الشيخ قد أشار إلى منهجه في قبول خبر الواحد – بغض النظر عن موافقتنا له أو مخالفته في ذلك الآن – إلا أنه يلزمه على منهجه قبوله فهو يقول: (إننا نرى أن أحاديث الآحاد التي رواها الثقات العدول والتي ليس في متنها شذوذ يجب أن لا تردّ في العمل ويجب أيضاً أن لا تردّ في العقائد) [2]. خصوصاً وأنه ارتضى قول الإمام الشافعي: (ولكن الخبر إذا جاء عن طريق الانفراد لو شك شاك في هذا لم نقل له: تب، بل نقول له ليس لك أن تشك، كما ليس لك ألا أن تقضي بشهادة الشهود العدول وإن أمكن الغلط، ولكن تقضي بذلك على الظاهر من صدقهم) [3].

المطلب الثاني: في حقيقتهم :

يرى الشيخ أن الملائكة أرواح مطهرة، ليست بأجسام يقول في ذلك: (وإن مجيء جبريل في صورة رجل، ليس معناه أن جبريل الأمين نزع من روحانيته، أو ذهبت عنه الروحانية، إنما هو لا يزال روحاً، والذي ظهر به هو ظهور للروح في صورة جسدية، ومعاني الملك لا تزال ثابتة قائمة، ولا يوجد ما يمنع عقلاً أن تظهر الروح في صورة إنسان له جسد ... وكون روح القدس جبريل يظهر في جسد لا يقتضي أن يتحول الجسد إلى ملك ولا أن يتحول الملك إليه، وهي روح ليست حيوانية، ولا ثمرة للحيوية الإنسانية، حتى إذا تركت الجسد لا تفارقه الحياة، لأنها

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، برقم ٢٩٩٦، ج٤، ٢٢٩٤.

(٢) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، ص١٢.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ليست أمراً عضوياً، ولكنها روح ملك تفيض في جسم يخلقه، أو تظهر في جسم يخلقه الله تعالى) [1]. ويقول أيضاً تعليقاً على ما ذكره ابن القيم في مراتب الوحي المرتبة الخامسة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم (يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم) [2].

يقول أبو زهرة: (فيفسر ابن القيم تلك الرؤية الروحية بأنها رؤية جبريل بحقيقته، وهي فيما أحسب رؤية بنور البصيرة، وبقوة الروح، لا بنور البصر، ولا بشكل جسمي، لأن جبريل روح، فكيف يراه إلا أن يكون محسوساً، وبذلك لا تفترق هذه الحال عن الرؤية المشخصة مع أنها غيرها) [3].

النقد :

ما ذكره الشيخ عن حقيقة الملائكة وأنهم أرواح وليسوا أجساماً قول مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة مجمعون على أن الملائكة أجسام والأدلة تدل على ذلك يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا أنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾ [فاطر:١]، وقال:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ﴾ [الأنفال:٥٠] . .. وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة

---

(١) خاتم النبيين، ٢٨٢/١.

(٢) زاد المعاد، ٨٠/١.

(٣) خاتم النبيين، ٢٨٤/١

أجسام لا قوى معنوية كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون) [1].

ولا أعتقد أن الشيخ أبا زهرة يوافق قوله قول الفلاسفة، لكنه جزماً ليس قوله في حقيقة الملائكة هو قول أهل السنة والجماعة، الذين يرون أن الملائكة أجسام، وهذه الأجسام قائمة بذاتها تنزل وتصعد وتتكلم، بل أنها إذا تمثلت في صورة بشرية يعتريها ما يعتري الأجسام من العوارض الجسمية، كالغبار، وإصابة الجسم بأذى إذا أصيب بضربة أو صدمة يدل على ذلك ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني، قال فردّ الله عليه عينه ...) الحديث فهذا الحديث يدل على أن ملك الموت تأثر بلطمة موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: قدرتهم على التشكل:

يرى الشيخ أن الملائكة تتشكل في صورة بشر حتى يستطيع البشر رؤيتهم يقول عند قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [هود: ٧٧]: (جاء رسل الله الملائكة الأطهار في سورة أناسي مشرقة وجوههم، متكاملة صورهم ...) [2]، ويقول عند قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم:١٧]: (أرسلنا لها في هذه الخلوة الروحية جبريل، فتمثل لها بشراً سوياً أي ظهر لها في صورة رجل سوي مستوي الخلق والتكوين حسن الصورة ، وقد جاءها كذلك، لأن البشر لا يرون الملك من الملائكة إلا على صورة البشر، قال تعالى:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل لفضيلة الشيخ ابن عثيمين، ٦/٨٩- ٩٠، وانظر: أيضاً شرح الواسطية، لابن عثيمين، ١/٦٤.

(٢) زهرة التفاسير، ٧/٣٧٣٤.

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٩]، لأن البشر بحالهم البشرية لا يستطيعون أن يروا ملكاً وهو في صورته الروحية) (١) .

النقـد:

ما ذكره الشيخ من تشكل الملائكة هو الصواب الموافق لدلالة الكتاب والسنة، فإن من الخصائص التي خص الله بها الملائكة قدرتهم على التشكل بأشكال متعددة ، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴾ [هود: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴾ [مريم: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات، ٢٤-٢٥].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم للحارث بن هشام (٢) لما سأله: كيف يأتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم: (يأتيني الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس، فينفصم عني وقد وعيت ما قال، وهو أشدّه عليّ ويتمثل لي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول) (٣).

وكذلك مجيء جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل المسافر لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان (٤)، ومجيئه في صورة دحية الكلبي (٥).

---

(١) المرجع السابق، ٩/٤٦٢٢.

(٢) هو الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي، أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان خيّراً، شريفاً، كبير القدر، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل، استشهد بالشام سنة ١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/٤١٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم ٣٠٤٣، ج٣/ ١١٧٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: " إن الله عنده علم الساعة" برقم ٤٤٩٩، ج٤/١٧٩٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسوله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، برقم ١٦٧، ج١/ ١٥٣.

المبحث الرابع : رأيه في أعمالهم ووظائفهم

أشار الشيخ إلى بعض أعمال الملائكة ووظائفهم خلال تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بذكر الملائكة، ومعلوم أن أعمال الملائكة كثيرة جداً يقول ابن القيم رحمه الله : (وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه، وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال بالقبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها، وعمل الأنهار فيها ملائكة ... إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى ....

والمقصود: أن الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة، فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره، ... فهو المدبر أمراً وإذناً ومشيئة، والملائكة المدبرات مباشرة وامتثالاً) [(١)]، فهذه الأعمال العظيمة والكثيرة التي أشار إليها ابن القيم لم يتطرق الشيخ أبو زهرة لذكرها كلها وإنما تطرق لبعضها وما تطرق إليه الشيخ من أعمال الملائكة موافق لما عليه أهل السنة في ذلك ولهذا سوف أنقل ما ذكره الشيخ من أعمالهم دون تعليق عليه، ومما ذكره ما يلي :

١- السفارة بين الله وبين عباده :

فالملائكة رسل الله سبحانه وتعالى وسفراؤه إلى عباده كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]، وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٥-١٦] ، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٧٥]. وقد

(١) انظر: إعانة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، ٢/٤٩٨- ٥٠٢ بتصرف.

قال الشيخ عند تفسيره لهذه الآية: (الله ذو الجلال والإكرام ﴿يَصۡطَفِي﴾ أي يختـــار من صفوة خلقه ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ كجبريل الأمين روح القدس، اختـــاره ليكون رسولاً لأنبيائه ورسله الذين أختارهم أيضاً من صـــفوة عبـــاده، فاختـــار سبحانه من الملائكة من يبلغون عن الله تعالى مصطفين من الناس ليتلقوا رســـالة الله إلى الناس، فالذين اختارهم من صفوة الملائكة ما اختارهم تعالى إلا ليبلغـــوا خلقه، وكل ذلك بأمر الله وباختياره، وإن هؤلاء المختارين من الملائكة يبلغـــون إما بالوحي وإما برسل يرسلون كما قـــال تعـــالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١] (١).

٢- كتابة أعمال العباد :

ومن أعمال الملائكة التي أشار إليها الشيخ كتابة أعمال العبـــاد فعنـــد قولـــه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١]، قال رحمه الله: (ثم يبين سبحانه علمـــه بما يبدون وما يخفون وما يسرون وما يعلنـــون فقـــال ســـبحانه {إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ} وهم الكرام الحفظة الكاتبون من الملائكة) (٢).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة الرعد:١١] : (فكما أن الله تعالى يعلم سره وجهره، واستخفاءه وظهوره قد أحاطه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحيطون به إحاطة الدائرة بقطرها وهـــم من الملائكة يحصون عليه ما يفعل من خير وشر، ويكتبون ما يفعل مـــن حـــسنات وسيئات) (٣).

---

(١) زهرة التفاسير، ٥٠٣٢/٩، وانظر أيضاً، ٣٢٦/٢.

(٢) المرجع السابق، ٣٥٤٣/٧.

(٣) زهرة التفاسير، ٣٩٠٩/٧، وانظر أيضاً ٢٥٢٨/٥.

٣- حفظ العبد من أمر الله :

ومن أعمال الملائكة التي أوكلها الله إليهم حفظ العبد من أمر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد:١١] ، يقول رحمه الله: (فكما أن الله تعالى يعلم سره وجهره، واستخفاءه وظهوره، قد أحاطه من بين يديه ومن خلفه يحيطون به إحاطة الدائرة بقطرها، وهم من الملائكة يحصون عليه ما يفعل من خير وشر، ويكتبون ما يفعل من حسنات وسيئات ولقد قال تعالى: إنها مع هذه الإحاطة الشاملة به، وأنهم يعدون عليه سيئاته وحسناته، مع هذا فإن عمل هؤلاء الملائكة أنهم يحفظونه من أمر الله تعالى) (١).

٤- قبض أرواح بني آدم :

ومن أعمال الملائكة أيضاً قبض أرواح بني آدم فإن الملائكة تكون مع الإنسان في جميع مراحل حياته تحوطه وتحفظه وتكتب أعماله وتستمر معه حتى الوفاة ثم يتوفاه ملك الموت ومن معه يقول رحمه عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢] : (... وإن هذه الرقابة والمحافظة لأولئك تستمر حتى الوفاة، ولذا قال تعالى {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا} " حتى " هنا للغاية، والمعنى تستمر هذه الحال حتى يجيء أحدهم الموت، وعبر بالماضي لتحقق المجيء مثل قوله تعالى: {أتى أمر الله فلا تستعجلوه} [سورة النحل: ١]، أو تكون حتى تفريعية أي إن تلك الرقابة لأجل الحساب كما يدل الكلام، وقوله تعالى: {توفته رسلنا} أي ملك الموت ومن معه) (٢)، ويقول عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء: ٩٧]: (معنى توفاهم الملائكة: تتوفاهم فهو فعل ماض أُريد به المستقبل لتأكد وقوعه كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النحل: ١]، والمعنى: أن الذين تتوفاهم الملائكة الذين نيط بهم قبض الأرواح ...) (٣).

---

(١) المرجع السابق، ٣٩٠٩/٧.
(٢) زهرة التفاسير، ٢٨٢٨/٥.
(٣) المرجع السابق، ١٨١٧/٤، وانظر أيضاً ٣١٥٧/٦ - ٣١٥٨.

المبحث الخامس : عصمة الملائكة

يرى الشيخ أن الملائكة معصومون من الذنوب والمعاصي، ولا يتصور منهم المعصية ولا يكون منهم إلا الطاعة يقول رحمه الله: (عالم الملائكة وهم خلق الله تعالى، قيل إنه سبحانه خلقهم من نور، وهم أرواح طاهرة مطهرة لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يتصور منهم معصية ولا يكون منهم إلا الطاعة، ركب الله تعالى كونهم على أنه لا تتصور منهم معصية، فليست شهوات ولا أهواء، وهي بواعث العصيان) [١].

ويقول أيضاً: (وقال تعالى في أوصاف الملائكة وأعمالهم ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] التسبيح: التقديس والتنزيه، فهم مستمرون في تقديسهم وتسبيحهم {لا يفترون} أي لا يسكنون، والليل والنهار طرفان للتسبيح، ومعنى ذكر الليل والنهار أنهم لا يسكنون في ليل أو نهار، فهم دائمو التسبيح والتنزيه وعبادته وحده، وقوله تعالى {لا يفترون} تأكيد لدوام التسبيح واستمراره ... وإن الملائكة لا تعتريهم فترة، فهم عباد الله تعالى المطهرون) [٢].

النقد :

ما ذكره الشيخ من عصمة الملائكة هو الصواب الذي تدل عليه النصوص الشرعية، ولا شك أن الملائكة عليهم السلام متحققة فيهم العصمة كما قال الله تعالى :﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:٦] وهم أيضاً مشتغلون بعبادة الله ليلاً ونهاراً كما قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] فإذا كان هذا حالهم دائماً فلا سبيل للمعصية عليهم [٣].

---

(١) زهرة التفاسير، ١٩٢/١.

(٢) المرجع السابق، ٤٨٤٥/٩.

(٣) انظر: عالم الملائكة الأبرار، للأشقر، ص٣٢- ٣٣.

وقد رجح القاضي عياض عصمة الملائكة فقال: (أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواءً في العصمة ... واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] ، وبقوله: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصافات:١٦٤-١٦٦] ، وبقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩- ٢٠] .... وذهب طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين، ... والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحيط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم) [١].

وقد يشكل على القول بعصمة الملائكة قصة هاروت وماروت فإن الله تعالى أخبر أنهما ملكان يعلمان الناس السحر، وهذا ينافي العصمة.

والجواب عن ذلك بأن يقال أن تعليمهم للسحر ليس فيه إثم إذ كان تعليمهما من علماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهيانه عن السحر والعمل به والكفر، يقول ابن جرير: الطبري: (فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علماه من الناس إثم إذ كان تعليمهما من علماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهيانه عن السحر والعمل به والكفر، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجاً كما لم يكونا حرجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إياه .... فإن التبس

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض، ص٥٠٩.

على ذي غباء ما قلنا فقال: وكيف يجوز للملائكة أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟

قيل له: إن الله جل ثناؤه عرف عباده جميع ما أمرهم به، وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم.

فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون الله جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم منهما "**إنما نحن فتنة فلا تكفر**" ليختبر عباده اللذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه وعن السحر، يتمحص المؤمن بترك التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما.

ويكون الملكان – في تعلمهما من علما ذلك – لله مطيعين – إذ كان عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه – يعلمان.

وقد عبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ضائرا إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به بل عبد بعضهم والمعبود عنه ناه.

فكذلك الملكان غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما: "**إنما نحن فتنة فلا تكفر**" إذ كانا قد أديا ما أمرا به بقيلهما ذلك) [١].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢/٤٢٢-٤٢٧ بتصرف تحقيق أحمد شاكر.

المبحث السادس : المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

أشار الشيخ إلى مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢] ونقل رأي الزمخشري في ذلك وهو تفضيل الملائكة المقربين على صالحي البشر، لأن نص الآية يفيد الترقي من المفضول إلى الأفضل، ثم بين بعد ذلك أن كثيراً من العلماء خالفوا الزمخشري وردوا عليه بردود لا تسقط مقدمة الدليل الذي استدل به الزمخشري، لكنها تبطل النتيجة التي توصل إليها الزمخشري وهي كون الملائكة أفضل، وذلك لأن الحديث في الملائكة المقربين، فكيف تكون النتيجة أوسع وتعم الملائكة أجمعين، المقربين ومن دونهم؟

ثم بيّن رحمه الله رأيه في ذلك فقال: (وعندي أن الترقي قائم، ولكن في المعنى الذي سيق له الكلام، ذلك أن النصارى غلوا غلواً كبيراً في المسيح، لأنه ولد من غير أب، ولأنه جرت على يديه معجزات كثيرة، ولأنه روحاني المعاني، فبين الله سبحانه وتعالى أنه مع كل هذا لن يستنكف أن يكون عبداً لله، ولا يستنكف من هو أعلى منه في هذه المعاني وهم الملائكة الذين خلقوا من غير أب ولا أم، وأجرى على أيديهم ما هو أشد وأعظم من معجزات، ومنهم من كان الروح الذي نفخ في مريم، وهم أرواح طاهرة مطهرة، فكان الترقي في هذه المعاني، وهم فيها يفضلوا عيسى وغيره، وبذلك تكون الآيات بعيدة عن الأفضلية المطلقة فلا تدل على أفضيلة الملائكة على الرسل في المنزلة عند الله تعالى ورضوانه وتكون الآية بعيدة عن موطن الخلاف، والترقي دائماً يكون في المعاني التي سيق لها الكلام دون غيرها، وليس المتأخر أعلى في ذاته من المتقدم وأفضل) (١).

ومما سبق يتبين أن الشيخ رحمه الله يرى أن الرسل عليهم السلام أفضل من الملائكة عليهم السلام في المنزلة عند الله تعالى ورضوانه.

---

(١) زهرة التفاسير، ١٩٨٨/٤.

النـقـد :

ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من تفضيل الرسل عليهم السلام على الملائكة هو قول أهل السنة والجماعة يقول شيخ الإسلام رحمة الله: (وكنت أحسب أن القول فيها محدث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول مما فيها، فقلنا حينئذ بما قاله السلف) [1]، وقول السلف هو تفضيل صالحي البشر على الملائكة يقول ابن أبي العز: (وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية ...) [2].

وهذا التفضيل كما ذكر شيخ الإسلام إنما هو باعتبار كمال النهاية يقول رحمه الله: (صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحوا البشر أكمل من حال الملائكة) [3].

ويقول أيضاً: (فإنا إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٥٧/٤.

(٢) الطحاوية، ص٣٠١- ٣٠٢، وانظر أيضاً مجموع الفتاوى، ٣٥٦/٤، ومعتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين للدكتور: محمد بن عبدالوهاب العقيل، ص٢٠٥ – ٢٠٩. فيض الإله العلام، ص٣٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ٣٤٣/٤.

الدرجات العلى، وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم) [(١)].

ويقول ابن القيم معقباً على كلام شيخ الإسلام: (وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه، فعلى المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل أولاً، ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض، والموازنة بينها ثانياً، ثم نسبتها إلى من قامت به ثالثاً كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعاً، فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره، بل كمال غيره بسواها، فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه، وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا، فهذه أربعة مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد عن الهوى والغرض) [(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤/٣٧٢.

(٢) بدائع الفوائد، ٣/١٤٠.

الفصل الثاني : آراؤه في الإيمان بالكتب

تمهيد : في تعريف الكتب :

الكتب في اللغة: جمع كتاب، بمعنى مكتوب.

يقول ابن فارس: (الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، ومن ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتُبه كتباً) [1].

ويقول ابن منظور: (كتب: الكتابُ: معروف، والجمع كُتُبٌ،وكُتْبٌ، كَتَبَ الشيء يكتبه كَتْباً وكِتاباً وكَتَّبه: خطَه .... والكتاب أيضاً: الاسم ... الكتاب اسم لما كتب مجموعاً ...

والكُتْبةُ : ما شد به حياء البغلة، أو الناقة، لئلا ينزى عليها ... وكتب الدابة والبغلة والناقة يَكْتُبها ويَكْتبُها كَتْبَاً ...

والكَتيبةُ: ما جمع فلم ينتشر... وقيل: الكتيبة جماعة الخيل إذا غارت ... والكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش، والجمع الكتائب ... وتكتبت الخيل أي تجمعت ...) [2].

مما سبق يتبين لنا أن المادة تدور على الجمع، وضم الشيء إلى الشيء. والمراد بالكتب التي يجب الإيمان بها هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة [3].

---

(١) معجم لمقاييس اللغة، ١٥٨/٥.

(٢) انظر: لسان العرب، ٦٤١/١.

(٣) انظر: شرح الواسطية للهراس، ص٦٢، ومجموع فتاوى ابن عثيمين، ١٢٠/٥ .

المبحث الأول : مفهوم الإيمان بالكتب عند الشيخ

بيّن الشيخ مفهوم الإيمان بالكتب، في عدة مواطن من تفسيره، وأن الإيمان بها يتضمن الأمور الآتية:

<u>أولاً:</u> أنها كلام الله تعالى، وأنها منزلة من عنده يقول رحمه الله : عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة:٩٧] : (... ولقد قال في وصف القرآن الكريم الذي نزله بإذن الله جبريل على قلبه بأنه مصدق، وقوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ والمراد بما بين يديه من الكتب التي أنزلها تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعث محمد صلى الله وسلم، والتعبير بين يديه كناية عن أنه أمامه فما يكون أمام الإنسان يكون بين يديه سابقاً له، فهو مصدق لكل ما اشتملت عليه الكتب السابقة التي لم يجر بها تحريف، ولم ينسى فيها حظ مما ذكروا به) [(١)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨]: (... ثم ثلث بكتبه التي أنزلها هداية للناس ورحمة، وشفاء لأدواء الجماعات ونسبها سبحانه وتعالى إليه إشعاراً لهم بأن عداوة هذه الكتب عداوة لله تعالى لأنها هجر لكلامه، ورد لرسالته) [(٢)]، ويقول أيضاً عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣] : (هذا تصريح ببعض ما تضمنته الجملة السامية السابقة، إذ قد تضمنت الجملة السابقة أن القرآن يصدق الثابت النازل من عند الله في الشرائع السابقة، وهي تتضمن أنها

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٢٨/١ – ٣٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٣٣٠/١.

كانت هداية للناس، وهذه الجملة تصرح بأن التوراة أنزلت هي والإنجيل من عند الله هداية للذين أنزلت لهم) [(١)].

ثانياً: أنها مشتملة على الحق، فهي سجل شرائع الله تعالى، أنزلها الله على أنبيائه ليهدوا بها، ويرشدوا، ويحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه يقول عند قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٣] : (ولقد أنزل الله سبحانه كتاباً مشتملاً على الحق مع كل نبي يرشد به، ويبين، ويهدي، ويقوم، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، بالحق الذي اشتمل عليه) [(٢)]، ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥] : (بهذا النص الكريم يبين سبحانه معنى الإيمان الجامع من حيث الاعتقاد، وذلك الإيمان يتضمن الإيمان بالله تعالى أولاً، ثم بملائكته، وهم وسائط التبليغ لمن يختارهم لرسالته من خلقه، ثم بكتبه، وهي سجل شرائعه التي تتنزل من السماء) [(٣)].

ثالثاً: الإيمان بما علمنا اسمه منها، كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨] : (... والكتاب الآخر في قوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هو جنس الكتب السماوية السابقة فـ (أل) فيه للجنس، أي أنه في القرآن الكريم الدلائل المثبتة لصدق ما يصح أن يسمى كتاباً سماوياً من الكتب السابقة بما فيها الإنجيل والتوراة والزبور ...) [(٤)].

---

(١) زهرة التفاسير، ١١٠٠/٢.

(٢) المرجع السابق، ٦٦٥/٢.

(٣) المرجع السابق، ١٠٨٧/٢.

(٤) المرجع السابق، ٢٢٢٤/٤.

النقد :

ما ذكره الشيخ عن الإيمان بالكتب حق لا مرية فيه وهو موافق لمعتقد أهل السنة والجماعة في ذلك يقول ابن أبي العز الحنفي: (وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمّى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى) [١].

ويقول أيضاً: (فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء) [٢]، ويقول الحافظ بن حجر: (والإيمان بكتب الله: التصديق بأنها كلام الله، وأن ما تضمنته حق) [٣]، ويذكر الشيخ ابن عثيمين أن الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور وهي :

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً. الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه. الثالث: تصديق ما صح من أخبارها. الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها [٤].

المبحث الثاني : الإيمان بالقرآن الكريم خصوصاً

الإيمان بالقرآن الكريم وإن كان داخلاً في جملة الإيمان بالكتب كما سبق في المبحث الأول، إلا أن هناك أموراً أخرى تتعلق بالإيمان بالقرآن الكريم على وجه الخصوص، زائدة على الإيمان بغيره من الكتب، وقد تطرق الشيخ لهذه الأمور التي اختص بها القرآن الكريم دون غيره من الكتب فيقول في معنى الإيمان بالقرآن الكريم : (ومعنى الإيمان بالكتاب الإيمان بأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

---

(١) شرح الطحاوية، ص٣١٢.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) فتح الباري، ١/١٤٤.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، ٥/١٢٠.

من خلفه، وأنه من عند الله العلي الحكيم، وأنه كلامه سبحانه وتعالى، وأن كل ما فيه من أخبار صادق وما فيه من أحكام واجبة الطاعة، وأنه حجة الله الخالدة، وأنه حبل الله تعالى الممدود إلى يوم القيامة، وأنه محفوظ بحفظه، لا يعتريه تغيير ولا تبديل، لأن الله تعالى قد وعد بحفظه، وهو صادق، وأنه ما حاربه جبار إلا قصم الله تعالى ظهره) [1]، ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨]: (... مما يدل على مكانة القرآن هو أنه يهيمن على الكتب السابقة، فقد قال تعالى في مقامه بالنسبة لغيره من كتب السماء {وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}، والمعنى أنه حاكم بصحة ما فيه، وشاهد بصدقه، ومقرر لمعانيه الباقية التي لم يعترها نسخ، وفوق ذلك يتبين الصحيح الذي نزل، ويستدل على المحذوف الذي حذفه الأخلاف، إذ نسوا حظاً مما ذكروا به) [2].

ويقول أيضاً: (ويجب ثانياً: الاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى، وأنه بعباراته ومعانيه وأحكامه من عند الله تعالى، وأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وأنه محفوظ إلى يوم القيامة لا يعتريه تغيير ولا تبديل، لأن الله تعالى يقول في محكم التنزيل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] فمن يزعم أنه قد اعتراه تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص فقد ضل وغوى، وخرج عن جادة الإسلام إلى منازع الشيطان) [3].

---

(١) زهرة التفاسير، ١٩٠٢/٤.

(٢) المرجع السابق، ٢٢٢٤/٤.

(٣) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، ص٤٩.

النـقـد:

ما ذكره الشيخ عن معنى الإيمان بالقرآن الكريم حق وصدق، وهــو موافــق لمعتقد أهل السنة والجماعة يقول ابن أبي العز: (وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار بــه، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتــب) [1]، ويقــول شــيخ الإسلام عند قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾[المائدة: ٤٨] : (السلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهــيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ... فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة مــن الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبين الأدلــة والبــراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبــراهين، وبــيّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، ومــا فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكــل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فــصارت لــه الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بــصدقها وشــاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد فــي الخبريات حاكم في الأمريات) [2].

---

(١) شرح الطحاوية، ص٣١٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٧/٤٣-٤٤.

المبحث الثالث : إعجاز القرآن

يرى الشيخ أن القرآن هو معجزة النبي صلى الله عليه وسلم يقول رحمه الله: (تلك المعجزة الخالدة هي القرآن الذي يتحدى الأجيال كلها أن يأتوا بمثله، ولو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو حجة الله على خلقه، وحجة النبي في رسالته، وسجل الشريعة المحكم في بيانه) [1]، ويقول أيضاً: (التقى في المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم وهي القرآن المبين معنيان، أصيب بهما هدفان:

أولهما: أنه المناسب الذي يعرف به العرب معنى الشيء الخارق لما عرف، الخارج عن طاقتهم، فإنه لا يدرك أثر ذلك إلا هم، ولا يعرف مقامه إلا من على شاكلتهم من معرفة مقام القول، ومنزلة البيان.

وثانيهما: أن كونه من نوع الكلام الموحى به الباقي الخالد الذي حفظه الله تعالى ووعد بحفظه إلى يوم القيامة كما تلونا من قبل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وذلك يناسب رسالته التي هي خاتم الرسائل الإلهية التي جاء بها محمد رسول الله تعالى خاتم النبيين: بصريح القرآن الكريم، فلا نبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم) [2].

ويذكر رحمه الله بعد ذلك سر إعجاز القرآن الكريم يقول في ذلك: (إن هذه الأمور التي اقترنت بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله دلت على أمرين بديهيين :

أولهما: أن الأساس في عجزهم هو ما فيه من بلاغة ورنة قول، ونغمة بيان أدركوها بذوقهم البياني، وهم الذين يذوقون بأسماعهم، كما يذوق الطعام بفمه، وأنه لم

---

(١) المعجزة الكبرى، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤ – ٦٥.

يكن عجزهم سلبياً، بل كان من كثيرين منهم إيجابياً يتبعه العمل ويقترن بالإيمان بأنه من عند الله تعالى أي أن وجه الإعجاز فيه أمر ذاتي فيه، وليس منعاً سلبياً.

الأمر الثاني: الذي تدل عليه هذه الأمور التي اقترنت بالعجز عن محاكاته هو أن القرآن مع بيانه العالي الذي لا يعالى، فيه من العلوم ما لم يكونوا يعرفونه، فيه الشرائع المحكمة التي تنظم العلاقات بين الآحاد الأقربين وغيرهم، فيه علم الميراث، وفيه علم الأحكام المختصة بالأُسَرْ، وفيه بيان خلق الإنسان من سلالة من طين، وفيه توجيه النظر إلى الكون وما يشتمل عليه، وفيه من حقائق ما لا يعلمه إلا اللطيف الخبير، الذي خلق فسوى والذي أحاط بكل شي علماً، وفيه القصص والعبرة، وما كانوا يعلمون شيئاً من ذلك من قبله ... فكان العجز لهذه الأمور الذاتية، لا لأمور أخرى ليست من القرآن) [1]، ويزيد الأمر إيضاحاً بذكر وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فيقول: (نقصد بوجوه الإعجاز الأمور التي اشتمل عليها القرآن وهي تدل على أنه من عند الله، وما كان في استطاعة أحد أن يأتي بمثله، وما كان في استطاعة الجن والإنس أن يأتوا بمثله، ولنتجه إلى أقوال العلماء في هذه الوجوه، ثم نتجه بعد ذلك إلى بيان ما نقصد إلى بيانه من بحثنا هذا ... وإن القرآن فيه الشريعة الباقية الخالدة، وهو يخاطب الأجيال كلها، والأجناس كلها العرب والعجم، والبيض والسود، والأحمر والأصفر، فليس ما فيه من الإعجاز خاصاً بالعرب، وإنما إعجازه يعم الجنس البشري كله لأنه يخاطب الجميع، ويطالب الناس قاطبة بأحكامه، وفيه البينات المثبتة لكل جنس وعلى ذلك نقسم وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن إلى قسمين:

---

(١) المعجزة الكبرى، ص٧٤-٧٥.

أولهما: ما يتعلق بالمنهاج البياني، وهذا النوع من الإعجاز أول من يخاطب به العرب، لما ذكرنا في صدر كلامنا من أنه جاء بلغتهم، ولأنهم كانوا بمقتضى بداوتهم مع استقامة تفكيرهم، ومع وجود نبوات سابقة فيهم أبقت بعض العلم، وبمقتضى ثقافتهم اللسانية وعنايتهم بلغتهم كانوا أكثر الناس إدراكاً لمعنى الإعجاز في القرآن من ناحية بيانه وجزالته، وكذلك كان الأمر منهم، وكانوا هم المخاطبين أولاً به، وبعجزهم قام البرهان الأول.

القسم الثاني: الإعجاز بما اشتمل عليه من ذكر لأخبار السابقين ولأخبار مستقبلة، وقعت كما ذكر، واشتماله على علوم كونية وحقائق لم تكن معروفة في عصر محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أتى بها القرآن وتقررت حقائقها من بعد، وكذلك ما اشتمل عليه من شرائع أثبت الوجود الإنساني أنها أصلح من غيرها وأنها وحدها العادلة، وأن هذا النوع معجزة للأجيال كلها، وهو يحتاج في بيانه إلى مجلدات ضخام) [١].

ثم بيّن رحمه الله بطلان القول بالصرفة، وذكر أنها مأخوذة من الأفكار الهندية يقول رحمه الله: (وعندما دخلت الأفكار الهندية في عهد أبي جعفر المنصور، ومن والاه من حكام بني العباس، تلقف الذين يحبون كل وافد من الأفكار ويركنون إلى الاستغراب في أقوالهم فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول، ويطبقوه على القرآن، وإن كان لا ينطبق، فقال قائلهم،أن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله) [٢].

---

(١) المعجزة الكبرى، ص٨٦– ٩٢ بتصرف.

(٢) المعجزة الكبرى، ص٧٦.

ثم ذكر رحمه الله خمسة أدلة تدل على بطلان القول بالصرفة يقــول رحمــه الله: (وقد آن لنا أن نبين بطلان هذه الفكرة من أساسها، وأن دلائل الــبطلان قائمــة ثابتة مأخوذة من الوقائع التاريخية والموازنات الحقيقية الثابتة فيها:

أ- ما ذكرنا من قبل أن العرب عندما تلقوا القرآن راعهم بيانه، وآثار إعجــابهم أسلوبه وعباراته، وقالوا ما رأينا مثله شعراً ولا نثراً، فكان العجز لذاتــه لا لشيء خارج عنه.

ب- أن ذلك يقتضي أن يثبت أولاً أنهم قادرون على مثله، وهم أولاً قد نفوا ذلك عن قدرهم، وليس لنا أن نفرض لهم قدرة قد نفوها عن أنفسهم، ولــو كــانوا قادرين لكان من كلامهم قبل نزول القرآن عليهم ما يكون متماثلاً في نــسقه ونسجه، وله مثل رنينه وصوره البيانية في شعر أو نثــر، ولكــن المتتبــع للمأثورات العربية في الجاهلية والإسلام لا يجد فيها ما يقارب القــرآن فــي ألفاظه أو معانيه أو صوره البيانية ...

ج- أننا لو قلنا أن الذي منع العرب من الإتيان بمثله هو الصرفة ما كان القرآن هو المعجز ... وقد كان القرآن هو معجزة النبي صــلى الله عليــه وســلم، والقول بالصرفة ينفي عنه خواص الإعجاز. وأن معجزات النبيين الــسابقين ما كان في طاقة الناس أن يأتوا بمثلها في ذاتها، ولم يكن يصرف الناس أن يأتوا بمثلها، فمعجزة العصا، وتسع الآيات التي لموسى عليه السلام ما كــان العجز من الناس بالصرف ولكن بالعجز الحقيقي، فلماذا لا تكــون معجــزة النبي محمد عليه السلام كسائر المعجزات، وهي أجل وأعظم.

د- أن الله تعالى قد وصف القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لا تصل إليها معجزات أخرى، فكانت هذه توجب أن يكون إعجازه ذاتياً ولقد قال تعالت كلماته: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: ٣١]، ويقول جل من قائل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ

كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٣]، وإذا كان القرآن بهذه الأوصاف التي وصفه بها منزله سبحانه وتعالى، أفيقال بعد ذلك أن الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله ؟ اللهم إن ذلك بهتان عظيم.

هـ- وأن مثل الذين يقولون إن إعجاز القرآن بالصرفة كمثل الذين قالوا أن القرآن سحر يؤثر ... وأن التشابه بين القول بالصرفة والقول بأنه سحر أن الامتناع عن المماثلة في كليهما من خارج الشيء لا من ذاته، فالقول بالصرفة يفيد أن العرب لم يكونوا عاجزين، ولكن حيل بينهم وبين العمل على المماثلة وكذلك الأمر في السحر يشدههم حتى يعجزوا، ولقد سبق أن علل المشركون عجزهم بعد التفكير والتقدير بأنه سحر يؤثر) [(١)].

النقد :

ما قرره الشيخ من إعجاز القرآن، ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو موافق لقول أهل السنة والجماعة والأدلة من الكتاب والسنة تقرر ذلك.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨]، يقول ابن كثير رحمه الله: (هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله لأنه بفصاحته وبلاغته، ووجازته، وحلاوته واشتماله على المعاني العزيزة الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله ... هذا وقد كانت

---

(١) انظر: المعجزة الكبرى، ص ٧٩ – ٨٢ بتصرف.

الفصاحة من سجاياهم، وأشعارهم، ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام، وحلاوته، وجزالته، وطلاوته، وإفادته، وبراعته، فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له، وأتبعهم له، وأشهرهم له انقياداً ، كما عرف السحرة لعلمهم بفنون السحر أن هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر إلا عن مؤيد، مسدد مرسل من الله، وأن هذا لا يستطاع لبشر إلا بإذن الله، وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى فكان يبرئ الأكمة، والأبرص، ويحيى الموتى بإذن الله، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم أنه عبدالله ورسوله، ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً " [(١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣]، يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : (وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك – وهو الريب – مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان: أنه من عندي وأنّي الذي أنزلته إليكم، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوية: أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق.

ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم صدقه. وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي – عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن يأتوا بسورة من مثله، وإذا عجزتم عن ذلك – وأنتم أهل البراعة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٤٣٢ – ٤٣٣ بتصرف.

في الفصاحة والبلاغة والذراية – فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز) [1].

وأما السنة فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) [2].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قوله " وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ " أي: أن معجزتي التي تحديت بها، الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي أختص بها دون غيره) [3].

وأما ما ذكره من وجوه إعجاز القرآن وأنها يمكن أن تجمع في قسمين، فلم يقصد حصر وجوه الإعجاز كلها، وإنما أراد بالتقسيم السابق التقريب والترتيب، وجمع ما تفرق من كلام أهل العلم الذين كتبوا وتكلموا عن وجوه الإعجاز كالقاضي عياض والإمام القرطبي وغيرهم، فها هو رحمه الله بعد أن نقل ما ذكره القاضي عياض والقرطبي من وجوه إعجاز القرآن يقول : (ولكن يجب أن يلاحظ فيما أحصاه القرطبي، والقاضي عياض أمران:

أولهما: أن الأقسام التي ذكراها يتداخل بعضها في بعض، أو أنهما جعلا ما يتعلق بالنظم جزءاً منه خاصاً بفصاحة القول، وجزءاً يتعلق بالنظم، وجزءاً، يتعلق

---

(١) تفسير الطبري، ١/٢٠٠ – ٢٠١.

(٢) رواه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل ، برقم ٤٦٩٦، ج٤/ ١٩٠٥، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الملل ونسخ الملل بملته، برقم ١٥٢، ج١/ ١٣٤.

(٣) فتح الباري، ٨/٦٢٢.

بالأسلوب، وجزءاً يتعلق بالجزالة، وجزءاً يتعلق بالتصرف في القــول وكــل ذلــك يتعلق بالمنهج البياني القرآني، وهذه الكلمة تجمع تلك الأقسام كلها، فلا تخرج مــن عمومها خارجة) [١].

ويقول أيضاً: (وأنه لأجل هذا يصعب على الكاتــب أن يــأتي بكــل وجــوه الإعجاز البياني ولكنه يقارب ولا يباعد، ولنذكر ستة وجوه نتكلم فيها عسانا نــصل إلى تقريب معاني الإعجاز من غير حد ولا استقراء كامل) [٢].

ويقول أيضاً: (وهكذا نرى كل إعجاز القرآن من نواح شتى، ربما تعز علــى الاستقراء ... ولقد كان لموسيقى القرآن [٣]، ونغمه روعة عند كل سامع، حتى مــن لا يفهم العربية، فإن لكلماته ونظمه، ومده وغنه، ونهاية فواصله، ووقفه ما يسترعي من لا يفهم العربية ... وإن كل كلمة من كلماته تعطي صورة بيانية وكــل عبــارة تجتمع من كلمات لها صورة بيانية رائعة تصور المعاني كالــصورة الكاملــة فــي تصويرها، التي تتكون أجزاؤها من صور، وتتجمع من الصور صــورة متناســقة. وإنه لأجل هذا يصعب على الكاتب أن يأتي بكل وجوه الإعجاز البياني ولكنه يقارب ولا يباعد) [٤].

وهو بهذا يكون موافقاً لما قرره المحققون من أهل العلم من كــون إعجــاز القرآن لا ينحصر في وجه دون آخر يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكون

---

(١) المعجزة الكبرى، ص٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص٩٦- ٩٧.

(٣) التعبير بموسيقى القرآن ونغمه، من العبارات التي لا تليق بكلام الله تعالى، فليت الشيخ لم يعبر بها، ولكن هذا من التساهل في العبارات عند الشيخ عفى الله عنه.
ينظر معجم المناهي اللفظية، ص١١٧.

(٤) المعجزة الكبرى، ص٩٦.

القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك . ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيّن فيه، من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة ... وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ...) [1].

وقد أحسن الشيخ رحمه الله في بيان بطلان القول بالصرفة، ووافق بذلك جمهور العلماء [2]، فإن الأدلة على بطلانه كثيرة، وقد ذكر الشيخ بعضاً منها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ومن أضعف الأقوال، قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً) [3].

وبهذا يظهر لنا موافقة الشيخ رحمه الله لما قرره أهل السنة والجماعة في مسألة إعجاز القرآن.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٤٢٨- ٤٢٩.

(٢) انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي، ص١٨ – ١٩. إعجاز القرآن للباقلاني، ص٥٢-٥٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤/٥٤. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٢/٣٢٨.
إعجاز القرآن الكريم، د/ محمد بن حسن بن عقيل موسى، ص٩٣- ١١٩.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٤٢٩.

المبحث الرابع : رأيه في تحريف التوراة والإنـجـيـل

يرى الشيخ أن التوراة والإنجيل التي بين يدي اليهود والنصارى اليوم، ليست هي التوراة والإنجيل التي أنزلها الله تبارك وتعالى على موسى وعيسى عليهما السلام، بل أنه وقع فيها التحريف والتبديل يقول عند قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤] : (ويجب أن ننبه هنا إلى أن التوراة التي فيها هذه الأوصاف من أنها منزلة من عند الله، وأنها هدى ونور – إنما هي التوراة التي لم يحرفوها، ولم يزيدوا عليها أو ينقصوا منها، فإنها دخلت فيها الزيادة والنقص عندما ضربت أورشليم بأيدي التتار والرومان، وحرقوها، فلا يحتج بهذا الكلام للتوراة التي بأيدي اليهود وغيرهم في هذه الأيام، فقد نسوا حظاً مما ذكروا به، وزادوا ما لم ينزل من عند الله) [١].

ويقول في ندوة عن موقف الإسلام من الأديان السماوية : (إن الكتب القائمة اليوم التي يقرأها أهل الديانات الذين ذكرت أسماء دياناتهم في القرآن ليست هي الكتب التي ذكرها القرآن الكريم، وليست هي التي نزلت على هؤلاء الرسل، ولا يمكن أن تكون من عند الله) [٢]، ويقول أيضاً: (ومن البديهيات أن الإيمان بالرسل السابقين، وما أنزل عليهم من كتب وما أوتوه من شرائع ليس معناه تصديق الكتب القائمة في هذه الأيام التي يغيرون فيها ويبدلون كل عام) [٣].

النـقـد :

ما قرره الشيخ من تحريف التوراة والإنجيل هو مما أجمع عليه العلماء، ومما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (وأهل الكتاب

(١) زهرة التفاسير، ٢١٩٩/٤. وانظر أيضاً: ٢٨٤/١- ٢١٨٨/٤، ٢١٩٩، ٢٢٢١، ٧/ ٣٧٥٩- ٤٤٠٣/٨- ٤٧٠٠/٩- ٥٠٨٠/١٠.

(٢) مجلة لواء الإسلام عدد (٥)، سنة (١٢) عام ١٣٨٧هـ/ ص٣٠٨.

(٣) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، ص٥٤.

– اليهود والنصارى – مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها، إما عمداً وإما خطأً في ترجمتها، وفي تفسيرها، وشرحها، وتأويلها) [١]، ويقول أيضاً: (والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على وقوع الغلط في تفسير بعض الألفاظ وبيان مراد الأنبياء بها أو في ترجمة بعضها، فإنك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة، وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره) [٢].

وقد بين الله سبحانه وتعالى في مواضع عديدة من كتابه وقوع التحريف والتبديل في كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى منها قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥].

يقول ابن جرير الطبري: (يحرفونه أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره، فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا وأنه بخلاف ما حرفوه إليه فقال ﴿ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ يعني: من بعد ما عقلوا تأويله {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أي يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون) [٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة: ١٣]. يقول القرطبي رحمه الله: (أي يتأولونه على غير تأويله، ويلقون ذلك إلى العوام، وقيل: معناه يبدلون حروفه) [٤].

(١) الجواب الصحيح، ١٢٣/٥.

(٢) المرجع السابق، ٣٨٨/٢.

(٣) تفسير الطبري، ١/ ٤١٢.

(٤) تفسير القرطبي، ٧٧/٦.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥]، يقول ابن كثير رحمه الله: (أي يبيّن ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه) (١).

وفي هذه الآيات وغيرها أوضح الدلالة على أن الكتب التي سبقت القرآن الكريم قد وقع فيها التغيير والتبديل، وأن أهل الكتاب قد غيّروا وبدلوا عن علم وإصرار.

(١) تفسير القرآن العظيم، ٣٥/٢.

الفصل الثالث: آراؤه في الإيمان بالرسل وما يتعلق بهم

المبحث الأول : رأيه في تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما

يفرق الشيخ رحمه الله بين النبي والرسول، ويرى أن الرسول هو الذي يوحى إليه بشرع يكون شريعة للناس، أما النبي فهو الذي يشرح بوحي من الله شريعة رسول قبله، ولا يكون له شريعة مستقلة، يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج: ٥٢] : (والرسول هو الذي يوحى إليه بشرع يكون شريعة للناس، والنبي لا يكون له شريعة مستقلة، ولكن يشرح بوحي من الله شريعة رسول كالأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى) [(١)].

ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] : (والرسول في القرآن الكريم هو المرسل من الله تعالى لخلقه لتبليغ شريعته وبيان التكليف الذي كلف الناس إياه، والنبي الذي أنبأه الله تعالى، وشرفه بتلقي وحيه، وإن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة فيه للملزوم واللازم، فإن الرسالة تلزمها النبوة في المعنى القرآني، لأنه لا يعد رسولاً إلا إذا كان نبوة عن الله، وقد تلقى العلم عن الله جل جلاله بوحي، أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولاً) [(٢)]، ومقتضى النقل السابق يبين أن الشيخ يرى أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

---

(١) زهرة التفاسير ، ٥٠٠٥/٩.

(٢) المرجع السابق، ٢٩٦٩/٦.

النـقـد :

ما قرره الشيخ من التفريق بين الرسول والنبي هو الذي عليه جمهور أهــل العلم، كالإمام الشافعي، والبغدادي، وابن حزم، والزمخشري، والرازي، وابن تيمية، وابن أبي العز الحنفي، وغيرهم [(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رســالة، فهو نبي وليس برسول) [(٢)].

ويقول شيخ الإسلام أيضاً في العلاقة بين النبوة والرسالة: (فالنبوة داخلة فــي الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها، فكل رســول نبــي، وليس كل نبي رسولاً، فالأنبياء أعم، والنبوة نفسها جزء مــن الرســالة، فالرســالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة) [(٣)].

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص٣٤٢. الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ، ص٣٤٠. الكشاف للزمخشري، ١٦٥/٣، التفسير الكبير للرازي، ٤٨/٢٣- ٤٩. النبوات لابن تيمية، ٧١٤/٢. شرح الطحاوية، ص١٥٨. وللاستزادة انظر: النبي والرسول، د/ أحمد بن ناصر آل حمد، ص١٧ – ٢٣.

(٢) النبوات، ٧١٤/٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/٧.

المبحث الثاني: رأيه في معنى الإيمان بالرسل

يرى الشيخ أن الإيمان برسل الله تعالى يكون : (بتصديقهم، والإذعان لما يدعون إليه، فلا يقبلون لبعضهم البعض، ويرفضون الآخرين، فيؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، لأن رسالة الله واحدة، ورسل الله تعالى جاءوا جميعاً بشرع واحد في أصله، وإن اختلفت في بعض فروعه ...) [١].

ويقول أيضاً: (إن الإيمان الجامع بالنبيين أجمعين لا يفرق بين أحد من رسله، لأنهم جميعاً يحملون رسالات ربهم إلى عباده وهي واحدة، إن هذا الإيمان هو دين الله تعالى، وهو ملة إبراهيم وهي الشارة الوحيدة للدين الحق) [٢].

ويرى أيضاً أنه يجب الإيمان بجميع الرسل دون استثناء فمن آمن ببعض وكفر ببعض فقد كفر بهم جميعاً، يقول رحمه الله: (فبين سبحانه وجوب الإيمان بكل الرسل من غير استثناء، لأنهم المبلغون للناس رسالات الله) [٣]، ويقول عند قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣] : (هذه الجملة السامية فيها تصريح بوحدة الرسالة، فإن ما يجيء به الرسل جميعاً واحداً لا يتغير، وهو دين الله تعالى، ومن خالفه فقد خالف دينه سبحانه، ومن آمن ببعض الرسل، وكفر ببعض آخر، فهو بغي غير دين الله، ويطلب سواه، ومعنى النص الكريم، أنهم إذا أعرضوا عن تصديق محمد طلبوا غير دينه سبحانه،والاستفهام هنا للتوبيخ، واستنكار ما يفعلون، وبيان أن مؤداه أنهم يطلبون غير دين الله سبحانه وتعالى وأنهم لا يمكن أن يكونوا مؤمنين بنبي قط، إذا أنكروا رسالة نبي من الأنبياء، وخصوصاً محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتب) [٤].

---

(١) زهرة التفاسير، ٢٠٧٣/٤.

(٢) المرجع السابق، ٢٠٤٦/٤.

(٣) المرجع السابق، ١٠٨٨/٢.

(٤) المرجع السابق، ١٢٩٧/٣.

ويقول أيضاً : (فمن أنكر رسالة رسول من الرسل فقد كفر بالله وكفر برسله، لأن الكفر برسول ينسحب عليه بقية الرسل، إذ إن ما ثبت من تكذيب لرسول، فقد كذب الباقين، فمن كفر بموسى فقد كفر بمحمد وإبراهيم ،وعيسى وغيرهم، من الرسل) [(١)].

ويرى أيضاً أن رسل الله تبارك وتعالى كثيرون منهم من قص الله تبارك وتعالى خبرهم علينا ومنهم من لم يقص خبره يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة النساء: ١٦٤] : (هذا بيان إجمالي يقرر أن الله تعالى أرسل رسلاً كثيرة، قد قص بعضهم على النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر لم يقصه) [(٢)].

النقد :

الإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان التي لا يتم الإيمان إلا بها، وما قرره الشيخ من الإيمان بالرسل وما يتضمنه موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإن الإيمان بالرسل عند أهل السنة يتضمن أربعة أمور [(٣)] :

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام وهؤلاء هم أولوا العزم من الرسل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧]

---

(١) المرجع السابق، ١٩٣٧/٤.

(٢) زهرة التفاسير: ١٩٦٦/٤.

(٣) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي، ٣٩٣/٣، جامع العلوم والحكم، ١٠٢/١، شرح الطحاوية، ص١٤٩ -١٥٠، معارج القبول للحكمي، ٦٧٧/٢، مجموع فتاوى ابن عثيمين، ١٢٤/٥- ١٢٥.

وأما من لم نعلم أسمه منهم فنؤمن به إجمالاً كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [سورة: ١٦٤].

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى جميع الناس لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي: (ومعنى الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بان الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون، باروّن، راشدون، كرام بررة، أتقياء، أمناء، هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة، والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً ولم يغيروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه ...) [١].

المبحث الثالث : عصمة الأنبياء

تمهيد : تعريف العصمة لغة واصطلاحاً :

العصمة لغة : اسم مصدر من " عَصَمَ"

يقول ابن فارس : (العين والصاد والميم ، أصل واحد صحيح ،يدل على إمساك ومنع وملازمة ، والمعني في ذلك كله معنى واحد) [٢].

ويقول ابن منظور : (العصمة في كلام العرب : المنع ، وعصمة الله عبده : أن يعصمه مما يوبقه ، عصمه ، يعصمه ، عَصماً : منعه ووقاه) [٣].

(١) معارج القبول، ٦٧٧/٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣٣١/٤.

(٣) لسان العرب ٣٦٦/٧.

ويقول أيضا : (والعصمة الحفظ ، يقال : عصمته فانعصم ، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية) [١].

والعصمة اصطلاحاً : (حفظ الله تعالى للمعصوم من النقائص والعيوب ، وتخصيصه بالكمالات النفسية ، مع قدرته على الخير وضده) [٢].

وقيل : (لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء) [٣].

قبل البدء في بيان ما ذكره الشيخ عن عصمة الأنبياء ، أحب أن أنبه إلى أن مسألة العصمة تحتها فروع كثيرة ذكرها العلماء حين تكلموا عن عصمة الأنبياء[٤]، فتطرقوا لعصمتهم في التلقي ، وعصمتهم في التبليغ ، وعصمتهم من الكذب ، وعصمتهم من الكفر والذنوب قبل البعثة وبعدها ، وعصمتهم من الوقوع في الخطأ والنسيان والسهو ، وغيرها من المسائل .

---

(١) المرجع السابق ٣٦٧/٧.

(٢) أنظر آراء ابن حجر الهيتمي، ص٤٣٢.

(٣) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض في ٣٩/٤ وفتح الباري ٥١٠/١١ ، والتعريفات للجرجاني ص ١٥٠.

(٤) أنظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٢-٤٠٦، والمستصفي من علم الأصول للغزالي ٢١٣/٢ – ٢١٤، والشفا للقاضي عياض ٤٦٠/٢ -٥٠٩ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٥/٤ ، وعصمة الأنبياء للرازي ص ٢٦-٣٦، وشرح صحيح مسلم للنووي ٥٣/٥-٥٥، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٩/٤ – ٣٢٠ و ٢٨٩/١٠ – ٢٩٤ و ١٤٨/١٥، ومنهاج السنة ٤٧٠/١٠، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٠٣٠/٢ – ٣٠٥، وأضواء البيان للشنقيطي ٥٢٢/٤ – ٥٣٨، وللاستزادة العصمة في الفكر الإسلامي د/ حسن الغرباوي ص ٥٩-١٣٠، وحقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة د / محمد التميمي ص ١٢٦/١ – ١٦٠ ، والمسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين د / محمد العروسي ص٢٥٦ -٢٧٠ .

والشيخ لم يتطرق لكل هذه المسائل في حديثه عن العصمة، ولهـذا سـوف أناقش ما ذكره من هذه المسائل حسب النقاط التالية :

أولا : العصمة في التبليغ :

يرى الشيخ أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة يقول رحمه الله : (النبي صلى الله عليه وسلم معصوم عن الخطاء في نقل رسالة ربـه ، وبيـان الـشرع الحنيف) [١].

وما ذكره الشيخ عن هذه المسألة موافق لما عليه أهل السنة والجماعـة فـإن أهل السنة مجمعون على عصمة الأنبياء فـي التبليـغ يقـول القاضـي عيـاض : (وأجمعت الأمة فيما كان طريقة البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شـئ منهـا بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً ...) [٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (أن الأنبياء صـلوات الله وسـلامه علـيهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى ، وفي تبليـغ رسـالاته بإتفـاق الأمة ولهذا وجب الأيمان بكل ما أوتوه ... وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التـي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة) [٣].

ويقول الشيخ الشنقيطي : (واعلم أن جميع العلماء أجمعـوا علـى عـصمة الأنبياء صلوات الله عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ) [٤].

---

(١) زهرة التفسير ٣١٩٣/٦ ، وفتاوى الشيخ أبو زهرة ص ١٢٦.

(٢) الشفا للقاضي عياض ٤٧٦/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨٩/١٠ – ٢٩٠.

(٤) أضواء البيان ١٠٥/٤.

ثانيا : العصمة من الوقوع في الشرك :

يرى الشيخ رحمه الله أن الأنبياء معصومون عن الوقوع في الشرك يقول عند قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [إبراهيم : ١٣] : أن التعبير بـ (لتعودن) يوحي إلى أنهم كانوا في ملتهم ، وخرجوا منها وطلبوا أن يعودا إليها، والرسل لم يكونوا في ملتهم أبداً ، فما كان الرسل ليشركوا بالله ويعبدوا الأوثان ...)(١).

وما ذكره الشيخ موافق لمذهب أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر القاضي عياض الإجماع على ذلك حيث عقد فصلاً في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته قال فيه : (اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيْ من ذلك والشك أو الريب فيه،والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين ، هذا ومع إجماع المسلمين عليه ، ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه .....) (٢).

وممن حكى إجماع العلماء أيضاً الرازي حيث قال :(واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون من الكفر والبدعة إلا الفضلية من الخوارج فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) (٣).

ثالثاً : العصمة من الوقوع في المعاصي :

يري الشيخ أن الأنبياء معصومون من الوقوع في المعاصي سواء كانت كبائر أم صغائر يقول عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) زهرة التفاسير ٤٠٠٦/٨.

(٢) الشفا ٢/ ٤٥٩.

(٣) عصمة الأنبياء للرازي ص ٢٥.

عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ [الأنعام : ١٥] : (وفي الموضع كلام في عصيان الأنبيـاء أيتـصور وقوعه؟ ونقول أن الأنبياء معصومون عن العصيان) [١].

ويقول أيضاً :(والرسول عليه الصلاة والسلام معصوم عـن المعـصية عصمة مطلقة) [٢].

وما ذهب إليه الشيخ من القول بعصمة الأنبياء عـصمة مطلقـة مخـالف لمذهب أهل السنة والجماعة ، فإن أهل السنة مجمعون على عصمتهم من كبـائر الذنوب وصغائر الخسة [٣].

وأما ما عداها من الصغائر فإن جمهورهم على جوازها عليهم ، ووقوعها منهم لكنهم لا يقرون عليها ، ولهذا فإن ما ذكره الشيخ أبو زهرة هو قول قـال به بعض الرافضة ، وبعض المعتزلة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :(فإن القـول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر : هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى أنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الآمـدي أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول .... وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ، ثم عن بعـض المعتزلة ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين .

وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ، ولا يقولون أنها لا تقع بحال ، وأول من نقل عـنهم

---

(١) زهرة التفاسير ٢٥٦/٥.
(٢) فتاوى الشيخ أبو زهرة ص ١٢٧.
(٣) أنظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٠٣٠/٢.

من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً وأعظمهم قولاً لـذلك الرافـضة فـإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل) [1].

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن المنحرفين في مسألة العـصمة علـى طرفي نقيض فقال رحمه الله : (واعلم أن المنحرفين في مسألة العـصمة علـى طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة مـن الذنوب ومغفرة الله لهم ، ورفع درجاتهم بذلك .

وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القـرآن علـى بـراءتهم منـه ، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزههم الله عنها ، وهؤلاء مخالفون للقـرآن ، ومـن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف ، كان من الأئمة الوسط ، مهتـدياً إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) [2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٣١٩ -٣٢٠.

(٢) المرجع السابق ١٥ /١٥٠.

المبحث الرابع : آراؤه في الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

تطرق الشيخ للحديث عن الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة من كتبه وسوف أفرد الكلام عن ذلك في مطلبين

المطلب الأول : في ما يدخل تحت الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: في معجزاته صلى الله عليه وسلم.

المطلب الاول: في ما يدخل تحت الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

سبق الكلام عن معنى الإيمان بالرسل عموماً، وأن الإيمان بهم أصل من أصول الإيمان التي لا يعتبر العبد مؤمناً حتى يؤمن به، وأن الإيمان بهم يكون تفصيلاً فيما فصل، وإجمالاً فيما أجمل، وقد خص نبينا صلى الله عليه وسلم بأمور زائدة على الإيمان بالرسل عليهم السلام، وقد ذكر الشيخ أبو زهرة ما يدخل في معنى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص فقال عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] : (والإيمان بالرسول: التصديق به رسولاً من رب العالمين والإيمان بصدق ما يدعو إليه، وأنه من عند الله العليم الحكيم وإتباعه في كل ما جاء به، والاقتداء به، واتخاذه أسوة في العمل الصالح الذي يهدي إليه) [(١)].

ويبين رحمه الله في كتابه العقيدة الإسلامية ما تضمنته شهادة أن محمداً رسول الله فيقول: (وتتضمن الشهادة بأن محمداً رسول الله، تصديقه في كل ما أمر به، وكل ما نهى عنه، سواء أكان ذلك بياناً للقرآن أم كان بياناً لما أوحى الله تعالى به: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣ – ٤]، فكل ما قرره النبي صلى الله

---

(١) زهرة التفاسير، ٢٩٧٦/٦.

عليه وسلم يجب الإذعان له على أنه حكم الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [سورة النساء: ٨٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالشهادة بالرسالة تقتضي لا محالة الإيمان بصدق كل ما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١).

ومما يدخل في الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً الإيمان بعموم رسالته وأنه مبعوث إلى الناس كافة يقول رحمه الله: (والآية دليل على عموم الرسالة المحمدية، وأنه عليه السلام بعث للألوان كلها، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (كان كل نبي يبعث في قومه، وإنما بعثت في الأحمر والأسود) (٢)، وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) (٣)) (٤).

وكما يجب الإيمان بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم، فإنه يجب أيضاً الإيمان بأن النبوة قد ختمت به صلى الله عليه وسلم، وأن رسالته هي خاتمة الرسالات السماوية، فلا نبي بعده ولا رسول.

يقول عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة:١٩]: (المعنى قد جاءكم بشير ونذير هو أعلى المبشرين المنذرين، لأنه خاتم النبيين، ولأنه آخر لبنة في صرح النبوة، ولأن تبشيره وإنذاره قائمان إلى

---

(١) العقيدة الإسلامية، ص٨-٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم ٥٢١، ج١، ٣٧٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، برقم ١٥٣، ج١/ ١٣٤.

(٤) زهرة التفاسير، ٦/٢٩٧٧.

يوم القيامة، فلا نبوة بعده، ولا وحي ينزل على أحد من بعده، فرسالته خالدة باقية) [1].

ومن اعتقد أنه يكون بعده نبي ورسول فقد فارق الإسلام وكفر بالله العظـيم، ولهذا كفر القاديانية [2] الذين يدعون نبوة ميرزا غلام [3]، يقـول بعـد أن عـرض معتقداتهم : (هذه هي القاديانية كما تنطق بها كتبهم قد كتبناها كما ينحلونها لا نتزيـد عليها، ونصورها كتفكيرهم وذلك دأبنا حين نكتب في الممل والنحـل نجتهـد فـي تصويرها، تصويراً موضوعياً.

والآن أهي تعد فرقة إسلامية؟ لا شك أنها تخالف ما أجمع عليه المسلمون من عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أنه آخر جزء في صرح الرسالة الإلهيـة ومـا صرح به صلى الله عليه وسلم من أنه لا نبي بعده، وفوق هذا قـد جـاء فـي آراء

---

(١) زهرة التفاسير، ٢١٠٥/٤، وانظر: أيضاً ١٢٩٣/٣، ٢٥٨٩/٥.

(٢) طائفة ظهرت في بلاد الهند على يد مؤسسها ميرزا غلام أحمد القادياني عام ١٩٠٠م، على يد الإنجليز من عقائدهم اعتقاد نبوة ميزا غلام، وأن الله يصوم، ويصلي، وينام، ويصحو تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ويعتقدون أيضاً أن لهم كتاباً منزلاً غير القرآن الكريم اسمه الكتاب المبين، والقاديانية نادت بإلغاء الجهاد، كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن. كما أنهم يبيحون الخمر والأفيون والمسكرات. انظر: القاديانية لإحسان إلهي ظهير، ص٢٧، ٧٩- ٨١، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ٤١٩/١- ٤٢٢.

(٣) هو ميرزا غلام أحمد القادياني ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، فنشأ وفياً للاستعمار الإنجليزي ومطيعاً له، ابتدأ كداعية إسلامي ثم ادعى أنه مجدد ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر ثم أخيراً ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هلك عام ١٩٠٨م، مخلفاً أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالة من كتبه إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي ، تجليات إلهية. انظر: القاديانية، لإحسان إلهي ظهير، ص١٠١ – ١٢٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ٤١٩/١ – ٤٢٠.

إمامهم ما هو غريب جداً من ادعاء أنه المسيح أو أن المسيح تقمصه إلى آخر ما جاء في كتبهم، وكل هذه الدعاوى من نبوة أو تقمص للمسيح ... لا دليل عليها من جهة، ولا تتفق مع المقررات التي قام عليها الدليل من جهة ثانية وهي تخرج صاحبها عن الإسلام) [1].

المطلب الثاني : **في معجزاته صلى الله عليه وسلم** :

تطرق الشيخ للحديث عن معنى المعجزة وعرفها بأنها : (الأمر الخارق للعادة الذي يدعى به من جرى على يديه أنه نبي من عند الله تعالى ، ويتحداهم بأن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين) [2].

وبناء على هذا التعريف نجده يحصر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم فقط . مع إقراره بأن هناك خوارق للعادة جرت على يديه صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك : (المعجزة الوحيدة للنبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن، وذلك لآن شرط المعجزة ، أن يتحدى الناس أن يأتوا بمثلها ، فإذا عجزوا عن أن يأتوا بمثلها كان ذلك إعجازاً لهم وكان حقاً عليهم أن يصدقوا فإن لم يصدقوا يكونوا ممن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، فنحن لا ننفي الخوارق بل نؤكد ونثبت ونوجب التصديق بها لأن بعضها جاء به سنن متواترة وبعضها استفاضت به الأخبار مما لا يجعل مجالاً للتكذيب ، ولكن النبي لم يتحد إلا بالقرآن) [3].

ويقول أيضاً : (لا شك أن خوارق العادات تجئ على أيدي الأنبياء لإثبات نبوتهم ، أن ذلك هو المعجزة التي يتحدى بها الأنبياء أقوامهم كما تحدى موسى بالعصا ... ، وكما تحدى صلى الله عليه وسلم بالقرآن وقد جرى على يد محمد

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٢٣٢.

(٢) المعجزة الكبرى القرآن ص ٩.

(٣) لواء الإسلام السنة الثانية عشر ، العدد العاشر جمادي الآخرة ١٣٨٧ هـ ص ٦٣٤ . ندوة عن الدين والمعجزات.

صلى الله عليه وسلم خوارق للعادات أخرى كالإسراء والمعراج ولكنه تحدى بالقرآن وحده لأنه المعجزة الكبرى الخالدة إلى يوم الدين ، والتي تثبت الرسالة المحمدية إلى يوم القيامة) [١].

وأما ما ذكره الشيخ من تعريف المعجزة فهو موافق لتعريف جمهور المتكلمين ويؤخذ عليه ما يلي :

أولاً: أن اشترط خرق العادة لا يكفي لأن العادة أمر نسبي إضافي لا ينضبط فقد يكون عادة لقوم دون آخرين ثم إن خرق العادة لا يختص بالأنبياء وحدهم وقد شاركهم في ذلك غيرهم كالسحرة والكهان ، إذ قد يأتون بما هو خارق لعادة من حضرهم أو شاهدهم ولا يقدر الحاضرون أن يأتوا بمثله يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (ليس مجرد كونه خارقاً للعادة كافياً لوجهين :

أحدهما أن كون الشيء معتاداً وغير معتاد أمر نسبي إضافي ليس بوصف مضبوط تتميز به الآية بل يعتاد هؤلاء ما لم يعتد هؤلاء مثل كونه مألوفا ومجرباً ، ومعروفاً، ونحو ذلك من الصفات الإضافية .

الثاني : أن مجرد ذلك مشترك بين الأنبياء وغيرهم ، وإذ خص ذلك بعدم المعارضة، فقد يأتي الرجل بما لا يقدر الحاضرون على معارضته ، ويكون معتاداً لغيرهم كالكهانة والسحر ، وقد يأتي بما لا يمكن معارضته وليس بآية لشيء ، لكونه لم يختص بالأنبياء) [٢]. ويقول أيضا أنه (لم يكن في كلام الله ورسوله ، وسلف الأمة ، وأئمتها وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة ، ولا يجوز أن يجعل مجرد خرق العادة هو الدليل ، فإن هذا لا ضابط له ،وهو مشترك بين الأنبياء وغيرهم) [٣].

---

(١) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن ص ٤٦.

(٢) النبوات ١/١٧٣ -١٧٤.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

ثانياً : أن اشتراط دعوى النبوة مبني على أنه ليس هناك فرق بين المعجزة، والسحر، والكرامة، وأنها كلها من جنس واحد وهو خوارق العادات،وأن الذي يميز المعجزة عن السحر إنما هو دعوى النبوة من النبي مع المعجزة بخلاف الساحر فإنه لا يدعيها،وهذا الكلام مردود لأنه يلزم منه القدح في آيات الأنبياء، لأن آيات الأنبياء لابد أن تكون مميزة عن غيرها ، فإن الله تعالى إذ أرسل الرسل وجعل لهم الآيات والبراهين على نبوتهم فلابد أن تكون تلك الآيات مختصة بهم ، دالة على نبوتهم ، بحيث لا يمكن أن تكون دليلاً لغيرهم، وأن يكون ذلك راجعاً إلى نفس تلك الآيات والمعجزات لا إلى شروط خارجة عنها (١).

يقول شيخ الإسلام : (وحقيقة الأمر أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها فلابد أن يكون مختصاً بها ، ولا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم .... فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء ، ولكن إذا كانت معتادة لكل نبي ، أو لكثير من الأنبياء ، لم يقدح هذا فيها ، فلا يضرها أن تكون معتادة للأنبياء) (٢).

ويقول أيضاً : (فكان أصلهم : أن ما يأتي به النبي ، والساحر ، والكاهن والولي : من جنس واحد ، لا يتميز بعضه عن بعض بوصف ، ولكن خاصة النبي اقتران الدعوى ، والاستدلال ، والتحدي بالمثل بما يأتي به .فلم يجعلوا لآيات الأنبياء خاصة تتميز بها عن السحر والكهانة، وعما يكون لأحد المؤمنين ، ولم يجعلوا للنبي مزية على عموم المؤمنين ، ولا على السحرة والكهان ،من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه وهذا إفتراء عظيم على الأنبياء ، وعلى آياتهم ، وتسوية بين أفضل الخلق ، وشرارا الخلق ، بل تسوية بين ما يدل على النبوة ، وما

(١) أنظر حقيقة المعجزة وشروطها عند الأشاعرة للدكتور عبد الله القرني ص ١٢.

(٢) النبوات ١٦٣/١.

يدل على نقيضها ، فإن ما يأتي به السحرة والكهان لا يكون إلا لكذاب فاجر ، عدو لله ، فهو مناقض للنبوة) [1].

ومما يدل أيضا على بطلان قولهم أن هناك من الناس من ادعـــى النبـــوة ، وكان كاذباً وظهرت على يديه بعض الخوارق ، فلم يمنع منها ، ولم يعارضه أحـــد بل عُرف كذبه بطرق متعددة كما فـــي قـــصة الأســـود العنـــسي[2] ، ومـــسيلمة الكذاب[3]،والحارث الدمشقي[4] وغيرهم.

ثالثاً : أن كثيرا من آيات الأنبياء لم يقع بها التحدي ، وهي مع ذلك آيات على صدق الأنبياء ، والتي جاء التحدي بها لم يكن التحدي بها ابتداء وإنما جاء التحـــدي بها كالقرآن لما قالوا أنه افتراه يقول شيخ الإسلام : (عامة معجزات الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يتحدى بها ، ويقول ائتوا بمثلها ، والقـــرآن أنما تحداهم لما قالوا أنه افتراه ، ولم يتحداهم به ابتداء ، وسائر المعجزات لـــم يتحد بها ، وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن ، لكن قد علم أنهم لا يـــأتون بمثـــل آيات الأنبياء ، فهذا لازم لها ، ولكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره) [5].

---

(١) النبوات ٦٠٦٠/١ ، (٤) أنظر النبوات ٢٣٣/١.

(٢) هو عيهلة بن كعب بن عوف المذحجي ، ذو الحمار ، أسلم يوم أسلمت اليمن ، ثـــم أرتـــد عـــن الإسلام ، وادعى النبوة ، قتل سنة ١١ هـــ، أنظر البداية والنهاية ٤٤٩/٩.

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامـــة ، ادعـــى النبـــوة ، وتلقـــب بالرحمن ، حتى عرف برحمان اليمامة ، قتل سنة ١٢ هـــ .انظر شذرات الذهب ٢٣/١.

(٤) هو الحارث بن سعيد بن سعد متنبئ من أهل دمشق ، يعرف أتباعه بالحارثية كان مـــولى لأحـــد القرشيين ، نشأ زاهداً متعبداً ، ثم أدعى النبوة ، قتله عبد الملك بن مروان .أنظر البداية والنهايـــة ٢٨٠٢٧/٩.

(٥) النبوات ٧٩٤/٢ .

المبحث الخامس: رأيه في نبوة النساء

تطرق الشيخ إلى الكلام عن نبوة النساء عند تفسيره للآيات التي فيها خطاب الملائكة عليهم السلام لمريم بنت عمران، وأشار إلى الخلاف الحاصل بين العلماء في مريم هل هي نبية أم لا ؟

يقول عند قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران:٤٢] : (وإذا كانت الملائكة قد خاطبت مريم مشافهة فهل هي نبية لأن الملائكة خاطبوها ؟ هكذا قال بعض العلماء.

ولكن الأكثرين على أنه لا يمكن أن تكون نبيه' وخطاب الملائكة لها لا يقتضي النبوة، لأن النبي من يوحى إليه بشرع، ومريم لم يوح إليها بشيء من الشرع، ولكنه كان خطاباً للبشارة بواقعة معينة دالة على علو منزلتها، واصطفاء الله سبحانه وتعالى لها) [(١)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المائدة:١١٠] : (وابتدأ سبحانه بتذكير نعمته عليه وعلى أمه، ونعمته على والدته مشهورة في القرآن قد ذكرها سبحانه وتعالى في سورة آل عمران ... كانت السيدة مريم على هذا النسق المتلو ... مصطفاة من قوم مصطفين أخيار أطهار وكفلها نبي، وخاطبتها الملائكة حتى قال الأكثرون إن فيها نبوة ولا يعلم أن أنثى كانت من الأنبياء غيرها) [(٢)].

ويقول عند قوله تعالى:﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩١] : (عطف على ما سبق من

---

(١) زهرة التفاسير، ١٢١٣/٣.

(٢) المرجع السابق، ٢٣٩٤/٥.

النبيين وهي مريم البتول التي اصطفاها ربها على نساء العالمين حتى قيل أنها نبي أوحي إليها) [1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥] : (وإن النص الكريم الذي نحن بصدد ذكر معانيه، فيه بيان أن عيسى وأمه ليس فيهما ما يجعلهما مختصين بصفات ليست في غيرهما فعيسى عليه السلام ليس إلا رسول وقد خلت أي مضت من قبل الرسل ... وأمه لا تخرج عن أنها مخلصة صادقة تابعة للنبيين من قبله وله عليه السلام، والصديق هو الذي لا يقول إلا صدقاً، ولا يكذب، ويصدق الحق ويدعو إليه، ويستمر عليه، فالصديق هو الصادق في قوله وعمله والمصدق للحق المذعن له إذا جاءه، وقال الأصفهاني في مفرداته : (الصديقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة) فهم المرتبة الأولى بعد الأنبياء) [2].

فمما سبق يتبين لنا أن الشيخ رحمه الله يميل إلى عدم نبوة مريم بنت عمران فقد نص رحمه الله على أنها لا تخرج عن كونها صديقة تابعة للنبيين، ولأنه قرر في مواطن أخرى أن الرسل لا يكونون إلا من الرجال فقد ذكر عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩] : (ليس من أرسلناهم من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم أي أنهم ليسوا ملائكة ...) [3].

ويقول عند قوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣-٤٤] : (والمعنى أن هؤلاء أرسلوا رجالاً ولا يكونون إلا رجالاً مصحوبين بالبينات ...) [4].

---

(١) زهرة التفاسير، ٢٣١٠/٥ - ٢٣١٢.

(٢) المرجع السابق، ٤٩١١/٩.

(٣) المرجع السابق، ٣٨٧٥/٧.

(٤) المرجع السابق، ٤١٨٤/٨.

وهذه المسألة يعد النزاع فيها من الأمور الحادثة، التي حدثت في القرن الخامس الهجري تقريباً كما ذكر ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله [(١)]، وما مال إليه الشيخ رحمه، تؤيده النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وكذلك الإجماع فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء:٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ [يوسف: ١٠٩].

يقول الإمام ابن جرير الطبري: (يقول تعالى ذكره {وما أرسلنا} يا محمد {من قبلك إلا رجالاً} لا نساء ولا ملائكة) [(٢)]. ويقول الشوكاني: (وتدل الآية على أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من النساء ولا من الجن وهذا يرد على من قال: إن في النساء أربع نبيات: حواء، آسيا، أم موسى، مريم. وقد كان بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمراً معروفاً عند العرب) [(٣)].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة) [(٤)]. ووجه الدلالة أن هذا الحديث ورد فيما لو اختار الناس امرأة فلن يفلحوا، فكيف يمكن أن تكون مرسلة أو نبية، ومعلوم أن النبوة تتطلب التبليغ، ومخالطة الناس وإمامتهم، والمرأة لا تتناسب طبيعتها مع هذه الأعمال فهي مطلوب منها الحشمة والحجاب والبعد عن الاختلاط [(٥)].

---

(١) انظر: الفصل في الممل والأهواء والنحل، ١٧/٥.
(٢) تفسير الطبري، ٣١٥/٧.
(٣) فتح القدير، ٦٠/٣.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، برقم ٦٦٨٦.
(٥) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين، ص٥٢٢.

وأما الإجماع فقد ذكره شيخ الإسلام رحمه الله حينما أنكر رأي ابن حزم في أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من العشرة المبشرين بالجنة، فقال رحمه الله: (وبالجملة فهذا قول شاذ لم يسبق إليه أحد من السلف، وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي من الأقوال الحسنة الفائقة، وهذا كقوله إن مريم نبية، وأن آسيا نبية، وأن أم موسى نبيه، وقد ذكر القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى وأبو المعالي وغيرهم الإجماع على أنه ليس في النساء نبيه والقرآن والسنة دلا على ذلك) [(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٩٦/٤.

الفصل الرابع: آراؤه في الإيمان باليوم الآخر

تمهيد: في تعريف اليوم الآخر ومعنى الإيمان به:

اليوم: معروف مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها وهو واحد الأيام يقول ابن فارس: (الياء والواو والميم كلمة واحدة، وهي اليوم: الواحد من الأيام، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم، ويقول: نعم فلان في اليوم إذا نزل)(١).

والآخر: يقول ابن فارس: (الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم، وهذا قياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: الآخر نقيض المتقدم، والأُخُر نقيض القُدُم، تقول مضى قُدُماً وتأَخَّرَ أُخُراً)(٢).

والمراد باليوم الآخر: يوم القيامة، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار وغير ذلك(٣).

وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم (لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة)(٤).

وقد تطرق الشيخ أبو زهرة رحمه الله لمعنى الإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه، وبين أن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث والنشور والإيمان بيوم القيامة، وما يجري فيه من حساب وعقاب وثواب، يقول رحمه الله: (والإيمان باليوم الآخر، ويشمل الإيمان بالبعث والنشور، والإيمان بيوم القيامة، وما يجري فيه من

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٥٩/٦ وانظر أيضاً لسان العرب ٦٠١/٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٧٠/١ وانظر أيضاً لسان العرب ١١/٣

(٣) انظر تعظيم قدر الصلاة ٣٩٣/١، مجموع الفتاوى ٧٠٣/٢
فتح الباري ١٤٤/١ ، لوامع الأنوار البهية ١٦٧/١ وما بعدها
معارج القبول ٧٠٣/٢ ، فتاوى ابن عثيمين ١٢٧/٥

(٤) فتح الباري ١/ ١٤٤

حساب وعقاب وثواب، وأن من أحسن فله النعيم المقيم، ورضوان من الله أكبر، وأن من خالف وغير وبدل فجزاؤه جهنم، وبئس المصير، وإن ذلك كله مـادي حـسي، وليس روحياً كما توهم بعض الكاتبين)[1].

ويقول أيضاً: (والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالبعث والنشور، والحـساب والعقاب والثواب، وإنها جنة أبداً، أو نار أبداً، وأن الإنسان مجزى بعمله، وإن خيراً فخير أو شـراً فـشر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] [2].

المبحث الأول: رأيه في عذاب القبر ونعيمه

يعتبر الشيخ عذاب القبر ونعيمه من باب السمعيات المتصلة بالعقيدة والتي لا يجب الإيمان فيها إلا بقرآن قطعي الدلالة، أو بحديث متواتر قطعي الثبوت، وبنـاءاً على هذا يرى أن الأحاديث التي وردت في عذاب القبر ونعيمه هي من قبيل الآحاد وليست من المتواتر، يقول في ذلك: (السمعيات المتصلة بالعقيدة لا تثبت إلا بالقرآن أو الحديث المتواتر، شأن كل مسائل العقيدة، فلا يجب الإيمان فيها إلا بقرآن قطعي الدلالة، أو بحديث متواتر قطعي الثبوت، وليس حديث عذاب القبر مـن الأحاديـث المتواتر، ونحن نؤمن بكل ما جاء به القرآن وكل ما جاءت به السنة المتواترة) [3].

ويقول أيضاً: (جاءت أحاديث رويت في صحاح السنة فـي عـذاب القبـر ونحوه، فنأخذ بهذه الأحاديث ولا نكذبها، ولكن لا نعتبرها جزءاً من العقيدة يكفر من لا يؤمن به؛ لا نردها لأنه ليس لدينا دليل على كذبها، فمن قبيل الاحتياط نتمسك بها

---

(١) زهرة التفاسير ١/ ٥١٩

(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٢٩٦

(٣) مجلة لواء الإسلام السنة السابعة، العدد الثاني شوال ١٣٧٢هـ ص١١٥- ١١٦.

ونأخذها على العين والرأس ولا نردها، وفي الوقت نفسه لا نعتبرهـا جـزءاً مـن الاعتقاد الذي يجب الإيمان به ويكفر جاحده) [1].

ويقول أيضاً: (وهناك حقائق أيضاً مقررة في الإسلام، وإن لـم تبلـغ مبلـغ اليقين الجازم المقطوع به، هي أن هناك عقاباً في القبـر ونعيمـاً فـي القبـر، لأن أحاديث أحاد وردت، وإن تكاثرت وتعدد رواتها لا تبلغ مبلغ التواتر، قد قـررت أن القبر إما حفرة من حفر النار وإما روضة من رياض الجنة، وهي تفيد الاطمئنـان، ولا تفيد الجزم والقطع، وفرق بين الاطمئنان والجزم، فمن يخالف الجزم يخرج عن الإسلام والذي ينكره يخرج عن الإسلام، أما من ينكر الأمور التي توجب الاطمئنان والظن الراجح، فإنه قد يعد مبتدعاً أو منحرفاً، ولكن لا يمكن أن يعده أحداً كافراً... فأولى بنا ثم أولى أن نؤمن بكل النصوص في جملتها وفيما تؤدي إليه من أن هنـاك عذاباً في القبر ومن أن هناك عذاباً للروح، ومن أن هناك نعيماً وسعادة للروح، ومن أن البعث سيكون يوم القيامة بالأجسام والأرواح، وهذا ما أؤمن به، ولا أفرق فـي إيماني بين أمر ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، وأمر آخر ثبت بدليل يوجد الاطمئنان ولا يوجد القطع، ولكني لا أكفر أحداً من أهل القبلة إذا أنكر أمراً لم يثبت بدليل يفيد القطع) [2].

النقـد:

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من الأمور المجمع على إثباتها عند أهل الـسنة والجماعة بل حتى المبتدعة لم يخالفوا في ذلك إلا قلة منهم وهم الخـوارج وبعـض المعتزلة يقول الحافظ ابن حجر: (خلافاً لمن نفاه مطلقـاً مـن الخـوارج وبعـض

---

(١) المرجع السابق نفس السنة والعدد والصفحة.

(٢) مجلة لواء الإسلام، س١٤، ع٤ ذو الحجة ١٣٧٩هـ. ص٢٥٣-٢٥٥ وانظر أيضاً فتاوى الشيخ محمد أبو زهرة ص١٥٢.

المعتزلة كضرار بن عمرو[1]، وبشر المريسي[2]، ومن وافقهما، وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا الاحتجاج له) [3].

وما قرره الشيخ من إثبات عذاب القبر ونعيمه وإن كان موافقاً لمذهب أهل السنة والجماعة في النتيجة، إلا أنه مخالف لهم في منهج الاستدلال على عذاب القبر ونعيمه فإن عذاب القبر ونعيمه عند أهل السنة والجماعة ثابت بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١] .

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله بعد أن ذكر أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: أن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلاً يوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن

---

(١) ضرار بن عمرو القاضي، من رؤوس المعتزلة، شيخ الضرارية، معتزلي جلد، له مقالات خبيثة، قال ابن حزم: كان ضرار ينكر عذاب القبر من تلاميذه حفص الفرد، توفي في زمن الرشيد، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٤، ميزان الاعتدال ٢/٣٢٨.

(٢) بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، كان من كبار الفقهاء ثم نظر في الكلام فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، توفي عام ٢١٨هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٩.

(٣) فتح الباري ٣/٢٧٥.

القائلين ما أنبئنا عنهم، وليس عندنا علم بأيّ ذلك من أيٍّ غير أن في قوله جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر) [1].

وقوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦].

يقول ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور) [2].

وأما السنة فإن الأحاديث في إثبات عذاب القبر ونعيمه من قبيل المتواتر وليست من قبيل الآحاد كما ادعى الشيخ أبو زهرة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير، فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم) [3].

منها ما ورد في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه مر بقبرين يعذبان فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر في البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما، ما لم ييبسا) [4].

---

(١) تفسير الطبري ٤٥٨/٦– ٤٥٩

(٢) تفسير ابن كثير ٨٨/٤

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨٥/٤ وانظر أيضاً الروح لابن القيم ٢٨٤/١
شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٥/٢

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر، برقم ١٣٦١ ج٢٦٤/٣ وأخرج مسلم نحوه في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه برقم ٢٩٢ ج٢٤٠/١.

وكذلك ما ورد من حديث عائشة رضي الله عنها: (أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال: نعم، عذاب القبر، قالت عائشة رضي الله عنها، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلَّى صلاةً إلا تعوذ من عذاب القبر) (١).

وكذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال) (٢).

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم منهم ابن قتيبة(٣)، وأبو الحسن الأشعري(٤)، والآجري(٥)، وشيخ الإسلام بن تيمية حيث يقول: (مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ- ما بين الموت إلى قيامة القيامة- هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة) (٦).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر برقم ١٣٧٢ ج٣/٢٧٤.

(٢)

(٣) انظر: تأول مختلف الحديث ص١٤

(٤) انظر: رسالة إلى أهل الثغر ص ١٥٩

(٥) انظر: الشريعة ٣/١٢٧٢

(٦) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٦٢

المبحث الثاني: البعث والنشور

تمهيد: في معنى البعث لغة وشرعاً:

البعث في اللغة هو: "الإثارة والإخراج"

يقول ابن فارس: (الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة. ويقال بعثنا الناقة إذا أثرتها) [(١)].

وجاء في لسان العرب: (والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٥] معناه أرسلنا. والبعث إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار. والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦] أي أحييناكم، وبَعَثَ الموتى نشرهم ليوم البعث. وبَعَثَ الله الخلق يبعثهم بعثاً: نشرهم)[(٢)].

وأما المراد به في الشرع: هو إحياء الأمــوات، وخــروجهم مــن قبــورهم ونحوها، للجزاء يوم القيامة[(٣)]

المطلب الأول: وجوب الإيمان بالبعث

تحدث الشيخ عن وجوب الإيمان بالبعث والنشور في كتابه العقيدة الإسلامية وفي أثناء تفسيره للآيات التي تطرقت لإثبات البعث وقرر الشيخ وجوب الإيمان بالبعث والنشور وأنه قرين الإيمان بالغيب- الذي هو فيصل التفرقة بين الإيمان

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٦٦

(٢) لسان العرب ١/ ٨٤٠

(٣) انظر فتح الباري ١١/٤٠٠، لوامع الأنوار البهية ٢/١٥٧.

والزندقة-، يقول رحمه الله: (الإيمان بالبعث والحياة الآخرة قرين الإيمان بالغيب، لأن البعث ليس أمراً مشهوداً بين أيدينا، بل هو والحياة الآخرة أمران مغيبّان، والذين يؤمنون بالمادة ولا يدركون سواها ينكرون بعث الأموات أحياء، وينكرون أن تكون هناك حياة أخرى غير الحياة التي يعيشونها، وقالوا كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] ولكن الله تعالى يقرر الحق الذي لا يصح أن يرتاب فيه مؤمن، وهو أن الدار الآخرة هي الباقية ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢] ويذكر القرآن الكريم أن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقة فيقول سبحانه: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي إن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية، لأنها الباقية الخالدة، وفيها الجزاء والثواب والعقاب)[١] ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٢]: (وهذا التعبير السامي يتضمن ثلاث حقائق يجب الإيمان بها:

الحقيقة الأولى: البعث وأن الناس يجتمعون بين يديه سبحانه وتعالى، وأن الإيمان بالبعث هو سر الإيمان وهو علو بالنفس الإنسانية إلى المرتبة السامية فلا يكون آكلاً شارباً فقط يقول: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] بل يعلو بإنسانيته يفعل الخير ويرجو الجزاء) [٢].

---

(١) العقيدة الإسلامية ص٥٦.

(٢) زهرة التفاسير ٢٥٥٦/٥ وانظر أيضاً زهرة التفاسير ١٨٦/١، ٥١٩ ٨٧٥/٢، ٩٦٣،٩٦٤- ٢٤٤٩/٥، ٢٤٨٩- ٢٨٠١/٦، ٢٨١٤، ٢٨٥٩، ٢٨٧٣- ٣٨٩٩/٧- ٤٠٨٢/٨، ٤٠٨٣، ٤٤٢٥، ٤٤٦٥- ٤٤٩٥/٩، ٤٩٤٧، ٥٠٢٢- ٥١٠٤/١٠، ٥٤٧٧ وغيرها من المواضع.

وما قرره الشيخ من وجوب الإيمان بالبعث والنشور موافق لمذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي تدل عليه الأدلة النقلية والعقلية، بأوجه متعددة، وطرق متنوعة، توجب القطع به، والإيمان بحصوله ووقوعه(١).

منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾ [الحج: ٥ – ٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٧ ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ ﴾ [التغابن: ٧].

أما السنة فالأحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث...) (٢).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣١٦/٤، وفوائد الفوائد لابن القيم ص١٢٨– ١٢٩، وشرح الطحاوية ص٤٠٤–٤٠٦.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم، برقم ٥٠ ج١٤٠/١.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذنب[١]، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)[٢].

وأوضح منه حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عَلَيَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأً أحد)[٣].

وأما الأدلة العقلية على البعث فتتمثل في الأقيسة العقلية وقد أشار القرآن الكريم إليها في كثير من الآيات كقياس الإعادة على البدء كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] وهذا من باب قياس الأولى كما هو المشهور[٤]، فإن القادر على إيجاد الخلق من العدم قادر على إعادتهم، لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من ابتداء الفعل[٥].

يقول الشيخ الشنقيطي: (ولأجل قوة دلالة هذا البرهان المذكور على البعث بين جل وعلا من البعث فهو ناس للإيجاد الأول على الحقيقة كقوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾[يس: ٧٨] إذ لو تذكر الإيجاد الأول على الحقيقة، لما أمكنه إنكار الإيجاد الثاني)[٦].

---

(١) عجب الذنب، العجب بالسكون هو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز، وهو العسيب من الدواب، انظر النهاية في غريب الحديث ص٥٩٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يوم ينفخ في الصور برقم ٤٦٥١–ج٤/١٨٨١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير قوله: (قل هو الله أحد) برقم ٤٦٩٠ ج٤/ ١٩٠٣

(٤) انظر الوعد الأخروي شروطه وموانعه د. عيسى السعدي ٢٧٣/١ وما بعدها.

(٥) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٢٠/٥.

(٦) المرجع السابق ٢١/٥.

وكقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وهذه الآيات فيها قياس الإعادة على ما هو أبلغ منها، فإن إمكان خلق الأعظم، والقدرة عليه، دالان على حصول ذلك فيما هو دونه، ولاشك أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق البشر كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧] [(١)].

المطلب الثاني: حقيقة البعث:

يقرر الشيخ رحمه الله أن البعث يكون للأجسام والأرواح يقول رحمه الله: (وبديهي أن البعث يكون للأجسام، ولا يكون للأرواح وحدها، وإلا ما كان ذلك التعجب منهم[(٢)]، ولكان الرد عليهم هو التسليم بامتناع أن تعود الحياة إلى الرميم من الأجسام، بل يكون الجواب السهل اليسير أن البعث يكون للأرواح لا لكل الأجسام التي صارت رميماً... فالبعث على حسب نصوص القرآن مادّي، وليس بروحي فقط كما توهم بعض الفلاسفة وإن الإيمان بالقرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم يوجب ذلك)[(٣)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]: (في هذا النص الكريم ما يثبت أن حياتهم في هذه الفترة التي تكون بين الاستشهاد والحساب والثواب حياة كريمة سعيدة هنيئة، لأن فيه التصريح بأنهم عند ربهم الذي خلق الكون وخلقهم، والذي جاهدوا في سبيله، وقاتلوا وقتلوا، وإذا كانوا عنده فهم عند من يكرمهم ومن يجازيهم جزاء

---

(١) انظر الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد د. سعود العريفي ص٥٦٦.

(٢) أي الكفار المنكرين للبعث.

(٣) العقيدة الإسلامية ص٥٧.

عاجلاً، حتى يكون الجزاء الأوفى والنعيم المقيم، عندما تتصل أرواحهم الطاهرة بأجسادهم التي يعيدها الله سبحانه وتعالى إليهم في سعادة وحبور)(١).

ويقول أيضاً في ندوة عن الحياة الآخرة منكراً على من يزعم أن العذاب والنعيم والبعث معنوي وليس حسياً: (إننا بعد المعجزة وبعد ثبوت الإعجاز في القرآن أصبح كل مسلم مطالباً بان يؤمن بكل ما في القرآن، فهل من يقول إن العذاب والنعيم والبعث روحي يعد مؤمناً بالقرآن أم لا؟

نقول أنه بلا شك نصوص القرآن صريحة، وقد تفضل الإخوان فتلوا الآيات الكثيرة التي تدل بظاهرها على أن البعث جسمي وروحي، لان الإنسان جسم وروح، والذي يبعث هو الإنسان، وأن النعيم نعيم حسي وروحي معاً، وهناك شاهد صريح وهو قصة أهل الكهف التي تدل على أن الشخص يموت أو يبقى في حكم الميت ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم بعد ذلك يتبين أنه حي يرزق، هذا كله بلا شك صريح في أن آيات القرآن تدل على البعث الجسماني)(٢).

ويقول أيضاً: (إن آيات القرآن الكريم صريحة في البعث، وظاهرها يدل على أنه بالجسد كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] ولا أحسب أن القائل بأن البعث بالروح فقط له تأويل ظاهر ينجيه، ويصادم ظاهر القرآن أو ينفيه، والله أعلم به)(٣).

النقـد:

ما قرره الشيخ من أن البعث يكون للأجسام والأرواح موافق لقول أهل السنة والجماعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

---

(١) زهرة التفاسير ٣/ ١٥٠٣.

(٢) مجلة لواء الإسلام- عدد (٣) سنة (١٣) ذو القعدة ١٣٧٨هـ ص١٩٩.

(٣) فتاوى الشيخ أبو زهرة ص ١٢٥.

أحدها: وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى...

والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط، كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة، وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين، أو جمهور المسلمين، وذلك غلط، فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا هو قول جمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة، الذين ذمهم السلف والأئمة.

والقول الثالث: المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط، وأن الأبدان لا تعاد وهذا لم يقله أحد من أهل الملل، لا المسلمين، ولا اليهود، ولا النصارى بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان، وعلى القيامة الكبرى. ولكن من تفلسف من هؤلاء، فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على أن المعاد للروح وحده، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان، وإن لم يكن له حقيقة.... وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة، وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء من المسلمين واليهود، والنصارى....

والقول الرابع: إنكار المعادين جميعاً، كما هو قول أهل الكفر من العرب، واليونان، والهند، والترك وغيرهم)[1].

وبهذا يتبين موافقة الشيخ لأهل السنة في إثبات معاد الأرواح والأجساد معاً، لكن مما لا يسلم للشيخ هو تساهله في الحكم على من يثبت المعاد الروحاني فقط،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦/ ٧- ١١.

فإن القول بالمعاد الروحاني هو قول الفلاسفة[١] وهو يؤدي إلى إنكار بعث الأجساد، وأن الروح لا يمكن أن تعود إلى البدن بعد الموت البتة يقول ابن سينا في ذلك: (لكنا نبين بياناً برهانياً أنه لا يمكن أن تعود النفوس بعد الموت إلى البدن البتة)[٢].

وقد جاءت النصوص صريحة في إثبات معاد الأبدان بما لا يقبل التأويل بوجه من الوجوه، كما ذكر ذلك الشيخ بقوله: (ولا أحسب أن القائل بأن البعث بالروح فقط له تأويل ظاهر ينجيه، ويصادم ظاهر القرآن أو ينفيه)[٣].

ومن النصوص الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩] وسبب نزول هذه الآيات كما ورد عند الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعدما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت الآيات من آخر يس)[٤].

يقول بن جرير الطبري: (ومثَّل لنا شبهاً بقوله من يحيي العظام وهي رميم) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق (ونسي خلقه) يقول: ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقاً سوياً ناطقاً، يقول: فلم يفكر في خَلْقِنَاه، فيعلم أن من خلقه من نطفة

---

(١) انظر الرسالة الأضحوية لابن سينا ص١٢٢، والنجاة له أيضاً ص ٢٩١، ٣٠٧ وللاستزادة انظر الوعد الأخروي شروطه وموانعه د. عيسى السعدي ١/ ٢٨٢- ٣٥١.

(٢) الرسالة الأضحوية، لابن سينا ص ١٢٢.

(٣) فتاوى الشيخ أبو زهرة ص ١٢٥.

(٤) المستدرك ٢/ ٢٤٩ والحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي.

حتى صار بشراً سوياً ناطقاً متصرفاً، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهذا المشرك القائل لك: من يحيي العظام وهي رميم؟ (يحييها الذي أنشأها أول مرة) يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئاً...)[1] ولهذا فقد أنكر العلماء هذا القول، وكفروا صاحبه.

يقول الإمام الغزالي[2]: (تكفيرهم لابد منه في ثلاث مسائل: إحداها: مسألة قدم العالم وقولهم: إن الجواهر كلها قديمة، والثانية: قولهم: إن الله تعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص، والثالثة: إنكارهم بعث الأجساد وحشرها، فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الإسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه- وأنهم ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحة، تمثيلاً لجماهير الخلق وتفهيماً، وهذا هو الكفر الصراح الذي لم يعتقده أحد من فرق المسلمين)[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (كل من سمع القرآن والأحاديث المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين لذلك علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بمعاد الأبدان، وأن القدح في ذلك كالقدح في أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق ونحو ذلك)[4].

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ٤٦٥.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الشيخ الإمام البحر، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، برع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عَيْنَ المناظرين، ألف في الأصول، والفقه، والكلام، والحكمة، أدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزالِّ الأقدام، كانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين توفي عام ٥٠٥هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩.

(٣) تهافت الفلاسفة ص٢١٩.

(٤) شرح الأصفهانية ص ١٦٩- ١٧٠.

ويقول أيضاً: (الأكل والشرب في الجنة: ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع المسلمين وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام... لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين: إما كافر، وإما منافق.

أما الكافر فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها.

وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون: لا بمعاد الأرواح؛ ولا الأجساد. وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح، والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك: بياناً في غاية التمام، والكمال.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم: من كاتب، أو متطبب، أو متكلم، أو متصوف، كأصحاب "رسائل إخوان الصفا" وغيرهم، أو منافق، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها)[١].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٣١٣- ٣١٥.

ومما يلحق بالإيمان باليوم الآخر والبعث، الإيمان بالصور، والميزان، والشفاعة، وسوف أبين موقف الشيخ أبو زهرة منها.

أولاً: الصـــــور:

تطرق الشيخ للحديث عن الصور والنفخ فيه في أربعة مواطن من تفسيره ومع أنه نقل كلام الإمام القرطبي في المراد بالصور وكذلك كلام الراغب الأصفهاني إلا أنه لم يفسر الصور كما فسروه، وإنما تأول المراد بالصور والنفخ فيه بأنه تصوير لجمع الأموات وبعثهم، وأنه لا يتجاوز النداء كالقائد ينفخ في البوق فيجتمع الجند. يقول في ذلك: (والصور كما يقول القرطبي قرن من نور ينفخ فيه بقدرة الله تعالى فيكون الجمع مما بعث في القبور من بعده الحساب والعقاب أو الثواب) [(١)].

ويقول أيضاً عند قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢] : (والصور: هو البوق، وقد قال الراغب الأصفهاني في المفردات: (قيل هو مثل قرن ينفخ فيه، فيجعل الله سبحانه وتعالى ذلك سبباً لعود الصور والأرواح إلى أجسادها، وروى في الأثر أن الصور فيه صورة الناس كلهم وعلى ذلك يكون للنفخ في الصور معنيين أحدهما: أنه بوق يجمع الله تعالى بالنفخ فيه الأجزاء المتفتتة في الأرض فتعود صورها وأرواحها، والثاني: أن صور الأجساد المتفتتة فيه ينفخ فيها فتكون أجساداً حية فيها أرواحها.

وعندي أن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ تصوير لجمع الأموات وبعثهم بأنه لا يتجاوز النداء كقوله (كن فيكون) كالقائد ينفخ في البوق فيجتمع الجند بل إنه أسرع من لمح البصر، إذ يكفي النداء من رب العزة فيجتمع الجميع)[(٢)] وعلى هذا التفسير الذي يرتضيه الشيخ فلا يكون للصور حقيقة عنده عفى الله عنه.

---

(١) زهرة التفاسير ٢٥٥٨/٥

(٢) زهرة التفاسير ٤٧٨٤/٩ وانظر أيضاً ٤٥٩٢/٩، ٥١١٩/١٠.

النقـد:

ما ذهب إليه الشيخ من تأويل الصور وعدم إثبات حقيقته قول مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن الإيمان بالصور ثابت بالكتاب والسنة، فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣] يقول ابن جرير الطبري (بعد أن ذكر الاختلاف في معنى الصور: (والصواب في القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته، ينتظر متي يؤمر فينفخ" وأنه قال: " الصور قرن ينفخ فيه") [(١)] ويقول ابن كثير: (واختلف المفسرون في قوله "يوم ينفخ في الصور" فقال بعضهم المراد بالصور هنا جمع صورة أي يوم ينفخ فيها فتحيا .قال ابن جرير كما يقال سور لسور البلدوهو جمع صورة ، والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام) [(٢)].

وقــوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] وغيرها من الآيات.

وأما الأحاديث التي ورد فيها ذكر الصور والنفخ فيه فكثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. قال ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث.."[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري ٥/٢٣٧– ٢٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٥١.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام برقم ٢٣٧٣، ج٤/١٨٤٤.

وما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري[1] رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر..." [2].

وكذلك حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: " جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ قال: "قرن ينفخ فيه" [3].

ثانياً: الميـــزان

تطرق الشيخ للحديث عن الميزان والمراد به في ثلاثة مواطن من تفسيره وذكر أقوال المفسرين في المراد بالميزان أهو ميزان حقيقي حسي أم هو كناية عن عدل الله تبارك وتعالى وإحقاقه للحق، ومال عفى الله عنه إلى الثاني ونسبه إلى بعض السلف كمجاهد والأعمش والضحاك يقول عند قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨- ٩]: (وهنا موضوع يجب أن نذكره وهو يتعلق بقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ ﴾ وقــوله تعــالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أيكون يوم القيامة وزن حقيقي حسي

---

(١) هو الإمام المجاهد مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخزرجي، استشهد أبوه يوم أحد، وشهد الخندق، وبيعة الرضوان، حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر وأطاب، كان أحد الفقهاء المجتهدين توفي عام ٧٤هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦٥/٣، وسير أعلام النبلاء ١٦٨/٣.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم ١١٠٣٩، ج٨٩/١٧ قال عنه محققه حديث صحيح ورواه أيضاً الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور برقم ٢٤٣١، ج٦٢٠/٤ وقال عنه حديث حسن، وصححه ابن حبان برقم ٨٢٣، ج١٠٥/٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند برقم ٦٥٠٧، ج٥٣/١١ قال عنه محققه إسناده صحيح ورواه أيضاً الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور برقم ٢٤٣٠ ج٦٢٠/٤ وقال عنه حديث حسن، ورواه أيضاً أبو داود في كتاب السنة، باب في ذكر البعث والصور برقم ٤٧٤٢ ج٢/ ٦٤٩، وصححه ابن حبان برقم ٧٣١٢ ج٣٠٣/١٦.

وموازين حقيقية حسية ؟ أم هذه كناية عن إحقاق الحق وأن يعطى كل امرئ حقه، فلا يضيع لمحسن حسنة، ولا يحمل مسيء فوق إساءته؟

نقول في الجواب عن ذلك: إننا نؤمن الإيمان كله بأن يوم القيامة ونعيم الجنة وعذاب جهنم وغيرها من أحوال اليوم الآخر كلها حسي، ولكن نميل إلى قول ابن عباس إلى أن المذكور في القرآن عن نعيم وطعام الذين كتبها الله تعالى لهم مجازى مقرب فإذا كان فيها فاكهة ورمان وخمر لذة للشاربين وعسل مصفي، وغير ذلك فإن ذلك مجاز مقرب وليس كطعامنا في الدنيا ،إنما هى فاكهة أعلى من فاكهتنا ،وليس لها لغة إلا ما تقربه لغتنا ....

بعد هذا نقول: أن قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ أهو وزن محسوس بميزان محسوس يوم القيامة ؟ فنقول مقلدين بعض المفسرين أن ذلك مجاز عن أن كل ذي حق يأخذ حقه بالحق لا ينقص ولا يزاد عليه شيء إلا أن يكون ذلك من رحمته تعالى وغفرانه.

وأنه يكون ثمة استعارة أو تشبيه، شبهت عدالة الله تعالى يوم القيامة، وهو لا يظلم شيئاً بالميزان الذي توزن به الأشياء التي تخف الكفة فيها وتثقل، وذلك لدقة الحكم، ونسب ذلك القول إلى مجاهد[1] والأعمش[2] والضحاك[3].

---

(١) هو مجاهد بن جبر المكي الأسود، أبو الحجاج إمام حافظ مفسر، من أئمة التابعين، توفي عام ١٠٢هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩.

(٢) هو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي، الإمام الحافظ شيخ المقرئين والمحدثين، توفي عام ١٤٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٦.

(٣) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، الخراساني، اشتهر بالتفسير كان من أوعية العلم، وليس بالمجوّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه، توفي عام ١٠٢هـ وقيل غير ذلك، انظر سير أعلام النبلاء ٤/٥٩٨.

وقد قال هذا أبو السعود [١] في تفسيره وذكره الغزالي في كتابه: (المضنون به على غير أهله)...... وفي مقابل ذلك الرأي المجازي الذي قاله من السلف مجاهد والأعمش والضحاك، وقاله الغزالي وأبو السعود، ونميل إليه، قول آخر وهو أن كل ما ذكره عن اليوم الآخر من الميزان والصراط وغير ذلك حسي حقيقي يجري على ظاهره، لأن المجاز حيث تتعذر الحقيقة، ولا تتعذر الحقيقة هنا، فلا مسوغ للتأويل، وعلى ذلك الأكثرون) [٢].

ويقول أيضاً عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]: (هو وضع معنوي، أي رصدنا الأعمال رصداً وحسبناها حساباً بخيرها وشرها، للإنسان أو عليه، ويصح أن يكون هناك ميزان محسوس يوم القيامة توزن به الأعمال، ولكنا نميل إلى التفسير الأول، ولقد ذكر ابن عباس أن كل ما يكون يوم القيامة هو من جنس مثله في الدنيا، ولكنه غيره، وذكره تقريب للعقول، ولا مانع أن يكون محسوساً، ولكنه غير الموازين التي نراها في الدنيا وذكرها تقريب لما عندنا والله أعلم)[٣].

ويقــول عند قوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣] : (وقد صور الله الأعمال بأنها كالمحسوسات توزن فإن كانت جيدة يقبلها الله تعالى، فإنها تكون في الميزان وتنخفض كفتها لثقلها، وإن ذلك تصوير

---

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، نشأ في بيت عرف أهله بالعلم والفضل، قرأ كثيراً من كتب العلم على يد والده، تولى التدريس في كثير من المدارس التركية ثم قُلِّد القضاء والإفتاء، مات بالقسطنطينية عام ٩٨٢هـ.

انظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ١/ ٣٥٣.

(٢) زهرة التفاسير ٥/٢٧٩٠– ٢٧٩٢.

(٣) زهرة التفاسير ٩/ ٤٨٧٥.

للأعمال الراجحة المقبولة التي كانت مع الحق، ونفعت الناس، وكانت صالحة، وهذا تأويل حسن للميزان، بأنه تصوير دقيق للعدالة الربانية التي لا تبخس الناس أشياءهم، ولا تنقص الناس أعمالهم، والسلفيون الذين لا يؤولون، ولا يفسرون ويقولون: إنه يكون يوم القيامة ميزان حقيقي توزن به الأعمال.... هذا جزاء من ثقلت موازينه أما من خفت موازينه فقد قال سبحانه فيه ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣] وإن ذلك تصوير لعدل الله تعالى الذي لا يظلم أحداً، فهو كالميزان الذي توضع فيه الأعمال، فلا يظلم أحد شيئاً أو يكون ثمة ميزان حقيقي، كما يقول السلفيون الذين يقولون: إن السلف لا يؤول، ولكن يفوض، ويقول ثمة ميزان يناسب اليوم الآخر)[١].

النقــد:

ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من تأويل الميزان مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة وهو باطل من وجوه

الوجه الأول: أن الميزان ثابت بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب فقد ورد ذكره في عدد من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

يقول الإمام ابن جرير الطبري عن تفسيره لهذه الآيات: (قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك هو الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات كما قال جل ثناؤه: (فمن ثقلت موازينه) موازين عمله

---

(١) المرجع السابق ١٠/ ٥١٢٠.

الصالح (فأولئك هم المفلحون) يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما وضع في الميزان شيئ أثقل من حسن الخلق"، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الأعمال على ما وضعت" [(١)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣] وغيرها من الآيات وأما الأحاديث التي تثبت الميزان وأنه ميزان حقيقي توزن فيه الأعمال فكثيرة جداً منها ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم" [(٢)].

وما رواه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي مالك الأشعري[(٣)] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان... " [(٤)].

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٤٣٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح برقم ٦٠٤٣ ج٥/ ٢٣٥٢
ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح برقم ٢٦٩٤ ٤/٢٠٧٢.

(٣) قيل اسمه الحارث بن الحارث، وقيل: عبيد، وقيل: عبدالله، وقيل: عمرو، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: عامر بن الحارث بن هانئ بن كلثوم، صحابي جليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٨/ ٤١٦.

(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم ٢٢٣ ١/ ٢٠٣

وكذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنه ليأتي الرجـل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جنـاح بعوضـة. وقال: أقـرؤوا أن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] [١].

وغيرها من الأحاديث.

وأما الإجماع فقد حكاه جماعة من أهل العلم منهم الإمام الأشعري[٢] والإمام ابن بطة العكبري[٣]، واللالكاني[٤]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٥]، وابن حجر[٦] وغيرهم.

الوجه الثاني:

أنه ورد عند الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال: "أنا فاعل"، قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: "اطلبني أول ما تطلبني على الصراط" قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: " فاطلبني عند الميزان" قلت: فإن لم ألفك عند الميزان؟ قال: " فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن" [٧].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم، برقم ٤٤٥٢- ج٤/ ١٧٥٩ ، ورواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٧٨٥ ج٤/٢١٤٧.

(٢) انظر رسالة إلى أهل الثغر ص١٦١.

(٣) انظر الشرح والإبانة. لابن بطة ص ٢٢٢.

(٤) شرح أصول الاعتقاد ١/ ١٩٩.

(٥) مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٥.

(٦) فتح الباري ١٣/ ٥٤٨.

(٧) مسند الإمام أحمد برقم ١٢٨٢٥ ج٢٠/٢١٠، والترمذي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصراط برقم ٢٤٣٣ ج٤/٦٢١ وقال عنه حسن غريب وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج٢/٢٩٣.

فلو لم يكن الميزان مرئياً محسوساً لما أحاله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطلب عنده[1].

الوجه الثالث:

أنه يقال لمن أنكر الميزان وأوله: إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة، ويخفف موازين أخرين، والأخبار تظاهرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيقه ذلك، فما الذي أوجب لك تأول الميزان أن يكون هو الميزان الذي يتعارفه الناس؟ أحجة عقل تُبْعد أن ينال وجه صحته من جهة العقل؟ وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان، خروجٌ من حكمة، ولا دخول في جور في تصفية، فما الذي أحال ذلك عندك من حجة عقل أو خبر؟ إذا كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين ولا سبيل إلى ذلك وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين، وضوح فساد قوله، وصحة ما قاله أهل السنة والجماعة في ذلك[2].

الوجه الرابع:

إذا قلنا: إن المراد بالميزان: العدل، فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان، بل نعبر بالعدل، لأنه أظهر في الدلالة على المراد من كلمة ميزان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠] [3].

الوجه الخامس:

أن تأويل الميزان بالعدل فيه فتح الباب للفلاسفة والملاحدة أن يؤولوا أمور الآخرة كالصراط والجنة والنار والملائكة بأنها ألفاظ يراد بها غير الظاهر يقول

---

(١) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لابن عطية الأندلسي ٢/٣٧٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٥/ ٤٣٤.

(٣) انظر شرح الواسطية، لابن عثيمين ٢/ ١٤٠.

الإمام القرطبي عن القشيري[١]: (.. لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصاً)[٢].

وما اعتمد عليه الشيخ أبو زهرة وغيره من أن بعض السلف كانوا يؤولون الميزان بالعدل كمجاهد، والأعمش والضحاك فيمكن أن يجاب عنه بما يلي:

أولاً: أنهم فسروا الميزان في بعض المواطن بالعدل والقضاء فإنه لا ينفي أن يكون ثمة ميزان حقيقي، فيكون تفسيرهم باللازم لأن الميزان أداة العدل.

ثانياً: أن مجاهد فسر قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾[الأعراف: ٨] بوزن الأعمال فقد روى الطبري من طريقين عن مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨] (قال[٣]: قال عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل العظيم الاكول الشَّروب، فلا يزن جناح بعوضة)[٤] وكلام عبيد بن عمير هنا يوضحه نقل آخر نقله الطبري عن عمرو بن دينار قال: (سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب)[٥].

---

(١) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري، الخراساني، الشافعي، الصوفي، المفسر، تعلم الفروسية والعمل بالسلاح وبرع في ذلك ثم تعلم الكتابة والعربية، وجوَّد، له عدة مؤلفات منها التفسير الكبير، والرسالة، وأحكام السماع وغيرها. توفي عام ٤٦٥هـ.
انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٠٧.

(٣) أي مجاهد.

(٤) تفسير الطبري ٥/٤٣٢.

(٥) المرجع السابق ٥/٤٣٣.

وأما الأعمش والضحاك فلم أجد النقل عنهم في كتب التفسير بالمأثور وإنما وجدت كلام الضحاك عند الزجاج في معاني القرآن. وقد أورده الزجاج بصيغة التمريض حيث قال: (وقد روي عن جرير عن الضحاك أن الميزان العدل، والله أعلم بحقيقة ذلك...) [١].

ثالثاً: آراؤه في الشفاعة:

تمهيد : في معنى الشفاعة لغة واصطلاحاً :

الشفاعة لغة: مأخوذة من الشفع وهو خلاف الوتر يقول ابن فارس: (الشين الفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، والشفع خلاف الوتر) [٢].

ويقول ابن منظور: (الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول: كان وتراً فَشَفَعْتُهُ شَفْعاً، وشَفَعَ الوتر من العدد شَفْعاً: صيره زوجاً) [٣]، ويقال وناقة شفوع، وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة، ويقال أيضاً شُفْعَةُ الضحى: أي كفتا الضحى، لأنها أكثر من واحدة.

وشَفَع لي يَشْفَعُ شَفَاعَةً وتَشَفَّعَ: طلب والشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، والجمع شُفَعَاء، واسْتَشْفَعَ بفلان على فلان وتشفع له إليه تشفعه فيه، واستشفعه طلب منه الشفاعة أي قال له لي شافعاً [٤].

وجاء في النهاية لابن الأثر: (يقال شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع والمُشَفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمُشَفَّع: الذي تقبل شفاعته) [٥]، فمما تقدم يتبين لنا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة.

(٣) لسان العرب، ١٦٧/٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١٦٧/٥-- ١٦٩ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ص٤٨٤.

أن المادة تدور حول ضم الشيئين ومقارنتهما، وأنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر.

وأما الشفاعة اصطلاحاً:

فقد ذكر العلماء عدة تعاريف لها وعند التأمل فيها نجد أنها تدور حول أمرين إما جلب نفع أو دفع ضر. فبعض التعاريف تحصرها في جلب النفع كما في تعريف السفاريني (بأنها (سؤال الخير للغير) [1]، وبعض التعاريف تجعلها في دفع الضر كما في تعريف ابن الأثير فقد عرفها بقوله: (هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم) [2]، فالسفاريني جعلها في جلب النفع والخير وابن الأثير جعلها في دفع الضر والحقيقة أن الشفاعة لا تختص بواحد منهما فهي تشمل الأمرين ولذلك جمع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بينهما فقال الشفاعة: (التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة) [3]، وهذا تعريف حسن لأنه يشمل الأمرين معاً.

رأيه في الشفاعة :

يثبت الشيخ رحمه الله الشفاعة، لأنها وردت في القرآن الكريم يقول في ذلك: (قد ثبتت الشفاعة بالقرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۝٢٥٥ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨] ... [4]وهكذا جاءت النصوص القرآنية تثبت الشفاعة، ولكن هي مقيدة دائماً بأنها لا تكون إلا لمن أذن له الرحمن، وعلى ذلك لا يمكننا أن ننكر أن الشفاعة ثابتة يوم القيامة) [5]، إذن من خلال النص السابق يتبين

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسافيني، ٤٠٢/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث، ص٤٨٤- ٤٨٥.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ١٦٨/٢.

(٤) العقيدة الإسلامية، ص٦١.

(٥) زهرة التفاسير، ٣٥١٢/٧.

لنا أن الشيخ يثبت الشفاعة، لكن حينما نتأمل أكثر في كلام الشيخ عن أنواع الشفاعة ومفهومها، نجد أن الشيخ غير واضح المعالم في كلامه عنها، فأحياناً تفهم من كلامه أنه يميل لرأي المعتزلة كما في كلامه عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة يونس: ٣] : (هذا إنذار للذين يعصون من خلقه بأنهم عند العذاب لا تنفعهم شفاعة الشافعين وما لهم من شفيع يشفع ولا قربة يفتدون بها أنفسهم فإنه لا شفيع إلا من بعد إذنه) ويقول عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة طه:١٠٩] : (وهذه الشفاعة تكريماً للشافع، وليست استنزالاً لعقاب، أو زيادة في ثواب، فالله سبحانه يعلم الجزاء حق العلم وإنما هي إظهار لكرامة الكرماء عند الله العزيز الحكيم، الذي علم كل شيء فقدره تقديرا وما قدره في علمه واقع لا محالة، فإن كان الشفاعة شفيع وقع ما كتب على أنه استجابة لشفاعة اختص بها كريماً مكرماً ... وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ كأنه لابد من شرطين لقبول الشفاعة وهو إذن الله تعالى، ولا يكون الإذن إلا من مرضي القول مقبول، لأنه تكريم من الله عز وجل لأجل الاستقامة، والعدالة في القول، فلا يشفع لأثيم، وقلنا: إن هذا يكون تكريماً للشفيع ولرحمة العباد، وهو مقدر في علمه المكنون، فالشفاعة لا تغير مقدوراً، ولكن تنفذ المقدور ...) [١].

ويقول أيضاً بعد أن قرر أن الشفاعة ثابتة بالنصوص القرآنية: (ولكن هذه الشفاعة لا تفيد أنها تستنزل الله تعالى عن حكمه، وعما قرره في شأن عباده لأنها لا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن يعهد الله تعالى إليه بالشفاعة) [٢]. وأحياناً تفهم من كلامه أنه يخالف المعتزلة ويقول بقول أهل السنة في الجملة فيقول في كتابه العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم : (وقد وردت السنة مبينة أن النبي صلى الله

(١) زهرة التفاسير، ٩/٤٧٨٩- ٤٧٩٠.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص٦٢.

عليه وسلم يشفع في بعض من أذنبوا بعد أن يحاسبوا بأمر من الله تعالى، فهي رفع لمنزلته صلى الله عليه وسلم، وإنزال له صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود الذي ينزله الله تعالى فيه يوم القيامة) [١]، وله كلام أوضح من هذا في مجلة لواء الإسلام في ندوة عن الشفاعة حيث يقول: (ونحن نرى أن الله سبحانه وتعالى، ذكر أن الشفاعة بإذنه، وأن الأحاديث قد تدور في الشفاعة، ونرى قبول ما جاءت به الأحاديث، وما جاء بالقرآن الكريم، على أننا لا نكفر من أنكر الشفاعة التي جاءت بالأحاديث، والخلاصة أن الشفاعة لا تكون للكفار، وقد وردت الأحاديث بأنها تكون لأهل القبلة، وأنها للنبي صلى الله عليه وسلم، على أن من ينكر شفاعة النبي يوم القيامة لا يعد كافراً، لأن ذلك ثبت بأحاديث غير متواترة، وما يفسد الاعتقاد هو إنكار ما جاء به القرآن أو جاءت به أحاديث متواترة) [٢].

النقد :

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة فمن القرآن قوله تعالى: :﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة طه:١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النجم: ٢٦]، فهذه الآيات وغيرها صريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة، وأنها تكون بعد إذن الله تبارك وتعالى للشافع أن يشفع، ورضاه تعالى عن المشفوع له، والله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

---

(١) المرجع السابق، ص٦٢.

(٢) مجلة لواء الإسلام، السنة الرابعة عشرة، العدد التاسع، جمادى الأولى، سنة ١٣٨٠هـ ص٥٨٠.

يقول ابن القيم: (ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذ ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له، وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأول ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ (٢٥٥)﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد، وإتباع الرسول ... فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وإتباع رسوله) [١].

وأما من السنة فالأحاديث في ذلك متواترة يقول ابن أبي عاصم: (والأخبار التي روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فيما فضله الله به من الشفاعة وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا، والصادَّ عن الأخبار الموجبة للعلم المتواترة كافر) [٢].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده) [٣].

وسأذكر بعضاً منها فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة) [٤]. وفي رواية: (لكل نبي دعوة

---

(١) مدارج السالكين، ١/٣٣٩- ٣٤٠.

(٢) السنة لابن أبي عاصم، ٢/٣٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢/٢٠٩. وانظر أيضاً: شرح صحيح مسلم للنووي، ٣/٣٧. ونظم المتناثر للكتاني.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، برقم ٥٩٤٥، ٥/٢٣٢٣. وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان، باب اختبار النبي صلى الله عيه وسلم دعوة الشفاعة لأمته برقم ١٩٨، ١/١٨٨.

مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يــوم القيامــة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) [١]. ومنهــا مــا رواه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم: (أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً) [٢].

وكذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً وهو حــديث طويل وفيه: (... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكــة، وشــفع النبيــون، وشــفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ...) [٣]، وكذلك ما رواه مسلم مــن حــديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أما أهــل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصــابتهم النــار بذنوبهم أو قال بخطاياهم، فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أُذن بالشفاعة فجــيء بهم ضبائر ضبائر [٤]، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) [٥]. وقد ألف الحافظ الــذهبي رحمــه الله كتاباً في إثبات الشفاعة جمع فيه كثيراً من الأحاديث التي أثبتت الشفاعة [٦].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته برقم ١٩٩، ١/١٨٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول الناس يشفع في الجنة..) برقم ١٩٦، ١/١٨٨

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) برقم ٧٠٠١، ٦/٢٧٠٦. ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريقة الرؤية، برقم ١٨٣، ١/١٧٠ واللفظ لمسلم.

(٤) ضبائر جمع ضِبَارة بفتح الضاء وكسرها، والكسر أشهر، ويقال فيها أيضاً: إضبارة: الضبائر: الجماعات في تفرقة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص٥٣٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم ١٨٤، ٣/٣٧ .

(٦) وقد طبع الكتاب بتحقيق إبراهيم باجس عبدالمجيد، بدار أضواء السلف.

والقول بمقتضى هذه النصوص الشرعية هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وانعقد عليه إجماعهم وممن نقل الإجماع اللالكائي عن أبي حاتم [(١)]، وأبي زرعة [(٢)]، رحمهما الله قالا: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً – فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص... والشفاعة حق)[(٣)]، وحكى الإجماع أيضاً أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر فقال: (أجمعوا – أي السلف – على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً) [(٤)].

ويقول أبو عثمان الصابوني رحمه الله: (ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر) [(٥)].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما شفاعته – صلى الله عليه وسلم– لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية [(٦)]) [(١)].

---

(١) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، الرازي، محدث حافظ، من أئمة السلف وأعلامهم، توفي عام ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٢٩.

(٢) عبيد الله بن عبدالكريم القرشي مولاهم الرازي، محدث حافظ، من أئمة السلف وأعلامهم، من مؤلفاته الضعفاء والمتروكون، توفي عام ٢٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٦٥/١٣.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ١٩٨/١.

(٤) رسالة إلى أهل الثغر، ص١٦٤.

(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٥٨.

(٦) الزيدية فرقة من فرق الشيعة، ينتسبون إلى زيد بن علي المتوفي سنة ١٢٢هـ. ويقولون بإمامته، لكنهم لا يحصرون الإمامة في أولاد الحسين رضي الله عنه وإنما يحصرونها في أولاد فاطمة رضي الله عنها من غير تحديد بأحد منهم، فكل من اجتمعت فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد، وخرج داعياً لنفسه بالإمامة، يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين، وهم طوائف منهم الغلاة الذين يسبون الشيخين ويكفرونهما، ومنهم الذين لا يكفرون الشيخين ولا يسبونهما ويتولونهما ، ويرون صحة إمامتهما، مع أنهم يرون أن علي بن أبي طالب أفضل منهما، لكنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الفاضل. انظر: مقالات الإسلاميين، ١٣٦/١. والتنبيه والرد للملطي، ص٤٥. والفرق بين الفرق للبغدادي، ص٢٢. والملل والنحل للشهرستاني، ص١٥٤. وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام لغالب عواجي، ١٥٩/١.

إذن تبين لنا ثبوت الشفاعة من نصوص الكتاب والسنة والإجماع، والذي يؤخذ على الشيخ في كلامه عن الشفاعة أمور :

الأمر الأول: قول الشيخ أن الأحاديث التي وردت في الشفاعة أحاديث آحاد وليست متواترة، وقد سبق أن بينت أن الأحاديث التي وردت في إثبات الشفاعة وأنواعها أحاديث متواترة وليست آحاد كما يزعم الشيخ، وهذا يدل على عدم إلمام الشيخ رحمه الله بالسنة النبوية وضعف بضاعته في علم الحديث، ومن الأمثلة التي تدل على أن الشيخ ضعيف البضاعة في علم الحديث ما ذكره أن نزول عيسى بن مريم عليه السلام ورد بأحاديث آحاد وكذلك أخبار المسيح الدجال، يقول رحمه الله: (فهذه هي أصول العقيدة، ذكرناها معتمدين على النصوص الصريحة القطعية من كتاب الله مفسرة من السنة فيما يحتاج منها إلى تفسير وتركنا ما لم يثبت إلا بأخبار الآحاد كنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وكأخبار المسيح الدجال) [٢]، ولاشك أن كلامه غير صحيح فأن الأخبار التي روت نزول عيسى عليه السلام أخبار متواترة [٣] وليست آحاد وكذلك أخبار المسيح الدجال أيضاً أخبار متواترة[٤].

الأمر الثاني: أن ظاهر كلامه أنه يقصر الشفاعة فقط على النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله: (وأنها للنبي صلى الله عليه وسلم) وهذا أيضاً لا يسلم للشيخ فإن الشفاعة ليست مقصورة على النبي صلى الله عليه وسلم، بل الملائكة والأنبياء والمؤمنون، وغيرهم يشاركون النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/١٤٨.

(٢) العقيدة الإسلامية، ص٦٣.

(٣) انظر: السنن الواردة في الفتن وغوائلها لأبي عمرو الداني، ١٢٣١/٦. انظر: تفسير ابن كثير، ٥٩٠/١. وفتح الباري لابن حجر، ٥٦٩/٦. والتصريح بما تواتر من نزول المسيح لمحمد أنور الكشيمري، ص٥٦. ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكناني، ص١٤٧.

(٤) انظر: السنن الواردة في الفتن وغوائلها لأبي عمرو الداني، ١١٤٣/٦ .

في بعض أنواع الشفاعة، وقد ذكرت بعض الأحاديث الدالـــة علـــى ذلـــك كالشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، والشفاعة في قـــوم دخلـــوا النار أن يخرجوا منها، فهذه الأنواع ليست خاصة بالنبي صـــلى الله عليـــه وسلم، وإن كان صلى الله عليه وسلم هو المقدم فيها. وليس المراد هنا ذكـــر أنواع الشفاعة وأدلتها فإن ذلك مبسوط في كتب أهل العلم(١)، وإنما المـــراد فقط التنبيه على ما في كلامه من تقصير. والله الموفق.

المبحث الثالث: آراؤه في الجنة والنار

تحدث الشيخ أبو زهرة عن الجنة والنار من خلال تفسيره للآيات التي ورد فيها ذكر للجنة والنار وسيكون الكلام في هذا المبحث في مطلبين الأول عن خلقهما ووجودهما الآن.

والثاني: عن بقائهما ودوامهما.

المطلب الأول: رأيه في خلق الجنة والنار ووجودهما

يرى الشيخ أبو زهرة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن. يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢]: (وعد الله تعالى أن يعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وكان الوعد هو ذات الجنات، لا إعدادها، وفي ذلك إشعار بأنها موجودة

---

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة، ٥٨٨/٢ وما بعدها. والشفا للقاضي عياض، ص٢٥١. والحجة في بيان المحجة للأصبهاني، ٤٢٠/٢ وما بعدها. وشرح صحيح مسلم للنووي، ٣٧/٣- ٣٨. ومجموع الفتاوى، ١١٦/١، ١٤٦، ١٤٧- ١٨٤/١١- ١٨٥. وشرح العقيدة الطحاوية، ص٢٢٩. وفتح الباري، ٤٣٤/١١- ٤٣٦. ومعارج القبول، ٨٨٦/٢- ٩٠٦. ولوامع الأنوار البهية، ٢٠٤/٢. والشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها لناصر الجديع، ص٣٥ - ٧٠.

مهيأة قائمة ثابتة، ليس أمامهم إلا أن يدخلوها ولذا لم يذكر دخولها، بل ذكر وجودها...) [١].

ويقول عند قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: (أعدت للمتقين أي هيئت ووضعت للمتقين...) [٢].

النقد:

ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن موافق لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن من اعتقادهم خلق الجنة والنار ووجودهما، وقد ذكر الأئمة في كتبهم اعتقاد أهل السنة بذلك[٣] يقول الإمام أبو عثمان الصابوني[٤]: (ويشهد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان....)[٥].

ويقول العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة...)[٦].

---

(١) زهرة التفاسير ٣٣٧٣/٧.

(٢) المرجع السابق ١٤١١/٣.

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١١٨٤/٦، الحجة في بيان المحجة ٥٠٨/١، التمهيد ١١٥/١٩، درء التعارض ٣٤٥/٨- ٣٤٦، حادي الأرواح ص٣٧، لوامع الأنوار البهية ٢٣٠/٢.

(٤) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني، الإمام الحافظ الواعظ، شيخ الإسلام، من أئمة السلف وأعلامهم له عدة مؤلفات منها عقيدة السلف أصحاب الحديث، والانتصار توفي عام ٤٤٩هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠.

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦٤.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٠.

والأدلة من الكتاب والسنة على ذلك كثيرة جداً فمن ذلك قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢١].

وعن النار قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١] وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ: ٢١ – ٢٣].

وأما من السنة فالأحاديث كثيرة جداً أيضاً منها ما ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات أحدكم، فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة.."[١].

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"[٢].

ويقول صلى الله عليه وسلم: "اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي برقم ١٣١٣-١/ ورواه أيضاً في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة برقم ٣٠٦٨- ١١٨٤/٣، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه برقم ٢٨٦٦ ج٤/ ٢١٩٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة برقم ٣٠٦٩، ج١١٨٤/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة برقم ٣٠٨٧- ج٣/ ١١٩٠.

المطلب الثاني: رأيه في خلود الجنة والنار ودوامهما

يرى الشيخ رحمه الله أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان، وأن نعيم الجنة وعذاب النار دائم غير منقطع يقول عند قوله تعالى: ﴿...وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]: (.. وإن ذلك التعبير السامي كثير الورود في كتاب الله تعالى في مقام العقاب ومقام الثواب، والتعبير عن العقاب والثواب بالنسبة للكافرين والمؤمنين بالخلود، يدل على الدوام السرمدي والبقاء الأبدي، لأن ذلك صريح، ولكن فهم بعض العلماء أن المراد طول المدة لا البقاء الدائم، وأولئك يحسبون أن عذاب النار غير دائم، وذلك لا دليل عليه بل عبارات القرآن صريحة قاطعة، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل الشك في دلالتها، وإنها للجنة أبداً أو للنار أبداً"[1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]: (وإن ذلك الجزاء اتصف بأمور ثلاثة: أولها: أنه نعيم مادي فهو جنات وحدائق فيها كل ما تشتهيه الأنفس. وثانيهما: أن فيها نعيماً معنوياً تلذ به الأعين، وتنشرح له الصدور، وهو أن الأنهار تجري من تحت القصور، فتريهم منظراً بهيجاً يسر الناظرين إليه. وثالثهما: أنها خالدة لا تنقطع ولا تزول، ولا يعرض لها تغيير ولا تبديل)[2].

---

(١) زهرة التفاسير ٢/ ٦٩٣.

(٢) المرجع السابق ٤/١٨٦٨.

ويرى الشيخ رحمه الله أن الآيات التي استدل بها القائلون بفناء النار، ليس فيها دلالة على ما ذهبوا إليه كمثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] وكمثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٦ – ١٠٧] يقول عند تفسيره لآية الأنعام: ("إلا ما شاء الله" فهل هذا الاستثناء يدل على أن النار لها نهاية، تنتهي بمشيئة الله تعالى وأنه لا خلود فيها؟ كذا قال بعض العلماء... ونحن نرى أنه قول يناقض الآيات الكثيرة الواردة في خلود الجنة وخلود النار، وأن الحياة الآخرة ليست إلى فناء، وإنما هي دار البقاء، ولا دار بعدها ينتقل إليها الناس، والنبي صلى الله عليه وسلم في خطبته التي أنذر فيها عشيرته الأقربين، وصدع فيها بأمرربه قال: "إنها للجنة أبدا، أو النار أبدا، وإني لنذير لكم بين يدي عذاب شديد".(١)

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ لا يدل على أنه عذاب غير أبدي، لأنه صرح في النص بأنهم خالدون فيها، ولأنه صرح سبحانه وتعالى بكلمة أبداً في كثير من آياته، فيقول سبحانه: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[التوبة: ٢٢] ولأن كلمة (إلا ما شاء الله) تدل أن الأمر إلى مشيئته عذاباً وغفراناً، وأنه شاء العذاب، وأنه توعد بالتأبيد، وهو لا يخلف الميعاد، والذي نراه ما قلناه من قبل، وهو بيان أن العذاب بمشيئته سبحانه، وإنه إن شاء رفعه، ولكن لم يشأ فبقي الخلود على مدلوله)(٢).

ويقول عند تفسيره لآية هود: (وقد سجل الله تعالى خلودهم فيها، فقال تعالت كلماته: (خالدين فها ما دامت السماوات والأرض) وقوله تعالى: ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ جريا على استعمال العرب في تأكيد دوام الحكم بأمر من الأمور،

---

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩٦/٦،والكامل في التاريخ لابن الاثير ٦٥٩/١،وفقه السيره للالباني ص ٩٧.

(٢) زهرة التفاسير ٥/ ٢٦٦٨– ٢٦٦٩.

فيقولون في بيان دوام العقد: ما بلَّ بحرصوفة، كما قالوا في عقد حلف الفضول[1]، ومقتضى هذا التعبير أنه يجب أن تبقى السماوات والأرض لكي تدوم النار، وإن قيل في هذا الدليل على فنائها مع فناء ما يكون فيها. ولا دليل على أن النار فانية، ولا نهاية، وكذلك الجنة لوجود هذا التعبير لان التعبير يقول (خالدين فيها) جاء في آيات الكتاب الحكيم مطلقاً غير مقيد ببقاء السماوات والأرض، ويعرف ذلك ما يفهم بطريق مفهوم المخالفة لا يعارض النص بإجماع علماء الأصول، وإن الخلود في النار ثابت ثبوت الخلود في الجنة، ونحن في جميع الأحوال خاضعون لإرادة الله تعالى ومشيئته في الدنيا والآخرة)[2].

وما ذهب إليه الشيخ من القول ببقاء الجنة والنار وعدم فنائهما، موافق لقول جماهير أهل السنة والجماعة[3]، وهو الذي تؤيده النصوص من الكتاب والسنة

---

(١) كان هذا الحلف قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة، وشهده النبي صلى الله عليه وسلم في دار عبدالله بن جُدعان، وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عن الزبيدي حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار، ومخزوما، وجمح، وسهما، وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوه على العاصي، فقام الزبيدي على جبل أبي قبيس وقال شعراً بأعلى صوته فلما سمعه الزبير بن عبدالمطلب، قال: ما لهذا مترك، فاجتمعت: بنو هاشم، وبنوا المطلب، وأسد بن عبدالعزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فأخذوا للزبيدي حقه من العاصي بن وائل.

انظر السيرة النبوية- لابن هشام ١-٢ / ١٣٣- ١٣٤.

(٢) زهرة التفاسير ٣٧٥٤/٧.

(٣) انظر أصول السنة لابن أبي زمنين ص١٣٩، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص٢٦٤ والحجة في بيان المحجة ٢٨٠/٢، والتمهيد ١١/٥، والاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي ص١٧٦، وبيان تلبيس الجهمية ٥٨١/١، وشرح الطحاوية ص٤٢٤ ورفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني ص٦١ وما بعدها، ولوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٣٢.

والإجماع فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[فاطر: ٣٦].

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٤٥].

وقوله تعالى أيضاً في حق الكفار: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾[النساء: ٥٦] .

ومن السنة ما ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم" [(١)].

وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلودُ فلا موت. ثم قرأ: "وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة– وهؤلاء غفلةٍ أهل الدنيا– وهم لا يؤمنون")[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم ٦١٨٢ ج٥/ ٢٣٩٧ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفة برقم ٢٨٥٠– ج٤/ ٢١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب: "وأنذرهم يوم الحسرة" برقم ٤٤٥٣ ج٤/١٧٦٠، ومسلم في كتاب الجنة ومتعة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفة برقم ٢٨٤٩– ج٤/٢١٨٨.

وقوله صلى الله علي وسم: (أما النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة...)[1].

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم منهم الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة فقد نقل عن الإمامين أبي حاتم وأبو زرعة قولهما: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار- حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً- فكان من مذهبهم... الجنة حق، والنار حق، وهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً)[2].

وممن حكى الإجماع أيضاً الإمام الصابوني رحمه الله حيث قال: (ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبداً، وأن ... أهل النار- الذين هم أهلها خلقوا لها- لا يخرجون منها أبداً)[3].

ويذكر الإمام ابن حزم أيضاً في كتابه الدرة فيما يجب اعتقاده إجماع أهل الإسلام على ذلك يقول رحمه الله: (الجنة حق، والنار حق، داران مخلوقتان مخلدتان هما ومن فيهما بلا نهاية... كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، ومن خرج عنه خرج عن الإسلام)[4].

ويؤكد شيخ الإسلام رحمه الله ذلك فيقول: (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش)[5].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة برقم ١٨٥ ج١/ ١٧٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٩٩/١.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٢٦٤.

(٤) الدرة فيما يجب اعتقاده ص ٢٧

(٥) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٠٧.

الفصل الخامس

آراؤه في الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

التمهيد: تعريف القضاء والقدر:

القضاء في اللغة: أصله قضايُ لأنه من قَضَيْت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والجمع الأقضية[١].

يقول ابن فارس: (القاف والضاد والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه)[٢].

والقضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أُحكِم علمه أو أُتِمَّ أو خُتِم أو أُدِّيَ أداء أو أُوجب أو أعلم أو أُنْفِذَ أو أُمْضِيَ فقد قُضِيَ. ويأتي القضاء بمعنى القدر[٣].

والقدر في اللغة: بتسكين الدال وفتحها مع فتح القاف.

يقول ابن فارس: (القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته)[٤] فالقدر: مبلغ كلِّ شيء، يقال: قَدْرُه كذ: أي مبلغُه، وكذلك القَدَر. وقَدَرتُ الشيء أَقْدِرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره[٥]. والقدر بالفتح الاسم، وبالسكون المصدر[٦].

---

(١) انظر لسان العرب ٨/٦١٢

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٩٩

(٣) انظر لسان العرب ٨/٦٢١ والقاموس المحيط ٢/١٧٣٦

(٤) معجم مقاييس اللغة ٥/٦٢

(٥) انظر المرجع السابق ٥/ ٦٢

(٦) انظر لسان العرب ٣/ ٦٥٠

ويأتي القدر بمعنى: الحكم، والقضاء، والطاقة، والتضييق، والتقدير، والغِنَى، والقوة [1].

والمراد بالقضاء والقدر في الشرع: علم الرب سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئته سبحانه وتعالى لوقوعها وخلقه لها[2]. وهذا التعريف يشمل مراتب القضاء والقدر، التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي:

المرتبة الأولى: علم الله سبحانه وتعالى للأشياء قبل وقوعها.

المرتبة الثانية: كتابته لها بعد علمه بها.

المرتبة الثالثة: مشيئته وإرادته لها وأنها لا تقع إلا بمشيئته سبحانه وتعالى، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: خلقه لجميع الأعمال وتكوينه وإيجاده لها، فالله خالق كل شيء.

---

(١) انظر معجم الصحاح ص٨٤١، ومعجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢- ٦٣، ولسان العرب ٣/٦٥٠-٦٥٤، والقاموس المحيط ١/ ٦٤١.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٣/١٤٨- ١٤٩، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/١٣٣ وشرح الطحاوية ص ٢٧٣، ولوامع الأنوار البهية ١/٣٤٨ ومجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/٨٠-٨٣.

المبحث الأول: رأيه في معنى الإيمان بالقضاء والقدر

سبق بيان أن الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربعة مراتب، من لم يؤمن بها ويعتقدها، لم يحقق الإيمان بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

ولم أجد للشيخ أثناء كلامه عن القضاء والقدر كلاماً يشمل هذه المراتب جميعاً وإنما وجدت هذه المراتب مبثوثة أثناء تطرقه لتفسير بعض الآيات التي لها علاقة بهذه المراتب، ولهذا يمكن أن يتضح لنا رأي الشيخ من خلال جمع كلامه حول هذه المراتب.

أولاً: مرتبة العلم :

يثبت الشيخ علم الله تبارك وتعالى الشامل لكل شيء، ويقرر أن الله تبارك وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون يقول عند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[الأعراف: ١٧٩]: (أكد الله تعالى أنه خلق الخلق من ذريات آبائهم، وعلم أنهم لا يهتدون بل يدخلون في الضلالة، ومن ورائها الكفر، ومن وراء الكفر جهنم، وليس معنى ذلك أنه أجبرهم على الكفر الذي يلجئهم إلى جهنم إجباراً، بل معناه أنه كتبه عليهم في علمه الذي أحاط بكل شيء، ولا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، فالله- سبحانه وتعالى- علم ما يكون منهم فهو- سبحانه- يعلم ما كان وما سيكون عالم الغيب والشهادة، وهو السميع العليم)[1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨]: (.. الله جل جلاله يعلم الذي تحمله كل أنثى، والذي تغيض به الأرحام والذي تزداد، وكل شيء عنده بمقدار قدّره، وحدّه وعيّنه.

---

(١) زهرة التفاسير ٦/ ٣٠١١.

يعلم ما تحمل كل أنثى من ذكورة وأنوثة، ومن حجمه، وشكله، وامتداده، وعمره وما قدر له من حياة سعيدة أم شقية، وإيمان، وصباحة ودمامة، واستقامة وفجور، وما يكون في قابله هادياً مهدياً، أو مقيتاً شقياً، وغير ذلك مما يكون في حياته البدنية والنفسية، وكل ما يتعلق به)[1].

ويقول في تاريخ المذاهب الإسلامية في أثناء كلامه عن مسألة القدر: (والإقرار بالقدر نوع من الإذعان لله، والإقرار بإحاطة علمه بكل شيء، وتقديره في الأزل كل ما هو كائن على مقتضي حكمة الله تعالى)[2].

ثانياً: مرتبة الكتابة:

يثبت الشيخ رحمه الله كتابة الله تبارك وتعالى لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ يقول عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]: (قد علمت يا محمد- صلى الله عليه وسلم- علماً مؤكداً يقينياً أن الله يعلم ما في السماء والأرض من عقلاء وأناس مكلفين، وما مكّن لهم فيهما، وماذا فعلوا فيما سخر لهم، فإذا كان هو الله الذي يحكم بينهم فحكمه هو الفصل، وهو خير الفاصلين، وإنه مع علمه سبحانه المحيط، قد سجل ذلك في كتاب وهو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)[3].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]: (أي أن كل دابة ورزقها ومقامها

---

(١) زهرة التفاسير ٣٩٠٥/٧ وانظر أيضاً نفس المرجع ٢٥٢١/٥- ٥٠٢٦/٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص٩٨.

(٣) زهرة التفاسير ٩/ ٥٠٢٦.

واستيداعها في باطن الأرض وديعة مستردة بعد حين كل ذلك مكتوب في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ)[1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]: (ما تركنا شيئاً لم يحصى في الكتاب أي في المكتوب المسجل بعلم الله وهو اللوح المحفوظ، فالكتاب هو اللوح المحفوظ، وقد ذكر ذلك صراحة في آية أخرى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦] أي مفصح ذاكر لأسمائها وأعدادها وأنواعها)[2].

ثالثاً: مرتبة المشيئة والإرادة:

يثبت الشيخ رحمه الله مشيئة الله وإرادته، وأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

يقول عند قوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٨]: (.. فالإرادة تتعلق بالخلق والتكوين، فما أراده الله تعالى يقع، وما لا يريده لا يمكن أن يقع، فلا يمكن أن يقع من أفعال الإنسان ما لا يريده رب العالمين، ولا يمكن أن يفعل الإنسان شيئاً لا يريده العليم الخبير الذي لا تخفى عليه الأنفس وما تكمن الصدور)[3].

يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩]: (وقد بين سبحانه وتعالى أن ذلك بعلم الله تعالى وإرادته، وأنه لا تخرج حركة عن حركة إلا بإذنه فهدايته

---

(١) زهرة التفاسير ٣٦٦٧/٧.

(٢) المرجع السابق ٢٤٩٢/٥.

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٩٢٩.

المهتدين بمشيئته، وضلاله الضالين بمشيئته، فلا يخرج شيء في الوجود من غير مشيئته)[1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩]: ("فأنجيناهم" الفاء تدل على أنه يجيء فور صدق الوعد لإنجاء الرسل، والإنجاء للرسل يشير إلى تضافر القوى ضدهم "ومن شاء" هم التابعون للأنبياء الذين آمنوا بما جاءوا، وقد شاء الله تعالى إيمانهم لأنهم اختاروا الهدى، وقد عبر الله تعالى عنهم بقوله ومن شاء للإشارة إلى أنهم آمنوا، لان الله تعالى شاء لهم الإيمان، وكل شيء في محيط مشيئته وإرادته فلا يقع شيء آلا إذا تعلقت به مشيئة الله ولا يخرج شيء في الوجود عن إرادته)[2].

رابعاً: مرتبة الخلق:

يثبت الشيخ رحمه الله أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد يقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]: (.. أنه خالق كل شيء، ولا شيء في الوجود إلا وهو الخالق له والقائم عليه، والمدبر لأمره، والكالئ له، وهو على كل شيء وكيل)[3].

ويؤكد ذلك في كتابه العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم فيقول تحت وحدانية الله تبارك وتعالى في الخلق والتكوين: (الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، ولقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة مبينة أنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل شيء وأحسن خلقه، وأنه بديع السماوات

---

(١) المرجع السابق ٥/ ٢٤٩٣.

(٢) المرجع السابق ٩/ ٤٨٣٥.

(٣) زهرة التفاسير ٢٦١٤/٥ وانظر أيضاً ١٥٦/١- ١٥٧ ، ١٨٨٧/٤، ٢٨٢٨/٦، ٢٨٦١، ٣٠٢٠

والأرض، أبدعها على غير مثال سبق، وأنه سبحانه وتعالى المتفرد بالخلق والتكوين..)[1].

ويقول أيضاً: (أنه يحب الاعتقاد بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه لا يشاركه في خلق الأشياء وتدبير الكون أحد من خلقه، وأنه لا ينازع إرادته المنشئة المكونة أحد، وأنه لا يقع في الكون ما لا يريد... فإنه سبحانه وتعالى فعال لما يريد، وأن العبد وقدرته واستطـــاعته واختياره كله مخلوق لله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦][2].

وما قرره الشيخ رحمه الله في مراتب الإيمان بالقضاء والقدر موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإن الإيمان بالقضاء والقدر عند أهل السنة يتضمن درجتين كل درجة تتضمن مرتبتين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وتؤمن الفرقة الناجية- أهل السنة والجماعة- بالقدر: خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق والآجال.

ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق: "فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة " [3].

---

(١) العقيدة الإسلامية ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند برقم ٢٢٧٠٥، ٢٢٧٠٧، ج٣٧/ ٣٧٨- ٣٨١، قال عنه محققه حديث صحيح، ورواه أبو داود في كتاب السنة باب في القدر برقم ٤٧٠٠، ٦٣٧/٢ والترمذي في كتاب القدر باب رقم ١٧، برقم ٢١٥٥ ج٤/٤٥٧ وقال عنه هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٩٣٣، ج٣/٨٩٠.

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠] وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، ولا خالق غيره ولا رب سواه...)(١).

المبحث الثاني: رأيه في أفعال العباد

يرى الشيخ أبو زهرة أن الله تبارك وتعالى خالق لأفعال العباد يقول رحمه الله: (يجب الاعتقاد بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه لا يشاركه في خلق الأشياء وتدبير الكون أحد من خلقه، وأنه لا ينازع إرادته المنشئة المكونة أحد، وأنه لا يقع في الكون ما لا يريد، فإنه سبحانه وتعالى فعال لما يريد، وأن العبد وقدرته واستطاعته واختياره كله مخلوق لله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] (٢).

وكونه سبحانه وتعالى خالق لأفعال العباد، لا يعني أن العبد مجبور على أفعاله ليس له إرادة ومشيئة، بل له إرادة ومشيئة يفعل بها، وعليها يكون الثواب والعقاب،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٨/٣- ١٤٩ وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ٦٣/٨- ٦٤، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١٣٣/١ وما بعدها، وشرح الطحاوية ص٢٧٣- ٢٧٤.

(٢) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ص٣٨.

وهذه المشيئة تابعة لمشيئة الله وإرادته يقول في ذلك: (إن الله عدل حكيم، لا يؤاخذ العباد إلا ولهم اختيار في الخير والشر، فليسوا فيما يفعلون كالآلة في يد محركها، أو كالريشة في مهب الريح، بل إنه مختار فيما يفعل، وبذلك كان الجزاء والحساب، وكان العقاب والثواب، وأن تفسير ذلك ليس لنا، وقد أخبرنا سبحانه وأحسسنا في أنفسنا فإننا عندما نقدم على أمر نقدم عليه بإرادتنا، فلنا أن نفعله، ولنا أن نتركه، وبهذا القدر كانت تبعات ما نعمل واقعة علينا، وأن العصاة هم الذين يحملون القدر أوزارهم، وإن أصابوا خيراً نسبوه لأنفسهم)[1] ويقول أيضاً: (أنه يجب على المؤمن أن يعتقد أن الله تعالى خالق كل شيء، وأن كل شيء بقضاء وقدر، وأن الإنسان له اختيار في أفعاله يحمله تبعاتها ومآلاتها... وأن له نية ومقصداً بمقتضاهما يكون جزاؤه) [2].

ويقول في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ...... ﴾[الكهف: ٢٣ – ٢٤]: (هذا تأديب من الله تعالى، وليكلا يفتات إنسان على الله تعالى فيتوهم أنه قادر مسيطر على ما يفعل، وأنه يفعل ما يريده شاءه أو لم يشأه سبحانه، وهو المالك لكل شيء الذي يشاء ويختار وحده، ولا خيرة لغيره في أمر خيرة مطلقة، إنما هي مقيدة دائماً في حدود ما يشاء الله سبحانه... وليست إرادة الله في إرادته، إنما إرادته هو في إرادة الله تعالى، فما لا يريده الله لا يقع أبداً ولذا كان لابد من تعليق التنفيذ على مشيئة الله تعالى)[3].

ويقول أيضاً في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]: (يبين الله سبحانه وتعالى ما يجول في

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق ٤٥١٦/٩.

قلوب الذين أشركوا وما أبدوه وهو... إنه لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا من شيء، ولكنهم في وسط هذا القول الظاهر ينسون حقيقتين:

الأولى: أنهم عصوا الله، وأشركوا به، وحرموا ما حرموا مختارين وغير مجبرين وأنه على ذلك يكون حسابهم وعقابهم في الآخرة...)(١).

النقد:

ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من أن الله خالق لأفعال العباد، وأن العبد له مشيئة وإرادة وله اختيار،وليس مجبوراً على أفعاله، موافق لمذهب أهل السنة والجماعة، والأدلة من الكتاب والسنة على ذلك كثيرة جداً والنصوص عن السلف متضافرة على ذلك فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

يقول ابن كثير: (يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه وكلا القولين متلازم، والأول أظهر).(٢)

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢]

يقول ابن القيم: (وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله، وحركاته، وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه، فإن الله سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال.

---

(١) المرجع السابق ٢٧١٩/٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١٥/٤.

والعالم قسمان: أعيان وأفعال، وهو الخالق لأعيانه، وما يصدر عنها من الأفعال كما أنه العالم بتفاصيل ذلك، فلا يخرج شيء منه عن علمه، ولا عن قدرته، ولا عن خلقه ومشيئته)[1].

وأما الأحاديث التي تدل على أن الله خالق لأفعال العباد، وأن العبد له إرادة ومشيئة واختيار وقدرة على أفعاله فكثيرة جداً منها ما رواه البخاري في كتابه خلق أفعال العباد بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يصنع كل صانع وصنعته)[2]. وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة)[3]. وقال البخاري: (حركاتهم، وأصواتهم، واكتسابهم، وكتابتهم مخلوقة)[4].

وأيضاً ما رواه البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلم السورة من القرآن يقول: (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإن تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر- ثم تسميه بعينه- خيراً لي في عاجل أمري وآجله- قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- فاقدره لي

---

(١) شفاء العليل ١/ ٢٠٣.

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٥، وابن أبي عاصم في السنة برقم ٣٥٧-١/١٥٨، وابن منده في كتاب التوحيد برقم ١١٥- ١/٢٦٧، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم ٣٧-١/٧٤-٧٥ ، ورقم ٥٧٠- ٢/٦، ورقم ٨٢٥- ٢/٢٦٣ وقال عنه محققه: (صحيح رجاله كلهم ثقات)، والهيثمي في مجمع الزوائد برقم ١١٨٣٢- ٧/٤٠٤ وقال عنه: (رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبدالله أبو الحسين بن الكردي وهو ثقة)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٦٢٧ ٤/١٨١.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٢٥.

(٤) المرجع السابق ص ٢٦.

ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم إنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفني عنه، وأقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به)(١).

يقول ابن القيم: (فقوله: "إذ هم أحدكم بالأمر" صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بإرادة العبد، وإذا علم ذلك فقوله: "أستقدرك بقدرتك" أي أسألك أن تقدرني على فعله بقدرتك، ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التي هي سلامة الأعضاء وصحة البنية، وإنما سأل القدرة التي توجب الفعل فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له، وأكد ذلك بقوله: "فإنك تقدر ولا أقدر" أي تقدر أن تجعلني قادراً فاعلاً ولا أقدر أن اجعل نفسي كذلك، وكذلك قوله" تعلم ولا أعلم" أي حقيقة العلم بعواقب الأمور، ومآلها والنافع منها والضار عندك، وليس عندي، وقوله: "يسره لي أو اصرفه عني" فإنه طلب من الله تيسيره إن كان له فيه مصلحة، وصرفه عنه إن كان عليه فيه مفسدة، وهذا التيسير والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل في القلب، أو إلقاء داعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل، وداعية الترك امتنع الفعل)(٢). وغيرها من الأحاديث.

ويقول أبو عثمان الصابوني في رسالته "عقيدة السلف أصحاب الحديث: (ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: إنها مخلوقة لله تعالى- لا يمترون فيه ولا يَعُدُّون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه) (٣).

ويقول الإمام البغوي في شرح السنة: (الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى" قل هو القادر" برقم ٦٩٥٥، ج٦/٢٦٩١.

(٢) شفاء العليل ١/ ٣٣٥.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٧٩- ٢٨٠.

قبل أن يخلقهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر: ٤٩]) [١].

ويقول الإمام ابن قدامة المقدسي: (من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شـــاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم) [٢].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (أفعال العباد مخلوقة بإتفاق سلف الأمة وأئمتها كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام: الإمام أحمد ومن قبله وبعده، حتى قال بعضهم: من قال: أن أفعال العباد غير مخلوقة، فهو بمنزلة من قال: أن السماء والأرض غير مخلوقة، وقال يحيى بن سعيد العطار: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة، وكان السلف قد أظهروا ذلك لما أظهرت القدرية أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، وزعموا أن العبد يحدثها أو يخلقها دون الله، فبين السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها) [٣].

---

(١) شرح السنة ١/ ١٤٢.

(٢) لمعة الاعتقـــاد ص٨٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٨/ ٤٠٦.

المبحث الثالث: آراؤه في الحكمة والتعليل

عند التأمل في كلام الشيخ عن الحكمة والتعليل يتضح للباحث الأمور التالية:

أولاً: أن الشيخ يثبت الحكمة في أفعال الله تعالى يقول عند قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨]: (وأفعاله في دائرة الحكمة والتدبير المصون عن العبث) (١).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ٤١]: (ولذا قال سبحانه (إن شاء) أن يتفضل عليكم بهذا الكشف، ويرحمكم ولم يكن في هذا مضرة، ولا إغراء بالفساد، ولا إيذاء لغيره، فعمله تعالى في دائرة الحكمة والنفع، وإن لم يكن في ذلك إلزام، فإنه سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣]) (٢).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] : (وحكمته التي تقدر الأمور والأشياء والأشخاص وأنه ما خلق هذا الوجود عبثاً، كما قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وأن تدبيره للوجود بمقتضى علمه الذي أحاط بكل شيء ...) (٣).

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]: (... أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بحكمته، وبعث الرسل يدعون إلى عبادته وحده، وهو الذي قدر الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وكل ذلك من مقتضى الحكمة

---

(١) زهرة التفاسير، ٢٤١٢/٥.

(٢) المرجع السابق،٢٤٩٥/٥.

(٣) المرجع السابق، ٢٦٦٩/٥.

الإلهية التي لا تصل العقول إلى العلم بها، لأنها لا تعلم من الكون إلا مظاهره وأشكاله وألوانه، ولا تعلم شيئاً عن كيفيته وأسراره) [(١)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]: (وإن ذلك مع ما سبق يتبين أنه لابد من البعث، وأن حكمة الخلق والإيجاد للإنسان لا تتحقق إلا به ... وإنما أداة حصر أي ما خلقناكم إلا عبثاً، أي من غير حكمة باهرة ظاهرة، والعبث أي من غير حكمة من الله تعالى) [(٢)].

ثانياً: إن هذه الحكمة التي أثبتها الشيخ ليست مقيدة لأفعال الله تعالى، بل الله يفعل ما يفعل لمحض المشيئة والإرادة والله منزه عن العلية والسببية. يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٩-٤٩]: (... اللام لام العاقبة، وليست لام التعليل في نظرنا، لأن أفعال الله جل جلاله لا تعلل، ولكنها لام العاقبة وبيان اقتران نعمة الله تعالى بهذا الخير العميم) [(٣)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١]: (وفي التسبيح إدراك لله وتنزيه له عن العلية، ولذا اتخذ زكريا من هذا الخارق للعادة بإنجابه ولداً سبيلاً لأن يدعوهم إلى التسبيح وهو التنزيه عن العلية والسببية وكل ما لا يليق بذات الله تعالى) [(٤)].

---

(١) زهرة التفاسير، ٩٦٨/٢.

(٢) المرجع السابق، ٥١٢٧/١٠.

(٣) المرجع السابق، ٥٢٩٣/١٠.

(٤) المرجع السابق، ١٢١١/٣.

ويقول أيضاً مبيناً الحق في رأيه في قضية تعليل أفعال الله: (والحق في القضية أن الله تعالى خلق الخلق بإرادته سبحانه وتعالى وحده من غير قيد يقيدها، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣] ... وإن الذي يجب علينا أن نعتقده هو ما يأتي ... أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لحكمة يعلمها، وليست هذه الحكمة علة مقيدة للإرادة الإلهية، بل إن الله تعالى لا يقيد إرادته شيء من الأشياء، وهو سبحانه منزه عن العبث، فكانت أفعاله لحكم يعلمها هو يقيناً، وقد نعلم بعضها بإعلامه، وأكثرها لا نعلمه، سبحانه العليم الحكيم اللطيف الخبير) [١].

النقد :

مسألة التعليل في أفعال الله تعالى: (من أجلّ المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوباً وفروعاً، وأكثرها شبهاً ومحارات، فإن لها تعلقاً بصفات الله تعالى وبأسمائه وأفعاله، وأحكامه من الأمر والنهي والوعد والوعيد، وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسألة) [٢]

وقد اختلف الناس فيها على أقوال:

القول الأول: أن الله تبارك وتعالى خلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة [٣]، وهذا القول قال به كثير ممن يثبت القدر، وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم، وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم

---

(١) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم، ص٤٠-٤١.

(٢) مجموع الفتاوى، ٨/٨١.

(٣) المرجع السابق، ٨/٨٣. وانظر لمذهب الأشاعرة التمهيد للباقلاني، ص٥٠-٥١، والأربعين في أصول الدين للرازي، ١/٣٥٠، والمواقف للأيجي، ٣٣١، وشرح جوهرة التوحيد، ص٩٦

وهو قول الأشعري وأصحابه، وقول كثير من نفاة القياس في الفقه الظاهرية كابن حزم وأمثاله) [1].

القول الثاني: وهو أن الله تعالى فعل المفعولات، وخلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه، لا ترجع إليه، وذهب هؤلاء إلى وجوب تعليلها، وهذا قول المعتزلة والشيعة ومن وافقهم[2].

والقول الثالث: وهو أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، وقد يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك، والحكمة مقصودة له سبحانه وتعالى، يفعل لأجلها لأنه يحبها ويرضاها والفعل مترتب عليها[3]. وهذا القول هو قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي تدل عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وقد أطال النفس في ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه شفاء التعليل فذكر ما يزيد على عشرين نوعاً من الأدلة قال في نهايتها: (وجماع ذلك أن كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعلمه، ورحمته، وقدرته، وإحسانه، وحمده ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه، وإنما نبهنا على بعض طرق القرآن، وإلا فالأدلة التي تضمنها على إثبات ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وبالله التوفيق)[4].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٨٣/٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٨٩/٨. وانظر أيضاً: المغني للقاضي عبدالجبار، ٤٨/٦، ٩٢/١١. والمختصر في أصول الدين للقاضي عبدالجبار ضمن رسائل العدل والتوحيد، ٢٠٣/١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٥/٨– ٣٩، ٨٩/٨١ . وبيان تلبيس الجهمية ١٩٨/١. ومنهاج السنة النبوية، ١٤١/١وما بعدها. وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ٥٣٧/٢– ٥٧١. وشرح الطحاوية، ص٢٥٣. ولوامع الأنوار البهية، ٢٨٠/١– ٢٩٠ وللاستزادة انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للمحمود، ص٢٤٢– ٢٤٨.

(٤) شفعاء العليل، ٥٧١/٢.

ومما سبق يتبين لنا أن ما ذكره الشيخ أبو زهرة في هذه المسألة فيه اضطراب فمرة يوافق أهل السنة والجماعة في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى وأن أفعال الله تعالى في دائرة الحكمة والتدبير المصون عن العبث، ومرة يوافق الأشاعرة حينما يرى أن أفعال الله تعالى لا تعلل، وأن الله تبارك وتعالى لا يقيد إرادته شيء من الأشياء وهو سبحانه منزه عن العبث، ولم يذكر الشيخ ما اعتمد عليه في نفيه للحكمة والتعليل، ولكن إذا رجعنا لكتب الأشاعرة نجد أن أبرز شبهة نفوا بها الحكمة والتعليل هي قولهم بأنه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء، أو يكون وجودها أولى به، فإن كان الأول امتنع لأولها، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً بدونها مستكملاً بها فالجواب من وجوه:

الوجه الأول:

أن هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات، فإنه يمكن أن يقال فيها أيضاً إما أن يكون وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء أو لا يكون، فإن كان الأول امتنع صدورها عنه، وإن كان الثاني كان مستكملاً بها فما كان جواباً في المفعولات كان جواباً عن هذا، ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلاً إلا مستكملاً بفعله [1].

الوجه الثاني:

إن مقتضى الكمال أن يكون البارئ سبحانه وتعالى لا يزال قادراً على الفعل بحكمة فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصاً [2].

الوجه الثالث:

قول القائل إنه مستكمل بغيره باطل، فإن ذلك إنما حصل بقدرته ومشيئته لا شريك له في ذلك، فلم يكن في ذلك محتاجاً إلى غيره، وإذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره، كان كما لو قيل كمل بصفاته أو كمل بذاته [3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ١٤٦/٨.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ١٤٦/٨.
(٣) مجموع الفتاوى، ١٤٦/٨.

الوجه الرابع:

قول القائل أنه يكون قبلها ناقصاً فإن أراد به عدم ما تجدد فلا نسلم أن عدمه قبل الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه يكون نقصاً، وإن أراد بكونه ناقصاً معنى غير ذلك فهو ممنوع، بل يقال عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال، كما أن وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجوده فيه كمال. فليس عدم كل شيء نقصاً، بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص، كما أن وجود مالا يصلح وجوده نقص، فتبين أن وجود هذه الأمور حين اقتضت الحكمة عدمها هو النقص، لا أن عدمها هو النقص. ولهذا كان الرب تعالى موصوفاً بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله وموصوفاً بالصفات السلبية المستلزمة لكماله أيضاً. فكان عدم ما ينفى عنه هو من الكمال كما أن وجود ما يستحق ثبوته من الكمال [1].

الوجه الخامس:

أنّا إذا قدرنا من يقدر على إحداث الحواث بحكمة، ومن لا يقدر على ذلك كان معلوماً ببديهة العقل أن القادر على ذلك أكمل، مع أن الحواث لا يمكن وجودها إلا حوادث لا تكون قديمة، وإذا كانت القدرة على ذلك أكمل وهذا المقدور لا يكون إلا حادثاً كان وجوده هو الكمال، وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال، إذ عدم الممتنع الذي هو شرط في وجود الكمال من الكمال [2].

---

(١) المرجع السابق، ١٤٦/٨ – ١٤٧.

(٢) المرجع السابق، ١٤٧/٨.

الباب الثالث

آراؤه في الصحابة، والإمامة، ومسائل الأسماء والأحكام

الفصل الأول : آراءه في الصحابة

التمهيد: تعريف الصحابة:

الصحابة: جمع صحابي.

وهو في اللغة: مشتق من الصحبة، والصحبة مصدر صحب يصحب فهو صاحب(١).

يقول ابن فارس: (الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة الشيء ومقاربته، ومن ذلك الصّاحب، والجمع صحب، كما يقال راكبٌ وركْبٌ، ... وكلُّ شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه) (٢).

وأما في الاصطلاح: فقد اختلف أهل العلم في تعريف الصحابي وذكروا تعاريف كثيرة لعل من أجمعها ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله إذ يقول: (أصحّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام).

فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يَروِ، من غزا معه أو لم يَغْزُ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارضٍ كالعَمى.

ويخرج بقيد " الإيمان " من لقيه كافراً ولم أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى. وقولنا " به " يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل ؟ محلّ احتمال.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٣/٣٣٥. لسان العرب، ١/٤٧٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٣/٣٣٥.

ويدخل في قولنا " مؤمناً به " كل مكلف من الجن والإنس ... وهـل تـدخل الملائكة ؟ محل نظر، قد قال بعضهم: إن ذلك ينبني على أنه هل كان مبعوثاً إليـهم أم لا ؟ ... وفي صحة بناء هذه المسألة على هذا الأصل نظر لا يخفى.

وخرج بقولنا: " ومات على الإسلام " من لقيه مؤمناً به ثم ارتد، ومات علـى ردته والعياذ بالله ... ويدخل فيه من ارتدّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يمـوت، سـواء اجتمع به صلى الله عليه وسلم مرة أخرى أم لا، وهذا هـو الـصحيح المعتمـد ... لإطباق أهل الحديث على عَدَّ الأشعث بن قيس من الصحابة، وعلى تخريج أحاديثـه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتدّ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر.

وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري، وشـيخه أحمد بن حنبل، ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوالٌ أخرى شاذة [(١)].

المبحث الأول : مكانة الصحابة

لم يتحدث الشيخ رحمه الله عن الصحابة رضوان الله عليهم في مباحث مستقلة من كتبه، وإنما تعرض للحديث عنهم في أثناء تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بهم، ويرى رحمه الله فضلهم ومكانتهم ويترضى عنهم في الجملة ويرى أنهم رضوان الله عليهم هم دعامة الإسلام الأولى، وعليهم هَدْى الرسول صلى الله عليه وسلم قام بنيانه وشيدت أركانه وأنهم أطهر جماعة رأتها الإنسانية وأقواها، يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الأنفال:٧٤] : (جمع الله تعالى في هذه الآية الذين كانوا دعامة الإسلام، وعليهم هدى الرسول صلى الله عليه وسلم قام بنيانه، وشيدت أركانه، وهم المهاجرون والأنصار فالمهاجرون ابتدأ بهم تكوين الجماعات الأولى التي صبرت وصابرت، وتلقت الصدمة الأولى من المشركين ... والأنصار هم الذين آووا ونصروا وأعزوا كلمة التوحيد، وأغلوها وأعلوها، فإذا كان

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ١/١٥٨- ١٥٩.

المهاجرون هم الذين أظلوا شجرة الإسلام ابتداء، فالأنصار هم الذين حموا ثمرتها وقامت دولة الإسلام في أرضهم وحراستهم ... والفريقان اختارهم الله للتأليف حتى تكونت منهم أطهر جماعة رأتها الإنسانية وأقواها .. ولقد كرر الله تعالى الثناء على المهاجرين والأنصار في كثير من محكم آياته من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] ، ويقول تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧] ... وهكذا ترى قوة الإيمان والجهاد ونصرة الرسول، والإيثار فكانوا بذلك المؤمنين حقاً وصدقاً)[1].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، : بعد أن بين سبحانه أحوال المنافقين في المدينة بين أصنافاً ثلاثة من الذين يحيطون بصاحب الدعوة: أولهم وأتقاهم: هم الذين قامت عليهم دعامة الإسلام، وآمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر...

وإذا كان الأولون قد سبقوا إلى الاستجابة، فقد سبق الأنصار إلى إنشاء دولة الإسلام، وإذا كان الأولون قد سبقوا ابتداء ولهم فضل الهجرة فقد سبق الأنصار إلى بناء الدولة ونالوا فضل الإيواء والنصرة ... ولقد ذكر الله تعالى مناقب المهاجرين والأنصار وجزاءهم فذكر الجزاء الأعلى وهو رضاهم بالله ولياً ونصيراً، ورضا الله تعالى عنهم أحباء لله تعالى فقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ ... ومع هذه المرتبة العليا من المكانة التي لا تعلوها مكانة، ولا ينهد إلى مثلها جزاء ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]) [2].

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٠٢٦/٦- ٣٢٠٨.

(٢) زهرة التفاسير، ٣٤٢٧/٧ ٣٤٢٩.

ولم يكتف الشيخ بذكر فضل الصحابة ومكانتهم على العموم، بل ذكر بعـض الأحاديث الواردة في ذكر فضل بعضهم على وجه الخصوص كأبي بكـر الـصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعثمان بن عفان رضـي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبي ذر رضي الله عنه، وغيرهم[1].

النـقـد:

مكانة الصحابة، وفضلهم رضوان الله عليهم ثابتة بالكتاب والسنة، فقد أثنى الله تبارك وتعالى عليهم في كتابه الكريم في آيات كثيـرة منهـا قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبـة: ١١٧]. يقول الإمام أبو بكر أحمد بـن علي الجصاص : (فيه مدح لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين غزوا معـه من المهاجرين والأنصار، وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم ورضي أفعالهم، وهذا نص فـي رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة، ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر رضي الله عنهم)[2].

---

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٩٩، ٢٥١، والمعجزةالكبرى، ص٣٤٦، وزهرة التفاسير، ٤٠٩٢/٨، وابن تيمية حياته وعصره، ص١٦٣، والإمام زيد حياته وعصره، ص٩٩.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ١٦٠/٣.

وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم وفضلهم في الكتب المنزلة، فقال تعـــالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

يقول شيخ الإسلام: (ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهـــو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والسيماء في وجوههم من أثر السجود وأنهم يبتدئون من ضعف إلـــى كـــال القـــوة والاعتدال ...) [١].

وأما الأحاديث التي تدل على فضلهم ومكانتهم فكثيرة منها ما رواه الـــشيخان من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) [٢]، وفي رواية : (خير أمتـــي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم) [٣].

يقول الإمام النووي: (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صلى الله عليـــه وسلم والمراد الصحابة) [٤].

---

(١) صفات السنة، ١/١٥٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحبا النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم، برقم ٣٤٥١، ج٣/١٣٣٥، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم ٢٥٣٣، ج٤/١٩٦٣.

(٣) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم ٢٥٣٤، ج٤/١٩٦٣ – ١٩٦٤.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/٣١٨.

ويقول الحافظ بن حجر: (والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة – رضوان الله عليهم – .. واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتباعون أفضل من أتباع التابعين ...) [1].

وقال أيضاً: (والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحابة لا يعد لها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعد له أحد ممن يأتي بعده) [2].

وكذلك ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا أحداً من أصحاب، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) [3].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة، والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون) ، وبهذا يتضح موافقة أبو زهرة لأهل السنة في مسألة فضل الصحابة رضوان الله عليهم، ومكانتهم، والترضي عنهم.

---

(١) فتح الباري ، ٨/٧.

(٢) المرجع السابق، ٩/٧.

(٣) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم ٢٥٤١، ج٤/١٩٦٨.

المبحث الثاني : موقفه مما شجر بين الصحابة

تطرق الشيخ أبو زهرة لما حصل بين علي ومعاوية[١] رضي الله عنهما، وقد أبدى الشيخ رأيه في ذلك، ويتضح من خلال كلامه أنه يرى أن علي رضي الله عنه كان على الحق والصواب، ولو أن الشيخ عفى الله عنه، اكتفى بهذا الأمر لهان الأمر ولكنه عفى الله عنه تجاوز الإنصاف، وكان متحاملاً على معاوية رضي الله عنه، حتى أنه وصفه بأوصاف لا تليق بصحابي جليل صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من كتّاب وحيه، بل إنه نسب إليه أموراً مكذوبة .

يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ [سورة التوبة:١٢] : (وقد استنبط الفقهاء من هذه الآية بأن الذمي أو الحربي إذا طعن في الإسلام يقتل، فليعتبر الذين محاهم الإسلام من ذل الرومان، وقد دأبوا على الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن، والإسلام، حتى صار الإسلام غريباً في بلاده، اللهم هب للمسلمين حاكماً ينفذ القرآن، وقد كان الصحابة يقتلون من يسب النبي صلى الله عليه وسلم ولو بالتعريض.

---

(١) هو معاوية بين أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن لكاب، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، أسلم يوم فتح مكة، وقيل أنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، ولكن ما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح، حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب له عدة مرات، وكان أميراً على الشام من قبل عمر وعثمان رضي الله عنهما لمدة عشرين عاماً، تولى الخلافة بعد موت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتنازل الحسن بن علي له بالخلاف عام ٤٠هـ، وسمى ذلك العام عام الجماعة، توفي رحمه الله عام ٦٠هـ، انظر: الإصابة، سير أعلام النبلاء، ١١٩/٣.

ويروى في ذلك أن رجلاً في مجلس علي كرم الله وجهه قال: ما قتل كعب بـن الأشرف[1]إلا غدراً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بقتله فأمر علي بـضرب عنق قائل ذلك القول. وقاله آخر في مجلس معاوية فما فعل معاوية شيئاً، فقام محمد بن مسلمة [2] فقال: أيقال هذا في مجلس وتسكت !! والله لا أساكنك تحت سقف أبداً.

ولا عجب، فعلي فارس الإسلام، وقامع الكفر، ومعاوية الطليق ابن الطليـق، وقد ابتدأت غربة الإسلام في عهده، اللهم أعز الإسلام وآوه بعد غربته) [3].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٣٤] : (وفي الحق إن أبـا ذر قد أصاب كل الإصابة في قوله: إن الآية تعم الأحبار والرهبان وأتباع محمد صـلى الله عليه وسلم، وأخطأ معاوية، وما لمعاوية وفقه القرآن)[4].

وفي كتاب الإمام زيد اتهم معاوية بالابتداع في الدين، لأنه عهد بالخلافة من بعده لابنه يزيد يقول في ذلك: (وقد اعتبر هذا أمراً غريباً على حكم الإسلام، ولذلك عهده الصالحون من المؤمنين مما ابتدعه معاوية في الدين) [5].

---

(١) كعب بن الأشرف اليهودي ، كان رجلاً من طيء ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير أحد أحبار اليهود الذين ناصبوا الرسول صلى الله عليه وسلم العداء، قتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣٢٦/٥- ٣٣٣.

(٢) محمد بن مسلمة بن سلمة الأوسي الأنصاري، ولد قبل البعثة بـ ٢٢ سنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، آخى الرسول بينه وبين أبي عبيدة، وشهد المشاهد كلها إلا تبوك، وكان من فضلاء الصحابة أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم لقتل كعب بن الأشرف، اعتزل الفتنة ولم يشارك بها، مات سنة ٤٣هـ. انظر: الإصابة، ٢٨/٦.

(٣) زهرة التفاسير، ٣٢٤٣/٦.

(٤) المرجع السابق، ٣٢٩٢/٦.

(٥) الإمام زيد، ص٩٩.

ويقول أيضاً: (لم يرتض الناس تلك البدعة التي ابتدعها معاوية، وحول بها الحكم الإسلامي من خلافة نبوية قوامها الشورى إلى ملك عضو في يعض عليه، بالنواجذ) [١].

بل إنه عفى الله عنه حمل معاوية رضي الله عنه ورز الاختلاف الذي حصل في الأمة إلى يوم القيامة يقول تعليقاً على كلام لابن حزم في أن عصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان فيه افتراق كلمة المؤمنين وضرب وجوه بعضهم بالسيوف، وانشغالهم عن الجهاد بأنفسهم: (وإن ذلك الكلام حق ولكن يتحمل وزره معاوية وأشباهه، وهو لا يدل على أن علياً تنقصه السياسة إنما ينقص عصره عن عصر أبي بكر، ولو أن أبا بكر عاش إلى عهد معاوية وأشباهه، وشدد في أمر الردة ما شدد لكان من مناوئيه مثل معاويه وأبيه، ولكن كان عصر أبي بكر عصر عمر وأبي عبيدة[٢]، وخالد[٣]، وسعد بن أبي وقاص[٤]، والأنصار الذين آووا ونصروا،

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٠.

(٢) أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح القرشي، أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم الشقيفة، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وسماه أمين هذه الأمة، ومناقبه شهيرة جمة توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/١.

(٣) هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي سيف الله، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه أيمنّة الخيل في الجاهلية، شهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة، وحنين، وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أكيدر دومة فأسره، استخلفه أبو بكر على الشام إلى أن عزله عمر توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين. انظر: الإصابة، ٢١٥/٢.

(٤) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وكان أحد الفرسان، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك توفي سنة ٥٥هـ، وقيل سنة ٥٦. انظر: الإصابة، ٦١/٣. سير أعلام النبلاء، ٩٢/١.

فلم يكن مخالف لهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء فوزر ذلك الخلاف على من بغى وخرج على صاحب الحق لا على صاحب الحق، ... ووزر ذلك الاختلاف إلى يوم القيامة يقع على معاوية ومن عاونه على باطله) [١].

النقد:

ما ذهب إليه الشيخ عفى الله عنه من الخوض فيما حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، واتهامه لمعاوية رضي الله عنه، وتنقصه، مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة وجوب الكف عما شجر بين الصحابة، ووجوب حبهم والترضي عنهم، وكتبهم مملوءة ببيان ذلك.

فهذا عمر بن عبدالعزيز [٢] رحمه الله تعالى لما سئل عن القتال الذي حصل بين الصحابة قال: (تلك دماء طهر الله يدي منها، أفلا أطهر منها لساني، مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها) [٣].

وسئل الحسن البصري [٤] رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال : (قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا) [٥].

---

(١) ابن حزم، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(٢) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، الخليفة العادل والزاهد الراشد، كان من الأئمة المجتهدين، والخلفاء المتقين، أقام السنة ونشر العدل، توفي عام ١٠١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/١١٤.

(٣) الإنصاف للباقلائي. وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/١٩٧.

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، كان من سادات التابعين ولد بالمدينة سنة ٢١هـ وبها نشأ، وكان عالماً ثقة حجة مأموناً، عابداً كثير العلم فصيحاً، توفي سنة ١١٠هـ، بالبصرة. انظر: سير ألأعلام النبلاء، ٤/٥٦٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٢١١.

وقال الإمام أحمد رحمه الله حينما قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية قال: (ما أقول فيهم إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين) (١).

ويقول أبو الحسن الأشعري: (فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة، فدلّ على أنهم كلهم على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم، وتعظيمهم، وموالاتهم، والتبري ممن ينقص أحداً منهم رضي الله عنهم أجمعين) (٢).

ويذكر أبو عبدالله بن بطة العكبري(٣) عقيدة أهل السنة في ذلك حيث يقول: (ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم) (٤).

وقال أبو عثمان الصابوني في صدد ذكره لعقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير

---

(١) السنة للخلال، ٢/٤٦٠.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، ص٧٨.

(٣) هو أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، المعروف بابن بطة وهو من نسل الصحابي الجليل عتبة بن فرقد رضي الله عنه، ولد عام ٣٠٤هـ، بعكبرا من قرى العراق، كان إماماً في السنة، له تصانيف كثيرة منها الإبانة الكبرى، والصغرى، وإبطال الحيل، توفي عام ٣٨٧هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ١٦/٥٢٩.

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص٢٩٤.

الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم) [(١)].

ويقول شيخ الإسلام بن تيمية : (ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفوراً، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذماً، ويكون هو في ذلك مخطئاً، بل عاصياً، فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلّم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله: إما من ذم من لا يستحق الذم، وإما من مدح أمورٍ لا تستحق المدح. ولهذا كان الإمساك طريقة أفضال السلف) [(٢)].

ويقول الإمام الذهبي : (تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين، والكتب، والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفوا القلوب، وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العَرِيِّ من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿١٠﴾ ﴾ [سور الحشر: ١٠] فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم وجهاد محاء، وعبادة ممحصة) [(٣)].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٩٤.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٤/٤٤٨- ٤٤٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٠/٩٢.

فهذا كلام طائفة من أهل العلم يتبين لنا من خلاله وجوب الكف عمـا شـجر بين الصحابة رضوان الله عليهم، وإحسان الظن بهم، والترضـي عـنهم أجمعـين، ومعرفة حقهم ومنزلتهم، والتماس أحسن المخارج لما ثبت صدوره مـن بعـضهم، واعتقاد أنهم مجتهدون، والمجتهد مغفور له خطؤه إن أخطأ وأن الأخبار المروية في ذلك منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص منه حتى تحرف عـن أصـله وتشوه، لكن الشيخ عفى الله عنه ترك ذلك، وخاض فيما حصل بين الصحابة، حتـى وقع فيما حذر منه العلماء من أن الخوض فيما شجر يوقع في النفوس بغضاً وذمـاً، ويكون صاحبه مخطئاً، بل عاصياً، ولاشك أن وقيعة الشيخ في معاوية رضـي الله عنه خطأ نبرأ إلى الله تبارك وتعالى منه، بل إن ذلك يجعل كثيـراً مـن الـسفهاء يتجرؤون على الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، وقـد قـال أئمـة الـسلف: (معاوية رضي الله عنه بمنزلة حلقة الباب: من حركة اتهمناه على مـن فوقـه) [١]، وقال الربيع بن نافع[٢] : (معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه) [٣].

وأما ما انتقص به معاوية رضي الله عنه فقبل أن أجيب عنه أنقل كلاماً لشيخ الإسلام رحمه الله فيه بيان جواب مجمل لمثل هذه الشبهات يقول رحمـه الله مبينـاً عقيدة أهل السنة فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم: (ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون، إما مجتهـدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون) [٤].

---

(١) تاريخ دمشق، ٥٩/٢١٠.

(٢) الربيع بن نافع الحلبي أبو توبة، الإمام الثقة، الحافظ، نزل طرسوس، ولد عام ١٥٠هـ، وتوفي عام ٢٤١هـ.

(٣) تاريخ دمشق، ٥٩/٢٠٩.

(٤) مجموع الفتاوى، ٣/١٥٤- ١٥٥.

ويقول أيضاً: (ما علم بالكتاب والسنة والنقل المتواتر من محاسن الصحابة وفضائلهم، لا يجوز أن يُدفع بنقول بعضها منقطع، وبعضها محرّف، وبعضها لا يقدح فيما علم، فإن اليقين لا يزول بالشك، ونحن قد تيقّنا ما دلّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قبلنا، وما يصدّق ذلك من المنقولات المتواترة من أدلة العقل، من أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها، فكيف إذا علم بطلانها ؟)[1].

ولهذا حينما نتأمل ما ذكره أبو زهرة عن معاوية رضي الله عنه نجده كما ذكر شيخ الإسلام وغيره إما نقول بعضها منقطع ولا يثبت وإما أمور لا تقدح فيما علم من فضله رضي الله عنه فقصة الرجل الذي قال: ما قتل كعب بن الأشرف إلا غدراً في مجلس معاوية، فإن القصة لم يذكر لها الشيخ إسناداً، ولا تعرف صحتها، بل إن الشيخ رواها بصيغة التضعيف، فكيف بعد هذا يجعلها طعنا في معاوية رضي الله عنه، فإن المنقولات إنما تعرف صحتها بالأسانيد الثابتة، لا سيما مع كثرة الكذب من قبل الرافضة على معاوية رضي الله عنه.

وأما قوله في حق معاوية رضي الله عنه بأنه (الطليق ابن الطليق) فيمكن أن يقال إن أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية رضي الله عنهما ليسا من الطلقاء بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذي أسلموا في فتح مكة، وأبا سفيان رضي الله عنه قيل أنه أسلم قبيل فتح مكة والرسول صلى الله عليه وسلم بمر الظهران خارجها ، وقد جاء فور إسلامه يدعو قومه إلى المسالمة والفتح، وأما معاوية رضي الله عنه فبعض الروايات تؤكد أنه أسلم قبل الفتح أيضاً، غير أنه كان يخفي إسلامه، شأن بعض الناس آنذاك، فقد روي أنه أسلم سراً يوم عمرة القضاء، أو عام الحديبية [2].

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٣٠٥/٦.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٩٦/١١، وانظر أيضاً فتح الباري ٦٦٠/٣-٦٦١.

ولهذا ألحقه المؤرخون في زمرة الطلقاء لأنه لم يعرف إسلامه إلا مع الطلقاء بعد فتح مكة [(١)] وقد أشار شيخ الإسلام إلي الخلاف في وقت إسلام معاوية رضي الله عنه فقال: (وقد روي: أن معاوية بن أبي سفيان أسلم قبل ذلك وهاجر، كما أسلم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الحجبي قبل فتح مكة – وهاجروا إلى المدينة فإن كان هذا صحيحاً فهذا من المهاجرين وأما إسلامه عام الفتح مع من ذكر فمتفق عليه بين العلماء، سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة، ولكن، بعض الكذابين زعم: أنه عير أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث) [(٢)].

ثم إن من الطلقاء من أسلم وحسن إسلامه وصار من خيار المسلمين يقول شيخ الإسلام: (وكان هؤلاء المذكورون [(٣)] من أحسن الناس إسلاماً، وأحمدهم سيرة: لم يتهموا بسوء، ولم يتهمهم أحد من أهل العلم بنفاق كما اتهم غيرهم، بل ظهر منهم من حسن الإسلام، وطاعة الله ورسوله، وحب الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وحفظ حدود الله ما دل على حسن إيمانهم الباطن،وحسن إسلامهم ،ومنهم من اقره النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله نائباً له .... وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم "أبا سفيان" بن حرب – أبا معاوية – على نجران نائباً له، وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو سفيان عامله على نجران، وكان معاوية أحسن إسلاماً من أبيه باتفاق أهل العلم) [(٤)].

وأما رميه لمعاوية رضي الله عنه بعدم الفقه، فإن كلام الشيخ مردود عليه فقد شهد بالفقه والعلم لمعاوية رضي الله عنه جماعة من الصحابة منهم ابن عباس

---

(١) انظر الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار – لعلي الصلابي ١/٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٤٥٣.

(٣) المراد الذي أسلموا عام الفتح كيزيد بن أبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام وغيرهم.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/٤٥٣.

رضي الله عنهما فقد روي البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قيل له: (هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟ قال: أصاب إنه فقيه) [1].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما من فضلاء الصحابة فهو حبر الأمة، وترجمان القرآن، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالعلم والحكمة والتأويل.

وورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: (ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من إمامكم هذا) [2] يعني معاوية رضي الله عنه، وقد علق شيخ الإسلام رحمه الله على كلام ابن عباس وأبي الدرداء بكلام جميل فقال رحمه الله: (فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس، وبحسن الصلاة أبو الدرداء، وهما هما والآثار الموافقة لهذا كثير) [3].

ثم إن بعض الفقهاء يعتمدون على اجتهاده رضي الله عنه، ويذكرون مذهبه كسائرالصحابة كقولهم: ذهب معاذ بن جبل ، ومعاوية،وسعيد بن المسيب إلى أن المسلم يرث الكافر، وقولهم: روى استلام الركنين اليمانيين عن الحسن أو الحسين وصح عن معاوية [4] فهل يصح بعد هذا أن يقال أنه ليس بفقيه.

وأما اتهامه لمعاوية بالابتداع في الدين لأنه استخلف ابنه يزيد فإن مسألة العهد أو الاستخلاف إلى الآباء والأبناء قد اختلف فيها العلماء على ثلاثة أقوال:

الأول: عدم جواز العهد إلى أصول العاهد أو فروعه، وذلك لأن العهد كالشهادة والحكم، فلا تقبل شهادة الرجل لأصوله ولا لفروعه لوجود التهمة بحقه...

---

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية رضي الله عنه، برقم ٣٥٥٤، ١٣٧١/٣.

(٢) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مختلف في اسم أبيه، وأما هو فمشهور بكنيته وقيل اسمه عامر ، وعويمر لقب، صحابي جليل أول مشاهده أحد، وكان عابداً مات في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، انظر سير أعلام النبلاء ٣٣٥/٢.

(٣) بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد٥٩٥/٩

(٤) منهاج السنة ٢٣٥/٦. انظر الحاوي في فقه الشافعي للماوردي٧٨/٨،وبداية المجتهد لابن رشد ٣٥٣/٢ والموسوعة الفقهية الكويتيه٢٥/٣

الثاني: جواز العهد إلى الأصول والفروع، وذلك لأنه أمير الأمـة، نافـذ الأمـر لهـم وعليهم، فغلب حكم المنصب على حكم النسب ولم يجعل للتهمة عليـه طريقـاً، يقول ابن خلدون: (ولا يُتَّهم الإمام في هذا الأمر، وإن عهد إلى أبيـه أو ابنـه، لأنه مأمون النظر لهم في حياته، فأولى أن لا يحتمل فيها تبعة ما بعـد مماتـه، خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد أو لمن خـصص التهمـة بالولـد دون الوالد، فإنه بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليـه من إيثار مصلحة أو توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك رأساً، كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد، وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب.

والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنمـا هـو مراعـاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ مـن بني أمية...) (١).

الثالث: إن له الإنفراد بذلك للوالد دون الولد، لأن الطبع إلى الولد أميـل منـه إلـى الوالد، ولذلك كان ما يقتنيه في الأغلب مذخوراً لولده دون والده (٢).

فهذا الخلاف وقع بين العلماء، ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال أن ذلك بدعة في الدين، ولا أدري من هم الصالحون الذين ذكر الشيخ أنهم عدوا تلك بدعة فهـو لـم يذكر أي أحد منهم.

وليس المراد هنا تحرير القول الصواب في المسألة فهذا أمـر آخـر، وعلـى فرض أن ما ذهب إليه معاوية رضي الله عنه خطأ، فإن أهل الـسنة والجماعـة لا ينزهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلا عن تنزيههم عن الخطـأ

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٣.

(٢) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢١-٢٢ وللإستزادة انظر الإمامة العظمى عند أهل السنة للدميجي ص ١٩٤-١٩٥.

في الاجتهاد، بل يقولون إن للذنوب أسباب تدفع عقوبتها ممن التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وغيرها[1] ومعاوية رضي الله عنه من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببرئ من الهنات والله يعفو عنه [2].

ويكون حال المسلم حينئذ كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر : ١٠] وعلى هذا يمكن أن يقال أن معاوية رضي الله عنه اجتهد للأمة خوفاً عليها من الانقسام والفتن، ولهذا فلا يمكن أن نحمله تبعات كل أخطاء الملوك والأمراء الذين جاءوا من بعده [3].

فإن من سمات أهل الضلال التلازم بين الخطأ والإثم يقول شيخ الإسلام: (وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة، ويرفع بها درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب ... ولكن الأنبياء صلوات الله عليهم هم الذين قال العلماء: إنهم معصومون من الإصرار على الذنوب.

فأما الصديقون والشهداء، والصالحون: فليسوا بمعصومين وهذا في الذنوب المحققة، وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطئوا فلهم أجر على اجتهادهم، وخطؤهم مغفور لهم، وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين: فتارة يغلون فيهم، ويقولون: إنهم معصومون، وتارة يجفون عنهم ويقولون: إنهم يأثمون بالخطأ. وأهل العلم والإيمان لا يعصمون، ولا يؤثمون) [4].

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٢٠٧/٦-٢٣٨، ومجموع الفتاوى ٤٦١/٤.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١٥٦/٣.

(٣) انظر معاوية بن أبي سفيان – للصلابي ص ٤٣٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٦٩/٣٥.

الفصل الثاني : آراؤه في الإمامة

تمهيد : تعريف الإمامة:

الإمامة في اللغة: مصدر من الفعل أمّ، يقال: " أَمَّهم وأمّ بهم: تقدَّمهم "[١].

ويقول ابن منظور: (الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين .. والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيمّه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممتُ القوم في الصلاة إمامة ، وائتم به: اقتدى به) [٢].

وأما في الاصطلاح: فقد عرفها أهل العلم بتعريفات عدة، وعند التأمل فيها تجد أنها متقاربة في المعنى وإن اختلفت ألفاظها، وكلها تدور حول إقامة الدين الإسلامي وسياسة الدنيا به ومن أشهر هذه التعريفات ما يلي :

يقول الماوردي[٣] : (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) [٤].

ويعرفها إمام الحرمين بأنها: (رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا) [٥].

---

(١) انظر: معجم الصحاح، ص٥٦. ولسان العرب، ١٠/٢٢-٢٣. والقاموس المحيط، ١٤٢١/٢.

(٢) لسان العرب، ١٠/٢٢-٢٣.

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أبو الحسن، البصري الشافعي، له مؤلفات كثيرة منها أعلام النبوية، الأحكام السلطانية، النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم وغيرها من المؤلفات، توفي عام ٤٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١٨/٦٤

(٤) الأحكام السلطانية، ص١٣.

(٥) غياث الأمم في التياث الظلم، ص ٦.

ويقول ابن خلدون في معنى الإمامة: (هي حمل الكافة على مقتضى النظـر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الأخروية، فهي في الحقيقة خلافة عـن صـاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) (١).

المبحث الأول : مكانة الإمامة ووجوبها

يرى الشيخ رحمه الله أن الأمة الإسلامية لابد لها من إمام عادل، يقيم فيهـا أحكام الله تعالى، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليـه وسلم، فإنه لا يقام شرع الله تعالى إلا به، ولا يدفع الظلم إلا به، بل يـرى أن هـذا أمراً أجمع المسلمون عليه، واستقام أمر الدين في صدر تاريخه به يقول رحمـه الله مبيناً مذهب جمهور العلماء في ذلك: (لقد أجمع جمهور العلماء على أنه لابـد مـن إمام يقيم الجمع وينظم الجماعات، وينفذ الحدود ويجمع الزكوات من الأغنياء ليردها على الفقراء، ويحمي الثغور، ويفصل بين الناس في الخـصومات بالقـضاة الـذين يعينهم، ويوحد الكلمة وينفذ أحكام الشرع، ويلم الشعث، ويجمـع المتفـرق، ويقـيم المدينة الفاضلة التي حث الإسلام على إقامتها. على هذا أجمع المسلمون، وعلى هذا استقام أمر الدين في صدر تاريخه) (٢).

ويقول أيضاً : (وإن الإجماع ليس منعقداً فقط على وجوب إمامة هي خلافـة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل أجمعوا أيضاً على أنه لابد من حكـم إذا تعـذر إقامة إمام يصلح أن يكون خليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم) (٣).

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص١٨٥.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص٢١.

التقويـم :

ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من بيان مكانة الإمامة وأنها واجبة على الأمـــة الإسلامية موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإن نصب إمام يقيم شعائر الـــدين، ويحقق العدل بين الناس أمر دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

يقول الله تبارك وتعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء: ٥٩] ووجه الدلالة من هذه الآية أن الله سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل علـــى وجـــوب نصب ولي الأمر، لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعـــة من وجوده مندوب، فالأمر بالطاعة يقتضي الأمر بإيجاده، فدل على أن إيجاد إمـــام للمسلمين واجب عليهم [١].

ويقول تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما أنزل الله: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائـــدة: ٤٨]. وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة المائـــدة: ٤٩] فأمر الله سبحانه وتعالى لنبيه بأن يحكم بما أنـــزل الله هو أيضاً أمراً لأمته من بعده بإقامة إمامة تقوم بذلك، لأن ذلك من وظائفهـــا، فتكـــون جميع الآيات التي تأمر بالحكم بما أنزل الله دليلاً على وجوب نصب إمام يتولى ذلك[٢].

وأما من السنة فالأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه عن عبـــدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وليس فـــي عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [٣].

---

(١) انظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، د/ عبدالله الدميجي، ص٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم ٨٥١، ج٣/١٤٧٨.

فهذا الحديث يدل على وجوب البيعة في عنق المسلم، والبيعة لا تكون إلا لإمام فمنصب الإمام واجب [1].

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة) [2]. وقوله أيضاً صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا أحدهم) [3]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات أقصر الاجتماعات، أن يولى أحدهم، كان هذا تشبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك) [4].

وأما الإجماع فقد حكاه جماعة من أهل العلم منهم ابن حزم[5]، والماوردي[6]، والبغوي[7]، والقرطبي [8]، والنووي[9]، وابن حجر[10].

---

(١) انظر: الإمامة العظمى للدميجي، ص٥٠.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم ٢٢١٦٠، ج٤٨٥/٣٦، وقال عنه محققه إسناده جيد. والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم ٥٠٧٥، ج٩٠٥/٢.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد في المسند برقم ٦٦٤٧ من حديث عبدالله بن عمرو ج٢٢٧/١١ وقال عنه محققه: (صحيح لغيره إلا حديث الإمارة فحسن)، وله شاهد. ومن حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، كما عند أبي داود برقم ٢٦٠٨، ٢٦٠٩، ج٤٢/٢

(٤) مجموع الفتاوى، ٦٥/٢٨.

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٣/٣.

(٦) انظر: الأحكام السلطانية، ص١٣.

(٧) انظر: شرح السنة، ١٨/١٠.

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٨٢/١- ١٨٣.

(٩) انظر: شرح صحيح مسلم، ٤٤٦/١٢- ٤٤٧.

(١٠) انظر: فتح الباري، ١٢٧/١٣.

يقول ابن حزم: (اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات[1] من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم) [2].

المبحث الثاني : مقاصد الإمامة

تحدث الشيخ عن مقاصد الإمامة في تاريخ المذاهب الإسلامية، وبيّن أن الخلافة النبوية تقتضي أن يكون الإمام قائماً بين المسلمين، ليقوم بمصالحهم في الدنيا، ويحفظ عليهم دينهم، يقول رحمه الله : (والخلافة النبوية تقتضي أن يكون الإمام قائماً بين المسلمين، ليرى مصالحهم في الدنيا، وليحفظ لهم دينهم الذي ارتضوا، وليحمي الحرية في العقيدة، وفي النفس، وفي المال في دائرة الشرع الإسلامي) [3].

النقد :

ما ذكره الشيخ من مقاصد الإمامة هو الذي تدل عليه النصوص الشرعية فإن إقامة أمر الله عز وجل في الأرض على الوجه الذي شرع، هو أسمى مقاصد

---

(١) النجدات فرقة من فرق الخوارج، وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، انفردوا عن سائر الخوارج بآراء عدة، استولوا على البحرين وحضرموت واليمن والطائف افترقوا بعد ذلك إلى ثلاث طوائف، واحدة مع عطية بن الأسود بسجستان والأخرى ثارت على نجدة وقتلوه وأقاموا مكانه أبا فديك واستمر أمرهم إلى أن أرسل إليهم عبدالملك بن مروان جيشاً فهزمهم وقتل أبا نديك، والثالثة كانت موالية لنجدة وعذرته فيما نسب إليه، لكنها انقرضت بعد ذلك. انظر: مقالات الإسلاميين، ١٧٤/١. والتنبيه والرد للملطي، ص٦٧. الفرق بين الفرق للبغدادي، ص٨٧. والملل والنحل للشهرستاني، ص١٢٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٣/٣.

(٣) تاريخ المذاهب، ص٢٠.

الإمامة يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الحج: ٤١]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [١]، ويقول أيضاً: (المقصود والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينقصهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم) [٢].

المبحث الثالث : واجبات الإمام وحقوقه

تمهيد :

سبق في المبحث السابق بيان أن للإمامة مقاصد عظيمة لابد من إقامتها، وحيث كان مقصود جميع الولايات في الإسلام هو إقامة الدين وسياسة الدنيا به، وحيث أن الإمام هو المسؤول عن تحقيق هذه المقاصد الشرعية، كان عليه من الواجبات ما ليس على غيره، ولكنه لا يستطيع وحده القيام بتحقيق هذه المقاصد مهما بلغ من القوة والجاه لذلك أوجب الإسلام على الرعية واجبات وحقوقاً للإمام مقابل تلك الواجبات الملقاة على عاتقة، وعن طريق هذه الحقوق يستطيع الإمام القيام بما أوجبه الله عليه من تحقيق مقاصد الإمامة[٣]، وفي هذا المبحث سوف نتطرق للحديث عن واجبات الإمام وحقوقه.

المطلب الأول : واجبات الإمام :

يجب على الإمام واجبات عظيمة، حتى يقوم بالأمانة التي حمّلها الله تبارك وتعالى إياه، بأنها أمانة وهي يوم القيامة خزي وندامة كما أخبر النبي صلى الله عليه

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٦٦.
(٢) المرجع السابق، ٢٨/٢٦٢.
(٣) انظر: الإمامة العظمى للدميجي، ص٣٣٣- ٣٣٤.

وسلم بقوله لأبي ذر : (إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) [1]، ومن أهم الواجبات التي تجب على الإمام، وتطرق للإشارة إليها الشيخ ما يلي:

١- **حفظ الدين** وذلك بالدعوة إليه وبإقامة شعائره وحفظه من الأفكار الهدامة ومحاربة أهلها يقول رحمه الله في ندوة عن مجادلة المنحرفين في أفكارهم الدينية: (أما المنحرفون في نفوسهم الذين يريدون الفتنة ويبغونها فإن هؤلاء نجادلهم أولاً بالتي هي أحسن ... فإن استمروا على غوايتهم حملناهم على الحق بقوة السلطان لكيلا يفسدوا الناس) [2] .

ويقول أيضاً في جواب عن سؤال حول من يلحن القرآن بالموسيقى بعد أن ذكر أنه بدعة ومحرم فقال: (وإنا ندعو أولي الأمر أن يأخذوا على يد هؤلاء العابثين بأعظم تراث في هذا الوجود) [3] .

ويبين في كتابه الدعوة إلى الإسلام أن من واجبات الدولة الإسلامية الدعوة إلى الإسلام ونشره يقول في ذلك: (وإن الدعوة إلى الإسلام من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام بذلك الجماعات والآحاد من غير ترتيب من ولي الأمر، ولا تنظيم الحكام، ولكن يجب إتباعاً للهدي المحمدي أن تقوم الدولة الإسلامية بذلك، كما ينبغي لها أن تعهد به إلى جماعة إسلامية تخصص لذلك، إذا كانت تريد القيام بحق الإسلام عليها في تبليغ الدعوة، وإن ذلك الواجب لا يغني عن عمل الآحاد ولكن يجب أن يكون بجواره) [4] .

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة برقم ١٨٢٥، ج١٤٥٧/٣.

(٢) مجلة لواء الإسلام ، السنة السابعة، العدد السادس، ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣.

(٣) فتاوى أبو زهرة ص ٩١.

(٤) الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن ص ٣٩.

٢- **أقامة الحدود.**

ومن الأمور التي ذكر الشيخ أنها تجب على الإمام إقامة الحدود يقول في ذلك: (وعلى ذلك نقرر أن إقامة الحدود إذا استوفت شروطها واجب على الوالي، وليست حقاً له ينفذه إن شاء، ويتركه إن شاء، فإن لم يقم بها في مواضعها، فقد تخلى عن واجبه) (١) .

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴿١٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٨] (والقصاص بإجماع الفقهاء كما قرر القرطبي في أحكام القرآن يتولاه ولي الأمر) (٢).

ويعد رحمه الله إن إقامة الحدود من ولي الأمر تعد من أعلى العبادات بالنسبة له يقول رحمه الله: (فإقامة الحدود من ولي الأمر القائم على رعاية مصالح المجتمع، وإقامة الفضائل ومحاربة الرذائل تعد عبادة، بل هي أعلى العبادات بالنسبة له، وأي عبادة أعلى من تطهير المجتمع من الشر) (٣) .

٣- جمع الزكاة وإعطائها لمستحقيها.

يقول رحمه الله: (الأصل أن الإمام هو الذي يجمع الزكوات جميعها، وهو الذي يوزعها) (٤) .

ويقو أيضاً: (الأصل أن الإمام هو الذي يأخذ، وهو الذي يعطي الفقراء لقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة ١٠٣] ولأن الزكاة حق

---

(١) العقوبة في الفقه الإسلامي ص ٢٩٦.

(٢) زهرة التفاسير ٥٣٥/١.

(٣) المعجزة الكبرى القرآن ص ٤٧١.

(٤) مقال (الصدقة والنظام الاجتماعي).) مجلة لواء الإسلام، السنة الرابعة، العدد الرابع، ص ٢٨٩، ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠م.

الفقير ونصيبه في مال الله الذي أعطاه الغني، فكان على الإمام أن يجمع حقــوقهم، ويوزعها عليهم بالقسطاس المستقيم) [١] .

النقد :

ما ذكره الشيخ رحمه الله عن بعض الواجبات التي تجب على الإمام موافــق لما ذكره أهل العلم في ذلك، وإن كان رحمه الله لم يستوعب كل ما ذكره العلماء من قبله، فقد ذكر الإمام الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية ما يلزم الإمام من الأمور العامة وذكر عشرة أشياء فقال رحمه الله: (والذي يلزمه من الأمور العامة عــشرة أشياء :

أولها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتــدع أو زاغ ذو شبهة عنه أو ضح له الحجة وبين له الصواب وأخذه بما يلزمـــه مـــن الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنـــازعين حتـــى تعـــم النصفة، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

الرابع: إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن انتهاك وتحفظ حقوق عباده عــن إتلاف واستهلاك.

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة...

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة...

والسابع: جباية الفيء والصدقات ...

---

(١) مقال (الزكاة والنظام الاجتماعي) مجلة لواء الإسلام، السنة الرابعة، العدد التاسع، ص ٦٧٥، ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير...

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة...) [(١)].

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في رسالة الحسبة وكذلك في السياسة الشرعية بعض ما يجب على ولي الأمر فقال رحمه الله: (فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل .. فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار، من الأمراء .... والقضاة ... وولاة الأموال، ... والسعاة على الخراج والصدقات، وغير ذلك من الأموال التي للمسلمين) [(٢)].

وقال أيضاً: (والذي على ولي الأمر، أن يأخذ المال من حله، ويضعه في حقه، ولا يمنعه من مستحقه) [(٣)].

ويقول أيضاً: (وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ (٥٨) ﴾ [النساء: ٥٨]، فإن الحكم بين الناس يكون في الحدود والحقوق وهما قسمان، فالقسم الأول: الحدود والحقوق التي ليست لقوم معينين .... وتسمى حدود الله ، وحقوق الله، مثل حد قطاع الطريق، والسراق، والزناة، ونحوهم، ومثل الحكم في الأموال السلطانية، والوقوف والوصايا التي ليست لمعين، فهذه من أهم أمور الولايات، ... وهذا القسم يجب على الولاة البحث عنه، وإقامته من غير دعوى أحد به...) [(٤)].

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٩-٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤٦/٢٨-٢٤٧.

(٣) المرجع السابق ٢٦٩/٢٨.

(٤) المرجع السابق ٢٩٧/٢٨.

وقال السبكي: (فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود، وإقامة فـرض الجهـاد لإعلاء كلمة الله تعالى، فإن الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيساً آكلا شارباً مستريحاً، بل لينصر الدين، ويعلي الكلمة فمن حق، فمن حق ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا رسوله) [١].

المطلب الثاني: حقوق الإمام:

للإمام حقوق كثيرة أوجبها له الشرع حتى يستطيع أن يقوم بأعبـاء الإمـارة على أكمل وجه، وقد تطرق الشيخ أبو زهرة لبعض هذه الحقوق، ولـم يفـرد لهـا مباحث مستقلة في كتبه، وإنما أشار إليها إشارات أثناء كلامه عن تاريخ المـذاهب الإسلامية وأسباب نشأتها واختلافها وتفسيره لبعض الآيات ولهذا لم يستقـصي كـل هذه الحقوق وإنما أشار إلى بعضها ومما أشار إليه ما يلي:

أولاً: النصيحة لأئمة المسلمين :

يرى الشيخ أن النصح لأئمة المسلمين ينتج نتائج حسنة وخصوصاً إذا فـتح ولي الأمر بابه للمخلصين، فبعد أن ذكر أن الإمام أحمد كان يحث علـى الطاعـة وعدم الخروج على الولاة الظلمة وأن النصح لأئمة المسلمين هو الطريـق المثلـى لحملهم على العدل، وإقامة السنة، عقب بقوله : (لاشك أن هذه الطريق قد تنتج نتائج حسنة في الجملة إذا فتح ولي الأمر بابه للمخلصين، ونطقوا بـالحق، وفـتح أذنيـه لسماعه، وقلبه لوعيه، إنه بتوالي النصح والإرشاد قد يكون السير بالحكم في مدارج الكمال) [٢].

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم ص ١٦.

(٢) ابن حنبل حياته وعصره آراءه وفقهه، ص١٢٢.

النـقـد :

لاشك أن النصح لأئمة المسلمين من الأمور الواجبة على الرعية تجاه راعيها وقد دلت النصوص الشرعية على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة) وفي رواية قالها ثلاثاُ: (قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [١]. فهذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تدل على أهمية النصيحة لولاة الأمر حتى أن الإمام النووي جعل هذا الحديث جامعاً لأمور الإسلام يقول رحمه الله : (وأما ما قاله جماعة من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوا بل المدار على هذا وحده)[٢]، ويبين النووي معنى النصيحة لولاة الأمر فيقول: (وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج وعليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم) [٣].

ومن الأحاديث الدالة أيضاً على وجوب النصيحة لولاة الأمر قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) [٤].

ثانياً: السمع والطاعة:

يرى الشيخ أن طاعة الإمام واجبة، يقول في ذلك : (وتسمى الإمامة، لأن الخليفة كان يسمى إماماً، ولأن طاعته واجبة) [٥]، وهذه الطاعة والسمع لهم ليست

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم ٥٥، ج١/ ٧٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، ٣٩٦/٢.

(٣) المرجع السابق، ٣٩٨/٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، برقم ١٧١٥، ج٣/١٣٤٠.

(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٢٠.

مطلقة بل هي مقيدة بطاعة الله ورسوله يقول عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩] : (لقد ثبت بإجماع العلماء الذي لا مماراة فيه أن طاعة أولياء الأمور إنما تكون فيما فيه طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله الأمين كما نوهنا، وأنه ليس لولي الأمر طاعة في معصية، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) [١]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الطاعة في المعروف) [٢].

والمعصية منكر لا طاعة فيه، ولقوله عليه الصلاة والسلام: (على المرء المسلم السمع والطاعة، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) [٣]، ولَما قررنا من أن طاعة أولي الأمر مقرونة بطاعة الله ورسوله، وأنه ليس من المعقول أن يفهم من الآية أن ولي الأمر يطاع حيث يعصى الله ورسوله) [٤].

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة من حديث النواس بن سمعان برقم ٢٤٥٥، ج١٠/٤٤، وقال عنه محققه: " إسناده ضعيف" ، ولكن للحديث شاهد من حديث الحكم بن عمرو الغفاري وعمران بن الحصين كما عند أحمد في المسند برقم (٢٠٦٥٣) بلفظ " لا طاعة لمخلوق في معصية الله" وبرقم (١٩٨٨٠) بلفظ (لا طاعة في معصية الله) وقال عنه محققه: " إسناده صحيح على شرط الشيخين من جهة عمران بن حصين، وعلى شرط البخاري من جهة الحكم بن عمرو الغفاري، فهو من رجاله)، المسند ٣٤/ ٢٥١.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم ٦٧٢٦، ٢٦١٢/٦. وأخرجه أيضاً مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم ١٨٤٠، ج١٤٦٩/٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم ١٨٣٩. وأخرج البخاري نحوه كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم ٦٧٢٥، ٢٦١٢/٦

(٤) زهر التفاسير، ١٧٢٩/٤ – ١٧٣٠.

النـقـد :

ما ذهب إليه الشيخ من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر موافق لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن الطاعة لولاة الأمر ثابتة بالكتاب والسنة يقول تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩] يقول ابن جرير الطبري: (فإذا كان معلوماً أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل، وكان الله قد أمر بقوله: {أطيعوا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} بطاعة ذوي أمرنا، كان معلوماً أن الذين أمر بطاعتهم تعالى ذكره من ذوي أمرنا، هم الأئمة ومن ولَّوه المسلمين، دون غيرهم من الناس، وإن كان فرضاً القبول من كل من أمر بترك معصية الله ودعا إلى طاعة الله، وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمروا به رعيتهم مما هو مصلحة لعامة الرعية، فإن على من أمروه بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية)(١).

ويقول ابن القيم رحمه الله: (فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة) (٢).

وأما الأحاديث التي تأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر فكثيرة جداً منها ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى

---

(١) تفسير الطبري، ٤/١٥٣.

(٢) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم، يسري السيد محمد، ٢/٢٥.

الله عليه وسلم: (اسمعوا وأطيعوا، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة)[1]. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) [2].

وكذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت قال: (دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثره علينا، وأن لا تنازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان) [3].

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (إنهم – أي أهل السنة والجماعة– لا سبب يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة، فلا يجوزون طاعته في معصية الله، وإن كان إماماً عادلاً، فإذا أمرهم بطاعة الله أطاعوه، مثل أن يأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصدق والعدل، والحج والجهاد في سبيل الله، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله، والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله، ولا يسقط وجوبها لأمر ذلك الفاسق بها، كما أنه إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه، ولا يسقط وجوب إتباع الحق لكونه قد قاله فاسق، فأهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقاً، إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم) [4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام لم تكن معصية برقم ٦٧٢٣، ٢٦١٢/٦.

(٢) سبق تخريجه، ص ٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سترون بعدي أموراً تنكرونها)، برقم ٦٦٤٧، ٢٥٨٨/٦. رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم ١٧٠٩، ١٤٧٠/٣

(٤) منهاج السنة، ٣٨٧/٣.

ثالثاً: عدم الخروج عليهم:

يرى الشيخ أبو زهرة عدم الخروج على الحكام، وأن الخروج عليهم سبب للفوضى، والفتن، يقول: (وننتهي من هذا كله إلى أن الخلافة النبوية تجب الطاعة المطلقة فيها، وأن المختار للخلافة النبوية إذا فسق خرجت خلافته عن معنى الخلافة النبوية، وصارت خلافته ملكاً عضوضاً، ويستوي مع من لم يختر، وقد اتفق الجمهور بالنسبة له على ثلاثة أمور:

أولها: عدم الخروج عليه حتى لا يؤدي الخروج إلى فتنة يضيع فيها الحق، ويغلب الشح المطاع، ويتبع الهوى.

ثانيها: أنه لا يطاع في معصية قط، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما ذكرنا من قبل: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) [1].

ثالثها: أن كلمة الحق واجبة عند الحاكم الظالم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولرسوله ولأئمة المسلمين)[2]. وقد قال عليه الصلاة والسلام: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) [3].

---

(١) سبق تخريجه، ص ٤٤٣.

(٢) سبق تخريجه، ص ٤٤٢.

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم ١٨٨٢٨، ١٨٨٣٠ عن طارق بن شهاب ٣١/١٢٥- ١٢٦، وقال عنه محققه: (إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين) ورواه أيضاً الترمذي في كتاب الفتن باب فضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر برقم ٢١٧٤، ٤/٤٧١، وقال عنه (حديث حسن غريب من هذا الوجه). ورواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم ٤٣٤٤، ٢/٥٢٧. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم ٤٠١١، ٢/٤٠١٢، ٢/١٣٢٩- ١٣٣٠. والبغوي في شرح السنة في كتاب الإمارة والقضاء، باب ثواب من تكلم بحق عند سلطان جائر برقم ٢٤٧٣ت، ج١٠/٦٥-٦٦، وقال عنه حديث حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤٩١، ج١/٨٠٦٩.

وإنه إذا لم يستطع أن يقول الحق يستطيع أن ينكره بقلبه، وذلك أضعف الإيمان، وقد روى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع قالوا: أفلا نقاتلهم يا رسول الله؟ قال: لا ...) [1].

وروى في الصحيحين – البخاري ومسلم – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنكم سترون بعدي أثرة، وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم) [2]، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: (من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية ولا نبز عن يداً عن طاعة) [3]، اللهم أصلح الراعي والرعية ...)[4].

النقد:

ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من تحريم الخروج على أئمة المسلمين وإن جاروا وظلموا هذا ما تدل عليه النصوص الشرعية منها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، برقم ١٨٥٤، ٣/١٤٨٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم ١٨٤٣، ٣/١٤٧٢. وروى البخاري نحوه في كتاب المناقب، باب علامات النبوية في الإسلام برقم ٣٤٠٨، ٣/١٣١٩.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عون بن مالك الأشجعي، في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، برقم ١٨٥٥، ٣/١٤٨٢.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٩٤-٩٥، وانظر أيضاً الوحدة الإسلامية، ص١٥١.

تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان) [١]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فهذا أمر بالطاعة مع استئثار ولي الأمر، وذلك ظلم منه، ونهي عن منازعة الأمر أهله وذلك نهي عن الخروج عليه) [٢].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا، أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا) [٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [٤].

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من خرج من الطاعة، ومفارقة الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمّيّة يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عَقَبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب بَرّها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولسنا منه)[٥].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فالأول: هو الذي يخرج عن طاعة ولي الأمر، ويفارق الجماعة. والثاني: هو الذي يقاتل لأجل العصبية، والرياسة، لا في

---

(١) سبق تخريجه، ص ٤٤٥.

(٢) منهاج السنة، ٣/٣٩٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجود الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك برقم ١٨٥٤، ج٣/١٤٨٠.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم ١٨٥١، ٣/١٤٧٨

(٥) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، برقم ١٨٤٨، ٣/١٤٧٦.

سبيل الله كأهل الأهواء. والثالث: مثل الذي يقطع الطريق فيقتل من لقيه من مسلم وذمي، ليأخذ ماله، وكالحرورية المارقين ...) [1].

ويقول أبو عثمان الصابوني في بيان عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق، والصلاح، وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل) [2].

وكلام أئمة أهل السنة والجماعة في بيان هذا الأمر كثير ومشهور، وهو مبثوث في كتبهم وعقائدهم[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٣/٣٥.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٩٤.

(٣) انظر: شرح السنة البربهاري، ص٧٦-٧١. وأصول السنة لابن أبي زمنين، ص٢٧٥-٢٧٧. والشرح والإبانة لابن بطة، ص ٣٠٣-٣٠٤. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ١٢٩٦/٧.

الفصل الثالث

آراؤه في مسائل الأسماء والأحكام

المراد بالأسماء والأحكام في هذا الفصل، الأسماء الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة كمؤمن، وكافر، ومسلم، وفاسق.

وأما الأحكام فالمراد بها أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وتنازع الناس في الأسماء والأحكام أي في أسماء الدين، مثل مسلم ومؤمن، وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة) (١).

المبحث الأول: آراؤه في مسائل الإيمان

تعرض الشيخ أبو زهرة رحمه الله لبعض المسائل المتعلقة بالإيمان، وذكر فيها رأيه كمفهوم الإيمان، وزيادته، ونقصانه، وهل العمل داخل فيه؟ وحكم مرتكب الكبيرة، وسوف أفرد كل مسألة من هذه المسائل في مطلب مستقل.

المطلب الأول: رأيه في معنى الإيمان :

تكلم الشيخ رحمه الله عن الإيمان ومعناه في مواطن كثيرة من كتبه وخصوصاً في التفسير، وترجمته للأئمة، وعند التأمل في كلامه وما ذكره نجد أن الشيخ قد أشار إلى مفهوم السلف للإيمان، ولكنه لم يتبناه، بل تبنَّ رأي المرجئة من أن الإيمان هو التصديق والإذعان والإقرار يقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] : (والإيمان هو التصديق والإذعان بالقلب، وأن يصدق المؤمن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يصدق الرسول

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٨/١٣.

في كل ما جاء به مذعناً له، مصدقاً بأنه من عند الله تعالى) [1]. ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٨]: (أن الإيمان ليس هو المعرفة المجردة، إنما هو التصديق والإذعان والتسليم، فلم يذعنوا، ولم يسلموا ولم تصل المعرفة إلى تصديق)[2]، ويقول أيضاً: (والإيمان التصديق، ويتعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتراف والإقرار والإذعان والخضوع، ويتعدى باللام ويتضمن حينئذ معنى الاستسلام أو الاستجابة) [3].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٦] : (وقد عدى البيان القرآني بالباء في قوله تعالى {يؤمن بالله} لأن الإيمان بالله معناه التصديق والإذعان، والتصديق يتعدى بالباء)[4].

ويقول عند قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ .... ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة: ٤١] : (.. والحكم من الله تعالى بأنه إيمان بالأفواه، لا بالقلوب فهو إعلان عن الإذعان ولقد أكد سبحانه وتعالى ذلك الحكم بقوله تعالى: {ولم تؤمن قلوبهم} أي لم تذعن للحق وتسلم به، وتخضع له قلوبهم، وليس المعنى لم تصدق قلوبهم لأن الإيمان ليس هو المعرفة المجردة، بل إنه إذعان وخضوع لما تقتضيه المعرفة ويقينها) [5]ويقول أيضاً: (الإيمان يقتضي إذعان القلب وتسليم الفؤاد) فهذه النصوص تبين أن الشيخ يرى أن الإيمان هو مجرد التصديق والإذعان بالقلب والتسليم بالفؤاد [6].

---

(١) زهرة التفاسير، ١٦٨/١.

(٢) المرجع السابق، ١٢٢/١.

(٣) المرجع السابق، ١٠٣/١. وانظر أيضاً ٣٣٥٢/٦، ٤٧٥٢/٩.

(٤) زهرة التفاسير، ٣٣٥٢/٦.

(٥) المرجع السابق، ٢١٨٥/٤.

(٦) المرجع السابق، ٥٢١١/١٠.

النقـد :

ما ذهب إليه الشيخ من أن الإيمان هو التصديق والإذعان القلبي، موافق لقول المرجئة، وهو مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، فإن الإيمان عند أهل السنة مركب من قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴿١٧٧﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] : وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ .... ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة: ٤١]. وقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ... ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] وغيرها من الآيات.

وأما من السنة فالأحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) (١). يقول ابن حجر : (فهذه الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان، وأعمال البدن) (٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان برقم ٩، ١٣٠/١ . ومسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان برقم ٣٥، ج٦٣/١.

(٢) فتح الباري، ٦٨/١.

وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم ...) [١].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: (معلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان) [٢].

وأما الإجماع فقد حكام غير واحد من أهل العلم منهم الإمام الشافعي[٣] وابن أبي شيبة[٤]، وأبو عبيد القاسم بن سلام[٥] ، والبخاري[٦]، وابن منده[٧]، والآجري[٨]، وابن بطة[٩] ، وابن أبي زمنين[١٠]، واللالكائي[١١]، وابن عبدالبر[١٢]، والبغوي[١٣]،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان برقم ٥٣،١/ ٤١. وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله، رقم ١٧ ، ٤٦/١.

(٢) مجموع الفتاوى، ٩/٧.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ١/ ٢٠٢.

(٤) انظر: الإيمان لابن أبي شيبة، ص٤٦.

(٥) انظر: الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص١٩.

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي فقد حكاه عنه ١٩٥/١، ٩٥٩/٥.

(٧) انظر: الإيمان لابن منده، ص٣٢٨.

(٨) انظر: الشريعة، ٦١١/٢.

(٩) انظر: الإبانة لابن بطة، كتاب الإيمان، ٧٦١/٢.

(١٠) انظر: أصول السنة، ص٢٠٧.

(١١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٩١٣/٤.

(١٢) انظر: التمهيد، ٢٣٨/٩.

(١٣) انظر: شرح السنة، ٣٨/١-٣٩.

ابن تيمية[١]، وابن كثير[٢]، وابن رجب [٣]، ابن حجر[٤]، وغيرهم. يقول الإمام اللالكائي ناقلاً الإجماع عن الشافعي: (قال الشافعي رحمه الله في كتاب الأم في باب النية في الصلاة: (نحتج بأن لا تجزئ صلاة إلا بنية لحديث عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ممن أدركناهم: إن الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر) [٥].

ويقول الإمام الآجري: (باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه الخصال الثلاث ثم قال: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ معرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل الجوارح، فإذا أكتملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً دل عليه القرآن والسنة وقول علماء المسلمين) [٦].

وقال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل) [٧].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٠٨/٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٣/١.

(٣) انظر: فتح الباري لابن رجب، ٥/١.

(٤) انظر: فتح الباري، ٦٢/١.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٩٥٦/٥، وقد رجعت إلى كتاب الأم للشافعي ولم أجد هذا الكلام تحت النية في الصلاة.

(٦) الشريعة، ٦١١/٢.

(٧) التمهيد، ٢٣٨/٩.

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله : (ولهذا كان القول: إن الإيمان قــول وعمــل ونية عند أهل السنة، من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجمــاع فــي ذلــك) [١].
ويقول الحافظ ابن رجب [٢] رحمه الله في فتح الباري بعد ذكــر قــول البخــاري: الإيمان قول وعمل : (وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل وهذا كلــه إجمــاع مــن السلف وعلماء أهل الحديث، وقد حكى الشافعي: إجماع الصحابة والتــابعين عليــه، وحكى أبو ثور[٣] الإجماع عليه أيضاً، وقال الأوزاعي [٤]: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل وحكاه غير واحد من سلف العلماء عــن أهــل الــسنة والجماعة، وممن حكى ذلك عن أهل السنة والجماعة: الفضيل بن عياض[٥]، ووكيع بن الجراح[٦]، وممن روي عنه أن الإيمان قول وعمل: الحسن[٧]، وسعيد بن جبير[٨]،

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٠٨/٧.

(٢) هو الإمام الحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، الحنبلي، كان صاحب عبادة وتهجد، له عدد من المؤلفات منها شرح صحيح البخاري، وشرح علل الترمذي، وجامع العلوم، والحكم، وغيرها، توفي عام ٧٩٥هـــ.

(٣) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، الفقيه، الثقة، صاحب الشافعي، توفي عام ٢٤٠هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ، ٧٢/١١٢.

(٤) هو الإمام عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، كان فاضلاً عابداً وكان فقيهاً، توفي عام ١٥٧هـــ. انظر: سير أعلام النبلا، ١٠٧/٧ .

(٥) الفضيل، هو الفضيل بن عياض التميمي المروزي، شيخ الحرم، الزاهد المعروف، روى عنه بن المبارك والشافعي وغيرهما، توفي عام ١٨٧هـــ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٧٢/٨.

(٦) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، أبو سفيان الكوفي، إمام وقته وحافظة زمانه، كان من بحور العلم وأئمة الحفظ، توفي عام ١٩٧هـــ، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٤٠/٩.

(٧) سبقت ترجمته، ص٤٢٢.

(٨) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، كان عابداً فاضلاً، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٥هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٢١/٤.

وعمر بن عبدالعزيز[١]، وعطاء[٢]، وطاووس[٣]، ومجاهد[٤]، والشعبي[٥]، والنخعي[٦]، والزهري[٧]، وهو قول الثوري[٨]، والأوزاعي، وابن المبارك[٩]، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[١٠]، وأبي عبيد [١١]، وأبي ثور[١٢]، وغيرهم) [١٣].

فهذه النقولات السابقة تبين حقيقة مذهب السلف في الإيمان، وأنهم كانوا متفقين على أن الإيمان قول وعمل، وإن ورد عن بعضهم اختلاف في التعبير عن هذه الحقيقة، فهذا الاختلاف ليس معنوياً ولا يضر، وإنما كان غرضهم رحمهم الله

---

(١) سبقت ترجمته، ص٤٢٢.

(٢) هو عطاء بن أبي رباح أبو محمد المكي، كان ثقة فيقهاً عالماً كثير الحديث، توفي عام ١٥٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٧٨/٥.

(٣) هو طاووس بن كيسان أبو عبدالرحمن الفارسي اليمني، كان من الأئمة العُباد، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٨/٥.

(٤) سبقت ترجمته، ص٢٨١.

(٥) هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الهمداني الشعبي، روى عن عدة من كبراء الصحابة، وكان يستفتى وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم متواثرون، توفي عام ١٠٤هـ انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٩٤/٤.

(٦) هو شريك بن عبدالله النخعي الكوفي، وكان عادلاً فاضلاً عابداً، شديداً على أهل البدع، تولى القضاء بواسط ثم الكوفة، توفي عام ١٧٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠٠/٨ .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي، الفقيه الحافظ متفق على إمامته وجلالته وإتقانه، وهو من كبار التابعين، توفي عام ١٢٥. انظر سير أعلام النبلاء، ٣٢٦/٥.

(٨) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، إمام حجة متفق على عبادته وفقهه، توفي عام ١٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٢٩/٧.

(٩) سبقت ترجمته، ١٧٥.

(١٠) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي المعروف بان راهويه، كان أحد الأئمة الحفاظ، جمع بين الحديث والفقه والورع، توفي عام ٢٦١هـ، أنظر: سير أعلام النبلاء، ٣٥٨/١١.

(١١) سبقت ترجمته، ١٧٥.

(١٢) سبقت ترجمته، ص٤٥٥.

(١٣) فتح الباري لابن رجب، ٥/١.

التنبيه على أهمية ما زادوه أو دفع توهم خروجها عن حد الإيمان(١)، فجاءت عباراتهم متنوعة لتشمل جميع الأقوال والأعمال، ومن نظر فيها أدرك جلالة فقههم ودقة فهمهم رحمهم الله.

يقول شيخ الإسلام: (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية وإتباع للسنة، وتارة يقولون: هو قول باللسان واعتقاد بالقلب، عمل بالجوارح، وكل هذا صحيح) (٢).

ويقول أيضاً: (وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق والعمل في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولاً إلا بالتقييد كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ ⑪﴾ [الفتح: ١١] وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب، هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله فقول السلف: يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك، قال بعضهم ونية، ثم بين آخرون أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولاً إلا بموافقة السنة، وهذا حق أيضاً فإن أولئك قالوا: قول وعمل ليبينوا اشتماله على الجنس، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال، وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولابد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله، والتوكل على الله، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى، من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها (٣).

---

(١) انظر: الوعد الأخروي، ٣٩٦/١.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٧٠/٧.

(٣) المرجع السابق، ٥٠٥/٧-٥٠٦.

المطلب الثاني: رأيه في زيادة الإيمان ونقصانه :

أشار الشيخ إلى الخلاف الحاصل بين العلماء في زيادة الإيمان ونقصه حيث يقول عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] : (... ولكن هل يزيد الإيمان بالعمل الصالح، وينقص بترك العمل بموجبه وما يقتضيه ويدعو إليه؟ وهي قضية يخوض فيها علماء الكلام من حيث إن الإيمان يزيد وينقص أو لا يزيد ولا ينقص، وأنه حقيقة واحدة، وهي التصديق والاعتقاد الجازم، والإذعان المطلق لله ولرسوله، وتلك لا تزيد ولا تنقص) [(١)].

ويقول أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٣]: (ويتكلم العلماء حول قوله تعالى: {فزادهم إيماناً} فيقولون هل الإيمان يزيد وينقص؟ لقد قال بعض العلماء: إنه لا يزيد ولا ينقص لأنه اعتقاد وإذعان وتلك حقيقة ثابتة إما أن توجد كاملة وإما ألا توجد، ويكون معنى الزيادة على هذا الرأي ليست زيادة أصل الإيمان، إنما زيادة الثقة بنصر الله تعالى وعونه، وذلك من ثمرات الإيمان، لا من أصله، وهو شعبة منه، وليس جوهره، وقال آخرون وهم الأكثرون: إن الإيمان يزيد وينقص ....) [(٢)].

وبعد أن أشار الشيخ إلى خلاف العلماء في المسألة أبدى رأيه في ذلك وذهب إلى القول بالزيادة والنقصان يقول: (وفي الجملة فإننا نرى أن الإيمان يزيد وينقص، والله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور) [(٣)]، ويقول أيضاً: (وهناك مسألة تثار،

---

(١) زهرة التفاسير، ١/١٦٩.
(٢) المرجع السابق، ٣/١٥١١.
(٣) المرجع السابق، ٣/١٥١٢.

وهي زيادة الإيمان ونقصه، ونحن ممن يقولون إن الإيمان يزيد بتضافر الأدلة، وكثرة الآيات الموجبة) [١].

فمن النقول السابقة يتبين لنا أن الشيخ يقول بالزيادة والنقصان، لكن يبقى السؤال الأهم وهو ما مفهوم الزيادة والنقصان عند الشيخ؟ وقد بين الشيخ معنى الزيادة والنقصان عنده فقال: (وهكذا نرى في صريح القرآن أن الإيمان يزيد، وأنه وإن كان أصله الاعتقاد والتصديق، فإن زيادته تكون بتوثيقه بحيث يكون عميقاً لا تزعزعه الرياح، أو راسياً ثابتاً كالجبال ولا شك أن العمل بموجبه يوثقه، ويؤكده)[٢].

ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] : (كذلك آيات الله تعالى، كلما تليت عليهم آية أضاءت القلب وازداد نور الإيمان فازداد إيماناً، فزيادة الإيمان بزيادة الدليل وكثرته، وكل آية تقوي ناحية من نواحي الإيمان: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤] .

وهناك مسألة تثار، وهي زيادة الإيمان ونقصه، ونحن ممن يقولون إن الإيمان يزيد بتضافر الأدلة، وكثرة الآيات الموجبة، فإنها تقويه وتثبته، وتزيل الريب والشبهات، وليست زيادة الإيمان إلا قوته ودعمه بالأدلة، وكل آية في القرآن دليل قائم بذاته) [٣].

ويقول أيضاً: (وزيادة الإيمان بزيادة تثبيته في القلوب وزيادة العمل، فإن آيات القرآن الكريم يستأنس بها المؤمن، ويزداد رهبة من الله، وخوفاً منه ورجاء في رضوانه، وهذا بلا ريب زيادة في الإيمان) [٤].

---

(١) زهرة التفاسير، ٣٠٦٤/٦.
(٢) المرجع السابق، ١٧٠/١.
(٣) المرجع السابق، ٣٠٦٤/٦.
(٤) المرجع السابق، ٣٤٨٨/٧.

وفي سياق الحديث عن رأي أبي حنيفة في زيادة الإيمان ونقصانه، وبعد أن ذكر الخلاف في هذه المسألة ووجهات النظر فيها قال: (هذان نظران، وهاتان وجهتان، وإن كنا نميل إلى أن التصديق تتفاوت قوته، ومظهر ذلك العمل ...) [1].

النـقــد :

زيادة الإيمان ونقصانه من الأمور التي دلت النصوص الشرعية عليها وانعقد عليها الإجماع، فقد ورد التصريح بزيادة الإيمان في ستة مواضع من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١].

فهذه الآيات وغيرها فيها النص الصريح على زيادة الإيمان، وقد ذكر العلماء أن ما قبل الزيادة كان قابلاً للنقص يقول الإمام أحمد: (إن كان قبل زيادته – أي الإيمان– تاماً فكما يزيد كذا ينقص) [2]. وقيل لسفيان بن عيينة الإيمان يزيد وينقص قال: أليس تقرؤون: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، في غير موضع، قيل: فينبغي أن ينقص؟ قال: ليس شيء يزيد ألا وهو ينقص[3].

---

(١) أبو حنيفة حياته وعصره، ص١٥٥.

(٢) السنة للخلال، ٦٨٨/٢.

(٣) رواه الآجري في الشريعة برقم ٢٤٠، ٦٠٥/٢. ورواه ابن بطة في الإبانة برقم ١١٤٢، ٨٥٠/٢، وللاستزادة انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، د/ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ص٥١– ٥٤.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)[١]، وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه فقد قيل له: تقول الإيمان يزيد وينقص فقال: (حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك قوله: (أخرجوا من في قلبه كذا، أخرجوا من كان في قلبه)، فهذا يدل على ذلك) [٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما الصحابة وأهل السنة والحديث فقالوا: إنه يزيد وينقص، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان) [٣].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للنساء: (... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال فذلك من نقصان دينها) [٤].

ويقول أيضاً: (والقرآن نطق بالزيادة في غير موضع، ودلت النصوص على نقصه كقوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) لكن لم يعرف اللفظ إلا في

---

(١) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه برقم ٤٤، ١٢٧/١. ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، برقم ١٩٣، ١٨٢/١.

(٢) انظر: السنة للخلال، برقم ١٠٤١.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٢٠٥/٥.

(٤) فتح الباري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، برقم ٣٠٤، ٤٨٣/١. وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان ينقص الطاعات، برقم ٧٩، ٨٦/١– ٨٧.

قوله في النساء: (ناقصات عقل ودين) وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص) [١].

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) [٢]. وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث على نقصان الإيمان فقد سُئل الإمام أحمد عن الإيمان ونقصانه، فقال: (نقصانه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن) [٣].

وأما الإجماع فقد حكاه جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد[٤]، والأشعري[٥]، وابن بطة[٦]، وابن عبدالبر[٧]، والبغوي[٨]، وابن تيمية[٩]، وابن القيم[١٠]، وابن كثير[١١]، وغيرهم.

وما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من تفسير الزيادة والنقصان موافــق لقول

---

(١) مجموع الفتاوى، ٥١/١٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب السارق حين يسرق، برقم ٦٤٠٠، ٢٤٨٩/٦. وروى مسلم نحوه في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، برقم ٥٧، ٧٦/٤.

(٣) السنة للخلال برقم ١٠٤٥.

(٤) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد، ٣١٠/١.

(٥) انظر: رسالة إلى أهل الثغر، ص١٥٥

(٦) انظر: الإبانة، ٨٣٢/٢.

(٧) انظر: التمهيد: ٢٣٨/٩.

(٨) انظر: شرح السنة، ٧٨/١.

(٩) انظر: مجموع الفتاوى، ٦٧٢/٧.

(١٠) انظر: مدارج السالكين، ٤٢١/١.

(١١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢٩٨/٢.

لقول الأشاعرة فإن الأشاعرة مختلفين في هذه المسألة[1]، فمنهم من قال إن الإيمان يزيد ولا ينقص، ومنهم من لا يرى الزيادة والنقصان في الإيمان وذلك بناءاً على مذهبهم في الإيمان بأنه التصديق، والتصديق عندهم لا يقبل الزيادة والنقصان، ومنهم من قال بأن الإيمان يزيد وينقص ولأصحاب هذا القول مسلكان في تقريره.

أحدهما: القول بأن التصديق الذي هو أصل الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والزيادة والنقصان إنما تكون في الأعمال التي هي ثمراته، فالزيادة والنقصان فيه ليست بحسب ذاته ولكن بحسب متعلقة.

وثانيهما: القول بأن التصديق نفسه يزيد وينقص، فيصح إطلاق القول بزيادة الإيمان ونقصانه، فإن التصديق يزيد بكثرة النظر ووضوح الأدلة.

وهذا ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة ولاشك أن القول بأن نفس التصديق قابل للزيادة والنقصان حق لا ريب فيه لكن الذي يشكل على الشيخ هو أنه بنى هذا القول بناءاً على رأيه في تعريف الإيمان وأنه التصديق وهذا باطل وما بني على باطل فهو باطل وقد سبق بيان بطلان ذلك[2].

المطلب الثالث : رأيه في دخول الأعمال في مسمى الإيمان :

أشار الشيخ إلى العلاقة بين العمل والإيمان، وكان كلامه مضطرباً فمرة يجعل العمل ثمرة من ثمرات الإيمان، ومرة يجعله جزءاً من الإيمان، يقول في ذلك: (والحقيقة أنه وردت أحاديث كثيرة تجعل الأعمال من الإيمان وقد روى ابن ماجة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) انظر الإنصاف للباقلاني. أصول الدين للبغدادي، ص٢٥٢. والإرشاد للجويني. والمواقف للأيجي. وشرح جوهرة التوحيد للباجوري، ص٤٩-٥٠. وعون المريد لشرح جوهرة التوحيد، عبدالكريم تتان، ١/٢٦٠- ٢٧٣. وللاستزادة نظر: الإيمان بين السلف المتكلمين، د/ أحمد عطية الغامدي، ص١٦٤- ١٦٩. وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ص٣٦٣ وما بعدها.

(٢) انظر: ص ٤٥٢.

(الإيمان بعض وستون أو سبعون باباً أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأعلاها قول لا إله إلا الله، والحياء شعبة من الإيمان) [(١)].

وإن عد هذه الأعمال من الإيمان على أنها من ثمراته، ولا مانع من أن تعد الثمرة من الأصل إذا كانت لا تظهر إلا ثمرة له فلا تكون إلا من أصل الإيمان فهي من قبيل الاتحاد بين اللازم والملزوم) [(٢)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٨٢] : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات يستكن في القلب، والعمل ينميه ويزكيه، وقلنا: إن الإيمان كالبذر الطيب الذي يلقى في الأرض لابد له من سقي ورعي وجو صالح ينمو فيه ويزكو، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بموجب الإيمان، والإيمان من غير عمل كالبذر من غير إنتاج، وإنه يجف بل يموت إن لم يسق بالعمل، ولذلك لا يؤكد القرآن على الإيمان وحده بل يكون معه العمل الصالح) [(٣)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩]: (وما من مقام ذكر فيه المؤمنون بالمدح إلا اقترن به قيامهم بالعمل الصالح، لأن العمل الصالح ثمرته، ومثل الإيمان من غير عمل صالح يقدمه المؤمن كمثل شجرة جرداء لا تثمر ثمراً ولا تظل مستظلاً) [(٤)].

ويقول أيضاً: (ولا تجد في آيات الذكر الحكيم جزاء المؤمنين إلا كان هذان الوصفان الإيمان والعمل الصالح مذكورين معاً، فإن العمل ثمرة الإيمان وغصونه،

---

(١) رواه ابن ماجة في المقدمة باب في الإيمان برقم ٥٧، ٢٢/١. وسبق تخريجه.
(٢) زهرة التفاسير، ١٧٠/١.
(٣) المرجع السابق، ٢٨٨/١.
(٤) المرجع السابق، ٢٠٦٢/٤.

والشجرة تتغذى من الغصون، كما تتغذى من الجذور ، فالعمل يثبت الإيمان ويغذيه ويقويه) [(١)].

ويقول عند قوله تعـالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٧٠] : (وإن ذلك العمل يؤكد الإيمان ويوثقه، لأن العمل ثمرة الإيمان، أو هو جزء منه، كما أن ثمرة العلم العمل) [(٢)].

ومع هذا الاضطراب في علاقة العمل بالإيمان نجده ينتهي إلى ما انتهى إليه المرجئة أن ترك العمل بالكلية لا يخرج صاحبه من الإيمان، وأن الإيمان بلا عمل ظاهر ينفع صاحبه في الآخرة يقول عند قوله تعـالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٧] : (وقد جعل ذلك الوفاء وهذا الجزاء مبنياً على أمرين أحدهما: إيمان صادق، والثاني: عمل صالح فهما اللذان نيط بهما الجزاء، وفي الحق إن الإيمان الصادق يتبعه العمل الصالح، وليس بمؤمن حق الإيمان من يتخلى عمله عن اعتقاده) [(٣)].

ويقول عند قوله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [هود: ٢٣] : (... العمل الصالح وهو ثمرة الإيمان وأن الإيمان إن لم يصاحبه العمل كان ذلك نقصان في الإذعان) [(٤)] بمعنى أن عمل قلبه لا يذهب وإنما ينقص.

ويقول عند قوله تعـالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] : (ولاشك أن العمل الصالح ثمرة من

---

(١) المرجع السابق، ٢٨٤١/٦.

(٢) المرجع السابق، ٥٣١٩/١٠.

(٣) المرجع السابق، ١٢٤٧/٣.

(٤) زهرة التفاسير، ٣٦٩٥/٧.

ثمرات الإيمان الصادق، والإذعان المطلق لله سبحانه وتعالى، والطاعة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن هل يزيد الإيمان بالعمل الصالح، وينقص بترك العمل بموجبه وما يقتضيه ويدعو إليه؟ وهي قضية يخوض فيها علماء الكلام .. ولا نريد أن نخوض في ذلك، ونقول مقررين حقيقتين ثابتتين :

إحداهما : أنه قد جاء في النصوص القرآنية أن الإيمان يزيد فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] ....

وهكذا نرى في صريح القرآن أن الإيمان يزيد، وأنه وإن كان أصله الاعتقاد والتصديق، فإن زيادته تكون بتوثيقه بحيث يكون عميقاً لا تزعزعه الرياح أو راسياً ثابتاً كالجبال، ولاشك أن العمل بموجبه يوثقه، ويؤكده، وأن ترك العمل يجعله يجف، وإن كان لا يموت ولا يذهب وإن الجزاء يكون على الإيمان وللعمل جزاؤه .....

ومهما يكن القول في الاتصال بين الإيمان والعمل، بأن العمل يزكي الإيمان ويقويه، وهو كالماء، والغذاء، يتغذى منه الإيمان ويقوى، وإن الإيمان من غير عمل يجف، ولا يكون مثمراً منتجاً، فمن يكون مؤمناً غير أن يعمل بموجب إيمانه يكون كمن يملك أرضاً طيبة، لا يزرعها، ولا يثمرها.

ثانيهما: أن المؤمن، وإن لم يعمل، خير من الكافر، وإنه وإن أهمل فقد يعمل، والله تعالى يجزيه الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وهو خير كله إذا عمل، واتقى وأثر الحياة الآخرة على الدنيا) [(١)].

---

(١) زهرة التفاسير، ١/١٦٩ – ١٧٠.

النقد :

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا ينفع صاحبه بلا عمل ظاهر، فلا إيمان إلا بعمل ظاهر، وقد تنوعت دلالة الكتاب على ركنية العمل ودخوله في مسمى الإيمان فمن ذلك [(١)].

١- نفي الإيمان وإطلاق الكفر على من تولى عن الطاعة، كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النور: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٢]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والتولي هو التولي عن الطاعة كما قال تعالى: ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفتح:١٦] ، وقال تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القيامة: ٣١-٣٢]، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [الليل: ١٥-١٦].

وكذلك قال موسى وهارون: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [طه: ٤٨] ، فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر. وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي فلهذا قال: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القيامة: ٣١-٣٢]. وقد قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النور: ٤٧] فنفى الإيمان عمن يتولى فريق منهم من بعد العمل، وإن كان قد أتى بالقول، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ ﴿٦٢﴾ ﴾

---

(١) انظر: مقدمة الشيخ عبدالله السعد لكتاب رفع اللائمة عن فتوى اللجنة الدائمة، لمحمد الدوسري، ص١٧-٢٧.

[النور: ٦٢] وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال:٢] ففي القرآن والسنة من نفى الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة) [1].

٢- إطلاق لفظ الإيمان على بعض الأعمال كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة:١٤٣].

والمراد بالإيمان في هذه الآية الصلاة، وقد استدل الإمام البخاري رحمه الله بهذه الآية على أن الصلاة من الإيمان وعقد لذلك باباً في كتاب الإيمان من صحيحه فقال: (باب الصلاة من الإيمان، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴿١٤٣﴾ ﴾ يعني صلاتكم عند البيت) [2].

٣- أن الله تبارك وتعالى قرن الإيمان بالعمل في مواضع كثيرة من كتابه فتارة يعلق عليهما دخول الجنة كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [النساء: ٥٧].

وتارة يعلق عليهما المغفرة كقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [المائدة:٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢].

وتارة يعلق عليهما تكفير السيئات كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٧]. وهذا كله يدل على أن الإيمان والعمل قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يصح أحدهما إلا بالآخر.

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٤٢/٧.

(٢) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، ١١٨/١.

يقول الإمام الآجري: (اعلموا رحمنا الله وإياكم يا أهل القرآن، ويا أهل العلم بالسنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام، إنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالى، علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح. قرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضمّ إليه العمل الصالح الذي وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقاً بقلبه، وناطقاً بلسانه، وعاملاً بجوارحه لا يخفى على من تدبرّ القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت.

واعلموا رحمنا الله وإياكم أني قد تصفحت القرآن فوجدت ما ذكرته في شبيه من خمسين موضعاً من كتاب الله تعالى، أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفقهم له من الإيمان والعمل والصالح.

وهذا رد على من قال: الإيمان معرفة، ورد على من قال: الإيمان المعرفة والقول وإن لم يعمل، نعوذ بالله من قائل هذا) [(١)].

٤- وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة:٥].

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على دخول العمل في مسمى الإيمان منهم عطاء بن أبي رباح، والشافعي، والحميدي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، والآجري، وابن بطة، واللالكائي، وغيرهم [(٢)].

---

(١) الشريعة للآجري، ٢/٦١٨- ٦١٩.

(٢) انظر أقوالهم في الشريعة للآجري، ٢/٦٤٣، والإبانة لابن بطة، ٢/٨٠٩، ٨٢٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، ٥/٩٥٦.

وأما الأحاديث التي تدل على دخول العمل في مسمى الإيمان فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إلا إله الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) [1].

وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : (آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا من المغنم الخمس) [2].

والقول بمقتضى هذه النصوص هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وانعقد عليه إجماعهم [3]، من أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأما ما ذهب إليه الشيخ من أن تارك العمل بالكلية لا يكفر وأن إيمانه يجف ولا يموت فهو قول المرجئة وهو باطل لأن هذا القول مبني على مفهوم الإيمان وأن الإيمان هو التصديق، وهذا هو قول المرجئة وقد سبق بيان بطلانه وما بني على باطل فهو باطل. ولأنه مخالف لإجماع السلف، فإن السلف مجمعون على أن من ترك العمل الظاهر لا يصح إيمانه، فإن القول لا يصح ولا ينفع ولا يقبل إلا بالعمل، وسأنقل من أقوالهم ما يدل على ارتباط عمل القلب بعمل الجوارح، وأنهم لا يتصورون وجود الإيمان الباطن مع تخلف العمل الظاهر، وأن ذلك إنما يكون عن كفر وزندقة وردة عن الإيمان.

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٥٧.

(٢) فتح الباري كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان برقم ٥٣، ١٥٧/١. ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين برقم ١٧، ٤٦/١.

(٣) سبق نقل الإجماع، انظر: ص ٤٥٨.

أولاً: قول نافع [1] مولى ابن عمر رضي الله عنهما :

قال معقل بن عبيد الله العبسي [2]: (قدم علينا سالم الأفطس[3] بالإرجاء، فعرضه، فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً... ثم قدمت المدينة، فجلست إلى نافع فقلت له: يا أبا عبدالله إن لي إليك حاجة قال: سر أم علانية ؟ قلت: لا بل سر. قال: دعني من السر، سر لا خير فيه، فقلت: ليس من ذاك، فلما صلينا العصر قام وأخذ بيدي وخرج من الخوخة ولم ينتظر القاص، وقال: حاجتك، قال: قلت: أخلني هذا، فقال: تنح قال: فذكرت له قولهم [4] فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا اله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) [5].

---

(١) هو أبو عبدالله نافع المدني، مولى ابن عمر وروايته، الإمام المفتي، الثبت، عالم المدينة توفي عام ١١٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٩٥/٥.

(٢) هو معقل بن عبيد الله الجزري، أبو عبدالله العبسي مولاهم، الإمام المحدث، توفي عام ١٦٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣١٨/٧.

(٣) هو أبو محمد سالم بن عجلان الأفطس، الأموي مولاهم، ثقة تُكلّم فيه لقوله بالإرجاء قتله بنو العباس عام ١٣٢هـ. انظر: تهذيب الكمال، ٩٩/٣.

(٤) المراد بهم المرجئة.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ والذي في الصحيحين بدون لفظ " اضربهم بالسيوف " وإنما بلفظ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) وهذا لفظ البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم ١٣٣٥، ٥٠٧/٢. وأما لفظ مسلم فهو : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله برقم ٢١، ٥٣/١.

قال: قلت إنهم يقولون: نحن نقر بالصلاة فريضة ولا نصلي، وإن الخمر حرام ونحن نشربها، وإن نكاح الأمهات حرام ونحن نريده، فنتر يده، من يدي وقال: من فعل هذا فهو كافر) [1].

ثانياً قول سفيان بن عيينة رحمه الله :

وقد سُئل عن الإرجاء فقال: (يقولون: الإيمان قول ونحن نقول: الإيمان قول وعمل. والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليسوا سواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر هو كفر) [2].

ثالثاً: قول إسحاق بن راهوية رحمه الله :

قال رحمه الله : (غلت المرجئة حتى صار من قولهم: إن قوماً يقولون: من ترك المكتوبات، وصوم رمضان، والزكاة، والحج، وعامة الفرائص من غير جحود بها أنا لا نكفّره، يرجى أمره إلى الله بعد، إذ هو مقر، فهؤلاء المرجئة الذين لا شك فيهم) [3].

رابعاً: قول أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي :

قال: (فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم: ما أراد الله عز وجل من العباد إذ قال لهم: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة:٤٣]. الإقرار بذلك ؟ أو الإقرار والعمل ؟

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة برقم ٨٣١ ، ٣٨٢/١. والخلال في السنة برقم ١١٠٥، ٢٩/٤. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ١٧٣٢، ١٠٢٤/٥.

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة برقم ٧٤٥، ٣٤٧/١، وابن رجب في شرح صحيح البخاري، ٢٥/١.

(٣) فتح الباري لابن رجب، ٢٥/١.

فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم، ومن قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة ! فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل.

قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعاً لم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعاً ؟

أرأيتم لون أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر الله ولا أقر به أيكون مؤمناً ؟ فإن قالوا : لا .

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئاً أيكون مؤمناً؟ فإن قالوا: نعم.

قيل لهم : ما الفرق وقد زعمتم أن الله عز وجل أراد الأمرين جميعاً، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقول مؤمناً، لا فرق بين ذلك.

فإن احتج فقال: لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت العمل ؟

قيل له: إنما نطلق له الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمله في وقته إذا جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً ولو قال: أقر ولا أعمل لم نطلق له اسم الإيمان. وفيما بينا من هذا ما يُكتفى به ونسأل الله التوفيق) [١].

خامساً: قول أبو بكر الآجري رحمه الله:

قال: (فالأعمال – رحمكم الله تعالى – الجوارح تصديق للإيمان بالقلب واللسان. فمن لم يصدق الإيمان بجوارحه: مثل الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول: لم يكن

---

(١) أخرجه اللالكائي، برقم ١٥٩٠، ٩٣١/٤ – ٩٣٢.

مؤمناً، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه العمل تكذيباً منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرنا تصديقاً منه لإيمانه. وبالله تعالى التوفيق) [1].

سادساً: قول ابن بطة العكبري رحمه الله :

قال: (فقد تلوت عليكم من كتاب الله عز وجل ما يدل العقلاء من المؤمنين أن الإيمان قول وعمل، وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذباً وخارجاً من الإيمان، وأن الله لا يقبل قولاً إلا بعمل، ولا عملاً إلا بقول) [2]، ويقول أيضاً: (فمن زعم أنه يقر بالفرائض ولا يؤديها ويعمها، وبتحريم الفواحش والمنكرات، ولا ينزجر عنها ولا يتركها، وأنه مع ذلك مؤمن، فقد كذّب بالكتاب وبما جاء به رسوله) [3].

سابعاً: قول شيخ الإسلام ابن تيمية :

يقول رحمه الله: (الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل كما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف، وعلى ما هو مقرر في موضعه، فالقول تصديق الرسول، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمناً.

والقول الذي يصير به مؤمناً قول مخصوص وهو الشهادتان، فكذلك العمل هو الصلاة ... وأيضاً فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئاً فما دان لله ديناً، ومن لا دين له فهو كافر) [4].

ويقول أيضاً: (ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا

---

(١) الشريعة للآجري ، ٦١٤/٢.

(٢) الإبانة لابن بطة ، ٧٩٥/٢.

(٣) المرجع السابق، ٧٨٩/٢.

(٤) شرح العمدة، ٨٦/٢.

إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح) [١].

وقال رحمه الله: (والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان، فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضاً وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بيّن، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم: العمل الظاهر لازم للعمل الباطن ولا ينفك عنه، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن) [٢]. ويقول أيضاً: (فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء أنه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه، فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان، وأن الأعمال ليست من الإيمان.

وقد تقدم أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب ، وأن إيمان القلب التام [٣]

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦١١/٧.

(٢) المرجع السابق، ٥٥٤/٧.

(٣) قد يفهم من كلام الشيخ " إيمان القلب التام" أنه يقصد الإيمان الكامل وليس الصحيح أو المجزئ، وهذا الفهم خاطئ ولا يسلم لصاحبه، لأنه سبق في النقول السابقة أن شيخ الإسلام يؤكد أنه إذا انتفت الأعمال الظاهرة فإن ذلك إنما يكون مع نفاق في القلب وزندقة لا مع إيمان صحيح، وأن من لم يفعل لله شيئاً فما دان لله ديناً ومن لا دين له فهو كافر. ثم إني وقفت على عدة مواضع في الفتاوى يستعمل فيها شيخ الإسلام لفظ " إيمان القلب التام " بمعنى الإيمان الصحيح أو المجزئ منها على سبيل المثال : (... وبهذا تعرف أن من آمن قلبه إيماناً جازماً امتنع أن لا يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاء الإيمان القلبي التام وبهذا يظهر خطأ جهم ومن أتبعه في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة، فإن هذا ممتنع). الفتاوى، ٥٥٣/٧.

ويقول أيضاً: (وقد ذكرنا فيما تقدم أنهم – أي مرجئة الجهمية – غلطوا في ثلاثة أوجه أحدهما: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون العمل الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب، كمحبة الله وخشيته وخوفه والتوكل عليه والشوق إلى لقائه.

والثاني: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون العمل الظاهر، وهذا يقول به جميع المرجئة ...). الفتاوى، ٣٦٣/٧- ٣٦٤. وانظر أيضاً: ٥٦٢/٧.

بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع، سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان، أو جزءاً من الإيمان كما تقدم بيانه) [١].

وقد أطلت في النقل عن شيخ الإسلام لأبين بطلان ما نسبه الشيخ أبو زهرة في ترجمته لشيخ الإسلام من أن شيخ الإسلام لا يكفر بترك العمل بالكلية وإنما الذي يكفر به شيخ الإسلام هو ترك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن كل ما جاء به رسول الله صدق يقول في ذلك: (ولكن إذا كان الإيمان يزيد وينقص والأعمال جزءاً منه، فهل يعد من ارتكب كبيرة غير مؤمن؟ هنا يقرر ابن تيمية أن الإيمان باعتباره يزيد وينقص له أصل إذا لم يتوافر يكفر الشخص ولا يعد مؤمناً، وما عداه لا يكفر به الشخص، بل يعد مؤمناً، وإن كان ناقص الإيمان، والأصل الذي يكفر إذا تركه هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن كل ما جاء به محمد صدق، فهذا الجزء هو الذي إذا لم يتوافر لا يكون به الشخص مؤمناً، وخرج من زمرة المؤمنين) [٢].

المطلب الرابع : رأيه في مرتكب الكبيرة :

يرى الشيخ رحمه الله أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وأنه لا يخلد في النار، خلافاً للخوارج والمعتزلة. يقول في ذلك: (الحياة الآخرة هي دار النعيم المقيم أو العذاب الأليم، والأولى للمحسنين الذين أخلصوا، والثانية للكافرين الجاحدين الذين كفروا بالله تعالى ورسوله، وبينهما عصاة المؤمنين يحاسبون، ويجزون بالسيئة مثلها، والحسنة مثلها، وهم تحت رحمته وغفرانه، وهو يغفر لمن يشاء من عباده وإن عوقبوا فبمثل ما ارتكبوا أو أقل، ولا يزيد العقاب عما ارتكبوا) [٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦١٦/٧.

(٢) ابن تيمية حياته وعصره، ص٣٤١.

(٣) العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، ص٥٨.

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] : (بعد أن أشار سبحانه إلى ما أعد للكافرين، وهو النار التي وقودها الناس والحجارة التي كانوا يعبدونها فتلك حصب جهنم، وقد أعدت تلك النار للذين يكفرون بالوحدانية، وينكرون الرسالة الإلهية، والعصاة يقيمون فيها بقدر معاصيهم إلا أن يتغمدهم الله تعالى بعفوه وغفرانه ورحمته) (١).

ولا يقيد الشيخ رحمه الله العفو والغفران بالتوبة ولهذا أشار إلى قول الزمخشري في هذا وخالفه يقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٥]: (وقوله تعالى: {ومن يغفر الذنوب إلا الله} فيه بيان إجابة الاستغفار وفيه بيان أن لا مفر من الله إلا إليه ولذا يقول الزمخشري في قوله تعالى: {ومن يغفر الذنوب إلا الله} وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة، وإن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وإنه لا مفر للمذنبين إلا فضله، وأن عدله يوجب المغفرة للتائب، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز، وفيه تطبيب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط، وإن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم). وذلك كلام مستقيم لولا أنه أوجب المغفرة حيث التوبة، والله تعالى لا يجب عليه شيء وإن رحمة الله بعبادة مع علمه بطبيعة تكوينهم الذي يتنازعه الخير والشر جعلت المغفرة قريبة ...) (٢).

ويؤكد ذلك عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] بعد أن أشار إلى أن المراد بالظلم هنا الشرك أشار إلى قول الزمخشري وخالفه فقال: (وقد فسر الزمخشري الظلم بالمعصية سيراً

---

(١) زهرة التفاسير، ١٦٧/١.

(٢) زهرة التفاسير، ١٤١٦/٣

على مذهبه من أن مرتكب الكبيرة غير مؤمن، وقد نرى في تفسيره من غير أن ننتهي إلى نهايته، لأن العصاة وإن كانوا يدخلون في أهل القبلة ليسوا في أمن من العذاب [١] إنما يعذبون بمقدار ذنوبهم إلا أن يتغمدهم الله تعالى برحمته) [٢].

النقد:

ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة في حكم مرتكب الكبيرة موافق لقول أهل السنة والجماعة، فإن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تدل على أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء عذابه وإن شاء غفر له يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨] فأدخل سبحانه وتعالى في المشيئة كل ذنب عدا الشرك، وهذا في حق غير التائبين وأما مع التوبة فلا فرق بين الشرك وغيره، فإن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣]، فهنا عمم وأطلق وفي آية النساء خصص وقيد.

يقول شيخ الإسلام: (والذنب وإن عظم، والكفر وإن غلظ وجسم، فإن التوبة تمحو ذلك كله، والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب، بل يغفر الشرك وغيره للتائبين، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] وهذه الآية عامة مطلقة، لأنها للتائبين. وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨] فإنها

---

(١) يقول الشيخ ابن عثيمين تعليقاً على هذه الآية: (وإذا انتفى الظلم حصل الأمن لكن هل هو أمن كامل؟ والجواب: أنه إن كان الإيمان كاملاً لم يخالطه معصية، فالأمن أمن مطلق أي: كامل، وإذا كان الإيمان مطلق إيمان – غير كامل – فله مطلق الأمن أي: أمن ناقص. مثال ذلك: مرتكب الكبيرة آمن من الخلود في النار، وغير آمن من العذاب، بل هو تحت المشيئة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾. القول المفيد على كتاب التوحيد، ٥٧/١.

(٢) زهرة التفاسير، ٢٥٧٠/٥. وانظر أيضاً، ١٠٢٦/٢، ١٦١٦/٣، ١٨٠٥/٤، ١٨٦٠. وتاريخ المذاهب، ص١٤٠. وأبو حنيفة، ص١٥٦.

مقيدة خاصة، لأنها في حق غير التائبين، لا يغفر لهم الشرك وما دون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى) [١].

ومن السنة ما رواه البخاري من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) [٢].

فهذا نص صريح من النبي صلى الله عليه وسلم في أن من أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

والقول بمقتضى هذه النصوص هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وانعقد عليه إجماعهم يقول الإمام الصابوني رحمه الله: (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقباً على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل اعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)[٣]. وقد ذكر البغوي رحمه الله اتفاق أهل السنة على ذلك يقول: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر، إذا لم يعتقد

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٥٨/٢.

(٢) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب علاقة الإيمان حب الأنصار برقم ١٨، ٨١/١.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص٢٧٦.

إباحتها، وإذا عمل شيء منها فمات قبل التوبة لا يخلد في النار، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته) [١].

ويقول شيخ الإسلام: (وأهل السنة والجماعة متفقون على أنه لا يكفر المسلم بمجرد الذنب كما يقوله الخوارج، ولا أنه يخرج من الإيمان بالكلية كما يقوله المعتزلة، لكن ينقص الإيمان، ويمنع كماله الواجب) [٢].

ويقول أيضاً: (وأما أهل السنة والجماعة والصحابة، والتابعون لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامية والكلابية والأشعرية، والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم، فيقولون أن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة، وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها، وله حسنات دخل بها الجنة، وله معصية وطاعة باتفاق، فإن هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه، لكن تنازعوا في اسمه، فقالت المرجئة: جهميتهم وغير جهميتهم: هو مؤمن كامل الإيمان، وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان، ولولا ذلك لما عذب، كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين.

وهل يطلق عليه اسم مؤمن ؟

هذا فيه القولان، والصحيح التفصيل، فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة. قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين. وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة. قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه، ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان)[٣].

---

(١) شرح السنة، ١/١١٧.

(٢) الاستقامة لابن تيمية، ٢/١٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ٧/٣٥٤.

المبحث الثاني : آراؤه في مسائل الكفر

تمهيد في تعريف الكفر لغة وشرعاً:

الكفر لغة : مصدر كَفَر يَكْفُرُ كُفْراً [1].

يقول ابن فارس : (الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطّى درعه بثوب: قد كفر درعه. والمُكَفِّر الرجل المتغطّي بسلاحه ... ويقال للزّارع كافر، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد:٢٠]، ورمادٌ مكفور: سَفَت الريح التراب عليه حتى غطَّتْه) [2].

وشرعاً : اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكفر وعند التأمل فيما ذكروه من تعاريف نجد أنها تدور حول ما يضاد أصل الإيمان فالكفر ضد الإيمان ويكون بتكذيب أو جحود النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه [3].

يقول ابن حزم: (وهو في الدين صنعة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه، ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان)[4].

ويقول شيخ الإسلام: (الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين) [5].

---

(١) انظر: معجم الصحاح للجوهري بترتيب خليل مأمون شيحا، ص٩١٦. ومعجم مقاييس اللغة، ١٩١/٥. ولسان العرب، ٧١٥/٣. والقاموس المحيط، ٦٥٤/١..

(٢) معجم مقاييس اللغة، ١٩١/٥.

(٣) انظر : درء التعارض، ٢٤٢/١.

(٤) الأحكام في أصول الأحكام، ٤٩/١.

(٥) مجموع الفتاوى، ٨٦/٢.

ويقول أيضاً: (الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة) [(١)].

ويقول أيضاً: (الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم) [(٢)].

المطلب الأول : **رأيه في مفهوم الكفر** :

تطرق الشيخ رحمه الله لمفهوم الكفر عند بعض الآيات التي ورد فيها لفظ الكفر ومشتقاته، ويبدو من خلال التأمل فيما ذكره الشيخ أنه يحصر الكفر في الجحود والتكذيب يقول عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] : (والكفر في أصل معناه اللغوي السَّتْرُ، ومن ذلك إطلاق الكفار على الزراع لأنهم يسترون البذر لينبت نباتاً طيباً كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ۝٢٠﴾ [الحديد:٢٠] أي أعجب الزراع نباته، وقد أطلق من بعد ذلك على ستر الفطرة، وطمس الحق ... كما يطلق الكفر على جحود النعمة، وإنكارها ... وذكر الله تعالى الكفر من غير متعلق فقال: {إن الذين كفروا} للدلالة على جحود كل خير، فلا يكفر الكافر بالله تعالى وحده، بل يكفرون بكل نعمة وينكرون كل خير) [(٣)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠﴾ [آل عمران: ٩٠] : (... وهذا القسم لا تقبل توبته، لأنه لا يتوب توبة نصوحاً، وقد عبر سبحانه عن إيغالهم في الشر بقوله: {ثم ازدادوا كفراً} أي أن الكفر درجات، وكل إيغال فيه ازدياد، ذلك لأن الكفر جحود

---

(١) المرجع السابق، ١٢/٣٣٥.

(٢) در التعارض، ١/٢٤٢.

(٣) زهرة التفاسير، ١/١١٦.

القلب مع قيام الأمارات والأدلة، وكلما اشتد العناد اشتد الجحود) [1]، ويبين رحمة الله أن في قصص النبيين وكفر أقوامهم بيان أن الكفر ليس منشأه نقصاً في البينات وإنما منشأة الجحود وغلبة الهوى يقول عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ [آل عمران: ٣٣] : (وفي قصص النبيين وكفر أقوامهم مع الآيات الحسية التي أتى بها النبيون بيان أن الكفر ليس منشأه نقصاً في البينات، ولكنه ينشأ من الجحود وغلبة الهوى، والإعراض عن مناهج الاستدلال الصحيح) [2].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠ ﴾ [المائدة:١٠] : (وإن أولئك الذين لم يؤمنوا يتصفون بوصفين: أولهما: الكفر، وثانيهما: تكذيب آيات الله تعالى القائمة حجة على رسالة الرسول الذي أرسل إليهم، وقد ذكر الكفر سابقاً على تكذيب الآيات مع أن الظاهر أن الكفر نتيجة لهذا التكذيب، وذلك لأن الكفر هنا معناه: جحود القلب، وطمس معالم الإدراك، فقلوبهم غلف، قد غطيت عنها الحقائق، وغاب عنها الفهم الصحيح، والإنكار يكون مرتكزاً في النفس، فلا تذعن ولا تصدق، وإذا كانت النفوس والمعجزات القطعية، لأن القلب قد شاه وفسد، فلا يرى الحقائق ويكذب بها ... وكان التكذيب جرماً عظيماً لأنه تكذيب بآيات الله تعالى التي كانت للدلالة على الرسالة، والإذعان للحق فلم يفعلوا، وكان الجزاء ما عبر عنه سبحانه بقوله تعالى: {أولئك أصحاب الجحيم} أي أولئك الذين كان منهم الكفر والجحود ثم التكذيب للآيات ...) [3].

النقد :

ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة عفى الله عنه من حصر الكفر بالجحود والتكذيب موافق لقول المرجئة، وهو باطل من وجوه:

---

(١) زهرة التفاسير، ٣/١٣١٠.

(٢) المرجع السابق، ٣/١١٩٤.

(٣) المرجع السابق، ٤/٢٠٦٤.

الوجه الأول: أن أهل السنة والجماعة لا يحصرون الكفر بالجحود والتكذيب، وذلك بناءاً على مذهبهم في الإيمان فكما أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، فكذلك الكفر عندهم يكون بالاعتقاد، أو القول، أو العمل، ولا يشترطون الاستحلال والجحود في الكفر فيكون القول أو العمل بمجرده كفراً ولو لم يصاحبه استحلال وجحود وعباراتهم تدل على ذلك. يقول الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله : (أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبياً من أنبياء الله، أنه كافر بذلك، وأن كان مقراً بكل ما أنزل الله) [1].

ويقول الإمام أبو ثور رحمه الله : (فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب، والقول باللسان، وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع ... ثم قال: المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام وقال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك، أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن) [2].

ويقول الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله : (بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥] : (فنص تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسول من رسله كفر مخرج عن الإيمان، ولم يقل تعالى في ذلك إني علمت أن في قلوبكم كفراً، بل جعلهم كفاراً بنفس الاستهزاء، ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى ما لم يقل وكذب على الله تعالى) [3].

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر، ٤/٢٢٦.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ٤/٩٣٢.

(٣) الفصل في الملل والأهوال والنحل، ٢/٢٢٤.

ويقول الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله عن المرتد: (يفسد صومه وعليه قضاء ذلك اليوم، إذا عاد إلى الإسلام، سواء أسلم في أثناء اليوم، أو بعد انقضائه، وسواء كانت ردته باعتقاد ما يكفر به، أو بشكه فيما يكفر بالشك فيه، أو بالنطق بكلمة الكفر مستهزءاً أو غير مستهزء) (١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإنه سبحانه استثنى المكره من الكفار، ولو كان الكفر لا يكون إلا بتكذيب القلب وجهله لم يستثن منه المكره ، لأن الإكراه على ذلك ممتنع فيُعلم أن التكلم بالكفر كفر إلا في حال الإكراه) (٢).

ويقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: (وأن الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول، وبالشك وبالترك، وليس محصوراً بالتكذيب بالقلب كما تقوله المرجئة، ولا يكون من زوال بعض الإيمان زوال كله كما تقول الخوارج) (٣).

الوجه الثاني: أنه لا يكون للقول والعمل المكفر أثر في التكفير وجوداً وعدماً، وإنما المؤثر في التكفير على الحقيقة هو الجحود والتكذيب، والجحود والتكذيب كفر بنفسه سواء صاحبه القول والعمل أو لم يصاحباه، وعليه فلا معنى لوقوع الكفر بهما (٤).

الوجه الثالث: أنه لا يكفر من قال قولاً كفرياً أو عمل عملاً كفرياً وزعم أن قوله ذلك أو عمله ليس اعتقاداً وجحوداً وإنما غيظاً أو سفهاً أو عبثاً أو لعباً وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل السنة (٥).

---

(١) المغني، ٢٩٨/١٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ٥٦/٧.

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٢٧. وللاستزادة انظر: التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد للشيخ علوي السقاف.

(٤) انظر: الصارم المسلول، ٩٦٣/٣.

(٥) انظر: الصارم المسلول، ٩٦٣/٣. وانظر أيضا مجموع الفتاوى، ١٨٩/٧، ١٩١، ٥٣٤، ٥٨٣، ٥٨٤.

الوجه الرابع: أنه لا يكون شيء من الأقوال والأعمال كفراً إلا مع الاعتقاد، والاعتقاد من السرائر المحجوبة، وعليه فلا يتحقق كفر كافر قط إلا بالنص الخاص في شخص خاص [(١)].

الوجه الخامس: أن كثيراً من الكفار كانوا على علم بصدق ما جاءت به الرسل، ولم يكن موجب كفرهم الجهل أو التكذيب، وإنما كان موجب ذلك عدم الإذعان لما عرفوا من الحق، لأنه يخالف إرادتهم، أو أهواءهم أو عاداتهم أو غير ذلك، فإبليس كافر بنص قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] وموجب كفره كما هو ظاهر الإباء والاستكبار لا الجهل أو التكذيب والجحود لأنه كان عارفاً ومقراً بالربوبية، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢] وقوله: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر:٣٩].

وفرعون كان على يقين من صدق موسى عليه السلام كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل:١٤] وإنما كان كفره هو وقومه لاستكبارهم عن اتباع موسى والانقياد لأمره.

واليهود كانوا على علم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة:١٤٦]، وكان كفرهم لعدم الإذعان لموجب ما علموه إما حسداً أو خوفاً أو غير ذلك. وأيضاً فإن كثيراً من المشركين كانوا على علم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام:٣٣]، فنفى أن يكون التكذيب موجب كفرهم، لأنهم على يقين من صدقه صلى

---

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق، ص٣٨٠.

الله عليه وسلم وإنما أظهروا الجحود حسداً وكبراً. فكان كفرهم لحسدهم وكبرهم ولغير ذلك مما ذكره الله في كتابه كمحبة دين الآباء، والخوف من أذية المشركين[1].

الوجه السادس: أن الله تبارك وتعالى: قال: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦] فاستثنى الله تبارك وتعالى المكره من وعيد الكفر، ولو كان الكفر لا يكون إلا بالتكذيب والجحود لم يستثن المكره، لأن الإكراه على ذلك ممتنع لأن القلب لا سبيل لأحد عليه، فعلم أن نفس التكلم بالكفر كفر في غير حال الإكراه [2].

وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من حصره الكفر في التكذيب والجحود، وأن الصواب هو ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك، وأن التكذيب والجحود هو أحد أنواع الكفر. يقول ابن القيم رحمه الله: (وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر إعراض ، وكفر شك ، وكفر نفاق) [3].

---

(١) انظر: الوعد الأخروي شروطه وموانعه، ٢/٦٣٦- ٦٣٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٧/٥٦٠.

(٣) مدارج السالكين، ١/ ٢٥٣.

الخـــاتمة

بعد حمد الله تبارك وتعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، وتبلغ الغايات، وتنال المكرمات، فقد تم إنجاز هذا البحث وإتمامه بحول منه سبحانه وعونه، وإني لا أدعي فيه الكمال والإحاطة، وحسبي أني بذلت قصارى جهدي لإتمامه، فما كان فيه من صواب فهو من فضل الله وتوفيقه، فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خلل وتقصير فهو مني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، واستغفر الله وأتوب إليه.

وهذا عرض لأبرز النتائج التي توصلت إليها:

١- أن الشيخ سلك مسلك المتكلمين في تقرير العقيدة، فهو لا يأخذ بخبر الآحاد في العقيدة، وما كان في القرآن الكريم فهو يخضعه للتأويل وخصوصاً في الصفات.

٢- أن الشيخ نسب للصحابة القول بالمجاز في آيات الصفات وقد بينت بطلان ذلك.

٣- وافق الشيخ أهل السنة في وجود الله وربوبيته، ولم يسلك مسلك المتكلمين في ذلك.

٤- وافق أهل السنة والجماعة في معنى توحيد الإلوهية، وشهادة أن لا إله إلا الله، وذكر بعض ما يناقض توحيد الإلوهية أو يقدح فيه في الجملة، وخالفهم في مسألة النذر لغير الله، وفي مسألة شد الرحال لزيارة قبر النبي.

٥- خالف أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، وسلك مسلك المتكلمين وخصوصاً الأشاعرة في تأويل الصفات.

٦- وافق المعتزلة والأشاعرة في القول بخلق القرآن.

٧- وافق أهل السنة والجماعة في الإيمان بالملائكة وتقرير عصمتهم.

٨- وافق أهل السنة والجماعة في الإيمان بالكتب وما تتضمنه، وفي نزول القرآن وإعجازه وفي بطلان القول بالصرفة

٩- وافق أهل السنة والجماعة في معنى الإيمان بالرسل، وخالفهم في القول بعصمتهم مطلقاً من الكبائر والصغائر.

١٠- خالف أهل السنة والجماعة في تعريف المعجزة.

١١- وافق أهل السنة والجماعة في معنى الإيمان باليوم الآخر في الجملة فأثبت عذاب القبر ونعيمه، والبعث والشفاعة، والإيمان بالجنة والنار، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، وخالفهم في تأويل الميزان والصور.

١٢- وافق أهل السنة والجماعة في معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه ووافقهم أيضاً في خلق أفعال العباد، وخالفهم في الحكمة والتعليل.

١٣- وافق أهل السنة والجماعة في بيان فضل الصحابة رضوان الله عليهم وخالفهم في الخوض فيما شجر بينهم، وله قول سيء في معاوية رضي الله عنه.

١٤- وافق أهل السنة والجماعة في تعريف الإمامة، ووجوبها، وإثبات إمامة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

١٥- خالف أهل السنة والجماعة في مفهوم الإيمان وفي زيادة الإيمان ونقصانه.

١٦- خالف أهل السنة والجماعة في مفهوم الكفر، ووافق المرجئة والجهمية في حصره الكفر بالتكذيب والجحود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

فهرس لآيـــات

السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	(أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)	١٠٨	٢٩١
البقرة	(قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)	١٣٦	٤٥٢
البقرة	(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)	١٤٣	٤٥٢-٤٦٧
البقرة	(ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)	١٤٦	٤٨٦
البقرة	(وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ)	١٦٣	١٢٢
البقرة	(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ)	١٦٥	٢١٦
البقرة	(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ)	١٧٧	٤٥٢
البقرة	(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)	١٨٦	٢٧٣

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
آل عمران	﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٣٢	٤٦٧
آل عمران	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٣٣	٤٨٣
آل عمران	﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٤٢	٣٥٣
آل عمران	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٩٠	٤٨٢
آل عمران	﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٣	٣٩٢
آل عمران	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	١٣٥	٤٧٧
آل عمران	﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٨	١٨٣
آل عمران	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩	٣٦٧
آل عمران	﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾	١٧٣	٤٦٠-٤٥٨
النساء	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٦	١٨٠
النساء	﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾	٣٦	١١٩-٩٣

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
النساء	(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)	٤٨	١٢٨-٤٧٨
النساء	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)	٥٦	٣٩٧
النساء	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)	٥٧	٤٦٨
النساء	(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)	٥٨	٢٢٠-٢٢١-٤٤٠
النساء	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)	٥٩	٤٣٣- ٤٣٣- ٤٤٤
النساء	(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)	٧٨	١٨٥
النساء	(مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)	٨٠	٣٤٧
النساء	(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)	٨٢	١٨٤
النساء	(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)	٩٣	٢٨٣
النساء	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ	١٢٢	٣٩٤

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا)		
النساء	(لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا)	١٤٨	٤٠٤
النساء	(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)	١٥٧- ١٥٨	١٩٩
النساء	﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾	١٦٤	٢٣٠-٢٢٦
النساء	(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ)	١٧٦	١٨٠
المائدة	(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)	٩	٤٦٨-٤٦٥
المائدة	(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ)	١٠	٤٨٣
المائدة	(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ	١٥	٣٣٥-١٨٣

السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	مُّبِينٞ)		
المائدة	(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)	١٩	٣٤٧
المائدة	(يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ)	٣٧	٣٩٧
المائدة	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ)	٤١	٤٥١-٤٥٢
المائدة	(وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ)	٤٨	٣٢٠-٣٢٢-٤٣٣
المائدة	(وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن	٤٩	٤٣٣

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ)		
المائدة	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)	٥٤	٢٨٦
المائدة	(وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ)	٦٤	٢٠٩-٢١٠-٢١١-
المائدة	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ)	٦٧	٧٨
المائدة	(مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)	٧٥	٢٥٩-٣٥٤
المائدة	(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ	١١٠	٣٥٣

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ)		
الأنعام	(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ)	١٨	١٩٩
الأنعام	(وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)	٣٢	٣٦٣
الأنعام	(قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ)	٣٣	٤٨٦
الأنعام	(وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ)	٣٨	٤٠٤
الأنعام	(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)	٣٩	٤٠٤
الأنعام	(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ)	٦١	١٩٧
الأنعام	(قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ)	٦٥	٢٠٧
الأنعام	(قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)	٧١	١٤٢
الأنعام	(وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ)	٧٢	٣٦٣
الأنعام	(وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ)	٧٣	٣٧٤

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الأنعام	(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)	٨٢	٤٧٧
الأنعام	(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ)	٩٣	٣٦٠
الأنعام	(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)	١٥٨	٢٨١-٢٧٩
الأنعام	(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ)	١٠٢	٤٠٥-١٢٩
الأنعام	(لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ)	١٠٣	٢٩٠
الأنعام	(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)	١٢٨	٣٩٥
الأنعام	(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ)	١٤١	١٠٩
الأنعام	(سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا	١٤٨	٤٠٨

السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)		
الأنعام	(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)	١٥١	١٢٨
الأنعام	(قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)	١٦٤	١٣٠
الأعراف	(ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)	٣	١٧٦
الأعراف	(وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)	٨	٣٨٢
الأعراف	(وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ)	٨-٩	٣٧٥-٣٧٨
الأعراف	(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ)	١٢	٤٨٦
الأعراف	(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)	٢٩	٣٦٦-٣٦٨

السورة	الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الأعراف	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٣	١٧٧
الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٥٤	٢٦١-٢٤٥
الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٥٤	١٩٨
الأعراف	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾	٨٠	١٣٣
الأعراف	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾	١٥٢	**٢٨٢**
الأعراف	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	١٥٨	٣٤٦-٣٣٦
الأعراف	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾	١٧٢	١٠٦-١٠٠

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـــــة	السورة
٤٠٢	١٧٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾	الأعراف
١٣٩	١٩١-١٩٢	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾	الأعراف
٤٥٢-٤٥-٤٦٠-٤٦٦	٢	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	الأنفال
٢١٧	٤٢	﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأنفال
٤١٤	٧٤	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	الأنفال
٤٥١	٦	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾	التوبة
٤١٩	١٢	﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾	التوبة
٢٧١	٢١	﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾	التوبة
٣٩٥	٢٢	﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	التوبة
٤٢٠	٣٤	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى	التوبة

السورة	الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)		
التوبة	(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ)	٦٥	٤٨٤
التوبة	(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)	٧٢	٢٨٥-٣٩١
التوبة	(وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)	١٠٠	٤١٥- ٤١٦
التوبة	(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)	١٠١	٣٦٠
التوبة	(لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)	١١٧	٤١٦
التوبة	(وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)	١٢٤	٤٥٩
يونس	(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)	٢٦	٢٩٥-٢٩٦
يونس	(وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ	١٠٧	٢٧٠

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلرَّحِيمُ)		
هود	(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)	٦	٤٠٣-٤٠٤
هود	(فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ)٤٦٥	١٤	١١٤
هود	(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)	٢٣	٤٦٥
هود	(وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ)	٣٧	٢١٧
هود	(وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)	٤٤	٢٦٥
هود	(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ)	٦١	١٢٨
هود	(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ)	١٠٦-١٠٧	٣٩٥
يوسف	(يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ)	٣٩	٢٠٤
يوسف	(قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)	٩٢	٢٧٠
يوسف	(وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ)	١٠٠	٢٦١

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
يوسف	(وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)	١٠٥	١١٦
يوسف	(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)	١٠٦	١١٦-١٢٥
يوسف	(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)	١٠٩	٣٥٤
الرعد	(ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)	٢	٢٦٣
الرعد	(ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ)	٨	٤٠٢
الرعد	(قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ)	١٦	٤١٢
الرعد	(وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ)	٢٢	٢٠٥
إبراهيم	(ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)	٢	١٤
إبراهيم	(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)	٤	١٩٤

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
إبراهيم	(وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)	٣٤	٢١٦
الحجر	(قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)	٣٩	٤٨٦
النحل	(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)	١٧	
النحل	(قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)	٢٦	٢٨٠
النحل	(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ)	٣٦	١١٨-١٢٧
النحل	(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)	٤٣-٤٤	١٨٠-٣٥٤
النحل	(بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)	٤٤	١٨٠-١٨٣
النحل	(يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)	٥٠	١٩٩
النحل	(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ)	٧٣	١٤١
النحل	(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًاۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ	٧٥-٧٦	١٣٦

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)		
النحل	(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)	٧٨	٢٥٠-١٠٢
النحل	(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)	٩٠	٣٨١
النحل	(مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)	١٠٦	٤٨٧
الإسراء	(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)	١	٢٩٣
الإسراء	(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)	٢٣	١١٩
الإسراء	(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)	٣٦	١٧٧
الإسراء	(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)	٤٦-٤٥	١٨٥
الإسراء	(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا)	٥٦	١٤٣

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
طه	﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠	١١٠
طه	﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾	٨١	٢٨٣
طه	﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾	٨٢	٤٦٨
طه	﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾	١٠٢	٣٧٢
الأنبياء	﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٩	٤٠٥
الأنبياء	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٢٢	١١٠
الأنبياء	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	١١٨
الأنبياء	﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾	٤٧	٣٧٧-٣٧٩
الأنبياء	﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾	٦٣	١٤٥
الأنبياء	﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾	٦٥	١٤٥
الأنبياء	﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٩١	٣٥٣
الحج	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ	٥-٧	٣٦٥

السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ)		
الحج	(ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ)	٤١	٤٣٦
الحج	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)	٦٥	٢٦٩
الحج	(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)	٧٠	٤٠٣-٤٠٧
الحج	(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)	٧١	١٤٦
الحج	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)	٧٣-٧٤	١٣٥
المؤمنون	(فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)	٢٧	٢١٦
المؤمنون	(إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)	٣٧	٣٦٣-٣٦٤
المؤمنون	(فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ	١٠٢ -	٣٧٧-٣٧٨
	مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ)	١٠٣	٣٧٩
النور	(وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ	٤٧	٤٦٧

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
العنكبوت	(وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ)	٦٤	٣٦٣
الروم	(وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)	٢٧	٣٦٥-٣٦٦
الروم	(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)	٣٠	١٠١
الروم	(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)	٣٠	١٠٢
لقمان	(أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ)	٢٠	٢١٦
لقمان	(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)	٢٥	١١٥-١١٧
فاطر	(مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ)	١٠	١٩٩
فاطر	(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ)	٣٦	٣٩٧
يس	(أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ)	٧١	٢١١
يس	(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ	٧٨-٧٩	٣٦٦-٣٧٠

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)		
يس	(فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)	٨٣	٢١١
الصافات	(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)	٩٦	٢٥٣-٤٠٦ ٤٠٧ -٤٠٨ ٤١٠
ص	(كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ)	٢٩	١٨٤
ص	(قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ)	٧٥	٢١٠-٢١١ ٢١٢-٢١٦
الزمر	(أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ)	٣	١١٥
الزمر	(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)	٢٩	١٣٧
الزمر	(قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)	٥٣	٤٧٨
الزمر	(ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ)	٦٢	٤٠٩
الزمر	(وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)	٦٧	٢١٠-٢١٣
الزمر	(وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)	٦٨	٣٧٤
غافر	(ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ)	٤٦	٣٦١-٣٩٣
فصلت	(ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ	١١	٢٦٥

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ)		
الشورى	(فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)	١١	٩٣-١٦٩
الشورى	(فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)	١١	٢٨٢-٢٨٦
الشورى	(وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ)	٤٥	
الشورى	(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	٥٢	١٨٠-٢٢٨
الزخرف	(وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ)	٤٥	١١٩
الأحقاف	(أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)	٣٣	٣٦٧
محمد	(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ)	١٦	١٨٥
محمد	(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ)	٢٤	١٨٤
الفتح	(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ	٤	٤٦٠

السورة	الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)		
الفتح	(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)	١٠	٢١١-٢١٠ ٢٧٢
الفتح	(سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا)	١١	٤٥٧
الفتح	(قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)	١٦	٤٦٧
الفتح	(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا)	٢٩	٤١٧-٢٦٥
ق	(لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ)	٢٢	٢٩٥
النجم	(وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ)	٣-٤	٣٤٦
النجم	(مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ)	١١	٢٩٣
القمر	(وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ)	١٣-١٤	٢١٧
القمر	(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)	٢٢	١٨٣
القمر	(إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ)	٤٩	٤١٢
الرحمن	(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)	٢٦-٢٧	٢٠٥

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الرحمن	(تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ)	٧٨	٢٠٨
الحديد	(ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ)	٢٠	٤٨١
الحديد	(سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ)	٢١	٣٩٣
الحديد	(مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)	٢٢	٤٠٧
المجادلة	(قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ)	١	٢٢٢
الحشر	(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ)	٢	٢٨٠
الحشر	(وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)	١٠	٤٢٤
الممتحنة	(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ)	١٣	٢٨٣
التغابن	(زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)	٧	٣٦٥

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الملك	﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾	١٦-١٧	١٩٩
المعارج	﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾	٣-٤	١٩٩
القيامة	﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾	٢٢-٢٣	٢٩٥-٢٩٦
القيامة	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	٣١-٣٢	٤٦٧
النبأ	﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴾	٢١-٢٣	٣٩٣
المطففين	﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾	١٥	٢٩٧
الفجر	﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾	٢٢	٢٧٣
الليل	﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	١٥-١٦	٤٦٧
البينة	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾	٥	٤٦٩
الزلزلة	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾	٧-٨	٣٥٨

فهرس أطراف الحديث

فهرس الأعلام المترجم لهم
مرتبة حسب الحروف الهجائية

م	اســـم الـــــراوي	الصفحة
٤٦	عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي	٢٦٣
٤٧	عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي (الخليفة)	٤٢٨
٤٨	عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي (سيبويه)	١٩٥
٤٩	قتادة بن دعامة السدوسي	٢٨١
٥٠	كعب بن الأشرف اليهودي	٤٢٦
٥١	مجاهد بن جبر المكي الأسود	٢٨١-٣٧٦
٥٢	محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني	٢٧٠
٥٣	محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (الأزهري)	٩٦
٥٤	محمد بن الحسن بن زفر الشيباني	١٧٤
٥٥	محمد بن جعفر بن يزيد الطبري (ابن جرير الطبري)	١٠١
٥٦	محمد بن زياد الهاشمي (ابن الأعرابي)	٢٦٦
٥٧	محمد بن محمد بن محمد الغزالي	٣٧١
٥٨	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	٣٧٦
٥٩	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي	٤٦٢
٦٠	محمد بن مسلمة بن سلمة الأوسي الأنصاري	٤٢٠
٦١	محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ابن منظور)	٩٦
٦٢	معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري	١١٩
٦٣	معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشي	٤٢٥
٦٤	معقل بن عبيد الله الجزري العبسي	٤٧٧
٦٥	نافع المدني (أبو عبد الله مولى ابن عمر)	٤٧٧
٦٦	نعمان خير الدين الألوسي	٢٠٣
٦٧	يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي (الفراء)	١٩٥

فهرس الفـــرق والأديـــان

فهرس المصطلحات

فهرس كتب الشيخ محمد أبو زهرة / ١

١	ابن تيمية ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٢	ابن حزم ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٣	ابن حنبل ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ١٤١٨هـ.
٤	أبو حنيفة ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٥	أصول الفقه – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٦	التكافل الاجتماعي في الإسلام – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٧	الجريمة والعقود في الفقه الإسلامي – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٨	الخطابة ، أصولها ، تاريخها ، في أزهر عصورها عند العرب – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٩	الشافعي ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ١٤١٦ هـ.
١٠	العقوبة – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
١١	العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – ط الأولى – ١٤٢٨ هـ .
١٢	القرآن ، المعجزة الكبرى – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
١٣	الوحدة الإسلامية – دار الرائد العربي – بيروت – لبنان – ط ١٩٨٧ م .
١٤	الوحدة الإسلامية – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
١٥	الولاية على النفس – بدون دار نشر .

١٦	الولاية على النفس – دار الرائد العربي – بيروت – لبنان – ط ١٤٠٠ هـــ .
١٧	تاريخ الجدل – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
١٨	تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
١٩	تنظيم الأسرة وتنظيم النسل – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٢٠	تنظيم الإسلام للمجتمع – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ١٤٢٠ هـــ .
٢١	خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم – دار الفكر العربي – القـــاهرة – بـــدون تاريخ .
٢٢	زهرة التفاسير – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٢٣	شرح قانون الوصية – دار الفكر العربي – ط ١٣٩٨ هـــ .
٢٤	فتاوى الشيخ محمد أبو زهرة – جمع ودراسة وتحقيق د. محمد عثمان شبير – دار القلم – دمشق – ط الأولى – ١٤٢٧ هـــ .
٢٥	في المجتمع الإسلامي – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٢٦	مالك ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٢٧	محاضرات في النصرانية – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ .
٢٨	محاضرات في عقد الزواج وآثاره – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .
٢٩	مقارنات الأديان ، الديانات القديمة – دار الفكر العربي– القاهرة – بـــدون تاريخ .
٣٠	نظرية الحرب في الإسلام – دار الفكر العربي – القاهرة – ط . الأولـــى – ١٤٢٥ هـــ .

فهرس المراجـــع

١	أبو زهرة ، إمام عصره – أبو بكر عبد الرزاق – دار الاعتــصام – بـــدون تاريخ .
٢	أبو زهرة عالماً إسلامياً ، حياته ومنهجه في بحوثـــه وكتبـــه – د . ناصـــر محمود دوهدان – بدون دار نشر – ط الأولى – ١٤١٧ هـــ .
٣	أبو زهرة ، في رأي علماء العصر – أبو بكر عبد الرازق – دار الاعتصام – بدون تاريخ .
٤	إجتماع الجيوش الإسلامية – للإمام ابن القيم – مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق – إعداد وتحقيق : د . عواد عبد الله المعتق – مكتبة الرشـــد – الرياض – ط الثانية ١٤٠٩هـــ .
٥	أحكام التركات والمواريث – تأليف محمد أبو زهرة – دار الفكر العربـــي – بدون تاريخ .
٦	أحكام الرقى والتمائم – د . فهد بن ضويان بن عوض السحيمي – أضـــواء السلف – الرياض – ط الأولى – ١٤١٩ هـــ .
٧	آراء ابن حجر الهيثمي الاعتقادية (عرض وتقويم في ضوء عقيدة الـــسلف) – محمد بن عبد العزيز الشايع – مكتبة دار المنهاج – ط الأولى – ١٤٢٧ هـــ .
٨	آراء القرطبي والمازني الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم – عبـــد الله بن محمد بن رميان الرميان – دار ابن الجوزي – الدمام – ط الأولى – ١٤٢٧ هـــ .
٩	أراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية (عـــرض ونقـــد) – د . عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الـــسند – دار التوحيـــد – الريـــاض – ط الأولى ١٤٢٨ هـــ .
١٠	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – العلامة محمد الأمين بـــن محمـــد المختار الجكني الشنقيطي – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط الأولى – ١٤٢٦ هـــ .

١١	إظهار الحق – للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي – دراسة وتحقيق وتعليق د . محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي – دار الوطن للنشر – الرياض – بدون تاريخ .
١٢	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي – ضبط وتقديم وتعليق : محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – ط الأولى – ١٤٠٧هـ .
١٣	اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث (شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن أشعري وقرره في مقالاته – تأليف د . محمد بن عبد الرحمن الخميسي – دار الصميعي – ط الأولى – ١٤١٤ هـ .
١٤	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية – تحقيق وتعليق د . ناصر بن عبد الكريم العقل – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية – ط السابعة – ١٤١٩ هـ .
١٥	إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد – أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤٠٣ هـ .
١٦	الإبانة عن أصول الديانة – للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تحقيق وتخريج وتعليق : بشير محمد عيون – مكتبة المؤيد – الرياض – ط الرابعة – ١٤١٣ هـ .
١٧	الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – تأليف الإمام أبو عيد الله عبد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي – تحقيق ودراسة : رضا بن نعسان معطي – دار الراية – الرياض – ط الثانية ١٤١٥ هـ .
١٨	الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب " سير أعلام النبلاء " للإمام الذهبي جمعاً وتخريجاً ودراسة – إعداد د . جمال بن أحمد بن بشير بادي – دار الوطن – الرياض – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .

الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعاً ودراسة – تأليف د . محمد بن عبد الله بن محمد السيف – دار الشعرية – ط الأولى – ١٤٢٩ هـ .	١٩
الأحكام السلطانية والولايات الدينية – لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي – تحقيق وتخريج وضبط وتعليق : عصام فارس الحرستاني ، محمد إبراهين الزغلي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .	٢٠
الإخنائية أو الرد على الإخنائي – لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية – تحقيق : أحمد بن مونس العنزي – دار الخراز – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ .	٢١
الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد – تأليف : سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي– دار عالم الفوائد – مكة المكرم – ط الأولى – ١٤١٩ هـ .	٢٢
الأربعين في صفات رب العالمين – لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – تحقيق وتخريج وتعليق عبد القادر بن محمد عطا صوفي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط الأولى – ١٤١٣ هـ .	٢٣
الأربعيني في أصول الدين – للإمام فخر الدين الرازي – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ط الأولى – ١٤٠٦ هـ .	٢٤
الاستقامة – لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم – تحقيق د . محمد رشاد سالم – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – بدون تاريخ .	٢٥
الإستقامة – لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم – تحقيق محمد رشاد سالم – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – بدون تاريخ .	٢٦
الإستنفار للذب عن الصحابة الأخيار – سليمان بن ناصر بن عبد الله العلواني – دار إحياء الجهاد – ط الثانية – ١٤٢٣ هـ .	٢٧
الإصابة في تمييز الصحابة – للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١٥ هـ .	٢٨

٢٩	الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كـلام شيخ الإسلام ابن تيمية – تأليف د . عبد القادر بن محمد عطـا صـوفي – مكتبة الغرباء الأثرية – ط الأولى – ١٤١٨ هـ .
٣٠	الاقتصاد في الاعتقاد – للحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغنـي ابـن عبـد الواحد بن سرور المقدسي – تحقيق وتعليق د . أحمد بن عطية الغامـدي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنور – ط الأولى – ١٤١٤ هـ .
٣١	الإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار – تأليف يحيى بـن أبـي الخير العمراني – دراسة وتحقيق : د . سعود بن عبـد العزيـز الخلـف – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى ١٤١٩هـ.
٣٢	الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة – علي بن بخيت الزهراني – دار الرسالة – مكـة – بدون تاريخ .
٣٣	الإنكار على من لم يعتقد خلود وتأبيد الكفار في النار – للشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد – بدون دار نشر – ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٣٤	الإمام الصادق حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – تأليف محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – ط ١٤٢٥ هـ .
٣٥	الإمام زيد ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه – تأليف محمد أبو زهـرة – دار الفكر العربي – مدينة نصر – بدون تاريخ .
٣٦	الإمام محمد بن يحي المذهلي محدثاً مع تحقيق الجزء المنتقى في زهرياته – إعداد سليمان بن سعيد بن مريزن العسيري – جامعـة أم القـرى – مكـة المكرمة – ط ١٤٢٠ هـ .
٣٧	الأم – للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي – بيت الأفكار الدولية – الأردن – بدون تاريخ .
٣٨	الإيمان بين السلف والمتكلمين – تأليف د . أحمد بن عطية بن علي الغامدي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط الأولى ١٤٢٣ هـ .

٣٩	الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين – تأليف محمد بن محمود آل خضير – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى ١٤٢٨ هـ .
٤٠	البداية والنهاية – للحافظ عماد الدبن أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي – تحقيق : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي – هجر للطباعة والنشر – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ .
٤١	البيهقي وموقفه من الإلهيات – تأليف د . أحمد بن عطية بن علي الغامدي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط الرابعة – ١٤٢٢ هـ .
٤٢	بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية – جمع وتوثيق وتخريج يسري السيد محمد – دار ابن الجوزي – الدمام – ط الأولى ١٤١٤ هـ .
٤٣	براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة دراسة تأصيلية تفصيلية عن مراد السلف بدخول العمل في مسمى الإيمان – محمد بن سعيد بن عبد الله الكثيري – دار المحدث – الرياض – ط الأولى ١٤٢٦ هـ .
٤٤	بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنهج الفوائد – للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – تحقيق عبد الله محمد الدرويش – دار الفكر – بيروت – ط ١٤١٤ هـ .
٤٥	بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني – تحقيق د . محمد العبد العزيز اللاحم – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – بدون تاريخ .
٤٦	بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – تصحيح وتكميل وتعليق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم – مؤسسة قرطبة – بدون تاريخ .
٤٧	التبصير في معالم الدين – لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري – تحقيق وتعليق علي بن عبد العزيز بن علي الشبل – دار العاصمة – الرياض – ط الأولى ١٤١٦ هـ .

٤٨	التفسير والفسرون – لمحمد حسين الذهبي – مكتبة وهبه – ط الثانية – ١٤١٦ هـ .
٤٩	التسعينية – لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – دراسة وتحقيق : محمد بن إبراهيم العجلان – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ.
٥٠	التمهيد لما في الموطأ في المعاني والأسانيد – للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر – تحقيق : عبد الله بن الصديق – مكتبة الأوس – المدينة المنور – بدون تاريخ .
٥١	تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .
٥٢	تفسير البغوي (معالم التنزيل) – للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – ط ١٤٠٩ هـ .
٥٣	تفسير التحرير والتنوير – تأليف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور – دار سحبون للنشر والتوزيع – تونس – بدون تاريخ .
٥٤	تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٢ هـ .
٥٥	تفسير القرآن العظيم – لأبي النداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط الثانية – ١٤٠٧ هـ .
٥٦	تلبيس إبليس – للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي – دراسة وتحقيق وتعليق : د . السيد الجميلي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط الثامنة – ١٤١٩ هـ .
٥٧	توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسوعة بالكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية – تأليف أحمد بن إبرهيم بن عيسى – المكتب الإسلامي – ط الثالثة – ١٤٠٦ هـ .

٥٨	تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – للشيخ سليمان بن عبد الله بـن محمد بن عبد الوهاب – بدون دار نشر .
٥٩	تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير – لمحمـد نـسيب الرفـاعي – مكتبة المعارف – الرياض – ط ١٤١٠ هـ .
٦٠	التبرك أنواعه وأحكامه – د . ناصر بن عبد الرحمن بـن محمـد الجـديع – مكتبة الرشد – الرياض – ط الثانية – ١٤١٣ هـ .
٦١	التدمرية ، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع – لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية – تحقيق : محمد بن عودة السعودي – بدون دار نشر – ط الأولى – ١٤٠٥ هـ .
٦٢	التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة – لأبي عبد الله محمد بن أحمد بـن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي – إعتناء وتعليق : عبد المجيد طعمـة حلبي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط السادسة – ١٤٢٣ هـ .
٦٣	التعريفات – الشريف علي بن محمد الجرجـاني – دار الكتـب العلميـة – بيروت – لبنان – ط ١٤١٦ هـ .
٦٤	التكفير وضوابطه – تأليف إبراهيم بن عامر الرحيلي – دار الإمام البخـاري – قطر – ط الأولى – ١٤٢٦ هـ .
٦٥	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي – تحقيق وتعليق : إيمان بن سعد الدين المياديني – رمادي للنشر – الدمام – ط الأولى – ١٤١٤ هـ .
٦٦	التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد – علـوي بن عبد القادر السقاف – دار ابن القيم – الدمام – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ .
٦٧	تأويل مختلف الحديث – لابن قتيبة الدينوري – دار الكتاب العربي – بيروت – بدون تاريخ .

٦٨	تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة – دياب بني سعد آل حمدان الغامدي – مكتبة المورد – ط الثانية – ١٤٢٥ هـ .
٦٩	تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء – لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – دراسة وتحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة – مكتبة الرشد – الرياض – السعودية – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
٧٠	تقريب وترتيب شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – إعداد خالد فوزي عبد الحميد حمزة – دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
٧١	تهذيب الكمال في أسماء الرجال – للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي – تحقيق وضبط وتعليق : د . بشار عواد معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى – ١٤١٨ هـ .
٧٢	التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) – محمود شاكر – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثالثة – ١٤١١ هـ .
٧٣	تجريد التوحيد المفيد – للإمام تقي الدين المقريزي – ويليه تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد – للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني – تحقيق صبري بن سلامة شاهين – دار القبس – ط الأولى – ١٤٢٦ هـ .
٧٤	تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٧٥	الجامع لأحكام القرآن – للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١٤١٣ هـ .
٧٦	الجمال – إن الله جميل يحب الجمال – د . مسفر بن سعيد دماس الغامدي – مطبعة الروافد الحديثة – ط الأولى – ١٤٢٤ هـ .
٧٧	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني – تحقيق وتعليق د . علي بن حسن بن ناصر وآخرون – دار العاصمة – الرياض – السعودية – ط الأولى – ١٤١٤ هـ .

٧٨	جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم – للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب – تحقيق شعيب الأرناؤوط ، د. إبراهيم باجس – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة – ١٤١٢ هـ .
٧٩	جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية – تأليف د . محمد أحمد لوح – دار ابن عفان – الخبر – ط الأولى – ١٤١٨ هـ .
٨٠	جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة – تأليف عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله العنقري – دار التوحيد – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٥ هـ .
٨١	جهود الشيخ محمد أبو زهرة في الدعوة الإسلامية – منجد السيد عبد الغني شادي – جامعة الأزهر – كلية أصول الدين – القاهرة – ط ١٤٠٩ هـ .
٨٢	جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة – تأليف عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن العرفج – دار التوحيد للنشر – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٨ هـ .
٨٣	الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة – لأبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني – تحقيق ودراسة : محمد بن محمود أبو رحيم – دار الراية – الرياض – ط الثانية ١٤١٩ هـ .
٨٤	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية – تحقيق ودراسة : د . السيد الجميلي – دار الكتاب العربي – ط الأولى – ١٤٠٥ هـ .
٨٥	حديث الآحاد وحجيته في تأصيل الاعتقاد – تأليف د . عبد الله بن ناصر بن سعد السرحاني – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٨ هـ .
٨٦	خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل – للإمام محمد بن اسماعيل البخاري – دراسة وتحقيق : فهد بن سليمان الفهيد – دار أطلس الخضراء – الرياض – ط الأولى ١٤٢٥ هـ .
٨٧	الدرر السنية في الأجوبة النجدية – جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي الجنبلي – بدون دار نشر – ط الخامسة – ١٤١٣ هـ .

٨٨	الدر المنثور في التفسير المأثور – للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١١ هـ .
٨٩	الدعوة إلى الإسلام ، تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن – الإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – ط ١٩٩١ هـ .
٩٠	درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول – لابن تيمية – تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .
٩١	دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عرض ونقد) – إعداد : عبد العزيز محمد بن علي العبد اللطيف – دار الوطن للنشر – ط الأولى – ١٤١٢ هـ .
٩٢	الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ – تأليف أ.د. على الفقيهي – دار المآثر – المدينة المنورة ط الثانية – ١٤٢٢ هـ .
٩٣	الرد على الجهمية – للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي – تخريج وتعليق : بدر بن عبد الله البدر – دار ابن الأثير – الكويت – ط الثانية ١٤١٦ هـ .
٩٤	الرد على الجهمية والزنادقة مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة – للإمام أحمد بن حنبل – تحقيق وتعليق د . عبد الرحمن عميرة – دار اللواء – الرياض – ط الثانية – ١٤٠٢ هـ .
٩٥	الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله – تأليف إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل – دراسة وتحقيق : دغش بن شبيب العجمي – غراس للنشر والتوزيع – الكويت – ط الأولى – ١٤٢٦ هـ .
٩٦	الرد على من يقول القرآن مخلوق – لابن النجاد الحنبلي – تحقيق ودراسة : عبد السلام عمر علي – دار الضياء – طنطا – بدون تاريخ .
٩٧	الرقية الشافية من نفثات سموم النصائح الكافية لمن يتولى معاوية – رضي الله عنه – تأليف حسن بن علوي بن شهاب – روافد – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤٢٩ هـ .

رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب – لأبي الحسن الأشعري – تحقيق ودراسة : عبد الله شاكر محمد الجنيدي – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – ط ١٤١٣ هـ .	٩٨
رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار – لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني – تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – ط الأولى – ١٤٠٥ هـ .	٩٩
رفع الأئمة عن فتوى اللجنة الدائمة – تأليف محمد بن سالم الدوسري – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط الثانية ١٤٢٣ هـ .	١٠٠
رؤية الله تبارك وتعالى – للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن عمر المعروف بابن النحاس – تحقيق وتعليق د. علاء الدين علي رضا – دار المعراج الدولية – الرياض – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .	١٠١
رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها – تأليف د . أحمد بن ناصر بن محمد آل محمد – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ط الأولى – ١٤١١ هـ .	١٠٢
رياض الجنة وبتخريج أصول السنة – لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين – تحقيق وتخريج وتعليق عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري – مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية – ط الأولى – ١٤١٥ هـ .	١٠٣
زاد المسير في علم التفسير – لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الرابعة – ١٤٠٧ هـ .	١٠٤
زاد المعاد في هدي خير العباد – لابن قيم الجوزية – تحقيق وتخريج وتعليق : شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط السادسة والعشرون – ١٤٦٢ هـ .	١٠٥
زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه – تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر – كنوز اشبيليا – الرياض – ط الثانية ١٤٢٧ هـ .	١٠٦

١٠٧	السنن الكبرى – تصنيف الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي – تحقيق : الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١١ هـ .
١٠٨	السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها – لأبي عمرو عثمان بن سعيد المقري الداني – دراسة وتحقيق : د . رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري – دار العاصمة – الرياض – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .
١٠٩	السنة – لأبي بكر أحمد بن محمد ابن هارون بن يزيد الخلال – دراسة وتحقيق : د . عطية بن عتيق الزهراني – دار الراية – ط الثانية – ١٤١٥ هـ .
١١٠	السيد صديق حسن القنوجي ، آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف – الدكتور أختر جمال لقمان – دار الهجرة – الرياض – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
١١١	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
١١٢	سنن ابن ماجة – للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – ط ١٣٩٥ هـ .
١١٣	سنن أبي داود – للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني – دراسة وفهرسة : كمال يوسف الحوت – دار الجنان – بيروت – ط الأولى ١٤٠٩ هـ .
١١٤	سنن الترمذي – لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر – المكتبة التجارية – مكة المكرمة .
١١٥	سير أعلام النبلاء – تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط التاسعة ١٤١٣ هـ .
١١٦	الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة – للإمام أبي عبد الله عبيد بن بطة العكبري – تحقيق ودراسة : د . رضا بن نعسان معطي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط الأولى ١٤٢٣ هـ .
١١٧	الشفاعة عند المثبتين والنافين – د . عفاف بنت حمد بن عبد العزيز الونيس – دار التوحيد للنشر – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٩ هـ .

١١٨	الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها – ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع – دار أطلس – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
١١٩	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم – تأليف الإمام أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي – تحقيق : د . أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي – دار طيبة – الرياض – ط الثالثة – ١٤١٥ هـ .
١٢٠	شرح السنة – للإمام الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثانية ١٤٠٣ هـ .
١٢١	شرح العقيدة الأصفهانية – لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق وتعليق وتخريج سعيد بن نضر بن محمد – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى ١٤٢٢ هـ .
١٢٢	شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي – تحقيق ومراجعة : جماعة من العلماء – خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثامنة ١٤٠٤ هـ .
١٢٣	شرح القصيدة النونية – للإمام ابن القيم الجوزية – شرح وتحقيق : محمد خليل هراس – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الثانية – ١٤١٥ هـ .
١٢٤	شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان (الإيمان الأوسط) – لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – دراسة وتحقيق : د . علي بن بخيت الزهراني – دار ابن الجوزي – الدمام – ط الثانية ١٤٢٤ هـ .
١٢٥	شرح صحيح مسلم – لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي – دار القلم – بيروت – لبنان – ط الأولى – بدون تاريخ .
١٢٦	شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري – تأليف عبد الله بن محمد الغنيمان – دار لينة للنشر – ط الثالثة – ١٤١٩ هـ .

١٢٧	شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – لابن قيم الجوزية – تحقيق : عمر بن سليمان الحنيان – مكتبة العبيكان – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ .
١٢٨	الشرك في القديم والحديث – أبو بكر محمد زكريا – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى – ١٤٢١ هـ .
١٢٩	الشفا بتعريف حقوق المصطفى – للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط ١٤٢٣ هـ .
١٣٠	شرح الأصول الخمسة – لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد – تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم – تحقيق د . عبد الكريم عثمان – مكتبة وهبة – القاهرة – ط الثالثة – ١٤١٦ هـ .
١٣١	شرح العقيدة الطحاوية – للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي – تحقيق وتعليق وتخريج د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شعيب الأناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثانية – ١٤١١ هـ .
١٣٢	شرح العقيدة الواسطية – للشيخ محمد الصالح العثيمين – دار ابن الجوزي – الدمام – ط الثانية – ١٤١٥ هـ .
١٣٣	شرح مشكل الآثار – لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي – تحقيق وتعليق : شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى – ١٤١٥ هـ .
١٣٤	الصارم المسلول على شاتم الرسول – لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – دراسة وتحقيق محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني ، ومحمد كبير أحمد شودري – رمادي للنشر – الدمام – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
١٣٥	الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية – تحقيق وتخريج وتعليق : د . علي بن محمد الدخيل الله – دار العاصمة – الرياض – ط الثانية – ١٤١٢ هـ .
١٣٦	صحيح ابن حبان – للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي – بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفاسي المسمى (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) – بيت الأفكار الدولية – الأردن – بدون تاريخ .

١٣٧	صحيح البخاري – للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي – ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وجمله وخرج أحاديثه في صحيح مسلم : د . مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – دمشق – ط الخامسة ١٤١٤ هـ .
١٣٨	صحيح الجامع الصغير وزيادته – تأليف محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثانية ١٤٠٦ هـ .
١٣٩	صحيح مسلم – للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط الرابعة ١٤١٢ هـ .
١٤٠	صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة – تأليف علوي بن عبد القادر السقاف – دار الهجرة – الرياض – ط الأولى ١٤١٤ هـ .
١٤١	صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها – تأليف عبد القادر بن محمد بن يحيى الغامدي الجعيدي – مكتبة دار البيان الحديثة – الطائف – ط الأولى ١٤٢١ هـ .
١٤٢	ضعيف سنن الترمذي – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١١ هـ .
١٤٣	ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة – تأليف : عبد الله بن محمد القرني – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط الثانية – ١٤٢٠ هـ .
١٤٤	الطبقات الكبرى – تأليف محمد بن سعيد بن منيع الزهري – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .
١٤٥	طبقات الشافعية الكبرى – لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي – تحقيق : د . محمود محمد الطناحي ، د . عبد الفتاح محمد الحلو – هجر للطباعة والنشر – ط الثانية – ١٤١٣ هـ .
١٤٦	العصمة في الفكر الإسلامي – تأليف أ.د. حسن حميد عبيد الغرابوي – دار طيبة – دمشق – ط الأولى – ١٤٢٨ هـ .

١٤٧	العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية – تأليف عبد الله بن يوسف الجديع – دار الإمام مالك – الرياض – ط الثانية – ١٤١٦ هـ .
١٤٨	العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط – للدكتور سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٥ هـ .
١٤٩	العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النواقح – للعلامة صالح بن المهدي المقبلي اليميني – مكتبة دار البيان – بدون تاريخ .
١٥٠	العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم – للقاضي أبي بكر بن العربي – تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٦ هـ .
١٥١	عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من الأسماء والصفات الإلهية – للشمس السلفي الأفغاني – بدون دار نشر – ط الثانية – ١٤١٩ هـ .
١٥٢	عقائد الثلاث والسبعين فرقة – لأبي محمد اليمني – تحقيق ودراسة : محمد بن عبد الله زربان الغامدي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط الأولى – ١٤١٤ هـ .
١٥٣	عقيدة السلف وأصحاب الحديث – تأليف الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني – دراسة وتحقيق – د . ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع – دار العاصمة – الرياض – ط الثانية ١٤١٩ هـ .
١٥٤	عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – د . ناصر بن علي عائض حسن الشيخ – مكتبة الرشد – الرياض – ط الثالثة – ١٤٢١ هـ .
١٥٥	علوم الحديث – لأبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري – تحقيق وشرح نور الدين عتر – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – بدون تاريخ .
١٥٦	عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة – تأليف عبد الكريم تتان ، محمد أديب الكيلاني – دار البشائر – دمشق – ط الأولى ١٤١٥ هـ .

١٥٧	عون المعبود شرح سنن أبي داود – للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٠ هـ .
١٥٨	العذر بالجهل مع توضيح وبيان لموقف شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب من العذر بالجهل وتكفير المعين – شريف محمد فؤاد هزاع – دار ابن تيمية – القاهرة – ط الثانية – ١٤١٠ هـ .
١٥٩	عقائد أئمة السلف ، تتضمن عقيدة الإمام أحمد ، وسفيان الثوري والحميدي وعبد الغني المقدسي وابن أبي زيد القيرواني وابن قدامة – اعتناء فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط الأولى – ١٤١٥ هـ .
١٦٠	الفتوى الحموية الكبرى – لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية – دراسة وتحقيق : حمد بن عبد المحسن التويجري – دار الصميعي – الرياض – ط الأولى ١٤١٦ هـ.
١٦١	الفصل في الملل والأهواء والنحل – تأليف الإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي الظاهري – وضع حواشيه : أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٦ هـ .
١٦٢	الفطرة ، حقيقتها ومذاهب الناس فيها – لعلي بن عبد الله بن علي القرني – دار المسلم – ط الأولى – ١٤٢٤ هـ .
١٦٣	فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق وتخريج : محب الدين الخطيب – المكتبة السلفية – القاهرة – ط الثالثة ١٤٠٧ هـ .
١٦٤	الفرق بين الفرق – للعالم عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – ط ١٤١٣ هـ .

١٦٥	فتح الباري في شرح صحيح البخاري – للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب الجنبلي – تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد – دار ابن الجوزي – الدمام – السعودية – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
١٦٦	فتح البيان في مقاصد القرآن – للعلامة المحقق صديق حسن خان – أم القرى – القاهرة – مصر – بدون تاريخ .
١٦٧	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – مراجعة وتصحيح وتعليق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز – المكتبة التجارية – مكة المكرمة – بدون تاريخ .
١٦٨	فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها – إعداد غالب بن علي عواجي – مكتبة لية – ط الثانية – ١٤١٦ هـ .
١٦٩	فقه الرد على المخالف – خالد بن عثمان السبت – المصادر للمعلومات – ط الأولى – ١٤٢٩ هـ .
١٧٠	القبورية ، نشأتها ، آثارها ، موقف العلماء منها (اليمن نموذجاً) – تأليف أحمد بن حسن المعلم – دار ابن الجوزي – الدمام – ط الأولى – ١٤٢٧ هـ .
١٧١	القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (دراسة عقدية) – تأليف محمد هشام بن لعل محمد طاهري – دار التوحيد للنشر – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٦ هـ .
١٧٢	القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه – للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود – دار الوطن – ط الثانية – ١٤١٨ هـ .
١٧٣	القضاء والقدر – للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي – ضبط وتصحيح وتعليق : محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط الثانية – ١٤١٤ هـ .
١٧٤	القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد – للشيخ عبد الرازق بن المحسن البدر – دار ابن القيم – ط الأولى – ١٤٢٣ هـ .

١٧٥	القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن صالح العثيمين – دار العاصمة – الرياض – ط الأولى – ١٤١٥ هـ .
١٧٦	قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة – تأليف عادل بن محمد بن علي الشيخاني – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى ١٤٢٦ هـ .
١٧٧	القاموس المحيط – للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
١٧٨	الأسماء والصفات – لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق وتخريج وتعليق : عبد الله بن محمد الحاشدي – مكتبة السوادي للتوزيع – جدة – السعودية – ط الأولى ١٤١٣ هـ .
١٧٩	الإيمان – للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده – تحقيق وتعليق وتخريج : د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط الثانية – ١٤٠٦ هـ .
١٨٠	التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل – تأليف الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة – دراسة وتحقيق : د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان – مكتبة الرشد – الرياض – ط السادسة – ١٤١٨ هـ .
١٨١	السنة – للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – تحقيق ودراسة – د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني – للنشر – ط الثانية – ١٤١٤ هـ .
١٨٢	الشريعة – للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري – دراسة وتحقيق : د . عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي – دار الوطن – الرياض – ط الأولى ١٤١٨ هـ .
١٨٣	الصفوية – لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق : د. محمد رشاد سالم – دار الهدي النبوي – مصر – المنصورة – ط الأولى – ١٤٢١ هـ .

١٨٤	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – تحقيق وتخريج وتعليق – عبد الرازق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط الثانية – ١٤٢١ هـ .
١٨٥	الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) – لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي – مؤسسة الرسالة – الرياض – ط الثانية – ١٤١٣ هـ.
١٨٦	كشاف اصطلاحات الفنون – للعلامة محمد علي بن علي بن محمد التهاوني الحنفي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤١٨ هـ .
١٨٧	أصول الدين – للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الثالثة – ١٤٠١ هـ .
١٨٨	السنة – للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني – ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة – للشيخ محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثالثة – ١٤١٣ هـ .
١٨٩	لسان العرب – لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري – تحقيق وتعليق : عامر أحمد حيدر – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى ٢٠٠٥ هـ .
١٩٠	لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد – للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي – شرح محمد بن صالح العثيمين – تحقيق وتخريج : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود – مكتبة دار طبرية – ط الثالثة – ١٤١٥ هـ .
١٩١	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية – تأليف العلامة محمد السفاريني الحنبلي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثالثة – ١٤١١ هـ .

١٩٢	لوامع الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية – للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي – دراسة وتحقيق : عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى – ١٤١٢ هـ .
١٩٣	المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله – مركز صالح بن صالح الثقافي– عنيزة – السعودية – ط ا لأولى – ١٤١١ هـ.
١٩٤	المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب – تأليف بكر بن بعد الله أبو زيد – دار العاصمة – الرياض – ط الأولى ١٤١٧ هـ .
١٩٥	المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة – جمع وتحقيق ودراسة – عبد الله بن سليمان بن سالم الأحمدي – دار طيبة – الرياض – ط الأولى ١٤١٢ هـ .
١٩٦	المنهج السلفي (تعريفه ، تاريخه ، مجالاته واعده ، خصئصه) تأليف : د . مفرح بن سليمان القوسي – دار الفضيلة – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٢ هـ.
١٩٧	الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم – د . محمود محمد الطناحي – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط الأولى – ١٤٠٦ هـ .
١٩٨	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – لدار الندوة العلمية للشباب الإسلامي – إشراف وتخطيط ومراجعة : د . مانع بن حماد الجهمني – دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض – ط الثالثة – ١٤١٨ هـ .
١٩٩	مجمع الأمثال – لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم النيسابوري الميداني – تحقيق : سعيد محمد اللحام – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط ١٤٢٢ هـ .
٢٠٠	مجموعة رسائل الإمام الغزالي – للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الرابعة – ١٤٢٧ هـ .

٢٠١	مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – تأليف محمد الموصلي – تحقيق وتعليق : سيد إبراهيم – دار الحديث – القاهرة – ط الأولى ١٤٢٢ هـ .
٢٠٢	معجم الصحاح – للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤٢٦ هـ .
٢٠٣	مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري – د . محمد الشيخ عليو محمد – مكتبة دار المنهاج – الرياض – ط الأولى ١٤٢٧ هـ .
٢٠٤	منهج الإمام الشافعي رحمه الله في إثبات العقيدة – د . محمد بن عبد الوهاب العقيل – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى ١٤١٩ هـ .
٢٠٥	موقف الصحابة من الفرقة والفرق – د . أسماء بنت سليمان بن عبد الرحمن السويلم – دار الفضيلة – الرياض – السعودية – ط الأولى ١٤٢٦ هـ .
٢٠٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي – تحقيق : عبد السلام عبد الشافعي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط الأولى ١٤١١٣ هـ .
٢٠٦	المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها – تأليف د . عبد الله بن محمد القرني – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط الأولى ١٤١٩ هـ .
٢٠٧	مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – ط عام ١٤١٦ هـ .
٢٠٨	مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان – دار الوطن – الرياض – ط الأخيرة ١٤١٣ هـ .
٢٠٩	محمد أبو زهرة ، إمام الفقهاء المعاصرين والمدافع الجريء عن حقائق الدين – تأليف د . محمد عثمان شبير – دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤٢٧ هـ .

٢١٠	مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – تأليف ابن قيم الجوزية – اختصره محمد بن الموصلي – دار الندوة الجديدة – بيروت – لبنـــان – ط ١٤٠٥ هـــ .
٢١١	مسند الإمام أحمد بن حنبل – للإمام أحمد بن حنبل الشيباني – إشراف عبـــد الله بن عبد المحسن التركي – تحقيق شعيب الأناؤوط وآخـــرون – مؤســـسة الرسالة ط الثانية ١٤٢٠ هــ.
٢١٢	معجم مقاييس اللغة – لأبي الحسين أحمد بن فارس بـــن زكريـــا – تحقيـــق وضبط : عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – ط ١٤٢٠ هـــ .
٢١٣	مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية – تأليف ياسر قاضي – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى ١٤٢٦ هـــ .
٢١٤	مقدمة ابن خلدون – تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون – ضبط وشرح وتقديم د . محمد الإسكندراني – دار الكتاب العربي – بيـــروت – ط الثانية ١٤١٩ هـــ .
٢١٥	منهاج السنة النبوية – لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق د . محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن ســـعود الإســـلامية – ١٤٠٦ هـــ .
٢١٦	منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيـــدة – تأليف جابر إدريس علي أمير – أضواء الـــسلف – الريـــاض – ط الأولـــى ١٤١٩ هـــ .
٢١٧	موقف ابن تيمية من النصرانية – مريم عبد الرحمن عبد الله زامل – جامعـــة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤١٧ هـــ .
٢١٨	الماتريدية دراسة وتقويماً – د . أحمد بن عوض الله الحربي – دار الصميعي – الرياض – ط الثانية – ١٤٢١ هـــ .
٢١٩	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – للقاضي أبي محمد عبد الحق بـــن غالب بن عطية الأندلسي – تحقيق : عبد السلام عبد الـــشافي محمـــد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٣ هـــ .

٢٢٠	المحيط بالتكليف – للقاضي عبد الجبار – مكتبة القاهرة – بدون تاريخ .
٢٢١	المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع – إعداد خالد بن مسعود الجعيد – وعلي بن جابر العلياني ، وناصر بن حمدان الجهني – دار الهدى النبوي – مصر – ط الأولى – ١٤٢٨ هـ .
٢٢٢	المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير – الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري – تحقيق مروان العطية ، ومحسن فرابة – دار ابن كثير – دمشق – بيروت – ط الأولى ١٤١٠هـ .
٢٢٣	المسائل والرسائل المروية عن الإمام أبن حنبل في العقيدة – جمع وتحقيق ودراسة : عبد الله بن سلمان بن سالم الأحمدي – دار طيبة – الرياض – ط الأولى – ١٤١٢ هـ .
٢٢٤	المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرازق بن هشام الصنعاني – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثانية ١٤٠٣ هـ .
٢٢٥	المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها – تأليف عواد بن عبد الله المعتق – مكتبة الرشد – الرياض – ط الثانية ١٤١٦ هـ .
٢٢٦	المعجم الأوسط – للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – قسم التحقيق بدار الحرمين : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين – القاهرة – ط ١٤١٥ هـ .
٢٢٧	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث – القاهرة – ط الأولى – ١٤٠٦ هـ .
٢٢٨	المغني في أبواب التوحيد والعدل – القاضي أبي الحسن عبد الجبار – تحقيق د . أحمد فؤاد الأهواني – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – ط الأولى ١٣٨٢ هـ .
٢٢٩	الملل والنحل – لأبي الفتح ابن أبي بكر الشهرستاني – تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل – دار الفكر – بدون تاريخ .

٢٣٠	المنهج المقترح لفهم المصطلح – الشريف حاتم بن عارف العوني – دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .
٢٣١	الموطأ – للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه – تصحيح وترقيم وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط ١٤٠٦ هـ .
٢٣٢	مباحث التفسير – لأبي العباس أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفي – دراسة وتحقيق : حاتم بن عابد بن القرشي – كنوز اشبيليا – الرياض – ط الأولى – ١٤٣٠ هـ .
٢٣٣	مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي – أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي – مكتبة الشئون الفنية – الكويت – ط الأولى – ١٤٢٨ هـ .
٢٣٤	مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– الرياض – العدد الرابع والعشرون – ربيع الأول – ربيع الآخر – جمادىي الأولى – جمادى الآخرة – ١٤٠٩ هـ .
٢٣٥	مجموعة الرسائل والمسائل للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية – علق عليها وصححها جماعة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى – ١٤٠٣ هـ .
٢٣٦	مختصر العلو للعلي الغفار – للحافظ شمس الدين الذهبي – تحقيق محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الثانية – ١٤١٢ هـ .
٢٣٧	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية – تحقيق وتخريج وتعليق : بشير محمد عيون – مكتبة دار البيان – دمشق – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ .

٢٣٨	مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات – لأحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي – دار العاصمة – الرياض – ط الأولى – ١٤١٦ هـ .
٢٣٩	مفردات ألفاظ القرآن – للعلامة الراغب الأصفهاني – تحقيق : صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – ط الثانية – ١٤١٨ هـ .
٢٤٠	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى على الأصول – تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي – ضبط وتعليق وتخريج : عمر بن محمود أبو عمر – دار ابن القيم – الدمام – ط الأولى – ١٤١٠ هـ .
٢٤١	معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – شخصيته وعصره – الدولة السفيانية – د . علي محمد الصلابي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط الثانية – ١٤٢٧ هـ .
٢٤٢	مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – للإمام أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط ١٤١٦ هـ.
٢٤٣	مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها – دكتور جابر بن إدريس بن علي أمير – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى ١٤٢٢ هـ .
٢٤٤	مناقب الإمام أحمد بن حنبل – للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي – تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي – هجر للطباعة والنشر – ط الثانية – ١٤٠٩هـ .
٢٤٥	منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز – للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني – تحقيق وتعليق : أبو حفص سامي بن العربي – دار الجيل – بيروت – ط الأولى – ١٤١٥هـ .
٢٤٦	منهج الحافظ اب حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابة " فتح الباري " – محمد إسحاق كندو – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى – ١٤١٩ هـ .
٢٤٧	منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة – تامر محمد محمود ومتولي – دار ماجد عسيري – جدة – ط الأولى – ١٤٢٥ هـ .

٢٤٨	منهج الشهرستاني في كتابة الملل والنحل – محمد بن ناصر بن صالح السجيباني – دار الوطن – الرياض – ط الأولى – ١٤١٧ هـ .
٢٤٩	منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة – د . أحمد بن عبد اللطيف بن عبد الله آل عبد اللطيف – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – ط ١٤١٤ هـ .
٢٥٠	منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى – خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور – مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية – ط الأولى ١٤١٦ هـ .
٢٥١	منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد – إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان – دار ابن القيم – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٥ هـ .
٢٥٢	موقف ابن تيمية من الأشاعرة – تأليف د . عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى – ١٤١٥ هـ .
٢٥٣	النوبات – للإمام تقي الدين ابن تيمية – تحقيق د . عبد العزيز بن صالح الطويان – أضواء السلف – الرياض – ط الأولى – ١٤٢٠ هـ .
٢٥٤	نقض الإمام أبي سعيد عثمان ابن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد – تحقيق وتعليق وتخريج : د . رشيد بن حسن الألمعي – مكتبة الرشد – الرياض – ط الثانية – ١٤١٥ هـ .
٢٥٥	نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف – إعداد د . محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – دار المسلم – الرياض – ط الأولى – ١٤١٦ هـ.
٢٥٦	هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة ، والجواب من اعتراضات بعض المخالفين – تأليف عمرو عبد المنعم سليم – دار الضياء – طنطا – ط الأولى ١٤٢٢ هـ .
٢٥٧	الوعد الأخير شروطه وموانعه – تأليف د . عيسى بن عبد الله السعدي – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٢٥٨	وسطية أهل السنة بين الفرق – للدكتور محمد باكريم محمد باعبد الله – دار الراية – الأولى – ١٤١٥ هـ .

فهرس الموضوعات